Universitäts- und Landesbibliothek Bonn

Ta’mmulāt al-maḥabba al-ilāhīya

Estella, Diego de

[S.l.]

urn:nbn:de:hbz:5:1-16106

Visual Library

Göttner 2245

كثيرين من اهل الجهل الذين يعتنون بمثل هذه الامور كانها منسوبة لعلو درجتهم . ولا يهمهم ما دهمَ فلتشاصر ملك بابل من حكم الله العادل . ولا يفطنون بما قالهُ تعالي على لسان اشعيا النبي الويل لكم انتم المدلجين من باكر وتسعون وراء السكر والالحان والاغاني في ولايمكم ولاتنظرون الى اعمال الرب (ص٥) . لا تعتمد علي شرف حسبك ولا علي غشوش جمال الجسد . لان سليمان الحكيم يقول الجمال كاذب والحسن باطل (امثال ٣١) . انك اذا افتخرت صلفاً بالحسن والجمال فقد شابهت الميت اذا افتخرَ بزينة قبرهِ . كون جسد الخاطي هو قبر لنفسهِ الميتة . لاتعتمد علي الفراسة والمهارة الجسدية ولا بفنون اخرى مثل هذه . فقد يوجد كثير من الحيوانات تتفاضل عليك في هذه الامور * ان عسايل ذكر عنه انه كان سريعاً في الجرى كبعض الغزلان في الغابة . ومع ذلك قتل لانه ركض علي ابنير (ملوك ٢ ص٢) . وهذا الاعتماد صار سبباً لموت كثيرين * لاتفتخر بعافيتك بل الاولي بك ان ترهب كثيراً وانت في حال الصحة من هلاك نفسك . اذ انه لايكون اشد عداوةً من عدو المنزل . لان الانسان يكون في اعظم الخطر مادامَ عدوه صحيح البدن متعافياً . وهذه الصحة في اكثر الاوقات تكون علة ضعف النفس وذبولها كما قال ابن سيراخ ان السقام الشديد يجعل النفس عفيفة (٣١) .

انه

Orussem 2245

الفانية الزايلة * ان رجانا بين مخاطر هذه الدنيا السايلة هو كالماء السريع الجرى بغير مانع ولا عايق . فان ظنناه ثابتاً وثيقاً فذلك من غاية الجنون * فلا يفتخر احد بالثروات الزمنيّة . ولا يثق بالاصدقا والاقارب . كون هذه الامور بجملتها لا ثبات لها ومترعة اخطاراً * من اتكل على الله واستغني باسمه وقت الحاجة فلن يهمل ولا تلم به الاحزان . وقد قال اشعيا النبي الويل لكم انتم الذين تعتمدون علي عصا من قصبة مرضوضة (ص٣٦) * فقد شبه النبي الدنيا بالقصبة الفارغة الغير المكينة . لانه هكذا هو حال الدنيا فارغ غاش * قل لي علي اى شي تعتمد ايها الانسان الدنيوى . فلا تتكل على قوتك وشهامتك . لان كثيراً من الروسا والمتقدمين الاشدا كانوا في الدنيا واليوم لا نعرفهم ولا نذكر اسماءهم . وقد قال الكتاب ان الاقويا يعذبون عذاباً شديداً (حكمة ٦) . ولاجل اتكال بني اسرايل على قوتهم غلبوا وظفر بهم الكنعانيون * ولا تفتخر باباطيل قصورك العالية المتسعة . ولعمري ان هذا من غاية الجنون ان تبتني منازل مشيدة البنا معظمة الاوضاع في هذه الحيوة القصيرة . اذ قد جا في الكتاب عن الاقدمين انهم مع طول اعمارهم وكثرة سني حياتهم كانوا يسكنون المغر والخيام . وارميا النبي يقول الويل لمن يبتني بيتاً بالظلم (ص٢٢) * لا تتباهى بالولايم وكثرة اصناف المآكل مثل

دنو الوفاة الآ خوفاً من جهنم وهو حاصل في ابوابها . فسبيلك اذا كنت ذا عقلٍ وفطنة ان تعرف ما انت فيهِ من الغرور والطغيان في تقلب سيرتك ان اخرت التوبة الي وقت الموت * وكل من لا يسارع الى التوبة فقد بين انه يمهلها الي الموت . فاذا اخرتها الي الغد فقد ابقيتها الي يوم الموت . حيث انك لا تعلم ماذا يكون في اليوم المقبل * ولكون التوبة في ذلك الوقت مجهولة الحال فسبيلك ان تصلح عيشتك وتثقف طريقتك الان . ليلا تفتش علي التوبة في ذلك الوقت وانت مضغوط من الموت المفزع * وتطلبها حيث لا تجدها *

الفصل المائة

* في بيان رجا اهل العالم الباطل *

قال صاحب الزبور لا تتكلوا علي الرؤسا ولا علي بني البشر الذين ليس عندهم خلاص (مزمور ١٤٥) * اذا شيت الآ يدخل عليك شي من حوادث الغواية والغشوش ولا تتعربس ولا تغتم . فلا تصرف فكرتك في خليقة من المخلوقات الحية او في صورة جميلة بهية . ولا في حسب شريف او درجة عالية . كون الاشيا جميعها موعبة اباطيل وممتلية غشوشاً * فكمثل من يضع اساساً علي المياه الجارية كذلك يكون حال من اتكل على امور هذا العالم

انهم لولا مخافة الموت لما فعلوا من ذلك شيأً * وكما يجري في ميدان رشق الثيران اذا راى احد ثوراً لاحقاً لهُ فللوقت ينزع ثوبه ويطرحه قدام ذلك الثور فيرجع عنه . واذا رجع عنه فيعود حالاً وياخذ ثوبه ويلبسه مطمئناً بلا خوف * فعلى هذا المثال كثير من الناس حين يرون ذواتهم مشرفين علي الموت يفرقون اموالهم في ذلك الوقت . ويردون ما عليهم للغير . ويكرمون بالعطا سخاءً . ويصيرون في ذلك الوقت ورعين دينين . ولكن متي اعاد الله عليهم العافية وخلصوا من العطب المميت . رجعوا الي ما كانوا عليهِ من الربا والحرام وبقية المساوى والشرور وعادوا اشقيا كما كانوا اولاً . والذى كانوا قد فرقوه انفاً من المال وغيره يرجعون بهِ ويستردونه ايضاً . لان كل ما صنعوا من البر والمعروف انما كان اضطراراً لخوفهم من خطر الموت لا من فضيلتهم * فان تركت الخطايا حينما لا تقدر علي فعلها فتكون هي تركتك لا انت تركتها * ان التاجر وقت هيجان البحر واضطرابهِ يرمي بضاعته في البحر ليلا يكون خسرانه اكثر . اما عند ما يصير الهدو وتسكن تلك الحوادث . فيهتم حينيذٍ بكل جهده ليحصلها . حيث انه لولا المخافة سابقاً لما القاها في البحر . وهولاء مثل ذلك يجودون عن ضرورة وقت الموت باشياء وقلوبهم مرتبطة بامور العالم * فهاقد تحققنا ان الخاطى لا يذكر الله تعالي عند

في رحمانهِ (ص١٧) * اما اشعيا النبي فيقول الويل لك ايها المهين لانك تهان (اشعيا٣٣) * فمثل ما ان الخاطي اهان الله بقبايحهِ ورداوة سيرتهِ . هكذا الله يهينهُ وقت ورود الموت فيموت مخذولاً من الله ولايذكرهُ * والنبي داود قد خاطب الله قايلاً ليس في الموت من يذكرك (مزمور٦) . وقد كمل ذلك حزقيا الملك حيث قال في نشيدهِ . الحيّ يعترف بك يارب ويشكرك (اشعيا٣٨) فكانهُ يقول ليس من يذكرك في الموت يا الهي بل الحيّ يذكرك * ثم اسمع ما قالهُ سليمان الحكيم اذكر خالقك في ايام حداثتك قبل ما تظلم شمس عقلك ونجوم حواسك (جامعه١٢) وقد يبين من هذه الاقاويل ان توبة الذين هذه الصورة صورتهم كاذبة . ولذلك نراهم بعد توبتهم عادوا الي ما كانوا عليهِ من معاصيهم الاولي وانتقموا ممن كانوا قد صفحوا عنهُ . فلو كانت نيتهم في التوبة صادقة لما عادوا سريعاً الى سجاياهم الردية وخصالهم السيية . فتوبتهم اذاً انما كانت عن اضطرار واغتصاب * فمن عادة اللصوص الا يقروا بجرايمهم الا بالتعذيب . ولكن هذا الاقرار لا يفكهم من العذاب بل يهيي لهم موتاً شنيعاً . وعلي هذه الصورة الذين يعترفون بسياتهم خوفاً من جهنم . فاعترافهم لا يمنحهم حيوةً بل موتاً دهرياً . فتراهم يصفحون عن الذنب في حال امراضهم وضيقتهم . ويجودون باموالهم كرماً . ولعمري

الانحلال . وعادة الخطية تكون عند الوفاة مرافقة لك . وتجارب كثيرة من قبل المحال تضادك وتحاربك . لان كل ما اضاعه عدو الخير من الناس في هذه الحيوة ففي اكثر الاوقات يعود ويربحه ايضاً . اما الذى يخسر عند المفارقة فلا يمكنه اكتسابه ايضاً . وهكذا الذى يربحه حينيذٍ فغير ممكن ان يخسر فيما بعد . ولانه يعلم هذا جيداً . فيجاهد حينيذٍ بكلية قوته في امتحاننا بمحن مستصعبة جداً . حتي ان كل ما قد جربنا بهِ في مدة اقامتنا في الدنيا لا يحسب تجربات بالنسبة الي تلك * فاذا كنت لم تقصِ عنك الصغاير من المحن . فكيف تفلت من الكباير في تلك الساعة وانت مختبط العقل ضعيف القوى . فايما رجا تحصل لك منه النصرة مع ضعف قواك واعداوك اقوى منك واشد باساً * فاذا كنت لا تشا الدخول مع مقاومك الي معركة القتال وانت متعافي صحيح البدن . فكيف تروم الظفر بهِ في ذلك الوقت وانت طريح الفراش والاوجاع محدقة بك من كل جانب * فمن حيث انك لا تعلم متي تكون هذه الضيقة ولا ما يدهمك من الباس والضرر . فالاولي بك ان تصغا الي قولي وتستمع مشورتي وتبادر الي التوبة ولا تؤخرها دقيقة واحدة . ولا تتوقع الطبيب لتريه اوصاب نفسك حينما لا يمكنك اكمال مرسومه * وقد ايد ذلك ابن سيراخ حيث قال تعترف وانت حي ومتعافي فتعترف وتمدح الله وتفتخر

والانجيل الشريف ذكر عن العذارى الجاهلات انهن تاخرن في اعداد مصابيحهن فلذلك لم يوهلن للدخول في العرس السماوى (متي ٢٥) * فامر غريب وعجيب ان يجد الانسان في حين نزاع الموت وضيق تلك الساعة استعداداً جيداً كما ينبغي. لان في ذلك الوقت هيهات ان يصادف الانسان ندامة حقيقية اذا لم تكن معه من قبل * من لا يحب الله في حال الحرية وحسن التهيي فيكون اقل حباً حين يحضر الموت وجهنم قدامه وهو حاصل في غاية الشدة واعظم الضرر * ان مقاساة الاوجاع والامور الصادرة من قبل الحزن تاثر بقوى النفس اكثر من الامور الناشية عن الفرح. فاذا كانت اللذة القصيرة تمنع استعمال التبصر والتمييز. فمن الاولي والاحرى ان الحزن الشديد يشوش العقل اكثر تشويشاً * ولعمري ان ارهاب الموت اشد تاثيراً من الصنفين. لكون رهبته تخلط العقل كثيراً . حتي انك اذا كنت قد عبدت نفسك للدنيا في مدة حياتك فلا يدعك حينيذٍ ان تلتفت الي الله وترجع اليه. لانه غير ممكن ان يحتوى عقلك علي اشيا مختلفة ويحيط بها علماً. وهكذا الاوجاع المضاضة تشوش عقلك في ذلك الوقت حتي يعسر عليك جداً ان ترفع قلبك الي الله تعالي * وقد قال الحكيم ليس للانسان سلطان ليمنع الروح ولا سلطان له في يوم الموت (جامعه ٨) * ان العادة كيفية عسرة

مستقيمة * كل شي كقول الحكيم لهُ اوان . فللضحك وقت وللبكا وقت (جامعه ٣) . فاوان هذه الحيوة انما هو زمان التوبة والبكا . لكون وقت الموت مقاومًا لنيل الحيوة الباقية التي تطلبها * ان الندامة الصادرة من محبة الله تعالي هي اشد ضرورة لخلاصك . وهو امر عسير جدًا ان تنال ذلك وقت حلول الموت مع كونك قد قضيت حياتك باسوحال * اذا اشتد بكا احدنا عند موته فنقول ان خوف العذاب ربما الجاه الي ذلك اكثر من الشوق الى الله . وهذه الندامة لاتجزى الخاطي ولا تكفيه ليتبرر ويتزكى . ولهذا السبب تكون التوبة في تلك الساعة غير مقبولة علي اكثر الاحوال * وقد ذكر الكتاب المقدس ان شمعي خرج لاستقبال داود الملك في عودته من صور لكي يطلب منه السماح علي ما فعله به من الجور (ملوك ٢ ص١٩) . فداود ولو انه اطلق سبيله في ذلك الوقت لكنه فيما بعد امر بقتله لان ندامته لم تكن اختيارية بل اضطرارية * وكثير من الناس علي هذه الصورة يلتزمون بالتوبة في ساعة الموت اضطرارًا . لان الاشرار والمنافقين لايلتجئون الي ذروة التوبة الا لعدم امكانهم الخطا عند انصرام زمان حياتهم * ان فرعون لما عرف الله وهو في البحر الاحمر عزم علي الرجوع الي الوراء . ولكن كان الوقت لما عزم عليه ونواه قد فات . لان الماكان قد انعطف علي الطريق وغرقوا جميعهم (خروج ١٥)

الفصل التاسع والتسعون

* في بيان ان التوبة وقت الموت غالباً لا تفيد شيئاً *

قال بولص الرسول لاهل قرنتيه هوذا الان الزمان المقبول هاهوذا الان ايام الخلاص . فلنطهرن انفسنا كاننا خدام الله بصبر طويل في الشدايد والاحتياجات والضيقات (قرنتيه ٢ ص ٦) * فمن الواجب ايها الاخ ان ترجع الي الله وانت في حال العافية . لانك اذا ما دمت بعيداً منه في زمان تصرفك في هذه الحيوة . فيعسر عليك جداً كما يقول النبي ان تقترب اليه تعالي عند ما يدركك طوفان المياه الكثيرة وتحوط بك كثرة الاوجاع وتدهمك رجفة الموت (مزمور ٣١) * وقال الله علي لسان اشعيا النبي في الزمن المقبول استجبتك وفي يوم الخلاص نصرتك وحفظتك (ص ٤٩) . فيوم الخلاص هو اوان هذه الحيوة الحاضرة فلا تدعه يجوز ولو كان قصيراً . اذ قد يمكن ان توهل فيه لاكتساب الراحة الابدية . كون الاشيا بجملتها غريبة وليس لنا غير الزمان فقط * ان حياتنا تشبه مدة زمان لعب الخيال . لاننا لسنا ننظر الي طول زمانه ولكن نترقب ان كان حسناً او رديا * فاقض حياتك باحسن حال اينما كنت . لان الغاية الصالحة تشهد علي العيشة الحميدة . فاذا كانت عاقبتها جيدة عرفنا في ذلك الوقت انها

بواسطة التوبة لان يعادل الملاك الذى لايعرف الخطية اصلاً * لانه امر غير لايق بجلال البارى تعالي الفايق الاكرام والمجد ان يدخل هذا الانسان الي محل الملاك الشرير من غير ان يكون طاهرًا نقيًا بواسطة التوبة كاحد الملايكة الاطهار . وذلك لتكون افعالهُ تعالى تامة لايشوبها عيب ولانقصان * فاذًا سبيلك ان تتمسك بذيل التوبة وتثابرها التزامًا من حيث اساتك الي الله تعالي لتنال الحظوى مع الملايكة القديسين وزمرة الارواح العقليين * فمثلما اذا كان في يد احدنا جوهرة ثمينة فوقعت في الطين فانه يرفعها ويمسحها ويجتهد في تنظيفها قبل ان يجعلها في كنزه . هكذا نفسك الجوهرة المثمنة متي سقطت في حماة الخطية فلا يدخرها الله في كنوزه السماوية قبل ان تغسلها وتنضحها بعبرات الندامة . وتعود بالتوبة خالية من الادناس والادران * ولعمري ان هولاء الذين يفزعون من خشونة التوبة ههنا لايمدون ابصارهم الي السعير المخلد الجهنمى الذى سيعاقب الخطاة * فسبيلك اذًا ان تسرع الي التوبة وترجع الي الله تعالي قبل ماتخسر الزمان الذى اعطاكه الله للتوبة . لانه في ساعة الموت يعود هذا الامر عسرًا جدًا . حتي انه يتبين كانه غير ممكن ان يعود بالحقيقة ويرجع من قد ابتعد من الله في حال حياته * في هذه الدنيا بالاعتياد على السيرة القبيحة *

فلا تسلمني الي الذين يظلموني (مزمور ١١٨) * وقال في مزمور اخر ان الكاس بيد الرب ممتلية خمرًا صرفًا ممتزجًا (مزمور ٧٤) فالخطاة الذين يتوبون هنا يشربون كاس المرارة ممتزجة بالتعزية والسلوان . ولذلك لما كرز يوحنا بالتوبة فلكي يعزى الخطاة قال لهم لقد اقترب ملكوت السماوات (متي ٣) . والقديس استفانوس في وقت جهاده ومقاساته راى السماوات مفتوحة (ابركسيس ٧) . وقال بولص الرسول كما ان اوجاع المسيح تتفاضل فينا كذلك ايضًا يكثر بالمسيح عزاونا (قرنتية ٢ ص ١) * فاذا كنت لا توثر ان تشرب كاس الالام ممزوجة بالتعزيات الكثيرة . فسوف تشربها في جهنم ممتلية خمرًا صرفًا اعني عذابًا خاليًا من الرحمة * فالاهنا الصالح قد ختم ان يملا الكراسي التي سقطت منها الملايكة الاشرار من افواج الارواح البشرية المتجسدة الطاهرة . وهذه الارواح التي سترتفع الي اورشليم السماوية سوف تصير مثل الملايكة قبل سقوطهم من هناك وكالملايكة الذين لبثوا في السعادة ابرارًا * وان لم يجر الامر هكذا فيكون البارى عز وجل عاجزًا عن اتمام ما ابتدا به من الفعل الجميل والخير الجزيل . وحاشاه من ذلك * فالبشر اذًا من هذه الجهة يجب عليهم ان يكونوا مساوين الملايكة الكرام . فاذا كانت الملايكة اطهارًا وعادمي الخطا بالكلية فيجب علي الانسان الخاطى ان يبذل جهده

المتشامخة بالتندم وتواضع القلب الذى دفعته للدنيا بارتكاب الخطايا اذ هذا هو الذى يريده الله ويسر به حسب قوله علي لسان سليمان الحكيم اعطني قلبك (امثال ٢٣) * فربنا يطلب قلبك مثل رب جليل عظيم القدرة ويريد ان تقدم له اياه على ما يشا هو تعالي . والذى يطلبه منا ويرتضى به بالاكثر هو الشي الذى فيه الانسان بكليته وبغيره ليس هو بشي وهو القلب . فلا يطلب منا مالاً ولا يداً ولا رجلاً بل افضل ما في الانسان . وما قال ان نقدمه له علي سبيل العارية لكن هبة وعطية . لكونه تعالي لم يرد ان نواظب التوبة في الصوم الكبير فقط او في بعض ازمنة اخرى بل طول ايام حياتنا . ولم يقل عز وجل ان نبيعه اياه لانه تعالي قد وهبناه مجاناً ومجاناً خلصنا * ولكون قلبنا ضعيفاً وقد انسم من تلقا الخطية . فينبغي لنا ان نعالجه ونعذبه بوجع الندامة ليقتبله اخيراً خاشعاً متواضعاً سليماً اذ هو لا يقبل سواه ولن يصفح عن الاثم بغير توبة * واذا اقمت علي اثامك مصراً على معاصيك فانك تقع في يد الله الحيّ . وهذا الامر كما قال الرسول مهول جداً (عبرانيه ١٠) . وايضاً قوله لو كنا ندين انفسنا لما كنا نلان (قرنتيه ١ ص ١١) * ان الله لا يعذب لاجل الذنب مرتين . فمتي عذبت انت نفسك بالتوبة عن جريرتك فلا يعذبك الله ايضاً . وقد قال داود النبي نحو الله . قد صنعت انصافاً وعدلاً

التوبة وبها وحدها يهدأ غضب الله تعالي وينتقل الي الرحمة * التوبة تمحو الذنوب . وتفرح المحزون . وتفتح ابواب الملكوت . وتمنح الحيوة للنفس . وتسبب حلول النعمة . واذا دنت نفسك ههنا فما يدينك الله * ان ثقل ميل النفس الي التغيير من احوالها يجتذبها الى الامور التي ليست لها . فان لم تلجم وتنقاد بضيقة طريق التوبة فتبقى متهورة دايماً من شرٍ الى شر * بقدر ما يكون خطاونا قدام الناس بغير عقوبةٍ . بمقدار ذلك نلتزم بالعقوبة امام الله . وبازاء ما نطهر انفسنا بشدة التعب والتوبة . علي مثال ذلك نظهر بين يدى الله اطهاراً انقيا * ان الله تعالي يشا ان نستعمل التوبة عما قد اجترمنا . حتي ان ارادتنا كما قبلت الخطية وتنازلت اليها . هكذا تفكر بها ايضاً بالتاسف والتوجع والتندم علي ما فرط منها . لانه على نحو ما دخل الشر باختيارنا . ينبغي ان يدخل الخير ايضاً باختيارنا * وكما صنع موسي النبي في البرية حية من نحاس لكي يبرى بها كل من كان ملسوعاً من الحيات (اعداد ٢١) . هكذا انت بالارادة التي اذنبت بها . بها ينبغي ان تشفى بواسطة التوبة * وكما ان اهل فلسطين لما جرحوا وضربوا بالفار عملوا في ذلك الوقت فيرانا من ذهب وقدموها لله حينما ردوا الثابوت الى بني اسرايل فشفوا وكفت الضربة عنهم (ملوك ١ ص ٦) . هكذا انت قدم لله ارادتك العاصية

بمبادرةٍ عوضاً من ان نتوقع اليوم المقبل في الدار الاخرة *

الفصل الثامن والتسعون

* في بيان فضيلة التوبة *

قال سيدنا يسوع المسيح في الانجيل المقدس توبوا فقد اقترب منكم ملكوت السماوات (متي ٤) * كما ان الذبابة اذا كانت عايشة فتكون ماكلاً للعنكبوت . اما اذا كانت ميتةً فتكون دواءً للدغته . هكذا الخطية مادامت حية في النفس فهي طعام للشيطان . ولكن اذا ماتت بالتوبة فذكرها المحزن والدموع الصادرة من قبل الندامة عليها يقاومان هذا المحال * قال الكتاب المقدس ان باع احد منزلاً فهو يقدر يستفكه في مدة تلك السنة بعدما يردّ للمشتري ثمنه . وان لم يخلصه في تلك السنة نفسها فيبقى في ملك المشتري ابداً (احبار ٢٥) . فهكذا انت متي بعت نفسك للدنيا او للشيطان من جرا الخطية . فتعود ملتزماً بالتوبة في مدة سنة هذه الحيوة لتفي عن جريرتك بالدموع وتخلص بواسطة الندامة البيت الذى قد اضعته * فاذا كنت لاتعمل لوازم التوبة الان وانت في قيد الحيوة فلا سبيل لك بعد الموت ولاتستطيع ذلك ولو اردت . ودموعك وندامتك لا يفيدانك شيئاً بل تكون هالكاً الي الابد . لان نجاة الخطاة لاتوجد الا في

يديه ورجليه . ومتي كبر تيبست الاعصاب وصارت اطرافه كالعواميد لايقدر علي ثنيها . هكذا انت يكون عسرًا عليك جدًا الرجوع الي الله والتوبة في شيخوختك ان كنت قضيت مافات من ايامك في ارتكاب المعاصي والمحارم * وقد قال ارميا النبي كما ان الحبشي الاسود اللون لايقدر علي ان يغير جلده ولا النمر تبقيعه . هكذا انتم ايضًا لاتقدرون علي عمل الخير اذا تعلمتم الشر (ارميا ١٣) * فاياك ان تصير الخطايا فيك بالعادة القديمة طبيعية . لانه قد يتفق لكثيرين كما يتفق للمسافر اذا وجد ساقية ماء في طريقه يمكنه ان يقفز عنها ويجوزها . فانه اذا تاخر وتماهل الي ان اتسع مداها . فيصير بذلك عاجزًا عن الفوت . هكذا يجري امر الذي يقدر ابتداءً ان يقفز الخطية بتوبة وتندم . فانه متي امهل التوبة تزيد الموانع ويقصر عن القيام بالتوبة * ان الطاير واى نوع كان من جنس الحيوان متي خوفته بالعصا هرب للوقت ولايصطبر للضرب . فكيف انت لاتكف عن الخطية ولاتلتجي الي ذروة التوبة عندما يتهددك الله بمهاول الموت * فاسمع ما قاله النبي ان لم ترجعوا يصقل سيفه اوتر قوسه وهياها وهيا فيها انية الموت (مزمور ٧) * وكل يوم يقتل ويميت بهذه القوس . ونحن ندفن مجاورينا ومحاذينا ولانعتبر ولانكف عن فعل السيات والذمايم كاننا فاقدوا الحس . ولانقبل نحو التوبة

زماناً ملايماً لها . ولا يبالون بالوقت الملايم لاصلاح انفسهم . بل يقدمون احسن ايامهم لخدمة ابليس الطاغوت . ويجعلون اقلها وارداها تقدمةً ليسوع المسيح * وقد قال ربنا تعالي ليس يجنون من الشوك عنباً ولا من العوسج تيناً (متي ٧) . فالذين يحتسبون انهم يجنون موتةً صالحة من عيشتهم الردية فضد هذا النص الالهي يفعلون * ان الشي الذى يوثره الانسان ويميل اليهِ اكثر ميلاً انما هو حياته . ولكون غاية اربه ان تكون احواله متيسرة ناجحة فسبيله ان يرغب بالزيادة ان تكون حياته مستقيمة فالحة * لا يوجد شي عند الخاطى اذل واحقر من نفسهِ . اذ تراه متي تلوث حذاه من الطين فللوقت يسرع في تنظيفهِ . واذا انشق ثوبه رقعه . واما تنظيف نفسه وتقويم طريقتهِ في زمان الصبا فلا يهمه ذلك . وقد يشهد علي نفسهِ بهذا الصنيع انه يحب حذاه ويفضله علي نفسهِ بزيادةٍ مفرطة * اذا كنت مدمناً على ارتكاب المعاصى والطريقة الردية فرجوعك الى الخير من الممتنع . لكون العادة الردية قد ربطتك وقيدتك بسلاسل الشر * ان القضيب اللين سهل التقويم . اما بعد ما كبر وغلظ وصار خشبة عظيمة يابسة فغير ممكن ان يتقوم اعوجاجه اذا كان اعوج . ولاجل ذلك احترس وتحفظ من العيشة السيئة القبيحة * فكما ان الفيل وهو حدث يكون قادراً ان يطوى

الاخيرة من وفاتك . وقد يكون ان يومر غدٍ لا يصادفك * فان اتفق لك يوماً ان وقعت في بعض الانهار وتقدم اليك احد وناولك يده لينشلك من الغرق افهل كنت تصبر الى الغد لتمسك يده . فما اظنك كنت تتمهل ولا ساعة واحدة . فما بالك وانت حاصل في المساوى وخطر الغرق في لجة بحر جهنم تتغافل ولا تطلب المعونة من الله الذى يستدعيك ويمد يده اليك لتنجو من لجة الموت الابدى . فلاية علة تمهل التوبة متمادياً * من حاول قلع شجرة يابسة عتيقة لينصبها في محل اخر فهو عادم التمييز لان الحكيم يقول للغرس وقت ولاقتلاع المغروس وقت (جامعة ٣) . فحيوة الانسان انما هى زمان اقتلاعه واستيصاله عن الخطايا وغرسه في الفضايل والتقوى لا زمان الشيخوخة والموت . فقوم يبتديون بالحيوة عند انتهايها . ومن هولاء قوم تنتهى حياتهم قبل الشروع بها لتوخرهم عن التقرب الي الله يوماً فيوماً مع عدم تاخيرهم موت انفسهم كل يوم * فمثل ما ان وضع الملح علي اللحم بعد ما نتن وفسد لا يجدى نفعاً . وتاخير معالجة القروح يصيرها الا يعـود الدوا يفيدها . وكذلك امهال المعونة للمدينة الي بعد ما تملكها الاعدا وتصير داخلها . وابطا تنظيف الاواني من الاوساخ الملتصقة بها * هكذا من تعود علي الخطية وشاخ فى الادمان عليها . هيهات ان يعود متقياً فاضلاً * فالناس يعرفون ان يختاروا لكل الاشيا

من شانها ان تفرح الانسان وتسر . فلذلك ينبغي لك ان تختارَ لنفسك الطريق الاوفق . حيث ان العيشة الصالحة ماثورة اذا كنت معتادًا علي الخير . وتلك العادة تجعلها حلوةً مستلذة . لان هذه الطريقة صعبة علي الانسان في بداية الامر الّا انها تعود اخيرًا هينة عذبة * فالخليق بك ان تبتدى بالصالحات والتقوى لتكون عيشتك جيدةً صالحة قبل ان يهجم عليك الموت * ان الذين يوخرون التوبة الي اخر عمرهم فانما مرادهم ان يقدموا تفل الحيوة ونفاوتهم . فليحذروا اليلا يشربوا عكر كاس غضب الرب كقول النبي عكرها لن يهرق بل تشرب منه كل خطاة الارض (مزمور ٧٤) * وكثيرون يبذلون احسن حياتهم للدنيا كانها ربهم . اما الله فيخصونه بالدنى والحقير من الحيوة * قال ابن سيراخ قرب لله قرابين مقبولة (ص ١٤) . وقال في ذلك ملاخيا النبي ملعون الماكر الذى له في غنمه الذكر وينذر ويذبح الضعيف للرب (ملاخيا ١) * وانت تقدم للدنيا الافضل من حياتك واما الله تعالي فالدون والشيخوخة الضعيفة العاجزة * فابكِ اذًا علي الزمان الذى اصرفته في الباطل ولم تحسن فيه خدمتك للرب كانه قد ضاع وفقد . واحفظ نيتك وعزمك ولا تتهاون بالزمان . لان الساعة التي جازت ونفدت لاترجع ولا تعود البتة . وربما يكون هذا اليوم اخر حياتك ونهاية الساعة

ان واحدًا من اهل بيتك يريد قتلك وانه لابد ان يقتلك في يوم من ايام الاسبوع وتموت فيه . لكنت تتوقى جميعهم متحذرًا منهم في كل يوم. فعلى هذا القياس سبيلك ان تسير بالفضيلة في الايام كلها ان كنت صاحب تمييز وعقل راجح . وكلما اصبح يوم من الايام فقل انك في هذا اليوم تموت . ولهذا السبب يجب عليك ان تتحفظ من الايام كلها متذكرًا ان كل يوم هو اخر عمرك * وقد يوجد جهلة كثيرون يحتسبون ان الحيوة لهم وفي احاطة يدهم. وانهم يستطيعون عمل كلما يشاون . وان حياتهم وموتهم في قبضة يدهم بحسب هواهم. ويتوهمون ان اعمارهم بسطة قماش يفصلون لهم منها ثيابًا اومهما شاوا قايلين نعمل هذا هكذا ونفصل ذاك كذا وكذا . فعلى هذه الحال يكون تصرف هولاء الجهلة * ثم يقولون هذا ندفعه للدنيا ونعطى ذاك فيما بعد لله ونرجع اليه. وبهذه السجية يبدرقون اعمارهم بالمحال كانها تحت سلطانهم مثل صاحب النسيجة المقدم ذكره . وهذا غاية الحماقة واشد الجهل . لان الغد يقبل سريعًا وهذه التخيلات ماذا يكون منها * هكذا ذلك الغني المذكور في الانجيل كان يحدس ويوعد نفسه بكثرة السنين . وللوقت سمع صوت الهاتف قايلًا له ياجاهل في هذه الليلة توخذ منك نفسك فالذى ظننته وخطر في بالك ماذا يكون منه (لوقا ١٢) * ان العيشة الصالحة

لانه يختطف من الله الزمان العتيد ويرتبه بحسب هواه وهو منسوب لله فقط * فبادر اذاً الي التوبة ايها الخاطى ولا توخرها الي حين لا تقدر فيه علي فعلها ولو اردت ذلك . لانه قد يمكن ان يدركك الموت في هذا اليوم والانجاب فى الزمان الذى تطلب فيه * ان من اراد الدخول الى بعض القلاع في النهار حينما توجد فرصة للدخول فيفتحون لهُ ويدخل باذن ريس القلعة . ولكن بعد ما امسى المسا وجن الظلام ورفع المعبر وغلقت الابواب . فلا يكون وقت للخروج والدخول ولا يفتحون لهُ ولو زاد في الطلب . ولا يمكنه نيل ذلك ولو طرق الباب كثيراً ومتواتراً * وانت كذلك سبيلك ان تصرخ وتسال بتضرع مادمت في هذه الحيوة ومجاز الرحمة مبسوطاً لكى يفتح لك . اذ انه في ليل الموت عندما يرفع مجاز الرحمة ويغلق الباب فانك ولو عجيت صارخاً بتواتر وتضرعت كثيراً فلا يصغى احد لصراخك ولا يفتح لك الباب كما جرى للعذارى الخمس الجاهلات . لانهن بعدما غلق الباب حاولن الدخول وصرخن فلم يسمع لهن . لانهن اخرن المجى فبقين خارج المجد السماوى علي الدوام * انت تعلم ان الرب عتيد ان ياتى ليحاسبك ويدينك علي تصرفك بالزمان الذى مضى . لكنك لست تعلم متي يكون هذا الزمان . فلذلك يجب ان تهتم بكل جهدك في ان تسير بالصلاح في كل وقتٍ * فلو صرفت عن يقين

كما ذكر الكتاب (قضاه ١٩) * فاذاً يجب عليك ان تسرع الي التوبة ولاتنصت الي مقال من يعيقك بالتوسل اليك . حتي اذا سلكت السبيل لايدهمك ليل الموت المدلهم وتلجيك الضرورة الي دخول البيت الجهنمي وتحيب من وطنك السماوى المختص بك وانت ساعٍ اليه * فلهذا السبب ادلج باكراً واسلك طريقك صباحاً . واعمل التوبة في الوقت الذى لك فيه المهل وتصادف الفرصة الملايمة . ان شيت الراحة حين يوافيك الليل البهيم *

الفصل السابع والتسعون

* في انه ينبغي لنا ان نسارع الي التوبة باوفر نشاط *

قال اشعيا النبي اطلبوا الرب حينما يمكنكم ان تجدوه ادعوه حينما هو قريب (ص ٥٥) * فسبيلك ان تبادر الي التوبة وتكون متوقعاً الرب في كل حينٍ كما قال عز قوله كونوا انتم مستعدين لان ابن الانسان ياتي في ساعةٍ لاتظنون (لوقا ١٢) * واعلم انه يوجد كثيرون في جهنم الذين ماتوا علي نية التوبة وما تابوا ولابقي لهم زمان للعمل وعقابهم ليس لهم عنه محيص . ولاجل معرفتك بذلك ينبغي لك ان تسرع الي التوبة بلا امهالٍ . لان ابن سيراخ يقول لقد اهلكت الضمانة الخبيثة كثيرين (ص ٢٩) * ان الوعد الذى يعد الخاطي نفسه به من طول العمر انما هو باطل وجزاف .

لانه

ليقوم بقوله . والحال ان سيدنا يسوع المسيح قد دعا هذه الحيوة يوماً ينبغي لنا العمل فيهِ . لانه اذا هجم الليل وجن الظلام الذى هو الموت فحينيذٍ يبطل العمل ولا يقدر احد ان يعمل شيئاً يربح او يخسر * فهذه الحيوة هي الزمان الذى قبلته لتعمل فيهِ عمل خلاصك . فمتي دعاك العالم الي عملٍ اخر فاعرض عنهُ ولا تقبله . وان اشار عليك بالاهتمام في اشغالهِ وترك ما سواه واوعدك باكرام ونياح وغني وغير ذلك فلا تلتفت الي مواهبهِ الكاذبة . اذ لا تعلم متي يكون اخر العمر * فاذاً بادر الى عملك ولا تتوانى ولا ساعة واحدة . لان زمان التفحص عن سيرتك والتفتيش عليها قد دنا فتجازى علي قدر عملك * وقد قيل عن الطيور البواشق في بلاد ترفيغا في النواحى الشمالية انها تسرع في صيد غذائها لقصر النهار هنالك . وانت كذلك سبيلك ان تسرع بمبادرة كلية في زمان هذه الحيوة القصيرة لصيد ملك السما بالتنهد والعبرات والصلوات المتتابعة * والويل للذين لا يفطنون بنفود ايام التوبة التي تجوز بلا فايدة ولا يلتفتون الي زمان خلاصهم الفايت * فيا للعجب من تغافلك وانت منطلق الي المقبرة باسرع سرعة ولم تشعر . فلاجل تهاونك في تخليص نفسك يصيبك ما اصاب ذلك اللاوى من الضرر العظيم عند ابطايهِ عند حميهِ لما توسل اليهِ واعاقهُ عن الوصول في ذلك اليوم الي بيتهِ فحصل لهُ ذلك الضرر

الطوفان في نهاية الماية . وهكذا انت اذا استعملت زمان حياتك بالمعاصى والقبايح فقد اضعت ذلك الزمان وخبت منه * ان صحة الجسد تحصل للناقهين قليلاً قليلاً اذ لايمكن ان يصحوا في وقت واحد . اما صحة النفس فهى امس حاجةً واشد ضرورة علي تحصيلها في دقيقة واحدة * فانت لعمرى ليس لك من الزمان غير دقيقة واحدة . وهى كافية لتوبتك وعودتك الي الله . فلاجل ذلك لاتوخر التوبة الي ميعادٍ من السنين . لانه تعالي شاءَ ان تعود اليهِ في هذه الدقيقة ولاتوخر أفعالهُ ليلا يأتيك شي يعيقك عنها . ولا تنتظر الغد لانه ربما اليوم يقع الحساب عليك * وقد يوجد كثيرون يقومون بتدبير الامور العتيد كونها التي ليست هى تحت سلطانهم . اما الامور الحاضرة فلا يعتنون بتدبيرها . فهولاء لاينصفون حياتهم التي امتلكوها . لانهم يحبون ان يبدرقوا هذا القسم الذى اعطاهموه الله في الاسابا اليهِ . والقسم الاخر من الحيوة الذى لم يعطهم اياه بعد يريدون ان يقدموه لهُ تعالي ويوثرون نوال النعمة بهِ . وهذا ما هو الامن غاية الجهل واقبح الجنون . فسبيلك اذاً ان تعود الي الزمان الذى تعطى لك فيهِ العافية والخلاص * ولعمرى ان الحيوة انما منحت لك لتشترى بمقاساة اتعابها الراحة الدايمة . ومن عادة من يعمل عملاً بمشارطة ان يجتهد لكى يعمله في اليوم المعين ويترك ماعداه من الاشغال

وجه يسرف بالنفقة * فهذه الحيوة ليس لك منها نصيب ولاقسم ولا يوم واحد . فلمَ تتوقع العام المقبل لتهتم بالتوبة . وكيف تعد نفسك بسعة الايام وطول الاعوام وانت فقير من الزمان افتقارًا كليًا لاتملك منه شيًا حتي ولا ساعةً واحدة مثبوتة لك * فلا يغرنك هذا الزمان ولاتعش عيشًا خارجًا عن الحد لانك فقير ومسكين . وربما في هذا اليوم تحاسب بشدة الحساب علي مابدرقت من الزمان الذى اُعطى لك لاجل التوبة * ولعمرى انك عايش في حال خطر النعجة التي في فم الذيب ولالك منه محيص الآن تصرخ الي يسوع الراعي الصالح ان شيت الآ يبتلعك الموت بغتةً * لاتعد نفسك بطول العمر ومدى السنين . لان ابن سيراخ يقول ان هذه الضمانة الخبيثة اهلكت كثيرين (ص٢٩) * قال الرب ليس لكم ان تعرفوا الاوقات والازمنة التي تركها الاب تحت سلطانه (ابركسيس ١) * فما جعل الله اذًا الزمان في سلطانك انت بل في سلطانه تعالي حسبما رتل داود النبي قايلًا . انه وقت يعمل فيه للرب وقد نقضوا شريعتك (مزمور ١١٨) . فاذا لم تستفد من الزمان شيًا فاعلم ان الله يقصر ايام حياتك * ففي ايام نوح قال الكتاب ان الله امهل الناس ماية وعشرين سنةً ليثابروا علي التوبة . فاذ اصرفوا زمانهم بافتعال الشرور والمساوى نقص الله مما اوعدهم به من الزمان عشرين سنةً وارسل عليهم

هذه الصورة يهجم الموت عليك غفلةً من غير ان تجد فرصةً لعمل التوبة . وذلك تعذيبًا لتغافلك في العيشة ههنا * ان يونان النبي قال لاهل نينوى من الان الى اربعين يومًا تخسف نينوى (يونان ٣) . فكانت لاهل نينوى مهلة اربعين يومًا ومع ذلك فالتجوا حالاً الى التوبة بمبادرة كلية ولم يتاخروا الي اخر يومٍ . فما بالك انت ايها المسيحي لاتسرع الى التوبة اذ ليس لك ولاساعة واحدة معروفةً * فاهل نينوى يقومون في الدين معك ويحكمون عليك من كسلك وتهاونك (متي ١٢) * فاذا اتفق ان رجلاً هرمًا قد انتهى الى غاية الشيخوخة . وفي هذه الحال اخذ يطلب ان يقيمه الملك لديه كاحد غلمانه . اما كان الكل يسخرون به . فانت اذًا يحق عليك الضحك اكثر من ذاك . حيث تمهل توبتك الي زمان الشيخوخة والهرم . وتترك زمان حياتك الملايم للتوبة وتنتظر زمان الشيخوخة لتخدم الله حينما لاتستطيع ان تفعل شيئًا من الاشيا * وقد قال الله لست اشا موت الخاطي الاّ ان يرجع ويحيي (حزقيال ١٨) . فهوذا قد وعدك الله بالغفران في هذا اليوم الحاضر لا العتيد . فكيف تمهل التوبة الي الزمن الذى لا تعلم ان كنت تعيش فيه * من قد ورث ميراثًا كثير الكمية فليس بكثير اذا انفق منه قليلاً . اما الذى ليس له سوى ربح يوم فيوم ولابد ان يحاسبه سيده علي ذلك فعلى اى

الفصل السادس والتسعون

* في ذم الذين يوخرون توبتهم الي زمان وكثرة جهلهم *

قال ابن سيراخ لاتتاخر عن التوبة الي الرب ولاتتباطا يوماً بعد يوم. لان غضبه ينزل بغتة وفي وقت الانتقام يستاصلك (ص ٥) فمن الواجب عليك ان تبادر الي التوبة بنشاط اذ ليس لك ساعة واحدة مثبوتة من الحيوة * ان الذين يوخرون التوبة الي ساعة الموت يحاكون المسافرين في البحر الذين لازاد لهم ولا معهم شي يقتاتون به. وبعد ما ابتعدوا عن الارض يفطنون وقتيذٍ بما يعوزهم حيث لايمكن رجوع السفينة الي المينا. فعلى هذا النحو يكون حال الانسان وقت انصرافهِ من الدنيا. اذ لايمكنه فعل من الافعال الخيرية التي كان يستطيع فعلها وهو في هذه الحيوة * ان الرب لما سال ابني زبدى ان كانا يقدران ان يشربا الكاس التي يشربها اجاباه يقدران (متي ٢٠). لكن وقت الامهِ تركه الجميع. وهكذا انت يتبين لك انك تقدر ان تعمل التوبة بدعواك باطلاً وجزافاً. ولكن عند ما تكتنفك غمرات الموت وتهولك شدته فتعمل في ذلك الوقت بخلاف ذلك * وكما ان فلتشاصر ملك بابل عند ما وردت عليهِ قضيّة الموت فجاءهُ بغتةً فكان اذ ذاك متغافلاً ومنهمكاً في الاكل والشرب (دانيال ٥). فعلى

ابن الله الوحيد الجنس ذكرًا متواترًا. وان تطبع في قلوبهم الي هذا الحد ليلا ينسوها الي الابد. ولذلك لم يقل افتكروا في الام المسيح وافهموها بل قال حسوا بها * فلاجل ذلك ينبغي ان يكون لك تامل حسي في الامر المسيح وان يكون روحيًا حساسًا * ان الانسان الدنيوي يفكر في الامر السيد لكنه لايحس بها في قلبه احساسًا حقيقيًا ولايبكيها بهطل الدموع. بل يدوم في المعاصي والخطايا العالمية * كل شي لايقع عليه الحس فيكون عدم الحس به لسببين. احدهما هو انه يكون في ذاته صغير الحجم بالكلية حتي انه يحتاج الي حرص شديد ليقع تحت ادراك الحس. والاخر هو ان تكون الحواس غليظة جدًا بحيث انها تضطر الي من ينبهها وينعشها لتشعر بذلك. فالامر الرب يسوع المشار اليها هي الشي الافضل والاشرف من كل ما في العالم. وقد اظهر الله فيها كل قوته وحكمته وجودته. فان كنت لاتحس بشي عظيم بهذا المقدار يقتضي جزيل حسك وانفعالك. فالامر اذًا واضح بان العلة من قبلك. اي لانك انت اقل حسًا من الصخور. فالصخور قد حست بهذا الامر وتشققت فكيف انت لاتشعر بها متاثرًا * فاتصال ذكر الام ربنا والتامل بها متي تمكن في قلبك فانه يدحض عنه كل اشكال الدنيا وتخيلاتها. فترفض اباطيلها وطغيانها علي مثال ذلك الذى

* لايمكنه الغلط والزلل *

الاول ان الامم فعلوا هكذا (ص ٦) . وانت علي هذا المثال فانك بالنظر الي دم سيدنا يسوع المسيح المقدس . تتجاسر علي محاربة العالم وتستولى علي مصادمة الشهوات والكرامات الفانية وتظفر بها . وتزهد في الاموال واللذات المستحيلة * ان التامل بالتورع والخشية في صليب المسيح والامه يحيل مرارة هذه الحيوة الي حلاوة متزايدة ولذة متكاثرة كما قد ذكر عن موسي النبي انه طرح في مياه مرّان عودًا وللوقت حلى الماء (خروج ١٥) * وقد اوصى الله ان تحفظ عصا موسي النبي التى اجترح بها ايات كثيرة . لانه تعالي يريد ان يكون ابدًا مقابل اعيننا ذكر صليب المسيح والامه * فبهذه العصا خرج بنوا اسرايل الذين كانوا في في عبودية مصر . وبهذا الصليب نجونا من جور ابليس اركون الظلمة الذى كان قد استاسر انفسنا * من حمل في ذهنه صورة يسوع المسيح المصلوب فقد محا بها شكل الدنيا * ذكر الام السيد انما هو صورة بهية للنفس . فمن هذا التذكر تستعد لنفسك جزيل الفوايد وتحب التالم مع المسيح واحتقار اباطيل العالم * وينبغى لك ان لاتردد هذا الذكر في ذهنك فقط . بل ان تحس به في قلبك ايضًا . وبهذا قد اشار بولس الرسول علي اهل فيلبيسيوس اذ قال حسوا بما تالم المسيح لاجلكم (ص ٢) * فالرسول كان يشتهى ان يغرس في قلوب المومنين ذكر الام المسيح

او في موضع اخر من جسدك . افهل كنت تفرح وتضحك لالعمري ماكنت ضحكت اصلاً بل كنت تبكي بنحيب وعويل من مضض الالم الشديد * ولوكان في رجلك مسمار نافذاً من مسامير المسيح . العلك كنت تستطيع المشي كلا . بل تكون في حالة شقية بتنهد وزفرات * فكيف يسعك ياهذا ان تعيش باللهو والضحك والراحة وامثال ذلك والاهك يسوع المسيح الذى هو راسك مشوه بالجروحات وانت عضو من اعضايه * لماذا تفتخر باطلاقك وحريتك وهى انما صدرت من قيود المسيح واسره . مابالك تطرب بعافيتك وصحة جسمك وانت لم تنلها الا من قبل اوجاع الرب الاهك * لماذا تفرح مسروراً بعيشتك وهى مستمدة من موت المسيح * فينبغى اذاً لك ان لا تتنعم بالاشيا التي تالم بها الرب من جرايك . واذا فرحت وتمتعت بما من به عليك ولم تنله الا بسفك دمه الكريم فانت قليل الوفا علي ما ربحت من المواهب التي منحتها منه تعالي . فلولا ان المسيح قد تالم من اجلك لما ملكت هذه الخيرات الجزيلة المقدار * فسيدنا لكي يزهدك في هذه الخيرات الزمنية لم يشا ان يقتني شيئاً علي الارض . وعند موته احب الصعود علي الصليب زاهداً في كل ما علي الارض . وقد يوجد نوع من الحيوان وهو الغيلة متي اراد الناس ان يحرشوها ويحركوها للقتال والمصادمة . فانهم يروونها دماً كما ذكر في كتاب المكابيين

واباطيلها واللذات المنغمس فيها * لو تفطنت بالذل والاهانة التي احتملها يسوع المسيح ربنا . فلا شك انك قد كنت تعرض عن الدرجات العالمية . فاجعل اذاً امام عينيك يسوع المسيح عرياناً علي الصليب وحده مهملاً من اصدقايه ومحبيه * ومتي دعتك رغبة الشهوات العادمة الترتيب الي الاباطيل . فحول بصرك الى جسد منقذ العالم المملو باصناف البصاق والمخضب بدمايه والمثخن بالجروحات من راسه الي قدميه * فاذا ترددت في فكرك يسوع علي النحو المذكور فانك تعرض عن التنعم والرفاهية التي تسربها الان وترفضها * ان الامر السيد المسيح منهج قويم الي السيرة المسيحية . وقد ايد ذلك الرسول بقوله كل الذين يوافقون هذا السبيل فعليهم السلام والرحمة (غلاطية ٦) . ان ذكر موت المخلص دواء خصوصي للزهد في العالميات . وكما دفن يعقوب الالهة كلها تحت شجرة البطم (تكوين ٣٥) . هكذا انت يجب عليك ان تدفن حب الرفعة والصلف ومحبة الفضة وبقية المساوى التي هي كالاوثان تسجد لها . تحت صليب المسيح ولامه الذى هو البطمة المقدسة الشافية جروحاتنا والامنا * اذا اقمت مقابل عينيك ذكر الام يسوع فتصير اعيناً تفيض الدموع وتجتنب الضحك الباطل والفرح العالمي * فليت شعري لو كانت شوكة واحدة مغروسة في راسك من اكليل المسيح

تعرف انك تموت من كل بد . فبين جملة الاشيا الدنيوية لايوجد احق من الموت . وهو لاشك احق الاشيا كلها * وقد قال الكتاب اننا نموت اجمعون . وانما نحن مثل الما نسيل على وجه الارض . ولم يقل سوف نموت بل نموت الان في الزمان الحاضر . لان موتنا صاير على الدوام من غير انقطاع وفي كل يوم تقصر اعمارنا * وكما ان الرماد ينظف دنس الثوب ويزيل اوساخه . كذلك ذكر الموت يزيل عن القلب صدأ محبة هذه الدنيا * فياليت محبي الرياسات وطالبي السطوة علي غيرهم ينظرون الي ما استحال اليه الذين تقدموهم في محبة هذه الاشيا الكاذبة . ويمعنون التامل في شدة الحساب الذى سيحاسبون به ويطالبون بانفس الغير * علي ان من يحمل في باطن ذهنه ذكر الموت * فقد استخف بكل ما في العالم *

الفصل الخمس والتسعون

في ان التامل والهذيذ في الامر المسيح يزهدنا في * اباطيل العالم *

قال الله في نشيد الانشاد ضعيني علي قلبك كختم (نشيد ٨) * فلو تاملت مثل مسيحي ودققت النظر فيما قاساه ابن الله من اجلك وما عاناه من جرايك . لكنت تزهد باختيارك في خرافات الدنيا

في هذه الحيوة الشقية القصيرة لاجل ربح المال والاكرام والتنعم وغير ذلك . ولكن ذكر الموت ينقض هذه الهذيانات جميعها ويفنيها * وقد ذكر الكتاب المقدس ان الله اخذ ارميا النبي الي منزل رجل فاخوري وهو يعمل الفخار ليخاطبه هناك ويخبره بامور ما (ارميا ١٨) . فقد كان الله قادرًا ان يخاطبه اينما شا . لكنه اراد ان يخاطبه هناك ليعرفه ان بيت الفخار الذى هو القبر هو مدرسة الحكمة الصادقة . وهو المحل الذى من عوايد لطف البارى تعالي ان يعلم فيه الذين هم من حزبه تعليمًا وجرايحًا جليلة * وهناك يعلم ايضًا قصر الحيوة والمادة الدنية التي جبلنا منها والسماجة التي تتحول اليها اجسامنا . هناك يشير الينا الي اى شي تنتهى الدرجات والسلطات والمراتب العالمية . هناك يومي لنا اى شي نحن وما ينتهى اليه من الدود والتراب هذا اللحم الذى حرصنا على تنعيمه بابلغ الاجتهاد * فسبيلك ايها الانسان ان تتامل في حالك واى شي انت . وتتعلم في هذا المنزل اصلاح عيشتك وتثقيف سيرتك بحرص شديد * وعند النوم حين تتكى علي سريرك فلا تخطر ببالك اليوم المقبل . لكن فليكن هذا يذكرك ان كثيرين رقدوا في امل النهوض من رقادهم فحملوا من سريرهم الي المقبرة * قل لي اى شي حقيقي في هذه الحيوة غير الموت . لانك لا تعلم ماذا يصير ولا تدرى ان كنت تقيم حيًا الي الغد . وانما

الذى كان يحب السطوة علي الغير قد سطا عليهِ الموت الان ووضع تحت الثرى وصار مداساً من احقر الناس * والذين يكنزون في الدنيا كنوزاً هم في الباطل سالكون . لكون الاشرفا والاغنيا ينتهون الى عوزٍ وافتقارٍ بليغ الحد جزيل المقدار. اذ انه من شان الموت اظهار ماهية الاشيا الكاينة في هذه الحيوة للعيان * وقد اوصى الله قديماً ان يطرحوا ريش الطير الذى يقدمونه قرباناً بجانب المذبح من جهة المشرق في موضع الرماد (احبار ١) * فالامور الباطلة هى بمنزلة الريش والاجنحة تحمل الانسان وترفعه ليصدق منامات الجاه والاكرام الكاذبة . فيجب اذاً عليك ان تلقى هذه عنك وترميها في القبر بواسطة ايصال التذكر بالموضع الذى ستعود فيهِ رماداً . وهناك تشاهد اصل شرفك ونباهة جنسك الذى تناسلت منه وانما هو تراب ورماد وفي ذلك قال ابن سيراخ لماذا يتكبر التراب والرماد (ص ١٠) لايوجد اقبح من حب المال والاستكثار . لان عز اقتدار الدنيا قصير كمثل قصر الحيوة ففي هذا اليوم ملك وغدا ميت . وبعد وفاتهِ يكون كما قال ابن سيراخ ميراثه حيات ودواب وديدان (ص ١٠) فبهذا التامل ترخى الاجنحة التي ترفعك الي اشتياق الاكرام وجملة الاباطيل . فاطرح اذاً عنك تشامخ الافكار في مكان الرماد * فالناس لعدم التامل في هذه الامور يقاسون كثرة العنا

بالتغافل والاعراض عن معرفة البارى تعالي ولاتبالي بالموت لانهماكك بالعالميات * فلاتتغافل ايها الاخ عما ينبغي لك ان تفتكر به وتهذ به دايماً * فكما ان ازبل الملعونة كحلت عينيها وزينت وجهها وراسها وطلت من النافذة لتخاتل ياهو وتغلبهُ (ملوك ٤ص ٩). هكذا تفعل بك الدنيا. فمتي تفحصت عن زينتها وزخارفها واذايلها فانك تسقط في الغرور وتهلك. وانما سبيلك ان تلاحظ عاقبة ازبل الردية لااوايلها. فتراها فريسة الكلاب وملاسة مثل زبل الارض. ولا يفضل منها غير يديها ورجليها وجمجمتها. لان ربنا يريد ان تبقي اواخر هذه الدنيا علي الدوام لكي تواصل التذكر لها. وبالهذيذ في الموت وعواقب هذه الامور الترابية جميعها تستثمر فايدة كلية ولا تنهمك بالزينة الكاذبة. لان من واصل الذكر في انه لابد ان يموت فقد يعرض عن هذه الباطلات سريعاً ويرفضها * فيالشقاوتك انت وترحاً لك يامن يطوف البر والبحر لتجمع الاموال والثروات وانت لاتعلم متي تلج القبر الضيق الكرب ويكون مسكنك في الظلام الي يوم البعث والقيام * انهم لفي الباطل حقاً هولاء المترفهون المفتشون علي النعيم الجسداني. لانهم يهيئون للدود الدنس وليمة وطعاماً * وباطل هو تعب اوليك الذين يحاولون تحصيل المراتب ورفيع المناصب. لان

متي ظهرت فكل امر سالف يتبين انه باطل (جامعه ١١) * فقد علمتنا الحكمة الالهية بهذا القول بصريح اللفظ ان ذكر الموت يبين ان مسرات هذا العالم باطلة جميعها * فلو صورت تجاه عينيك ذلك الكفن الحقير المزمع ان تُلف بهِ وبهِ توضع في القبر، فلا ريب انك كنت تحتقر ثروات العالم كلها . واذا ذكرت انهم سيوارونك التراب وتكون ملاسًا من الناس ومنسيًا على الدوام . لعادت عندك كرامات العالم ومناصبه بمنزلة لاشي . واذا رددت في فكرك الدود الدنس الذى سوف ياكل لحمك وما اكثر ما ستكون في ذلك اللحد في غاية الشناعة والسّماجة . لكنت تطرح عنك ساير ملاذ الدنيا الحاضرة وافراحها من قلبك * لكن لكون عيشتك بالتغافل والنسيان لهذه الامور التي يحتمل ان تحصل فيها غدًا فلذلك تميل الي هذا الغرور والطغيان الدنيوى المبين والجهل الذى لا يقدر تعبيره * ان ذلك اليوم الذى يستدعيك الموت فيهِ لقريب هو . وفي القبر يكون مثواك ومقرك . فاذًا ماذا يكون من هذه الامور التي انت منهمك فيها . فاللايق بك ان تهزأ وتضحك عليها . لانه ما الفايدة في تلك الساعة اذا كنت ذا قوة ويسرة وانت ملقى مجردًا عنها مدفوعًا الي الموت والدود والفساد * فان كنت لا تصدق ذلك فانت اعمى وخليقة فاقدة الحس والتمييز . وان كنت ميقنًا بهذا ومصدقًا بهِ فما بالك عايشًا

بالتغافل

ان اجساد الامرا والاراكنة المتجلبة بالملابس المثمنة الفاخرة فهي ممتلية من الاشواك . لان عيشتهم مشمولة بالهموم والغموم ونومهم بغير راحة ولا سكون ولو كانوا علي الاسرة الناعمة ذات الرفاهية . فلا يذوقون الترفه والنعيم لكونهم مدمنين على ذلك . بل يحسون بمضض المصايب التي تصيبهم اكثر من بقية الناس لكونهم قد تربوا بالتنعم كما احبوا . ويخال لهم انهم ما ولدوا ليقاسوا شيأ من حوادث الزمان ولا ليكابدوا شيأ من نوايبه . اما الصغار المساكين فلا يمسهم مضض الشدايد وورود النكبات بمقدار ذلك . بل تحصل لهم التعزية فضلاً عن ذلك اذهم معتادون علي مثل هذه الاحوال * فالعظما والاكابر لا يعتقون من كثرة معاطب هذه الدنيا بل اخطارهم اصعب مراساً . لان ربنا تبارك وتعالي شاء بتدبيره الصالح ان تكون هذه الحيوة كثيرة المخاطر ومولمة للجميع . لانه اوجد الكل لينالوا الحيوة الدايمة الكلية المجد والسعادة *

الفصل الرابع والتسعون

* في ان ذكر الموت يزهد الانسان في اباطيل العالم *

قال سليمان الحكيم ان الانسان اذا عاش سنين كثيرة وسرّ بها كلها . فينبغي له ان يتذكر زمان الظلمة من الايام الكثيرة التي

صدمها صخر تحولت الافراح في تلك الساعة الي احزان . وكذلك وقت ميلاد الانسان يكون فرح جزيل للاهل والاقربا والاصدقا . ولعمري ان هذا جهل لا يقدر . لان ذلك المولود متي صادفته نايبة من نوايب الزمان فانه يموت ويتغير كل شيٍ ويتحول الفرح الي حزن وبكا . اذ كانت حيوة الانسان كما قال داود النبي بالغداة تزهر وبالعشا تسقط وتيبس * وقد قال ايوب الصديق بالنص المتقدم تحرين وكسفينة موسوقة فاكهة ولم يقل موسوقة حديدًا او رصاصًا او شيًا اخر ثقيلًا رزينًا . وذلك لان ايام الانسان فارغة وباطلة ولا يبقى منها الا رايحة يسيرة من الذكر فقط . وتجوز مثل الفاكهة عند انطلاق السفينة وتزول رايحتها ايضًا . على ان الانسان تمدحه الناس وقت جنازه ثم يُنسي فيما بعد ولا يبقى لهُ ذكر اصلًا . من يسافر في البحر لا يزال متحركًا وسايرًا ولو كان جالسًا في السفينة . وانت علي هذا القياس ولو تبين لك انك واقف في الدنيا فانت ساير ركضًا متصلًا الي الموت . فها انت الان محيط بك جردان احدهما ابيض والاخر اسود اعني النهار والليل اللذين يقرضان العمر علي الدوام * ان حياتنا الشقية قد احدق بها اخطار كثيرة ومصايب ونكبات . ولا يمكن لاحد الانفلات والفرار منها حتي اصحاب الدرجات والمناصب العالية فان مصايبهم تكون اشد حزنًا واوفر شقاءً *

العرعر وهي شجرة ذات اشواك تجرح وتنخز. هكذا اهل العالم علي هذه الصفة ينامون تحت ظل هذه العيشة ويصادفون وسط لذاتهم واباطيلهم اشواكاً تولمهم وتنخز ضمايرهم * ثم ان ايوب لم يقل ان ايامه عبرت سريعاً فقط بل كالسفن السايرة ايضاً. كون حياتنا علي الحقيقة هي كالسفينة التي ما صنعت للوقوف بل للمسير والمنتها الي المينا * اعلم انك ما خلقت للراحة والنياح في هذه الدنيا بل للتعب والكد وبواسطة العنا والعمل تصل الي مينا الخلاص * فالسفينة لسرعة سيرها لا تبقى في مكانها اثراً. فعلى هذا المثال حياتنا هاربة بسرعة عظيمة ولا يبقى لها ذكر ابداً * فقل لي يا هذا اين الملوك والسلاطين والاراكنة والقواد وغيرهم من اهل العالم ماذا فعل بهم الزمان. لقد فنوا وبادوا ولم يبق لهم اثر ولا علامة * ان المخاطر الحادثة علي السفينة وهي سايرة في البحر كثيرة جداً. فاذا صدمت صخراً انكسرت. او رملاً انتشبت وانغرست. وهيجان البحر يغرقها ويغطسها الي العمق. والرياح العاصفة تتلفها وتفسخها. واللصوص يوذونها ويحرقونها. هكذا اذا تاملت مفتكراً في الاخطار التي انت عايش فيها فانك تجد انواعاً كثيرة من الامراض محدقة بك * ومن البين الواضح ان السفينة لا تسافر الا في الزمان الملايم. فتنشر قلوعها وتاخذ بالمسير بفرح وابتهاج. ولكن متي

صدمها

لا يفكر في امتداد عمره ولا يهمه امر ذلك . وانما فكره واهتمامه في اصلاح السيرة فقط * اعلم ان هذه الحيوة ليست هي بجيدة ولا بردية لكونها منسوبة الي الانسان والحيوان معًا . اما الحيوة الصالحة فهي الشي الممدوح * ان الانسان قد دفعت لهُ هذه الحيوة بالاستعارة لاهبة . وان طالت حياته فيلزمه توبة عظيمة والقيام بما يتبع ذلك من فروض قوانينها * ان الذين يوملون طول العمر فذلك دليل واضح علي ان سيرتهم غير متقومة * وقد تبتغي الناس ان يسمح لهم بالتصرف بحسب اهويتهم وايثارهم ولا يحبون القيام بما يومرون * ان الاخطار المحيطة بك لكثيرة جدًا . وبمقدار سرعة جريك الي الموت يجب عليك ان تصلح طريقك وتقومها * وقد احسن ايوب الصديق فيما قال ان ايامي جازت مثل السفن الحاملة الفاكهة وهربت اسرع من الراكض ولم ترَ خيرًا (ص٩) . فقال ان ايامه هربت اسرع من الراكض وذلك بغاية الحق والصواب . لان الراكض ولو اسرع الجري بما يفوق قوته فلا بد لهُ من الوقوف بعض الاحيان لاجل الاكل والنوم وما يضطر اليه الجسد . اما ايام الانسان فلا تزال هاربة علي الدوام ولا تقف دقيقة واحدة بل تجري سريعًا الى الموت فهي كالظل كما تدعوها الاشرار المنافقون قايلين ايامنا عبرت كالظل (حكمة ٥) . ومثلما كان ايليا النبي نايمًا تحت ظل

الفصل الثالث والتسعون

في بيان الاخطار العارضة لحيوة الانسان في هذه الدنيا

لقد انبانا داود النبي بقوله عن الانسان ان ايامه كزهر الحقل (مزمور ١٠٢) * ان زهر الحقل تحت الحوادث والاخطار. فالشمس تيبسه . والريح الشمالية الباردة تجففه . والناس تدوسه . والحيوانات تاكله . والما يغرقه . والحر يذبله . هكذا اى لسان يقدر يحصى كثرة الاخطار المحيطة بالانسان المكتنفة بسني حياته . ومن ذا يعدد الامراض المتباينة التي تصادفه وهو متغافل لا يشعر بها * ولكون هذه الامور محدقة بك وملازمة لك فسبيلك ان تسير بالصلاح ضرورةً . اذ لا يوجد حيوة الا في الطريق المستقيم * وقد يوجد اناس تبتدى حياتهم وقت مفارقتهم هذه الحيوة . ولكن الامر الاصعب من ذلك ان خابوا من تلك الحيوة عند انصرافهم من العالم قبل ابتدايها * كل الناس يدبرون اجزا سني حياتهم . ولكن ولا واحد منهم يسعى في تدبير عمره كله * تعلم التهاون بهذه الحيوة القصيرة ذات الاخطار اذ لا يحسن تدبيرها الا المزدرى بها . ومن لا يجعل اهتمامه الا بطول عمره فلن يصادف عيشة صادقة * صاحب العقل والفطنة

محبوس في مكان مظلم ولا يلتمس الخروج الي الضيا * فليس هذا العالم وطننا وانما هو اسر بابلي . فاذا اشتهيت عمرًا طويلاً فانما تشتهي لنفسك العبودية الطويلة . فحيث لا يوجد حيوة سبيلك ان ترتاح الي الموت . ان الموت لصالح لكونهِ انتقالاً وتغيير الحالات فيجب ان نبتغيه ونرتاح اليهِ . لاننا كلنا نفرح بتغيير الحالات والنقلة والرحيل . ولاجل ذلك قال ايوب الصديق الانسان لا يقيم علي حالٍ واحدة ويحيي بالتحول . فالموت هذه الحال حالة بالنقلة لنا . وهو داوٍ لاتعاب هذه الحيوة التي لا تنقضي مجاهداتها وانصابها الا بانقضايها * من عزم علي الرحيل فالاسراع بالانطلاق خيرٌ لهُ من التاخير . فمغبوط هو من يصبر علي مصاعب هذا الزمان ويختار الموت والنقلة . وطوبى للنفس التي احب الله ان يهبها الراحة سريعًا في الحيوة الدايمة * فصالح هو الله في كل افعالهِ المدبر جميع الاشيا بحكمةٍ . فهو تعالي لكي ينيلك خيرًا واكرامًا شاء بافضالهِ ان تكون حياتك قصيرةً لتشتاق الي راحة الحيوة الدايمة وتتمتع بها الي ابد الابدين

* امين *

*

يطيل اعمارهم. ولكن لما راى ان شرورهم تزايدت واثامهم تفاقمت وهم يصرفون الزمان فيما لا يجوز. حتم بتقصير اعمارهم * وقال داود النبي نحو الله لقد وضعت اثامنا امامك ودهرنا في ضو وجهك. لان كل ايامنا قد فنيت ومن رجزك فنينا. سنونا مثل العنكبوت اندرست وايام سنينا هي سبعون سنة (مزمور ٨٩) فقد اوضح النبي مصرحاً ان الله تعالي من تلقا اثامنا نقص حياتنا. ثم ابان شقاوة عيشتنا وقصرها بمثل العنكبوت الذى يتعب بنسج النسيج الضعيف الواهى الذى يخربه ادنى هبوب من الريح وينسفه * وعلي هذا النمط حياتنا التي ننسجها بنصب جزيل ونقيها من العوارض الحادثة. فمرض من الامراض او حمى او غير ذلك يضعفها ويذيبها. فاياك ان تكون مفرطاً بالجنوح الي حب هذه الحيوة الوقتية الزايلة * ان حياتنا هذه ليست سماوية لكنها ارضية. ولا هي وطننا ولكن منفا. ولم يسمح البارى تعالي ان تكون سرمدية ثابتة علي الدوام لكن قصيرة جداً سريعة الزوال. فهذه تفني وتزول وتلك التي هي مثوى الله ومختاريه باقية لا تزول * من يعش بتعب وعرق في هذه الحيوة الحاضرة ولا يكون راغباً متلهفاً علي الوصول الي المنزل السماوى حيث الراحة والنياح مع المسيح فقد خرج عن داين المعقول * من ذا الذى يكون ماسوراً ولا يتمني العتق والوصول الي بلدته. واى

معرضين عن هذه الحيوة الحاضرة ومتهاونين بها ويرتاحون الي الحيوة السعيدة الماثورة * وقال ايوب الصديق ترفق بي يارب واغفر لي من اجل ان ايام حياتي ليست هي شيأ (ص ٧) فايوب من حيث انه راى ان ايامه ليست هي شيأ تقدم الي الله طالباً المغفرة والصفح * وقد يوجد اقوام هذه الحال حالهم وهي ان عيشتهم في الدنيا كانهم لايذوقون موتاً ولايزالون منهمكين في امور المعيشة واباطيلها * ولكون حياتنا هذه اعطيت لنا لنربح بها حيوة الابد المجيدة فيحق علي كل من كان اهتمامه بامور اخر غيرها مكابدة العذاب الاليم * اذا تاملت في قصر هذه الحيوة وانعمت النظر في الحيوة التي لاتزول . فللوقت تحتقر هذه الزايلات وتزدرى بها * ان الله لما راى قديماً ان شر الناس قد تكاثر وعظم نفاقهم وتزايد . وتمادى قوم كثيرون في ارتكاب المعاصي وكانوا يوخرون التوبة الي زمان لاطمينانهم بطول العمر ومديد البقا . فحتم تعالي ان تكون اعمار الناس قصيرة ليلا يطمانوا باطلاً لكثرة سني حياتهم * ولكوننا قد اصرفنا الزمان الذى منحناه الله تعالي في المساوى والذنوب وهو كان للتوبة والندامة . فقصره تعالي عنا لمعرفته ان طول الزمان لاينتج منه الا كثرة الفواحش والقبايح * فلما كان الناس في بدء الخليقة يعيشون عيشة حميدة سايرين في طريق الصلاح . كان الله

يطيل

الحيوة الابدية والخيرات الدايمة السماوية اذا شيت ذلك * *

الفصل الثاني والتسعون

في بيان العلة التي لاجلها اراد الله سبحانه ان تكون * حياتنا قصيرةً *

قال ايوب الصديق الانسان ولد للعمل (ص ٥) * وهذا قد تحقق بيانه فينا لاننا نولد بالبكا ونعيش بالتعب والعنا ونموت بالحزن * وربنا تبارك وتعالي قد حكم علي ادم حكماً جازماً انه بعرق جبينهِ ياكل خبزه (تكوين ٣) . وايوب الصديق يقول ان حيوة الانسان محاربة علي الارض (ص ٧) . وهذا من افراط محبة البارى تعالي ايانا اراد ان تكون حياتنا قصيرة ليلا نكابد كثرة المشقات مع طول الزمان * فهو تعالي بغزارة تحننه لم يشا ان تلم بنا كثيراً هذه الشاقات . ولا ارتضى ان يدوم تعبنا مدةً طويلة . ولكون عيشتنا ههنا هي كاننا منفون شاء ان تكون مدة اعمارنا قصيرة في هذا المنفا . ولانه تعالي قد خلقنا لنتمتع بهِ ونفوز بمجده الذى هو وطننا ما ارتضى ان يكون من دوننا زماناً طويلاً . وذلك كمثل من قد شغف بحب غيره ولا يطيق التصبر عن النظر اليهِ ولا ساعة واحدة * ثم انه تعالي بتقصير اعمارنا يظهر خلوص وده لنا وغرضه في ذلك مايعود لمنفعتنا . ولتكون الناس

اسرع من الراكض هربت (ايوب ٩) * من عادة السعاة انهم في حال وصولهم الى المنزل يتسلمون الطريق الاخر. وعلي هذا المجرى يجري امر حياتنا فانها للوقت تجوز في ابتدا وجودها * فالشبوبية تعبر. والحسن والجمال يتغير ويستحيل معها. وتذبل زهرة هذه الحيوة والكل يبيد ويفني في اسرع وقت * ففي هذه الحيوة المترعة من الشقاوة لايوجد غير خير واحد وهو ان الشرير يقدر ان يصلح طريقه ويهذب سيرته. وصاحب الفضيلة يزيد فضله وصلاحه * وهذا الخير ينتج ثمرًا كثير القيمة لايخفي الا في هذه الارض. وربنا تعالي اسمه اوجدنا فيها لنجني هذا الثمر الجزيل الثمن * فخير لنا لولم نولد او ليتنا متنا للوقت حين ولدنا ولانسير سيرةً مخالفة لمشيئة الله. ولانستعمل عافية الجسد فيما ينافي قصد ربنا * فلكي نقتدر ان نقدم لله ثمرًا صالحًا فسبيلنا ان نتعب ونكد باليدين نظير اوليك الذين ذكرهم الكتاب المقدس انهم كانوا يبنون باليد الواحدة وبالاخرى ماسكين السلاح (عزرا ٤) * وينبغي لنا في حياتنا هذه القصيرة ان نفلح قلبنا باليد الواحدة وباليد الاخرى نقتلع عشب الشهوات الردية والجنوح الخارج عن الحد الواجب * فاذًا سبيلنا ان نتهاون بهذه الحيوة لكونها قصيرة جدًا. مع ان قيمتها تكون جزيلة جدًا ان استطعت في هذا الزمان القصير المدة ان تكتسب

وعلي حسب الترجمة السبعينية يفهم قول النبى هذا ان كل انسان كذب هو. حيث ان عمر الانسان بالحقيقة كذب. لانه ليس هو كما يظهر انه طويل مع انه قصير المدة جدًا * وقال النبي ايضًا امنت لذلك تكلمت وانا اتضعت جدًا (مزمور ١١٥). يريد بذلك ان يقول لاني امنت وعرفت يقينًا انني كذب لذلك اتضعت * ان الانسان ولو تبين انه امر عظيم فانه مع ذلك صورة الضعف ونهبة الزمان ولعبة النصيب وشبه لا يثبت. ولذلك قال النبي الانسان بالشبه يسلك (مزمور ٣٨). والشبه انما هو صورة الحق. فهذه الحيوة أذًا ليست هى بحقيقية وانما هى صورة الحيوة وظلال الموت * فالرجل القوى انما هو صورة القوى وليس هو كظاهره بل شبه الحق. وحياته هى ظل ينتسخ باسراع خلوًا من توقف. وكما ان العمر يعدو جريًا حتي يصل الى غايته هكذا الاموال ايضًا والكرامات واللذات والخطية الصادرة فيه. فقبل وصولها الي غايتها تنقضى لذتها. اما ما توجبه من العقوبات فليس لهُ انقضا ولا منتهى. كون افراح هذه الدنيا ومسراتها زايلة مستحيلة وعقوباتها مخلدة موبدة * فما هو الشي الذى يوجد ههنا ثابتًا. وما هو الذى يدوم ويبقى. افهل تدوم احوال هذا العالم الناجحة وثرواته زمانًا طويلًا. ام يستقيم مجده وشرفه. فاصغ الى صوت القايل حياتى قصيرة هى وايامي

والعدم. كذلك لا مناسبة بين حياتنا هذه والحيوة الابدية اصلاً. ولا توجد حيوة اجل وافضل من تلك الحيوة الاتية. ولا يكون اوفر شقاءً من حياتنا هذه. فمن هذه الجهة مثلت بالريح كما قال ايوب اذكرني يارب فان حياتي ريح * فسليمان الحكيم وايوب الصديق يسميان حياتنا بالظل الذى من شانه ان يفزّع ويرعب. وهكذا حياتنا لكونها ظلاً فهى رعب الموت الذى يحجب عنا نور الشمس الذى هو يسوع المسيح * وقد يوجد اشقيا كثيرون يحبون الراحة مثل يونان النبي تحت في نبات القيسوس منغمسين في وسط لذات هذه الحيوة. ولكن الزمان كدودة يقرض اعمارهم. فيمكثون تحت سخونة الشمس والدودة تنخر ساير ملاذهم كما نخرت حشيشة يونان النبي * لعمري ان حياتنا قصيرة بهذا المقدار حتي ان الكتب اخبرت عنها انها جازت وعبرت. وقال الرسول لاهل كولوصايس انكم قد متم (ص٣): اذ الشي السريع الزوال كانه ذهب وزال. فقد قال الله لادم انه يموت متي ما اكل من الشجرة المحرمـــة (تكوين٢) مع انه عاش بعد ارتكاب المعصية سنين كثيرة. ولكن لشدة اسراع الزمان الاتي قال هذا كانه حاضر * وقال سليمان الحكيم ان عمرنا يزول كزوال اثر الغمام ويضمحل كالضباب الذى يبدده شعاع الشمس (حكمة٢). وداود النبي يقول انا قلت في تحيري ان كل انسان كاذب (١١٥)

وعلي

تعمل مثل طوبيا الصغير وهو متكى بجانب نهر الدجلة . اى انك تفرغ فكرك عملاً متفرساً في سرعة فوت ايامك . فذلك النهر دعى دجلة لسرعة جريانه . والحال ان سرعته لاتعادل سرعة مرور ايامك ولاتقاس بها لانها تجرى بما يفوق الحد الي الموت . فبهذا التامل تغسل رجلى هوى نفسك . وبه تنظف غبار المحبة الارضية الذى لصق بها من تلقاء انهماكك في العاليات * لاتسل الانسان كم سنة عمره لكن كم سنة نقص من عمره . لانه بقدر ما تنمو الاشيا لتبرز الي الوجود بمقدار ذلك تنقص وتميل الي عدم الوجود بايسر مرامر . فالحيوة ههنا ليست هى الا الفرار منها * وقال ايوب ايامي جازت اسرع من قطع نسيجة الحايك (ايوب ٧) . فمثلما ان النسيجة تنسج بخيطان كثيرة هكذا حيوة الانسان تنسج بكثرة الايام . وعلى قدر نسجها تنتهى الي غايتها وتقرب الي القطع . وعلي نحو ما اسرعت الايام السالفة هرباً هكذا يدنو الموت . وكل ما قد فات عبوره من الزمان الماضى فهو نقص من الزمن الاتى * وقال حزقيا الملك ايضاً انقطعت حياتي كمثل نسيجة الحايك (اشعيا ٣٨) * فكما ان السايرفي البحر ولو كان نايماً او يقظاناً او يعمل شيأً ليلاً ونهاراً فهو يمشي بلافتور الي الميناء . هكذا نحن ولو عملنا مهما عملنا فاننا نجرى علي الدوام بلا انقطاع ولا هدو الي الموت * وكما انه لايوجد مناسبة البتة بين الوجود

الشمس الضباب . ولذلك هي باطلة لكونها تحت استيلاء الاعراض كالحميات والاسقام والعاهات وغير ذلك . والذى كان يرى للناس انه سيد ومتولي ففي لحظة واحدة ينتقل الي تراب ورماد * فاذاً ماذا تكون مدة حياتنا الا دقيقة قصيرة تمر بسرعة كالهوا وتجرى كالراكض . ومثل غريب لايعود وكمثل برق السما الذى في طرفة عين يضمحل ويتلاشي . فهكذا الزمان وكل ما في العالم وممالكه تبيد وتفني * وقال بولص الرسول ان الخليقة كلها خضعت للباطل (رومية ٨) . فاحص لي الشهور والايام والساعات التي مضت وسني حياتك التي نفدت . وقل لي اين هي لقد جازت كظل الشمس ومثل نسج العنكبوت اذا نسفته الرياح * لن يوجد شي ثابتاً علي الارض . ولايكون شي اقصر من الحيوة التي تجلب معها الموت وهي شقية سريعة الزوال . فالصديقون يحتملونها بالصبر والتجلد . والاشرار يرغبون اليها . لكن ولوكان ميلهم الي حبها زايداً فلا يتمتعون بها زماناً طويلاً . وقد قال الكتاب اننا نموت اجمعون ومثل الما السايل الذى لايرجع تكون ايامنا (ملوك ٢ ص ١٤) * لن يوجد نهر سريع الجرى هكذا مثل حيوة الانسان . ومثل ما ان المياه لاترجع في جريانها الي خلف كذلك ايامنا التي عبرت لاترجع ابداً . ولذلك لايتفق لك الزمان الذى قد بدرقته واضعته * لقد ينبغي لك ان

يانفسي لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة . لكنه في تلك الليلة فارق الحيوة (لوقا١٢) * ان الاشرار المتجبرين المتشامخين يشتهون الاعمار الطويلة ولا يتفرسون في هذه الحيوة انها متعبة وشقية الي هذه الغاية . بل هم سكارى من حلاوة الغطا الذى جعله الله عليها ليكون اعظم الاجر واجزل الثواب لمن يهملها . * اذا نهم بهذه الحلاوة يتوهمون ان نجاحها هو النعيم *

الفصل الحادي والتسعون

* في بيان قصر حيوة الانسان *

قال ايوب الصديق قليلة هى ايام الانسان وكالزهر تجوز وسنوه مثل الندا علي الحشيش (ايوب١٤) * فهذه الحيوة ولو تبينت لنا طويلة فانها قصيرة جدًا حتي لا يكون لنا الان سوى دقيقة واحدة ونحن منتظرون لغيرها وفي حال وصولها تجوز . وعلى هذا السبيل يمر الزمان وبسرعة هذا مقدارها حتي انه يعبر في دقيقة واحدة * وقال يعقوب الرسول ماذا هى حياتكم انها بخار يُرى قليلاً ثم يضمحل (اصحاح٤) . فكما ان الضباب يرتفع الى الجو وللوقت تذيبه اشعة الشمس . كذلك حياتنا التي ترغب الناس اليها وتهواها فانها تبان مستعلية على الارض وترى في اعين الناس انها شي الا انها تستحيل سريعًا الي تراب كما تحيل

مشتعلة ورياح عاصفة تلعب فيها فسبيله ان يحذر متحرزاً ليلا يحترق من اشتعاله . والحال ان بحر هذه الحيوة هايج ومضطرب . والنفس سايرة في هذه السفينة الطين التي هي جسدنا الذى يدخل اليه ماء الهلاك من منافذ الكثيرة كما اشار الى ذلك الرسول بقوله وهذه الذخيرة لنا في انية خزفية (قرنتيه٢ ص٤) . وايضاً ان حياتنا في هذه الدنيا هي في مخزن بارود الذى يشعل من ذاته باى سبب كان من طموح الشهوة او حدة الغضب . فلاجل ذلك تمس الحاجة الي معونة تصون النفس من الاحتراق كمثل الفتية الثلثة الذين امسكتهم تلك القوة عن الاحتراق في اتون بابل * فالصديقون لمعرفتهم باباطيل هذه الحيوة وحوادثها كانوا يتلهفون الي الحيوة المستقبلة كمثل بولص العظيم حيث قال انا اهوى ان انحل واكون مع المسيح (فيليبيه١) . وقال في موضع اخر من ينقذني من جسد الموت (رومية٧) * وقال داود النبي ويلي ان غربتي قد طالت (مزمور١١٤) * ان الخطاة يشبهون العميان لتغافلهم عن تفهم الحقيقة واعراضهم عن تحصيل ذلك . لانهم لا يسيرون في هذه الحيوة كانها شي وقتي لكن كانها شي باقي لا يزول . وغاية اربهم ان يعيشوا علي الدوام ولا تنقضى اعمارهم . ومن هذا يتضاعف انهماكهم في هذا المحال المستحيل متوهمين ان يعيشوا سنين كثيرة مثل ذلك الغني القايل استريحي

اذ قالوا نحن لما ولدنا فنينا سريعاً (حكمة ٥) * فعلى نحو ما يكون مسيرك في السفينة لا يبان الا بالنظر الي المينا علي نحو ذلك سرعة حياتنا لا تبان الا بالتامل في ابدية الحيوة الاتية . وقال ايوب الصديق قليلة هي ايام حياتي وستزول سريعاً (ايوب ١٠) * فايام حياتنا مع انها ردية قصيرة المدة ايضاً . وترى الناس يحبون تمادى الزمن وطول الايام مع ان عيشة الانسان في مدة عمره ليست هي الا كثرة العنا والشقا والاتعاب التي لا توصف * فنحن في فساد الجسد نعيش بين اختلافات كثيرة حيث توجد الملاذ الكاذبة التي لا يخامرها سرور ثابت بل خوف يولم الجسد وحزن يحرق العظام * فاذا كنت تشتهي طول العمر وكثرة السنين فانت انما تشتهي الهرم والشيخوخة . والحال ان الشيخوخة هي المرض بعينه ومن يشتهيها فقد اشتهى لنفسه اعظم الشقاوة واشد البلايا * ان الذين يبتغون الحيوة المديدة فهم كثيرون . واما العايشون بالصلاح والتقوى فهم قليلون . ولكون كثيرين قد يعطون ان يعيشوا بالفضيلة ولا يعطون ان يعيشوا زماناً طويلاً فلذلك باطل هو من اراد طول العمر وهو تحت معاطب كثيرة واخطار شتي * ان من يركب في البحر سفينة من طين غير مشوى والما ينفذ فيها من اماكن كثيرة فلا يحق له ان يومل الحيوة . وايضاً من يسكن في بيت مملو من البارود وفيه نار

الايام يودع بعضها بعضاً ويمرّ الواحد بعد الاخر وتسوقنا سرعة مرورها الى الموت . فبعضها يجوز وبعضها يوافي والذى عبر لا يرجع ابداً * فالانسان ولو عاش ماية سنة فعند انقضا اجله اذا افتكر في تلك السنين كلها فانه يجدها كانها يوم واحد * ويعقوب الصديق قال هذا لفرعون ايام غربتي ماية وثلاثون سنة قليلة وردية (تكوين ٤٧) . فدعاها قليلة لانه في دقيقة واحدة تجوز سنوا هذه الحيوة . وقال انها ردية لكثرة همومها وبلاياها التي تجلبها * ان ذاك الذى سال السيد ماذا يصنع ليرث الحيوة الابدية اجابه قايلاً ان كنت تريد ان تدخل الحيوة فاحفظ الوصايا . فقال له ان شيت تدخل الحيوة ولم يقل الحيوة الابدية . كون لفظة الحيوة خلواً من اضافة لفظة اخرى اليها تفهم عن حيوة الابد التي هى الحيوة الحقيقيّة لا سواها . ولفظة الحيوة عند الله تشير الي حيوة الابد . لان الحيوة ان لم تكن ابدية فلا يجب ان تدعي حيوة بل بخاراً وافتقار الموت * لعمرى اننا ساعون نحو الموت سعياً متواتراً لا نقف فيه ولا دقيقة واحدة . ولا يوذن لاحد ان يقف في الطريق . فالذين ينهمكون فيما يعود لطول سني حياتهم لعمرى انهم لا عقل لهم . لان من يمشي جرياً الي موضع ما ومع ذلك لا يريد الوصول اليه كيف لا يكون مجنوناً * فهذا الجرى السريع قد عرفته الاشرار وهم يتقلون في جهنم

ومن يتعبد لله فهذه الحالة حالته . اذ انه في سنين قليلة من عمره ولو انه مات شابًا فيحيي زمنًا طويلًا وينال الحيوة الابدية * وقال الكتاب المقدس صبي ماية سنة يموت وخاطي ماية سنة يكون ملعونًا (اشعيا ٦٥) . فصبي ماية سنة هو الذى يصرف هذه السنين جميعها بالجهل والغرور ولا يخص شيًا منها لخدمة المسيح الا قليلًا * ولذلك قال داود النبي عن اهل المعاصى انهم لا ينصفون ايامهم (مزمور ٥٤) . لان الخطاة ولو عاشوا سنين كثيرة فعيشتهم في سبيل الصلاح انما هى قليلة . كون السنين التي نفدت بالشرور لا تحسب قدام الله بل التي تقضت باصطناع المحامد والصالحات * ذكر الكتاب عن شاول ملك اسرايل الذى تملك نحو عشرين سنة فقال انه ملك سنتين علي اسرايل (ملوك ١ ص ١٣) . لكونه لم يحسن طريقته وديانته الا في سنتين فقط التي حكم فيها بالعدل والانصاف كما ينبغى * فاى شي يحق عليه الضحك اكثر من ان نرى شيخًا في بداية حياته . فالجاهل لم يزل في بداية الحيوة * ان المسافر يفرح في انقضا مسافته . وحياتنا ليست هى الا سعيًا الي الموت علي ما كتب في الحكمة جازت حياتنا كخبر يركض سريعًا (حكمة ٥) * لان زماننا على هذه الصفة يوم يطرد يومًا والاخر يهزم يومًا اخر فكما ان يوم امس طرد الذى قبله كذلك هذا اليوم دفع يوم امس . وهكذا

وشبوبية بلا شيخوخة. وفرح بلا حزن. وسلام بلا قلق. ومشية بلا جور. وضيا بلا ظلام * لا تحب الحيوة الطويلة بل الحيوة الصالحة. لكون الضمير الصالح افضل من كنوز الدنيا جميعها * لماذا تعتني بشدة الحرص علي صحة جسمك وتنعيمه وتستعمل الادوية الطبية لبقاء الحيوة. وما بالك تهتم بامور الجسد. فليس لك جواب الا لتعيش زمانا طويلا * فان احببت طول زمن الحيوة فلم لا تشتهي ان تعيش دايما الي الابد. واذا كان مدى الحيوة الي كثرة من السنين حلوا مرغوبا فالافضل من ذلك ان تكون الي سنين بلا نهاية * انه لعجيب جدا انك تحب طول العمر بالزيادة ومع ذلك فمحبتك ورغبتك الي الحيوة الدايمة توجد نزرة وقليلة ولاجل مقاساتك الاتعاب الجزيلة المقدار لتزيد سني حياتك يكون تعبك يسيرا لاجل الحيوة الابدية * فانت تقصد اطالة العمر ومع ذلك لا تريد ان تحيي البتة. فلو انك اشتهيت الحيوة الموبدة لما كنت ترغب ان تعيش زمانا طويلا * اعلم ان حياتك غدا تنقضي وتزول وتعود ميتا الي الابد. وذلك من جهة انهماكك في هذه العيشة لتعيش لذاتك لا لله * فان ابتغيت عمرا طويلا فعش لاجل الله لتحظى بحيوة دايمة قد زال الموت عنها * ان الساعي الذى في مدة قليلة يمشي كثيرا فهو نعم الرجل. والتاجر الذى يربح كثيرا في زمن يسير فهو تاجر خطير

الجهل عارقون . وهذا الجهل قد احتوى علي كثيرين مثل عيسو الذى كان يحب هذه الحيوة بهذا المقدار حتي قال هوذا انا اموت فماذا تنفعني البكورية (تكوين ٢٥) . وهكذا لكى يطول عمر تهاون ببركة ابيه وشرف بكوريته وثروتها * وقاين الشقى ما حزن من أجل قتل اخيه ولا من فقدان نعمة الله ولا للسقوط في كثرة المصاعب والبلايا بقدر ما حزن على خسران عمره حسب قوله كل من يجدنى يقتلني (تكوين ٤) . وكذلك حزقيا لم يعذب قلبه شي اخر مثل انقضا حياته . ولا طلب من الله مالاً ولا اكراماً ولا لذات ولا غير ذلك الآن يطيل عمره (ملوك ٤ ص ٢٠) * فما بالنا نوثر الحيوة المديدة ههنا مع انه بقدر ما يطول عمرنا وتزيد سنو احياتنا بمقدار ذلك تزيد سياتنا وتتكاثر ذنوبنا . وكلما زادت ايامنا يزيد ايضاً عدد الخطايا وتتفاقم الاوزار * ان اثامنا تزيد كل يوم وبسببها نعدم الخير . فمن يقدر ان يصف كثرة المساوى التي نفعلها والفواحش التي نرتكبها ومقدار الخيرات التي نخسرها في مدة حياتنا * فنحن بالاحزان ندخل في هذه الحيوة وبالاوجاع والمشقات التي لا تقدر نقضيها وسوف نخرج منها بخوف ورعب * فمن لا يهتم ان يجمع له اشيا ههنا ليعيش بها هنالك في الحيوة الدهرية فان حياته تكون مقفرة من الفوايد بالكلية * فينبغى لك ان تكون مرتاحاً لتلك الحيوة التي هى حيوة بلا موت .

حسناً من مثل هولاء * ان القداديس والصلوات لاجل الموتى تفيد انفسهم اكبر الفوايد . وهذه الفايدة العظيمة هي تخليصهم من العذابات ومقاساة اصعب المشقات . واذا قبروا في الكنايس فيكون لهم منافع عظيمة روحية وجسدية . لان النفوس تنال فوايد كثيرة من القداديس الصايرة هناك . والقديس صاحب تلك الكنيسة يكون شفيعاً لهم . واما منفعة الاجساد فهي ان السحرا والشياطين لاتقدر ان تكمل صناعتها في اعضا الموتى المدفونين في تلك الكنايس . فهذه الفوايد العظيمة يجب عليك ان تقدمها للموتى افضل مما تكرمهم بتلك الاباطيل العالمية وذاك الجنون الغير النافع . فالاولي اذاً بك ان تخدمهم وتنفعهم

* بهذه لا بالتشريف والافتخار الزايل البطـــال *

الفصل التسعون

يشتمل علي ذكر اباطيل الذين يشتهون الحيوة المديدة

* والعمر الطويـــل *

قال ابن سيراخ ان الانسان ولو عاش سنين كثيرة فاذا مات لم يرث سوى حيات ودواب وديدان (ص ١) * ان من يمش ركضاً الي مكان ولايريد الوصول اليه فهو سخيف العقل . وكذلك الذين يبتغون ان تطول اعمارهم وتزيد سنوهم فهم في قعر

ولهُ ايضاً ولالهِ . ويعقوب ولو انهُ مات بمصر فقد اوصى ان يدفنوهُ في ارض كنعان مع ابايهِ . وكذلك يوسف عمل مثل هذا كما ذكر عنهُ . وغيرهُ من الصديقين في العهد العتيق اختاروا ان يقبروا في ارض الميعاد لانهم عرفوا بالالهام الالهي ان منقذ حياتنا سوف يقوم في تلك الارض وانهُ يقوم ايضاً معهُ اخرون من الصديقين . فلكي يقوموا مع السيد المسيح احبوا ان تكون ملافنهم في الارض المقدسة . وقد وضعت اجسادهم في قبورٍ صخريةٍ . متينة والسبب في ذلك لتبقى عظامهم محفوظة غير مطروحة خارجاً ولا تنقل الى موضعٍ اخر لكي يقوموا مع المسيح (متى ٢٧) . ولكن فعلهم هذا لم يكن لاجل شرفٍ وافتخار بل كانت عزايمهم للمنفعة فقط * انهُ امر طبيعي متى اشتهت النفس المغبوطة ان تتنعم في الحظوى بالله تعالى مع الجسد قرينها . وهذا كان غرض الابا المذكورين . وانت كذلك يليق بك ان تعمل مثل ذلك مع المنتقلين . وتفحص عما يفيد انفسهم واجسادهم ويعود الى منفعتهم . لا على ما لا يجديهم نفعاً من العظمة والافتخار والصلف وما اشبه ذلك مما لا ينجع في الاموات البتة وانما يصير سبباً لتدمر الاحيا ومثلباتهم * لان العقلا يسخرون بهذه الامور ويضحكون . والمجانين فقط يعجبهم ذلك ويمدحونهُ . وهذا غاية الجهل اذا كنت ترجو مديحاً او ذكراً

مما تتركه معذباً لاجل تنضيد الاباطيل التي تصنعها بقصد الصيت بين الناس واصطياد المديح منهم وهذا هو غاية الجنون * من شان الدنيا ان تضاد بعوايدها كل الخيرات والمحامد وتتقدم عليها في اكثر الحالات * فالناس في هذه الحيوة وان كانوا جهالاً في عنفوان الصبا فما سبيلهم ان يكونوا بهذه الصورة وقت ارتحالهم بل ان يكونوا مترقبين حلول الموت . اذ لا يفلت منه احد من الملوك ولا من الامرا والمسلطين . وينبغي لهم ايضاً ان يفطنوا ويعرفوا انهم لا ينجون من فخه * وهذا التفكر والهذيذ يحمل الناس ان يصلحوا طرايقهم ويحتذوا بناموس الله تعالي . لكن قد يغلب عليهم نسيان ما ينبغي لتثقيف السيرة وتهذيبها . ولا يخطر ببالهم غير ان يرضوا الملوك والاراكنة منتظرين انعامهم وافضالهم نظير ما يفعل من يفعل تلك الهذيانات والخيالات . ولا يعتنون بما يحق لله تعالي من العبادة وما يجب عليهم من صنيع الرحمة عن انفس المتنيحين * وعلى ما يلوح لي ان اهتمام الاكثرين وحرصهم في هذه الباطلات اكثر من اهتمامهم بما يفيد الميت نفعاً . وقد تحقق بيان هذا من ازدياد ما ينفقون علي هذه الاباطيل اكثر من اعتنايهم بوفا الدين القليل الذى في ذمة الميت . او بترجيع ما قد ربحه بطريق الحرام * وقد اخبر الكتاب المقدس ان ابراهيم اشترى قبراً جميلاً لساره امراته

موضع راحة ونعيم بل محل شقاء وعذاب اليم . والخلاص منه اليوم احسن من الغد * فعلى قدر ما تسرع باجتهادٍ كلي علي افتقاد المنتقل بالقداديس والصدقات والتضرعات . بمقدار ذلك يسرع بالنجاة والخلاص من تلك العقوبات والتعاذيب باعيانها . وبسرعة يشاهد وجه الله ذى العظمة والجلال ويتمتع بالنظر اليهِ سبحانه وتعالي * افما هو الافضل ان تسرع باستخراج نفس الميت من المطهر واطلاقها من تلك المشقات التي تعانيها . وتتقدم بالرحمة لها مبادرًا . مما توخر هذا الفعل الجميل الي زمن طويل * ان النفس تكابد عقوبات صعبة شديدة المراس لا يستطيع عقل الانسان ادراكها ولا يخطر تلخيصها في وقتٍ من الاوقات علي قلب احد في هذه الحيوة . واما انت فبانهماكك وشدة حرصك على ما ذكرنا من تزويق نعش المنتقل والنفقة علي تزيينه . توخر عنه الدوا والمعونة التي هى القداديس والصلوات . وربما حين تقدم عن نفسهِ ما ذكرنا بعد مدة طويلة من الزمان يكون قد افلت من تلك المقاساة العظيمة التي قاساها لاجل تاخيرك عن اسعافهِ كل تلك المدة * فاذًا السبيل الاوجه والراى الثاقب الاصوب ان لا توخر المعونة عن الميت . بل ان تبادر باسرع سرعةٍ الى اغاثتهِ بتقديم جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه بكل جهدك لاجل نفسهِ . وتكرمه اكرامًا مسيحيًا مرتبًا افضل

من المقلين واهل الفاقة بما اصرفت من الكلف على مثل هذه الامور. وكنت بذلك تستفك المايتين من العقاب والعذابات * فقد ذكر الكتاب عن يهوذا المكابي الصالح الشديد الهمة انه قدم الى هيكل الله فضة كثيرة لاجل انفس المتوفين في الحرب (مكابيين ٢ ص ١٢). وما قال انه اعانهم بشرف باطل وعظمة ولا بنعوش فاخرة مزينة. لكن بالقرابين الجليلة التي قربها عن نفوسهم * فصالح هو المضى صحبة الميت الى القبر والصلوة والطلبة لاجله. وبالاكثر الدفن في الكنايس التي تتقدم فيها الذبيحة الغير الدموية. فهذا جميعه خير عظيم. اما الاسرة الفاخرة وتزيين القبور والتشريف الزايد فما الفايدة فيه * ان هذه العوايد انما هي عوايد حنفية وثنية واثارات من جناية اراكنة الامم اليونان وذخيرة من ذخايرهم. وليس هي الا زينة فقط وعوايد اهل الدنيا. ولاجل ان هذا كله يصير من اجل الدنيا وخدمتها. فلذلك تدونه في قراطيسها وصحايفها * وبعض الاحيان اذ يعملون تذكار احد المتوفين من الاراكنة مرات في السنة. فقبل ذلك يعدون له سريرًا عظيمًا مزينًا باحسن زينة. وينفقون عليه جملة من المال. وبعد فروغهم من نفقة تلك التشويهات والنقوش والتكاليف. يفتقدون الميت ببعض قداديس وصدقات * فلا تظن ياهذا ان مكان التطهير

موضع

والعلامات علي القبور * ان الاشيا بذات طبيعتها تبان واضحة مفسرة افضل مما توضحها صورتها . والجوهر يوضح ذاته اكثر من اعراضه . وهكذا جسد الميت فانه يبين حقيقة جنسه اكثر من الصورة والعلامة الكاذبة من خارج * فالدود والدنس الذى ينهش لحم الميت المهترى والفساد بعينه يظهر اصله انه نتن وفساد . اما الوسوم الخارجة الغاشة للجهال فلا تبين مثل ذلك * فهذا السرير الذى اعددته للميت ونفقت عليه مالاً جزيلاً بمدة طويلة من الايام لاجل تجنيزه فانه يرفع فيما بعد من مكانه . والقبور المنقوشة المزوقة تخرب سريعاً . فاذاً ماذا يكون من هذا الشرف الخاوى الباطل * العل ان هذه الاسرة المعظمة تعطى راحةً قليلة لنفس الملك الميت او الامير . او هل تخفف عذابات الحاصلين في المطهر . لقد خاب ظن من توهم ذلك . لكن القداديس والصلوات والصدقات الصادرة عنهم من المومنين فهى التي تفيدهم فايدة عظيمة وتمنحهم راحة جسيمة * فالكلف والنفقات التي اصرفتها علي اتقان هذا النعش وجملته بكل زينة . اليس قد كان الاجمل امامَ الله والاوفر رحمةً والاجزل ثواباً لو تصدقت بها على الفقرا والجياع . وعملت عن روحه قداديس وخيرات مثل هذه افضل مما تعطيها للمعلمين والصناع الذين زينوا لك ذلك النعش باطلاً * ولعمرى لقد كنت تعين كثيرين

من

اهل العالم وكبرياوهم وافتخارهم الى هذا الحال حتي ان ذلك يظهر عليهم عند الموت ايضاً . فالموت الذى هو السيف القاطع لكل جهالة عالمية والموضح ان العظمة التي عاش بها الناس انما هي غباوة وجنون . فهذا نفسه لم يكف لابادة هذه الامور وابطالها . بل يصرف ايضاً الناس فيها عنايتهم ولا يستطيع الموت قطعها * الموت يمهد ساير الاشيا ويسهلها . ويساوى بين الملوك والروسا والاداني والرعاة والساذجين . ومع ذلك فقد نرى كثيراً من الناس الذين لا يرضيهم ان يكونوا جهلة ومتجبرين في هذه الدنيا فقط . لكن كما كانوا وهم احيا متقدمين علي غيرهم واكثر منهم تجبراً وتفخماً . كذلك يريدون ان يكونوا بعد مماتهم ايضاً افضل من الغير واعظم شاناً * فدع هولاء ان يفعلوا مهما ارادوا . اعني دع العظما والمسلطين واراكنة العالم ان يعملوا كل ما احبوا واشتهوا . فانهم ولو بذلوا المجهود في العمل وافرغوا العناية جداً جداً فلا يكونون بعد الموت اوفر فضلاً من الفقرا وادنى الصعاليك . فهم يحرصون ان يخفوا هذا الحق ويلبسوه بزور هذا مقداره حتي ان النعش الذى يعملونه في الكنايس يبلغ علوه الي سقف الكنيسة . ولكن ولو انهم عملوا اعظم ما يكون فتعبهم وعناهم باطل . كون الحق الذى لا يفني ولا يزول هو ان الموت يساوى بين الجميع فماذا تعمل الوسوم

والزيادة في البكا علي الاموات كاننا غير مصدقين الامر العتيد من انبعاثهم * فاذاً نحن الذين امنا بعدم موت النفس وان الذين يموتون بالمسيح ينالون الراحة والنياح . ينبغي لنا ان تكون عبراتنا بتدبير وحزننا بتهذيب . والا نتجاوز الحدود في شي من ذلك *

الفصل التاسع والثمانون

في بيان اباطيل فخامة القبور واسرة التجنيز وشرفها في الدنيا *

قال الرب الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المرايون الذين تبنون قبور الانبيا (متي ٢٣) * فالفريسيون كانوا يضطهدون المسيح رب الانبيا اضطهاداً للموت . وكانوا يبنون قبور الانبيا ويعظمونها تبريراً لانفسهم . هكذا الان يوجد اقوام يهتمون بتعظيم بنا ملافن الاراكنة والامرا ونعوشهم عند موتهم . وهذا الامر ولو كان علي سبيل التورع والديانة . لكن زيادة التفاخر بذلك توضح جهالة عزم هولاء الذين يعتنون بمثل هذه الابنية وهي دليل علي الكبريا * ولوقا الانجيلي لما كتب عن ذلك الغني الشرير ذكر قبره ولم يذكر كذلك عن لعازر المسكين (لوقا ١٦) فاقويا هذا العالم ورؤساوه اكثر ما يعتنون به هو ان تكون ملافنهم وجنايزهم فاخرة معظمة وقت مماتهم * وقد بلغ جهل

غريبة بعيدة فما ظلم ولا جار في فعله هذا . فما بالك تعتب علي الله لانه اخذ ولدك . انما نحن لهُ كلنا ومتي اراد اخذنا . وكل من شكى من فعايل البارى وتصرفه بماله فقد نافق واعتراه الجنون * وقد جا في الكتاب المقدس عن حزقيال النبي لما ماتت امراته قال الله لهُ لاتقص شعرك . وكان غرضه تعالي بذلك ليهدى حزنه بهذا المقال اذ كانت هذه عادة القدما وقت حزنهم ان يقصوا شعورهم . وايوب هكذا عمل في موت اولاده * وارميا النبي لما تنبا علي رذالة اهل مواب قال كل راسٍ مشعوث وكل لحية محلوقة * وعاموص النبي حين تنبا علي مصايب اليهود التي نزلت بهم قال اجلب علي جميع اصلابكم مسحاً وعلي كل راسٍ شعثاً * فجيد هو البكا علي الموتى وهكذا بكى ابراهيم علي ساره . واسحاق علي امهِ . ويعقوب علي يوسف عندما توهم موته . ويوسف علي ابيهِ . وبنوا اسرايل علي هرون وموسي . وداود علي شاول ويوناتان ومرتا ومريم علي اخيهما لعازر . والرجال الفضلا الذين دفنوا جسم استفانوس بكوا عليهِ بكاءً عظيماً * وقال ابن سيراخ ابكِ علي الميت (ص ٢٢) ولكن هذا البكا يجب ان يكون بالعقل والتدبير لا خارجاً عن الحد الواجب . ولذلك اردف الي قوله ابكِ علي الميت قليلاً لانه تنيح * وبولص الرسول لم يمنع عن الدموع الصادرة عن الحنو الطبيعي . بل انما منع الافراط

الوقت وغسل وجهه وعزى ام الصبي . واذ تعجب قوم من هذا الفعل اجابهم قايلاً . انا كنت صايماً باكياً لاجل الطفل المريض ليهبه الله الحيوة . والان قد مات فلماذا اكلف نفسي تعباً . العلي استطيع ان امنحه الحيوة فانا اصير اليه اما هو فلا يرجع اليّ (ملوك ٢ ص ١٢) * وانت ياهذا ولو بكيت كثيراً علي الميت بتواتر لما استطعت على اقامته من الموت . فاذاً باطل هو ان تكلف نفسك تعباً لاطايل فيه وتضيع العنا والاهتمام الذى لاتنال به المقصود * فما بالك تزيد الحزن والبكا علي فقد ولدك . فاذا قدرت ان تقيمه بكثرة الزفرات وفيض العبرات فزد البكا والنوح لكي تقيمه . واذا كان لايمكنك ذلك ولا شدة ما يشتملك من الحزن والاغتمام تعيدك الى الحيوة التي تلتمسها له فمالك وهذا الصنيع الفظيع . فبالحقيقة انك جاهل وتعبك وحزنك ضايع بلا فايدة كالمرهم الذى يوضع علي الجرح ولايفيد شيئاً بل يضيع باطلاً * فمن مالوف العادة ان تكون اولاد العبد لمولي امهم عبيداً ايضاً . وهو مسلط عليهم ومتصرف فيهم يبيعهم لمن شا او يهبهم لمن اراد . فكم يكون حكم الله تعالي نافذاً فينا ومسلطاً علينا احق من حكم المولي علي عبيده . افما نحن خليقته وجبلة يديه . وقد قال الرسول اننا ان حيينا فللرب نحيي وان متنا فللرب نموت (رومية ١٤) * فالمولي اذا اخذ ابن امته وباعه في بلدة

ابكين عليكن (لوقا ٢٣) * فليس يليق بالماسورين المعتقلين ان يبكوا علي العايشين بالحرية . وانما الاوفق والاصلح ان نندب ونوح علي ذواتنا اولي مما ننوح علي الذين قضوا اجلهم بالسلام علي ما يرضى الله . لان هولاء قد ثبت وتحقق خلاصهم . اما نحن فاننا بعد ماسورون سايرون بين المعاطب والمخاطرات التي لاتوصف * ان موت الخطاة يحق عليه البكا لانه ردى كقول النبي موت الخطاة شرير (مزمور ٣٣) . اما موت الصديقين فلايجوز ان يبكى عليه لان موتهم كريم كما قال النبي ايضاً كريم بين يدى الرب موت ابراره (مزمور ١١٥) . وقال الكتاب عن خباز فرعون وساقيه انهما خرجا اثناهما من الحبس . فالواحد شُنق والاخر رُدّ الى مقامه واكرامه (تكوين . ٤) * ونحن علي هذا القياس نموت ونعتق من سجن هذا الجسد جميعنا الصالحون والطالحون . فالاشرار يلذون ويعلقون بخشبة جهنم . اما الاخيار فيرتفعون الي كرامة جليلة ومنزلة سنية عظيمة في خدور الملك السماوى * فكيف اذاً يليق البكا علي موت هولاء . وانما يليق البكا والندب والانين والزفرات علي موت الخطاة والمنافقين * فداود النبي بكى بكاءً مراً علي موت ابنه ابيشالوم لكونه مجرماً شريراً ومحكوماً عليه في جهنم (ملوك ٢ ص ١٨) . اما ابنه الطفل العادم الخطية فلما عرف بموته وكان من قبل حزيناً بشدة الحزن . فانه فرح في ذلك

بميتين لكنهم راقدون في راحة ونياح . وقد اقصى عنهم تعب هذه الحيوة وعناها * فاذا كان حال الحيوة المستقبلة اصلح وافضل من هذه الحيوة الحاضرة . فلا يسوغ لنا ان نحزن ونغتم علي الذين سبقونا . بل الجدير بنا ان نغايرهم في المناقب المفضلة * وقد قال الحكيم ان يوم الموت خير من يوم المولد (جامعه ٧) . وسبب ذلك كون الموت يعتق الانسان من الشدايد والاحتياجات الضرورية . اما المولد فيجذبه الي الحصول فيها . ولهذه العلة فالاصلح لنا ان نعتق من هذه المصايب وننجو من تلك الحوادث الشاقة ولاندخل فيها * ان الموت يفرض حدًا لاتعابنا وامتحاناتنا . وهو علاج شاف لكلما نعاني من الشدايد والنكبات . وهو باب النعيم للذين قد ماتوا موتًا صالحًا . وهو لهم شرف وبداية السعادة والغبطة . فاذًا قد تحقق وظهر ان الموت افضل من الميلاد بالجسد * ان النفس محصورة من هذا الجسد ومحبوسة فيه ومرتبطة بحواسه . ولذلك قال ايوب مخاطبًا الله ابحرٌ انا ام تنين حتى تقيم عليّ الحراس (ايوب ٧) . وداود النبي كان يقول في ابتهاله الي الله اخرج من الحبس نفسي (مزمور ١١٤) * ولعمري ان الذين يعتقون في وقت انصرافهم من الدنيا من حبس هذا الجسد ليملكوا مع المسيح . قد يمكنهم القول الذى نطق به سيد العالم قايلًا لبنات اورشليم يابنات اورشليم لاتبكين عليّ لكن

بالراحة والالتذاذ فلا يصعب عليك ذلك . بل تمنع ايضاً من اراد بان ينبهه من رقاده الحلو. وكذلك سبيلك الآتحزن ولا تكتيب علي الذين قد نالوا الراحة من مشقات هذه الحيوة واتعابها وفازوا مع المسيح بالمجد الذى لايبلى ولايفني . بل الخليق بك ان تنافسهم وتغايرهم افضل مما تبكى عليهم * فاذا كنت لاترى الان الراحة التي حظوا بها مع المسيح فيكفيك ان تبصرها باعين التصديق والتيقن . وفي القيامة تشاهدها بالاعين الحسية بالنفس والجسد معاً * فمجدهم الان مستور ومحجوب . اما في القيامة فتظهر خيرات اوليك الذين ماتوا بالرب علانية التي نالوها مع المسيح * ويتبين مجدهم لامعاً متلالياً بين الملا . وهذا قد اوضحه الرسول بقوله انكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله . واذا ظهر المسيح حياتكم فحينيذٍ تظهرون انتم ايضاً معه بالمجد (كولوصايص ٣) . فكما ان الاشجار في زمن الشتا تكون خالية من الاوراق والازهار والاثمار . اما في فصل الصيف فتبان بهية المنظر مكتسية بالاوراق مزينة بالزهور والاثمار . فعلى نحو ذلك الذين ماتوا بالرب . فان مجدهم الان مستتر في شلش شجرة الحيوة التي هى سيدنا يسوع المسيح . وعند ظهور مجى مجد القيامة فحينيذٍ يظهر الصديقون بكل مجدٍ حاملين اثمارهم * فاذاً لاسبيل لك ان تحزن على الذين رقدوا رقاد الموت الصالح الفرح . لانهم ليسوا

نفسه فلا تموت * وكما ان النايم متي استفاق يقوم صاحي الراس حسن الاستعداد . فعلى هذا القياس الذين يموتون بالرب يقومون باعظم واوفر مجد * وقال الرسول انه ينبغي لهذا الفاسد ان يلبس مالا يفسد وهذا المايت ان يلبس عدم الموت (قرنتيه ١٥) . ولما كتب الي العبرانيين مخبرًا عن شهدا العهد القديم قال انهم لم يرغبوا في النجاة لتكون لهم قيامة افضل (عبرانيه ١١) . اى رقدوا لكيما ينهضوا يوم الحشر والقيام بكل راحة وسرور * وكما ان النايم يكون في امل النهوض من النوم . هكذا يكون موت الصديقين برجوى الانبعاث . وقال صاحب الزبور هل ان النايم لا يعود ان يقوم (مزمور ٤٠) * ولما مات لعازر قال يسوع لتلاميذه لعازر حبيبنا نايم لكنني انطلق واوقظه من نومه . ولعدم فهم التلاميذ هذا الامر اوضحه لهم السيد بقوله لعازر قد مات (يوحنا ١١) * وعن ابنة يايروس المايتة قال تعالي لم تمت الصبية لكنها نايمة (لوقا ٧) . وقد ذكر الكتاب عن يهوذا المكابي انه كان يفتكر ان اوليك الذين قبلوا المنام بالتقوى تكون لهم نعمة جيدة محفوظة . وهذا القول كان عن المتوفين (مكابيين ٢ ص ١٢) * وقال الكتاب ايضًا عن بعض ملوك يهوذا دال اسرايل انهم رقدوا مع ابايهم (ملوك ٣ ص ١١) * وذكر عن القديس استفانوس انه هجع في الرب (ابركسيس ٧) * لعمري انك اذا رايت صديقك راقدًا

المسيحيون الذين تصدقون قيامة الاموات وانبعاثهم فلا يليق بكم ان يكون حزنكم في ذلك متزايدًا * ومما يحق لهُ التعجب هو ان موت الانسان الذى هو الموت بعينهِ علي التحقيق ومركب من ميتات كثيرة قد سماه الرسول رقادًا . واما موت المسيح ربنا الذى هو الحيوة نفسها دعاه موتًا * فما المعني في ذلك ان يكون موت المسيح موتًا وموت الانسان رقادًا . فالجواب ان موت السيد المسيح صير موتنا رقادًا . اذ انه تعالى بموتهِ جعـل موتنا حلوًا لذيذًا الي هذه الغاية حتي انه ابطل اسم الموت وابادهُ وتكني برقاد ومن حيث ان موتهُ كان مولمًا موجعًا فصار موتنا رقادًا طيبًا * ان الموت قبل مجي السيد المسيح كان مفزعًا مرهبًا . ولكن بموتهِ تعالي سحق قوة الموت وصار مغلوبًا واهيًا حتي انه تحول الي الرقاد * لانه تعالي وهو علي الصليب اباد سطوة من كان لهُ سلطان الموت (عبرانية ٢) . ومحاصك القضا المضاد لنا فركزهُ في الصليب (كولوصايص ٢) * وهذا كان راى سمعان الشيخ عند قولهِ الان اطلق عبدك ايها السيد لان يرقد بسلام (لوقا ٢) . فكانهُ يقول حتي الان كان الموت مرعبًا . واما منذ هذه الساعة التي ابصرت فيها عيناى مبيد الموت فليات الموت لارقد بسلام * فمثل ما انه في نوم الانسان ينام الجسد وتبقى النفس ساهرةً . هكذا يجري امر الرجل الصالح عند وفاتهِ . فيموت الجسد واما

القلب . فانها تكون لك نوراً لهدايتك وتدبيرك ليلا تتوه في ظلمة هذا العالم *

الفصل الثامن والثمانون

في اباطيل الذين يحزنون حزناً زايداً علي موت اهل

* الفضيلة *

ان السيد قد نهى امراةً ارملة كانت تبكى على موت ابنها قايلاً لاتبكى (لوقا ٧) * وكان سبب قوله لاتبكى لانه كان عازماً على اقامته من الموت . فكانه يقول لها لاتبكى عليه كالميت لانك عن قريب ستنظرينه حياً * ولعمري ان رجا قيامة الموتى سلوة وتعزية للاحيا . وبولص الرسول بهذا الرجا كان يعزى اهل تصالونيكية من اعمال مكدونيا لما كاتبهم من اتينا قايلاً . يجب ان تعلموا يا اخوتي فيما للراقدين لكيلا تحزنوا كباقي الناس الذين لارجا لهم . لاننا ان كنا نومن ان يسوع مات وانبعث فكذلك ايضاً الذين رقدوا بيسوع المسيح ياتي الله بهم معه (اصحاح ٤) . ان الصابيين والحنفا الفاقدين نور الايمان الذين لايومنون بقيامة الاموات . وعيشتهم بغير تامل النشور وتوقع الانبعاث ولا يصدقون انهم يرون الاموات احياءً ايضاً . فما هو بالعجب منهم متي حزنوا واشتدت غمومهم علي موت اهاليهم . اما انتم ايها

احد ان يشرب من ما الحكمة السماوية الصافية مالم يكن اولاً قد استعد لذلك بالتطهر من ساير الاثام * وقد قيل ان النفس الردية صناعتها لاتدخل الحكمة عليها ولن تسكن في جسم غريم الخطايا (حكمة ١) * ان من عرف الغني وكثرة المال لايدعي غنياً بمجرد المعرفة به فقط . لكن من اقتني كثرة الاموال واحتوى عليها فذاك يدعي غنياً . فعلى نحو ذلك من عرف اموراً كثيرة لايعد حكيماً باراً ولو عرف شرح الحكمة في غاية التدقيق . ولكن مقتني الحكمة في ذاته الذى هو يسوع هو الذى يدعي حكيماً * ان قوماً كثيرين لعمري يجاهدون ليبلغوا العلم والحكمة ولكنهم لايقرنون ذلك بالفضايل واهتمامهم بذلك قليل * احرص ما استطعت لتقتني حكمة الله في ذاتك فانها مباينة لحكمة العالم كالنور للظلام . والعلة في ذلك اى في ان حكمة الله متميزة من حكمة العالم فهو ان حكمة الله عز وجل تعاين الاشيا القريبة والبعيدة وعلي قول الحكيم انها تمتد من الاقصى الى الاقصى (حكمه ٨) * اما ضيا الحكمة العالمية فقصير المدا جداً ولا يمد بصره الا الي الامور الحاضرة القريبة الماخذ * ان حكمة العالم تشاهد الامور الظاهرة . اما حكمة الله فتنفذ الي الباطن وتصادف الراحة التي لاتجدها حكمة العالم * فافحص انت بغاية الاستقصا عن هذه الحكمة الجليلة الشريفة بالاتضاع ونقاوة

علي عينيك كحل الافعال الحميدة والصالحات * ولكون الحكمة موهبة من الله تعالي فلا يسوغ لك ان تستمدها اغتصاباً بالدرس والتلاوات بغير اذن الله تعالي . وانما سبيلك ان تطلب منه بتضرع وابتهال وهو ينيلك اياها كما يقول يعقوب الرسول فان كان احدكم ناقصاً في حكمة فليسل الله (ص ١) * وقد يجب عليك ايها الانسان ان تقرّ بجهلك من غير خجل ولا حيا . لان من ليس عنده معرفة ولا حكمة ويدّعي بشيء من ذلك فليس هو باهل ان يدعي حكيماً وقال سليمان الحكيم بدءُ الحكمة مخافة الرب (امثال ١) * فكما ان من يتجرا علي ارض احد الاراكنة ويسرق شيئاً مع المعرفة بصرامة سطوته فانه فاقد الحكمة . كذلك ليس هو بحكيم من لا يخاف الاسا الي ذلك العادل الشديد الصرامة الذى اسقط من اعلي السما من اجل خطية واحدة الخليقة الشريفة اعني الملايكة واحدرهم الي عمق الجحيم . وبسبب معصية الانسان الاول حكم بالموت علي الطبيعة الانسانية جميعها (تكوين ٣) . ثم بسبب الخطية ايضاً غرق المسكونة كلها بالطوفان ما عدا ثمانية انفار (تكوين ٧) * افحص بخوف الله عن الحكمة السماوية ونق نفسك من رغبة الارضيات * من عادة النحل انه لا يشرب الا من الما الصافي وان راى فيه اوساخاً يزيلها ثم يشرب . والحكمة علي هذه الصفة بهية لامعة . ولا يستطيع

وفضايله الصالحة التي بها يعلم التهاون بالعالميات وتجنب اللذات وقمع الجسد ومقاساة الاوجاع ومصابرة الشقا وحب الفضيلة * الحكمة الالهيّة المحقة انما هي طلب الخيرات الروحيّة الراهنة والاعراض عن الفانية البالية * من يجنح الي محبة الامور الضارة ويهمل خلاص النفس فهو غارق في عمق الجهالة . ومحبة الله وكمالاته الجليلة فهذى هي ذات الحكمة الكريمة * فداود النبي الذى كشف لهُ الله اسراره الغامضة قال يارب قد لجات اليك فعلمني ان اعمل هواك (مزمور ١٤٢) * وسيدنا يسوع المسيح دفوعًا كثيرة قد وبخ تلاميذه من جهة سوالهم لهُ عن المستقبلات الخفيّة . فلا تقصد اذًا ان تعرف اكثر مما ينبغي . بل كن قانعًا بمعرفتك وراضيًا بما وهب لك * طهر ضميرك واياك والكبريا . واجهد بكل حرص ان تعمل مشية الله لا مشيتك . لانه اصلح لك واوفق ان تفحص مبالغًا عن الحكمة الحقيقية بضمير نقي . لان من ظن انه يصادف الحق وهو سالك في مناهج الاثام والمعاصي لقد ضل عن سبل الحقيقة . ولهذا يقول ابن سيراخ اذا اشتهيت الحكمة فاحفظ العدل فيعطيكها الله (اصحاح ١) . ويقول في موضع اخر الحق يقصد عمّالهُ (ص ٢٧) * انفض غبار محبة الدنيا عن عينيك فتعاين الشمس المعقولة * وقال داود النبي فهم الخير في اوامر الرب للذين يعملون بها (مزمور ١١٠) * فلاجل ذلك اجعل

لان صاحب الحكمة يحرص بكل جهده ان يعرف الله عز وجل . وفي هذا فقط يكون اهتمامه * فاذاً اقرا في هذا الكتاب ايها الاخ العزيز واصرف عنايتك في الهذيذ بالامر سيدنا يسوع المسيح . * لانك اذا عرفته في الارض فتشاهده في السما عياناً *

الفصل السابع والثمانون

* في انه كيف ينبغي لنا ان نطلب الحكمة الحقيقية *

قال سليمان الحكيم مغبوط هو الانسان الذى قد وجد حكمة (امثال ٣ فينبغي لك ان تفحص عن الحكمة الحقيقية التي علمها ربنا يسوع المسيح واظهرها بسيرته وافعاله * من كان حكيماً بالحقيقة فهو يبغض الاثم ويتكلم الحق ويصنع الخير * من عاش بالقناعة واستعمل العفة والتقوى والتواضع وحسن العبادة وتوقي معاطب المحن فهذا هو الحكيم والله يسر به . ويكون حسن الثنا بين الناس ونقي الضمير . وحياته دايمة بالصلح والسلامة . وينال من الله فرح القلب المجهول عند اهل العالم ولا يفهمونه * ان حكمة هذا العالم باطلة وتحسب قدام الله جهلاً . لانها تطغى محبيها ثم بعد هذا تعذبهم وتولمهم اشد الايلام * حكمة الجسد انما هي موت للنفس . كون افراحه ونعيمه وساير ملاذه يعقبها اوجاع مبرحة * ان الحكمة الالهية تستخرج من غوامض كلام المسيح

كان فاقد هذا الفقر فقد استغني عن كل شيٍ * عوز النفس انما هو الجهل . ومن لا يعرف غير مايوافق الجسم فليس هو مع الله حتي ولا مع ذاته ايضاً * حكمة الله ليست هي ان يعرف الانسان ان يلفظ كلامَ الله فقط . بل سبيله ان يسير بحسب موجبهِ ويخافه . فهذى هي حكمة الله التي يحاول المحال استيصالها من عقلك مثل ما قصد ناحاش العموني ان يقلع عيون ال اسرايل اليمني اعني المعرفة بالسّماويات (ملوك ١ ص ١١) * ان معرفة سيدنا يسوع المسيح تعلم الازدرا بالعالم وبما فيهِ . والعالم يظن انه سعيد من جهة الغني والقوة ههنا كما قال النبي (مزمور ١٤٣) . اما السيد المسيح فبحكمتهِ الفايقة جعل الطوبى والهنا في الفقر والمسكنة حيث دعا المساكين طوباويين وسعيدين * فاى شي يكون ابعد عن عقل الانسان من هذا وهو ان يموت الموت بامانة الحيوة . وايما شيٍ اعجب من ان الله يسكن غضبه بموت ابنهِ الوحيد . ومن شاهد قط ان ميتاً علي الصليب يكون سبب الحيوة . لعمري ان هذا الامر يبان للعالم جهلاً وجنوناً . ولكن لن يوجد شي احسن من ذلك ولا اثبت منه جملة كافية * ابذل المجهود ان تقتني هذه الحكمة واعتنِ بحفظها مثابراً كقول الرسول القايل انا اقر انني لست اعرف شيأ الا يسوع المسيح مصلوباً (قرنتيه ١ ص ٢) * عينا الفهيم في راسهِ الذى هو المسيح .

الحكمة العالمية مخزية من حكمة المسيح ومرذولة . ومثلما ابتلعت حية موسي حيات سحراء فرعون هكذا حكمة الله العزيزة تبتلع كل حكمة دنيوية وتسحقها * ان الله قديماً كان يعد الناس بالاموال والارزاق وكل شي يلايم طباعهم. وقليل منهم من رجع الي سنن اليهود وعبادة الله الصادقة . فلما ورد مخلص العالم ووعد الناس بالاضطهاد والاتعاب وامثال ذلك مما يكرهون ويستعفون منه . فحينئذٍ تبعه العالم كله * فيا لعظم حكمة الاله القادرة اذ اختارت ضعفا العالم لتخزى بهم الاقويا (قرنتيه ١ص١) . فالجهال ابكموا الحكما وغلبوهم. كون الاشيا كلها خاضعة لحكمة الله * وقال الرسول في ذلك ايضاً . انهم اذ قالوا انهم حكما صاروا جهلا (روميه ١) لان حكمة الله بواسطة قوم فقرا واميين قهرت العالم * فاذا رايت صورةً في غاية الكمال مزوقة باصناف الالوان والاشكال . واتفق ان مصورًا اخر ماهرًا في صناعته جدًا صور علي الحايط بفحمة صورة اجمل من تلك وابهى كثيرًا اما يكون ذلك مما يحق له التعجب . ان من عادة اهل العالم انهم يفتحون المدن عنوة بالسلاح وكثرة الرجال وبهذه الانواع تنتصر الملوك . اما حكمة الله تعالى فاختارت المساكين الادنيا الجهال . وبهم اعني بفحمة حقيرة كما قلنا ملكت وسادت علي العالم اجمع * لايوجد فقر امر من فقر العلم . ومن

الممتلية من حكمة الله تعالي . وطوبى للنفس التي تحرص ان تكون حكيمة قلام الله ولا تغنيها حكمة هذا العالم . نقطة واحدة من حكمة الله السامية افضل من لج بحور من حكمة هذا العالم . وفي هذه المدرسة سبيلك ان تهذ نهارًا وليلاً وتجاهد ان تكون ههنا ميت الحواس بالكلية * ان يعقوب بعد مصارعته مع الملك بقي اعرج الرجل ودعي اسرايل الذى يترجم ناظر الله (تكوين ٣٢) لان من ينظر الله ويعرفه يصر اعرج العالم * فمتي ذقت اللذة الالهيّة فانك تكره العالميات وتشناها . واذا كنت مستوعبًا من حكمة الله تعالي فقد صرت للدنيا جاهلاً * فاذا رايت اهل العالم يحرصون بكل طاقتهم منعكفين علي تحصيل القنيات والثروات الوقتية فلا تتعجبن من كونهم لم يعرجوا . لانهم لا يعرفون الله حق معرفته ولا يفقهونه . اما الصديقون معاينوا الله كيعقوب فلمعرفتهم به تعالي يعرجون في الارضيات وهم حكما فطنون قلام الرب . ولاجل ذلك يعدهم العالم جهالاً * علي حدو ما يكون وجه القمر المتجه نحو الشمس ممتليًا من الضيا والوجه الاخر خاليًا من النور . كذلك النفس المترعة من الحكمة الالهية من جهةٍ تكون مقفرة من العالميات من الجهة الاخرى . وقال ابن سيراخ ان الجاهل يتغير مثل القمر (ص ٢٧) . لانه يترك النور الالهي وضو شمس البر ويجنح الي الامور السفلية الارضية * ان

وادراكنا فنخالها جهلاً . وفي شان هذا قال سليمان الحكيم عن وجه اهل العالم لم تضئ لنا شمس العدل (حكمه ٥) * فالحكيم لم يشر الي هذه الشمس الهيولية التي تشرق على الاخيار والاشرار بل الي شمس الحكمة الالهية . علي ان الاشرار ما استنارو ا بضيا هذه الحكمة ذات الشرف الفايق . كون الاحداق الضعيفة لا تستطيع احتمال اشراق نور الاله الجليل * ان موسى اذ كان بمصر كان ذا حكمة وبلاغة كلية . اما عندما كان يناجي الله تعالى فكان يصير التغ اللسان . وذلك لكون حكمة العالم خرسا قدام الله * ولعمري ان سليمان قد بلغ في الحكمة الي غايتها . لكنه بالنسبة الي حكمة الله تعالي قال عن نفسه انه اوفر جهلاً من الناس * من تهاون بالعالم في حال الله فهو صاحب الحكمة السامية . ومن عرف ان يخلص نفسه فهو وافر المعرفة وفيه وحده توجد الحكمة وما سواه جهلة لا تمييز لهم * ان علو حكمة المسيح انما هي التهاون والاطراح الكلي بمحبة الذات . وغير حكمة بالقياس الي حكمة يسوع المفضلة انما هي جهل وحماقة * لانك ولو درست ساير العلوم واطلعت على غوامض الامور جميعها وانت جاهل ذاتك فلا يفيدك شي من ذلك . بل انما انت تواضع عزمك نظرًا الى الامور البرانية وتتنازل لها بكليتك باجتهاد واحتراز . اما نظرًا الى ذاتك فلا تزكن شيًا البتة * فمغبوطة هي النفس

وتضمحل . اما حكمة الله فقط فتبقى دايمة سرمدًا *

الفصل السادس والثمانون

* في ايضاح علو حكمة سيدنا يسوع المسيح وشرفها *

قال بولص الرسول الالهي من ظن فيكم انه حكيم فليصر جاهلاً ليصير حكيمًا (قرنتية ١ ص ٣) * ليس حكمة اعلي ولا اشرف من ان يصير الانسان جاهلاً لاجل المسيح * حكمة الله التي هي اماتة الحواس الصادقة وجحود النفس يظنها العالم جنونًا . وقد قال سليمان الحكيم انني اوفر جهلاً من جميع الناس وليست فيّ فطنتهم (امثال ٣٠) . علي ان بني هذا العالم نظرًا الي الامور العالمية احكم من بني النور (لوقا ١٦) . ولهذا قال الحكيم انه ليست فيه حكمة الناس بل حكمة المسيح التي يظنها العالم حماقة * ان حكمة المسيح تفوق وتتفاضل علي عقل كل مخلوق . ولاجل ذلك دعاها العالم توسوسًا مثلما نسمي نحن مالم يحط به علمنا ولا تدركه افهامنا جنونًا وجهلاً * وربما يتفق بعض الاحيان ان رييس العسكر يبذل المجهود في معمعة القتال ليستنبط حيلة من الحيل لاجل الانتصار في ذلك الوقت . اما بقية الجنود الذين لا خبرة لهم في ذلك فيحتسبون ما يفعله من النكت جنونًا وانه جاهل فيما يصنع . هكذا نحن لكون الحكمة الالهية تفوق سموًا علي افهامنا

مخذولاً من العالم ومهاناً . فان لك مهلة لطلب المعونة من حاكم اخر لتنتصف عن ظلامتك . لان ذلك اليوم الذى يستحسن فيه الديان العادل ماقد استقبحه العالم واستسمجه هو قريب . وحينئذٍ يظهر ان حكمة العالم حماقة عند مايوضع تحت الارض ذاك الذى قاسي كثرة الاتعاب والمشقات ليجمع الاموال ويقتني الاملاك ويكون طريحاً عرياناً من كل مايملكه . وفي ذلك الوقت تظهر الحكمة اللحمية انها جهالة وحماقة عند ما يصير الجسد المربى بالتنعم والترفه ماكلاً للدود . فحينئذٍ تُعرف علانيةً حكمة هذا العالم انها حمق وجنون * فاذاً لاتحزن مادمت في هذه الحيوة ولا تكتيب اذا شجبك العالم . لان سيدنا له المجد حسب كالمجنون وشجب من العالم كانه احمق وموسوس . والبسته الكفرة ثياباً بيضا في بيت هيرودوس (يوحنا ١٩) * ارايت كيف ان حكمة الله الغامضة السامية رذلت من العالم كانها مختفية عن عيونهم العمى . كون العالم يقضى بمايخالف الحقيقة بالشجب والحكومة علي الصالحين * ان هذه الحيوة قصيرة والزمن الذى فيه تقدر على اشهار برك وعدلك قريب . ولهذا السبب لايجب ان تهمك اراء الناس الباطلة وزعمهم الملتوى . لان دينونتهم المملوة جهلاً ستخزى بعد يسيرٍ من الزمان وتظهر اعلام الحق مكشوفةً للعيان . ان حكمة العالم الجاهلة تخدل وشيكاً

الي اتقيا الله هم حكام جاهلون فيدينونهم كاناس محقورين ويدعونهم جهلة خايبي التمييز. وهذه المداينة تبقى على ملا الزمان من هذه الحيوة . ولذلك افاضل الناس تكون عيشتهم بالخزى والهوان وكانهم تحت الطايلة * فقد احتسب اراكنة العالم وروساوه الشهدا القديسين حمقا واغبيا . وكثير من حكما العالم يخال لهم ان الفقر الانجيلى والمسكنة التي تصير اقتداءً بالمسيح الفقير المسكين هى هوان ومعيرة * وقد قال واحد من حكما العالم لبولص الرسول قد توسوست يابولص فالصحف الكثيرة الجاتك الي الوسوسة . فاجابه الرسول لم اوسوس ايها الشريف فسطس بل اني اتكلم بكلام الحق (ابركسيس ٢٦) * فهذا الرجل لعدم فهمه بما قال الرسول احتسبه مجنونًا . وهكذا كل شي لايدركه العالم يظنه جنونًا لقلة تدربه بذلك الشي وعدم استعماله اياه * وهذه هى المداينة التي تقع من قبل العالم كحاكم جاهل عديم المعرفة علي رجال الله الاخيار . ولكن عند حلول الموت تستغيث عبيد المسيح الي الحاكم الماهر الذى هو الله العـــارف الدعوى حق المعرفة فيحكم في ذلك الوقت علي دينونة العالم انها كاذبة باطلة . ويقضى قضاءً محكمًا ويقول ان اهل العالم الذين نجوا في الدنيا قد كانوا جهالًا حمقا . اما الافاضل الابرار فكانوا حكما فطنين وعقولهم ثاقبة والبابهم صافية * فلا يثقل عليك اذا كنت

لاقيمة لهم . اما عند الله فهم مقبولون غاية القبول * ان احكام الله بخلاف احكام الناس . ولكون الدنيا تبصر الظاهر فيحسب الغني والوجيه عندها سعيدًا * فقد ذكر الكتاب ان صامويل النبي لما مضى ليمسح احد اولاد يسي ملكًا لم يقبل احدًا من الكرام عند ابيهم . بل مسح داود الذى كان مجهولاً من الناس (ملوك ١ ص ١٦) . فاولاد يسي الذين كانوا اهل نباهة وشرف عند الكل خذلوا من الله ورذلوا . والذين احتسبهم العالم حكما حسبوا من الله جهالاً . اما الذى احتقره العالم فاقامه الله ملكًا . وبلعام ولو انه كان منافقًا لكنه لما حل روح الله عليه عندما ابصر خيام ال اسرايل ومقاماتهم اخذ يمدحها ويقول ما احسن مساكنك يا يعقوب ومضاربك يا اسرايل (عدد ٢٤) . والحال انه حين قال ذلك بلعام كان قد مضى لبني اسرايل اربعون سنةً في البرية منذ خروجهم من مصر وكانت قبابهم التي راها حسنةً قد تعتقت * فالعالم لا يعجبه الا حسن الشكل الخارج فيمدحه . اما الله تعالي فينظر الي الخفي الباطن . وكل ما يتبين عند الناس في العالم فقرًا واهانة . فالبارى تعالي يمدحه ويرفع شانه مثل خيام ال اسرايل * من كان لهُ دعوى قد امرَ حاكم حكيم لا يبالي اذا مُنع من حاكم جاهل لمعرفته بان ذلك الحاكم الحكيم ينصر دعواه ويثبت حقه . فالعالميون بالنسبة

الفصل الخمس والثمانون

* في بيان جهالة الحكمة العالمية واباطيلها *

قال بولص الرسول ان جهل الله هو اوفر حكمة من الناس (قرنتية ١) ان الذى بتستير قبايحهِ ينال درجاتٍ عالية واكراماً فهذا يعد اهل العالم حكيماً . والمعرض عن مثل هذه الهذيانات والمتهاون بها يسميه اهل العالم جاهلاً * وقد اخبر سليمان الحكيم عن هولاء انهم يقولون عن انفسهم اننا نحن احتسبنا سيرة الصالحين جنوناً ووفاتهم مهانة (حكمة ٥) * فذووا الرغبات الكاذبة الى القنيات الدنيوية يدعوهم اهل العالم حكما لانهم يبذلون المجهود ليقتنوا مثل هذه . اما الذين يتصرفون بالخلاف فيحتسبهم اهل العالم حمقا كما تبين ظاهراً ويسخرون بهم ويستهزيون بهم كانهم مجانين * ان الحكمة العالمية ذات الجهالة لاتحيط علماً بان عبيد المسيح مصابيح مضيئة كما قال ايوب الصديق . وان الدنيا ريح تنفخ وتطفى . ولذلك يحرص الصديقون بكل جهدهم ان يختفوا ليكونوا مطمانين . ولا يحبون ان يظهروا قداسة الا لمن يتوخون مرضاته وهو الله الذى لاينظر الي الظاهر بل الي الباطن * ان حكمة الله وحكمة العالم ضدان متنافران ومتناقضان في كل شي . لان الصديقين تراهم عند اهل العالم

مايجب عليك فلاينقص عنك شي مما تحتاج اليه . فاذا كانت العناية الالهية تعطى الطيور غذاها مع انها خلقت لاجل الانسان . فكيف لانعول الانسان الذى خلق لاجل محبته تعالي نفسه * فطهر اذاً قلبك وازل عنه كل اهتمام باطل وكل اشتغال خارج لتستطيع ان ترفعه الي الله . لكون اشتغال القلب يبرد اسباب المحبة ويرخيها ويلقى الانسان في تجارب كثيرة ويطرحه في مكامن العدو * ان الطبيعة والشهوة لهما قوة عظيمة وفحص وتفتيش علي ما يلتذان به من اباطيل الدنيا ونعيمها . وباشتغال القلب وتشتته يعترى العقل الظلام وتبقى الروح عادمة الحس ويكون لديها كل فعل روحى عديم الطعم واللذة * فالمهمات التي تشتت فكر الانسان فيما هو جايز وحلال فانها تبدد الروح باختلاف الطبيعة حتي انها تبعدك وتقصيك بالكلية عن الصلوة . لكونها لاتدع قوى النفس ان تجتمع الي الراحة في ذاتها . علي ان الاجتهاد في المهمات البرانية ولو كانت بوجه حلال فانها تعمى نظر العقل وتظلم لمعان نور الحق . فاذا شيت ان تعبد الله تعالي عبادة خالصة فسبيلك ان تبتعد عن كل مهمة خارجة واجتهاد

* دنيوى *

*

علي وجه الماء ولا تمشي على الارض اذا اردت ان تنجو من هلاكها * ان الله لما خلق الطيور واسماك البحر باركها . اما الوحوش الدابة علي الارض فلم يباركها . فمن اراد نيل البركة العتيد الله ان يبارك بها الصديقين فلا بد له ان يطير او يسبح فوق الماء لينجو مما فيه اهل العالم من عظيم الخطر . علي ان هولاء الذين يضاهون الوحوش بسيرتهم علي الارض ويميلون الى حب الارضيات حباً مفرطاً لا يخولهم الله البركة بل اللعنة . فلاجل ذلك لتكن عيشتك كعيشة الطاير في سمو الصلوة والتاملات . القِ همك علي الله ربك كما قال بطرس الرسول القوا على الله كل همومكم لانه تعالي هو المهتم بكم (بطرس ١ ص ٥) * هكذا فعل داود الملك الصالح حسب قوله انا مسكين وفقير والرب يهتم بي (مزمور ٣٩) . فاذا كان بارينا هو المتعاطي بامورنا والمحترص في قضا مصالحنا ولوازمنا فلا تكلفن نفسك انت التعب . كون هذا الاعتنا في الامور الوقتية لا يعمل شيئاً ما عدا انه يخنق كلمة الله في قلبك حسبما قال السيد في الانجيل الشريف (لوقا ٨) * ان الامم والكفار الذين يخدعون بتصديق البخت والفال ليس هو بغريب ولا عجيب اذا تعاطوا هذه الامور بكل حرص . اما انت المومن مثل المسيحي بالعناية الالهية فينبغي لك ان يكون اهتمامك علي الدوام من اجل الخيرات الروحية . عارفاً بانك اذا عملت

الله خالق الاشيا لاجل امور عالمية ان يعدم هذه الاشيا جميعها * وقد شبه سيدنا يسوع المسيح حيوة الصديقين بالطيور التي كنونها علي الارض قليل وتقضى زمانها في العلو. وعندما بكتنا الرب علي اهتمامنا الزايد عيرنا بالطيور التي لاتزرع ولاتحصد ولا تخزن في الاهرا والرب يقيتها (متي ١٦) * فلذلك يليق بك الخجل والاستحيا ايها الانسان. لكونك تطرق السبيل لرغبتك في كل قبيح وتسبب موتاً لنفسك لاجل قمامات العالم وانت تستطيع ان تتعوض عن ذلك باشتها الفردوس . وهذا انما هو ضرب من ضروب القساوة البالغة بانك تقاسي اتعاباً وانصاباً شاقة راغباً امور هذا العالم بابلغ تفتيش . مع انك تستطيع نيل ملك السما وانت واقف علي رجليك بكل راحة ونياح * ولايجوز لك فعل ذلك اكراماً وتوقيراً لابيك . علي ان كثرة اهتمام الابن هو توبيخ للاب موضح انه متغافل عن حوايج بنيه الضرورية . ولذلك اهتمام الابن بالقوت هو خطا في حق ابيه * انه باهتمامك في تحصيل الخيرات الدنيوية غير ممكن الا تغيظ الله اباك السماوى المغذى اولاده بجوده وكرمه بما يقوم بحوايجهم * فكما ان الطيور لاتستقر علي الارض مالم تدعوها ضرورة الاحتياج بل غالب عيشتها في علو الجو. هكذا ينبغي لك انت اذا رمت الخلاص من مخاطر هذا العالم . اى ان تفر هرباً من الارض وامورها وتطير في العلا او تعوم

في الطريق ولا زاداً (لوقا ٩). وبذلك علمهم ان يدعوا الاهتمام بالامور العالمية وان يصرفوا عنايتهم في الله فقط * فالنعجة من غريزتها عدم الحرص والاهتمام بشي من الاشيا وانما الراعي يهتم بها. والاهنا القدوس هو الراعي الصالح الصادق المهتم بالكل. ومن هذا القبيل قال لتعاجه اذ ارسلتكم بغير كيس ولا خرج ولا حذا هل اعوزتم شيئاً فقالوا لا شي (لوقا ٢٢) * فاذا كان هو تعالي المعتني بك باهتمام هذا عظم مقداره فلا تكلف نفسك اذاً هذا الاهتمام والحرص الزايد عن الحد * لا يوجد مولي ولو كان قاسياً غليظ الطبع في الغاية يبخل وقتاً من الاوقات علي عبيده بالقوت الضروري. فكيف الاهنا تبارك وتعالي الذى نعبده ولاجله نكابد الاتعاب المتنوعة والمشقات المختلفة لا يفعل معنا افضل من هذا * لا تكن مفرطاً في المحبة لهذه الاشيا الملحوظة اذا شيت ان لا تخسر الغير الملحوظة * اعرض عن المشقات والمهمات الوقتية الزايلة وتجنبها لتحظى بالابدية الباقية * قال الله علي فم حجي النبي لافرادٍ من الناس الذين يصرفون عنايتهم بما يعود نفعه اليهم بمبالغة ولا يبالون بالاهتمام في رضوان الله هكذا. لاجل ان بيتي خراب وانتم مسرعون كل واحد منكم الي بيته فلاجل هذا منعت السماوات عنكم الا تعطى الندا وامتنعت الارض عن ان تعطى نباتها (حجي ١) * ولعمري ان هذا بموجب العدل وهو ان من يترك

لاجنحة الروح ومنع النفس عن الطيران الي التامل بالخيرات السماوية * ان البارى تعالي قد اوجد الانسان ليعرف الخير المحض الاكبر. وبعد احاطته بهذه المعرفة يخلص له الحب والوداد ثم يفوز بالحظوى به. فعن هذا الفوز الشريف تعيقنا مثابرة الاهتمام بالخيرات الزمنية المستحيلة * فها قد ينبغى لك ان تعلم ان حياتك هذه ليست بمتعلقة القيام بالقوت المالوف. لانه مكتوب ليس بالخبز وحده يحيي الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله القادر ان يعوله بهما كان من شيٍ اخر (متي ٤) * فهو تعالي اخرج ماءً من الصخرة في البرية (عدد ٢٠). ومياه مران المرة حولها الي العذوبة ليشرب منها شعبه الذى اعاله في القفر اربعين سنة بمن السما (خروج ١٥ و١٦) * فلو ان الشعب الاسرايلى اهتم قبل خروجه من مصر بما يعوزه في البرية من القوت والكسوة لما قدر علي الخروج ولا كان دخل ارض الميعاد. فهكذا انت اذا شيت الدخول الى الارض المعدة لك فانزع عنك كثرة اهتمامك بالاموال الدنيوية الزايلة * ان كثيراً من العبرانيين بعد خروجهم من مصر بيدٍ عزيزة الاهية ماتوا في البرية لكثرة طلبهم والتماسهم اللحوم وحفظهم اياها. ولم ينالوا مناهم اعني دخولهم الي الارض المخصبة الموعود بها التي كانوا ينتظرونها * وقد شبه السيد تلاميذه بالنعاج حين بعثهم للكرازة واوصاهم الا يحملوا كيساً

انى انا ابوكم العارف بما تحتاجونه من بيوت مفروشة بالمرمر ومرصعة بالاحجار الثمينة ومن عجلات مزوقة وما يتلو ذلك . بل ما تحتاجون من الاكل والشرب واللباس لضرورة الجسد فقط . لان الصديقين ليس هم محتاجين الي اكثر من ذلك كما قال الرسول اذا كان لنا القوت والكسوة فنقتنع بهما (تيموثاوس ٦) * فبالحقيقة ان الله ابو الذين يقنعون بالقوت والكسوة لقوام الحيوة فقط * ان رب البيت الذى استاجر فعلة لكرمه شارطهم علي دينار في اليوم لكل واحد وهو رمز عن الملكوت السماوى . ولم يشارطهم على اكل وشرب (متى ٢٠) . اذ المهتمون بنعيم السما قد عرفوا انه لا يعوزهم ذلك . ولهذا لم يذكر القوت الذى يحق لمحبي الله المالك وحده * فاذا كن مهتما بدينار ملك السما ولا يعوزك شي دون ذلك . لكون هذا اشد ضرورة . والذى يعطى الملكوت يعطى القوت الضرورى ايضا * ضع رجاك في الله المعطى لبنيه كل ما يحتاجونه . فاذا نقص هذا الزمني واضطر الامر اليه بعض الاحيان فان الله تعالي يعوض عنه الفرح والتعزية الروحية حتي لا تكاد تملك نفسك من السرور لاجل هذا العوز افضل مما يكون لك اشيا وافرة * لا يكن اهتمامك بذلك زايدا عن الحد الواجب ولا تتفحص عنه بالمبالغة بوجوه غير جايزة . كون الاهتمام الزايد الباطل بالامور العالمية انما هو ثقل

دعا بنيامين الذى كان يحبه كثيرًا (تكوين ٤٤) * هكذا كاس الامر المسيح لاتوجد الا عند من يودهم بكمال المودة الذين يسقيهم مثل الاخوة العزاز كاس الامه واوجاعه * وهذه الكاس علي ما قال النبي داود فهى كاس خمر ممتزجة (مزمور ٧٤). والصديقون هكذا يحتسبونه . اما الخطاة فيشربون التفل في جهنم حيث تكون العقوبة الشديدة صرفة خالية من امتزاج التعزية * اظهر شهامة قلبك بالصبر علي الشدايد وقل في نفسك هذا القول من بعض اقوال الرسول المصطفى . يا لهذه الحيوة الوقتية التي شدايدها المحتملة بالصبر في سبيل الله تنتقل الي منح وجوايز دهرية فى المجد الدايم الذى لا يزول الى ابد الابدين *

الفصل الرابع والثمانون

* في بيان اهتمام اهل العالم وحرصهم الباطل *

قال الرب لا تهتموا بما تاكلون ولا بما تشربون وتلبسون فابوكم يعلم انكم محتاجون الي هذا باجمعه (متي ٦) * اعلم ان الله ليس هو ابا الاغنيا بل ابو المحتاجين كما تقدم من نص السيد. فلاجل ذلك متي كنت معوزًا الى بعض الاشيا ولم تتفق الامور حسب مرادك فافرح بذلك واجدل * ثم اعلم انه عز وجل لم يقل

للوقت الي الرحمة . فاذًا افرح بتاديب الرب لان تاديبه مفيد لك وهو مصطحب بالرحمة . والشي الذى في اكثر الاوقات يتبين رحمة ليس هو الا غضبًا لا براح . والذى يظهر انه غضب فانما هو رحمة محقة * وقال الله علي لسان حزقيال النبي انزع عنك غيرتي ولا اغضب ايضًا (حزقيال ١٦) . وصرح بذلك علي فم هوشع النبي قايلًا لا افتقد علي بناتكم اذا زنين (هوشع ٤) * وذلك في المنظر العجيب الذى راه حزقيال النبي كان يخرج برق من النار . كذلك من نار المحبة الالهية لنا يخرج برق الشدايد والاحزان التي يبعثها الله لنا ليودبنا برافته واشفاقه ولا يهلكنا . لكن يكون ذلك لخلاصنا وانتفاعنا نظير ما يصنع الخياط الذى يفصل الثوب الى اجزا كثيرة . فيتبين لمن لا يعرف هذه الصناعة انه اتلف الثوب وافناه وليس الامر كما توهم . بل انه اصلحه واتقنه اذ عمل منه ملابس حسنة يتزين بها الانسان . فهكذا حالنا نحن عند ما يضربنا الله بقضيب الشدايد لتاديبنا . فليس فعله هذا بنا لهلاكنا ومضرتنا بل لخيرنا وافادتنا . ولو كنا لا نفهم ذلك لكن نراه مضادًا لنا ومخالفًا لارادتنا * ومثلما ان اللجام الشديد يضبط الفرس ويمسكه عن الانطلاق اينما شاء وعن ان ينطرح ساقطًا علي الارض . هكذا بصرامة الشدايد يلجم الله الشهوات التي تقودنا الي التهور في جهنم * ومثلما وجدت كاس يوسف في

حراستهم من المناصبين لهم * وكما ان الام تجلد ابنها تاديباً له. ولكن متي راته في خطر الموت فانها تبذل نفسها دونه في ذلك الوقت لتخلصه مما دهمه من العطب. هكذا ربنا الكلي الرافة يودبنا وينبهنا. ولكن حين يرانا في خطر الموت فانه يبذل حياته كما بذلها علي الصليب وارتضى بالموت ليحيينا ويخلصنا من اعدائنا. ويعود الينا سريعاً برحمته واشفاقه * انه لما سجد بنوا اسرايل للعجل ارجز الرب بالغضب في ذلك الوقت حتي قال لموسي انه يفنيهم ويبيدهم. لكن حين توسل موسي لاجلهم هدأ غضبهُ تعالي (خروج ٣٢). وقد قال النبي حبقوق مخاطباً الله اذا غضبت فتذكر الرحمة (حبقوق ٣) * ان الله يعود سريعاً الي رحمته الطبيعية. ولمعرفتك بلطف ذات الله فلا تقطع رجاك متي رايته غضبان ولا تغتم. لانه تعالي سريع التعطف والميل الي حنوه كمثل الماء الحار فانه يعود في الحال الي برودة طباعه * لقد عرف ايوب عادة ربنا المالوفة. فلذلك قال ان هو قتلني فاياه ارجو فقط (ايوب ١٣) * وهكذا ايضاً في وقت اخر بعد ما هدد الله شعبه هدأ وقال انا اوديه الي البرية واتكلم الي قلبه (هوشع ٢). ثم وبخه ايضاً علي لسان اشعيا النبي ثم سكن وقال ها العذرا تحبل وتلد ابناً (اشعيا ٧) * ارايت ما احسن الطاف البارى عز وجل كيف يرفع يده ليضرب ثم ينعطف

حتي وبابنه الوحيد . ولذلك قال نحو ابيه وهو على الصليب لم تركتني (مزمور ٢١) . وقال صاحب الزبور انقذ نفسي من الموت وعيني من العبرات ورجلي من الزلق (مزمور ١١٤) * فقد اتضح ان الله يهمل الصديقين قليلاً لكن مكتوب انه يمديك وبها يحفظهم كما جرى ليوسف حين تركه في السجن ثم اخرجه اخيراً واقامه سيداً ومدبراً لمصر (تكوين ٤١) * ومثل ذلك فعل مع النبي دانيال في جب الاسود (اصحاح ٦) . وسوسنة في تهمتها . وجميعهم استنقذهم بكل مجد وكرامة * فمن عوايد لطف الباري تعالي انه يودب خواصه ومحبيه ويحل بهم الشدايد والاحزان لكنه يحرص علي حفظهم من المعايب والتعييرات كون تاديبه مقترناً بعذوبة وسلوان لاتدركه العقول والاذهان مع كل رحمة وحنو . كما ظهر فعله الالهي في شعب اسرايل الماسور اذ عزاه بارسال انبيايه الكثيرين اليه . وقال الكتاب ان الله قال لشعبه انهم لايدخلون ارض الميعاد . فلما تناولوا السلاح للقتال قال لاتاخذوا السلاح لانني لست معكم فتغلبون . فالله ماكان معهم ليغلبوا الاعداء لكن كان معهم ليلا يُغلبوا من الاعداء . فكان يودبهم من جهة لانه ما اراد ظفرهم بالاعدا . ومن جهة اخرى كان يعزيهم ويحامي عنهم اذ لم يترك ان تتسلط عليهم الاعدا * فالاشرار يعذبهم الله من اجل خطاياهم ويعاملهم بالسخط والانتقام . ثم ينعطف في

فباليد الواحدة ادب ايليا وداود وبالاخرى دافع عنهما محاميًا * لما شكا بولص الرسول شدايده اجابه الله قايلًا تكفيك نعمتي (قرنتيه ٢ ص ١٢) . وقد ادب الله موسي وهرون اذ منعهما الدخول الي ارض الميعاد . ولكن احدهما عزاه واراه الارض عينها (تثنيه ٣٤) والاخر اعطاه ان يبصر ابنه لعازر قايمًا بمقام رييس الكهنة (عدد ٢٠) وهكذا بعدما وصف الله في المزمور ٨٨ العذابات التي كان عتيدًا ان يعذب شعبه بها قال واما رحمتي فلا انزعها عنهم . ولما عذب الله ابوينا الاولين وطردهما من الفردوس خفف عذابهما بما البسهما من الثياب صونًا من الحر والبرد (تكوين ٣) * وقد اتضح مما ذكرنا من هذه الاخبار ان مصايب الصديقين مقرونة بالرحمة . وانه تعالي ولو انه يهملهم قليلًا بما هم فيه من الضر والباس لكنه لا يخذلهم بالكلية . هكذا ترك تلاميذه حين كادوا ان يغرقوا في البحر وهو نايم في موخر السفينة . لكنه تعالي نجاهم فيما بعد من تلك الشدة بفعل المعجزة الباهرة (متي ٨) * وداود النبي كان يسال الله ويقول لا تخذلني الي الغاية (مزمور ١١٨) . اي ان اهملتني لا يكن اهمالك اياي بالكلية كاهمالك الخطاة * فايوب قد تخلي الله عنه قليلًا . واما يودس فالي الغاية القصوى * فلا تتشوش ولا تتزعزع اذا تركك الله في امواج البلايا والامتحانات زمنًا يسيرًا . لان هكذا كان فعله بالقديسين والمختارين

الفصل الثالث والثمانون

* في ان البارى تعالي يعزى الذين يودبهم *

يقول بولص الرسول تبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح ابو الرحمات واله كل عزا الذى يعزينا في كل شدايدنا . لان كما ان اوجاع المسيح تتفاضل فينا كذلك ايضاً يكثر بالمسيح عزاونا (قرنتيه ٢ ص ١) * ان الله لايهمل مختاريه ولايتركهم وحدهم في شدايدهم . بل يعذبهم لافراط حبهِ اياهم . ومع ذلك يعزيهم ولايضعف يقينهم كما قال داود النبي الرب قريب من منكسرى القلوب (مزمور ٣٣) * وقد اخبر سليمان الحكيم عن افتقاد الله يوسف الصديق ايضاً بقولهِ ونزل معه الي الجب ولم يتركه في قيوده (حكمة ١٠) ان الله حينما ساق شعبه اسرايل الي البرية ابلاهم بمصايب كثيرة لكنه تعالي كان يعزيهم بخبز السما (خروج ١٦) * والقديس استفانوس في حال تواتر رجم الحجارة عليهِ انفتحت لهُ السما وراى يسوع المسيح واقفاً يقويهِ ويويده (ابركسيس ٧) * ان التاديب في هذه الدنيا تاديب اب لابنهِ . واما في الاخرة فتاديب حاكم مهول شديد الصرامة * الاب ههنا يودب ابنه بيده الواحدة وبيده الاخرى يناولهُ مايحتاج اليهِ من الطعام واللباس ويعزيه بكل فرح وسلوان * وقد قال الله تعالي انا اضرب وانا اشفى (تثنيه ٣٢) .

بالرضى والبشاشة . وكنت تحمده علي سبوغ احسانه اليك * وقد جا في اخبار القديسين عن احد الاتقيا انه كان يخاطب الباري تعالى ويقول . ادبني يارب ههنا وبخني لان هذا هو زمان الرحمة . واشفني والمني في اوان الخلاص * فكما ان من يحترق بيته يسر بمن ياتيه بالما لطفى النار عنه ويقبل منه الما بفرح وليس يحتسب صاحب البيت اعطا ذلك الما لطفى النار اضطهادًا وشرًا بل خيرًا ومنة . هكذا انت من حيث ان بيت ضميرك محترق بنار الشهوة فينبغي لك ان تحتسب ما الشدايد افضالًا وخيرًا لاشرًا . فان الرب يفتقدك بها حبًا جزيلًا لتطفى الشهوات العالمية العادمة النظام والترتيب * لماذا لاتشكر من يتعاهدك بالما وانت محترق بنار الشهوات الحسية * ان الشدايد ليست عليك بل معك وهي توافي اليك لاسعافك لا لاضرارك . لانها تقتل شهوات الجسد وتذيبها وتنعش العقل وتشهر فضيلة الرجل الصالح * فكما ان النجوم في الليل تعطى الاشراق واللميع وتختفي طول النهار علي هذا المثال فضيلة اهل الصلاح لا تظهر في النجاح الحاضر . لكن في ليل الشدايد تتضح ظاهرة علانية * وقد علمنا صبر ايوب مثل هذا . وكذلك ما قاساه داود الملك من الطرد والضيق وما اشبه ذلك * فافرح اذًا متي كنت الان في مثل هذه البلايا معذبًا * شقيًا . لكي لا تكون في الاخرة معذبًا ابديًا *

وهذا هو تعليم روح القدس الذى ذكره الكتاب الالهى عن شعب الله وقت الاضطهاد اذ قال لايظن احد ان المصيبات التي اصابتنا هي للهلاك لكن لتاديبنا (مكابيين ٢ ص ٦) * فربنا اذا عذب الخاطى ههنا ولم يهمله ان يتمادى في الخطية فهذه علامة المحبة الخلاصية . لانه تعالي ليس هو على شعبه المحبوب كما هو علي القبايل الغريبة اذ يصبر عليها ليعاقبها بملو خطاياها اذا اتي يوم الدين . لكن نحن شعبه المختار لا يفعل معنا على هذه الصورة ولا يرفع عنا يد رحمته . بل يودبنا بالشدايد والاحزان في هذه الدنيا . فهذا كله نص كتاب المكابيين الثاني في الاصحاح المتقدم تعيينه * ومن هذا تبين احسن بيان ان شدايد الدنيا ومصايبها الحاضرة انما هي انعام من لدن الله وتعزيات جليلة يخولها تعالي لمحبيه ومختاريه * فاهل العالم لايريدون ان يفهموا هذه النصوص المقدسة . لان كل نعيمهم مجد هذه الدنيا وتحت الاسم المسيحي يكون لهم روح الامم . لانهم يحتسبون سعيدًا من لم تصبه مصيبة ولا شدة من الشدايد البتة * الكل ينهزمون فرارًا من صليب المسيح . وجميعهم يكرهون الشدايد والاحزان ويشكون منها * فلاسبيل لك ان تعد ضربات الله تعييرات بل انعامًا وخيرات فريدة * فانك لو عرفت مقدار علو المحبة التي يعذبك الله بها لكنت تقبل من يدِ كل صنفٍ من التاديب والعذاب

اذ قد اعد لك عذاب شديد لا يطاق * من عادة رب البيت ان يودب تغافل اهل بيته واعراضهم وتهاونهم . وينهيهم متهددًا اياهم متي راهم لا يفعلون ما يجب عليهم . واذا راى قومًا اجنبيين علي ذلك الحال وليس هم من اهل بيته فلا يصنع معهم شيًا من ذلك ولا يعتني بتاديبهم لكونهم ليسوا من حزبه * وانت يا هذا عارف بسيرتك وبارتكابك الذنوب التي تخالف الله بها كل يوم . ومع ذلك فحالك ناجح باستقامة حسب هواك وايثارك . ومن ذلك كان يجب ان تعلم يا جاهل انك لست من حزبه تعالي . علي انك متي سرت بحسب الجسد ولم يودبك الله ههنا فذلك من اوضح البرهان واعظم الشهادة علي انك لست من اصفيا الله تعالي ومحبيه . لانه كما ان رب البيت لا يهتم بتاديب الغربا لكن باهل بيته فقط . كذلك ربنا عز وجل لا يودب الاشرار الخارجين عنا ههنا وانما اهتمامه بخواصه ومحبيه * فاعلم ايها المسيحي ان قلة الاضطهاد وعدم حلول النوايب علامة الهلاك الابدي * وقد يودب الله تعالي المسيحيين بايدي الغير المومنين كما عذب شعبه اسرايل قديمًا بايدي الامم الخوارج . فلاجل ذلك يجب علي المسيحي الصادق الايرتخي ولا يتواني بل يتشدد بنشاط في الديانة والاعتقاد . لان انتصار الاشرار ونجاحهم شاهد علي دوام هلاكهم المخلد وشدايدنا تشهد لنا اننا مختاروا الله *

عشرة سنة باطمينان وحسن حال * فداود واوغسطس فعلا جريرتهما بنوعٍ واحد. فلم عُذب داود ولم يُعذب قيصر. فالعلة في ذلك ان الله الحنون يودب الذين يودهم. فاذ كان قيصر وثنيًا امهل الله عذابه الي جهنم. اما داود فمثل ابن عزيز جلله بكثرة المصايب التي المت بهِ * اعلم ان كل من توهم ظانًا انه لاجل نجاحهِ في هذه الدنيا وقلة مصايبهِ وبلاياه هو حبيب لله ومقبول عنده فقد انحرف عن دايرة العقل والتمييز. حيث ان امر داود وقيصر يبين لنا الامر بخلاف ذلك وهذا امر واضح بين * ولعمري ان هذه علامة كبرى لاصفيا الله ان يكون كل منهم محتملًا الشدايد وصابرًا علي اصناف المحن والنوايب لاجل يسوع المسيح بتجلدٍ وشهامة * يونان النبي خالف الله واعتفى من انذار اهل نينوى. فلما ركب في البحر وكان في السفينة امم كثيرون عصاة ومجرمون كما يفهم من نص الكتاب. هاج البحر في ذلك الوقت من اجل معصية يونان. وبعد ان القوه في الماء هدأ البحر وسكن * فالبارى تعالي ما عذب الا يونان فقط لاجل جنايته واعرض عن مساوى الاخرين الكثيرة ونفاقهم. ولم يكن هيجان البحر الا من اجل يونان وحده. حيث ان اوليك الخطاة سافروا فيهِ سفرًا منجحًا * فلا تفرح بنجاحك في هذه الدنيا ولا باستقامة احوالك. وانما سبيلك ان تنوح وتبكى على شقاوة خطيتك

ويهلك بها ربطه الله بقيود اضطهاد ازبل (ملوك ٣ ص ١٧) * وايضاً بولس الرسول الذى ارتقى الي العلا حتي بلغ السما الثالثة وشاهد العظمة الالهية قد قال عن نفسه هكذا . لئلا استكبر لكثرة ما اعلن لي من الوحى اُعطيت منخزاً في جسدى ملاك شيطانى لكى يلطمني (قرنتيه ٢ ص ١٢) . فها هوذا الرسول قد اقرَ بامتحاناته ومضايقه واوضح السبب وهو ليلا يتجبر ويتسامي بمواهب الله فيهلك * فبهذه الشدايد يواضع الله عبيده ويذلهم . اما من جهة اخرى فينعم عليهم بخيرات وافرة غزيرة . ولذلك قال النبي عصا الخطاة على حظ الصديقين لكيما لا يمد الصديقون ايديهم الي الاثم (مزمور ١٢٤) . علي ان طبيعتنا واخلاقنا لا تتهذب الا بمثل هذه المحن التي ذكرنا * وقد قال لوقا الانجيلى عن والدى يوحنا انهما كانا بارين قدام الله . ومع هذا اصطبرا علي معيرة العقرية زماناً طويلاً (لوقا ١) * ومثل ذلك الرجلان الجليلان موسي وهرون الكثيرا الحب لله . فانهما اذ اذنبا ادبهما الله تاديباً شديداً (العدد ٢٠) * واعجب من هذا كله ما كان من امر داود الملك حين امر ان يحصوا الشعب . فادبه الله بشدة الوبا (ملوك ٢ ص ٢٤) . خلافاً لاوغسطس قيصر الذى عمل مثل ذلك كما قال لوقا الانجيلى انه امر ان تكتتب كل المسكونة (لوقا ٢) ولم يودبه تعالي . حتي انه اقام في الملك بعد هذا الفعل خمس

من حيث انك لاتزكن الامر ولاتفهمه تشكو من غير حجة ولاسبب يوجب شكواك * فوض امورك الى الله وهو اولي بما يعود لمنفعتك . وهو شديد الحب لك افضل من حبك انت لذاتك * فالله تعالي عارف ان طبيعتنا من شانها ان ترتفع بالتجبر من النجاح وحسن الحال والاكرام وامثال ذلك . فليلا تهلك وتضل عن طريق الاستقامة يذللك بالشدايد ويخضع تجبرك . وذلك مثلما اذا كان عند احدنا باشق حسن الهيئة ولهُ عنده مقام ومن افراط حبهِ اياه يناولهُ الطعام بيده ويترفق بهِ . غير انه خيفة من ان يهرب يربطه ويغمه . ولذلك لانحتسب رباطه وغم وجههِ الا محبة لهُ . لانه متي طار هاربًا اشتمله الحزن والتاسي فلذلك يوثقه بالرباط ولو احبه كثيرًا بالزيادة * فداود النبي كان يحبه الله غاية المحبة . وقد خولهُ نعمًا وكرامات حين اقامه ملكًا علي شعبهِ اسرايل ونصره علي جليات الجبار ومنحه روح النبوة واشيا اخر مثل هذه كثيرة . وكان مقبولًا من بيت ال شاول ومن كل الشعب ومحبوبًا وممدوحًا من الجميع . ولكن ليلا يهلك من استقامة احوالهِ من قدام وجه الله لشدة حبهِ لهُ . سمح بتخلية منه تعالي ان يضطهده شاول اضطهادًا شديدًا . وان يكون مخزيًا ذليلًا جايعًا منفيًا مضغوطًا بكثرة نزول المصايب وتعبيرات شتي (ملوك ١) . وكذلك ايليا النبي كان خليلًا لله ولكن ليلا تدخل عليهِ الكبريا

الفصل الثاني والثمانون

* في ان الله تعالي يودب من يحبه *

قال بولص الرسول الالهي من يحبه الرب يودبه ويجلد كل ابن يقتبله (عبرانيه ١٢) * متي كنت خاليًا من نايبة او مصيبة فسبيلك ان ترعب خوفًا . لانه اذا كان البارى تعالي يودب من يقتبله ويحبه من البنين فلاريب ان من لا يودبه بالشدايد والضيقات لايقتبله . فاذا كنت خاليًا من تاديب الرب فما انت ابنًا له بل ابن غير ناموسي . وابن طبيعي للدنيا غير وارث للملكوت المختص لبني الله * ان الذين لايحتملون التجارب لاجل الله لم يسمهم الرسول بني الله . فكيف ترضى انت بالراحة والسلامة * انها لسلوة عظيمة جدًا لصاحب البلوى متي عرف ان مشية الله هي هكذا . اى انه تعالي لايودب اولاده بالغضب بل بالرحمة كقوله عز وجل انا افكر افكار السلام لا افكار الضيقة * ربنا مدبر الكاينات لم يزل مهتمًا بتدبير خلاصك . وبهذه الوسايط الجليلة يصلحه اصلاحًا كليًا . فلاتجعل لله سببًا مانعًا عن تخليصك . لكن اصنع نظير داود لما شتمه شمعي فقال دعوه فان الرب قد امره ان يشتمني (ملوك ٢ ص ١٦) * القِ نفسك بين يدى الرب وانصت لانه تعالي في كل شيٍ مهتم بمنفعتك . فانت

من

تعالي ان يبعث الامراض والاسقام منعاً للخطايا ليلا تستحوذ على الانسان * لعمرى انك لو عرفت ان احد الناس قد قضى عليه بالموت الشنيع واعداوه ينتظرونه في الطريق ليمسكوه لكنت تمنعه عن الخروج وتحذره من ذلك . فالاهنا تبارك اسمه يفعل مثل ذلك اذ انه عارف ان الشيطان والدنيا واللحم هم اعدا النفس . وقد وقفوا منتصبين لهلاكها وهم مضيقون عليها . فلذلك يعيقها تعالي بالامراض الجسدانية ليلا تخرج الي الافعال التي يمكنها ان تهورها في الاثام * فحين قصد فرعون فعل القبيح مع زوجة ابرهيم ارسل الله عليه وعلي اهل بيته ضربات عظيمة (تكوين ١٢) * وقد صارت تلك الضربات كافية لمنع فرعون عن عزمه الردى * فاذا ما افتقدك الرب بالامراض علي اى وجه كان فما هو الا لمنفعتك فالتفت اليه تعالي عطفاً وانت في هذه الحال واثن عليه الحمد والشكر علي كل حال فان كانت نيتك صالحة وعزمت علي الخير . ففي ذلك الوقت تحس بسلوة وراحة سنية في حال اتعابك ومقاساتك * وتوهل لعظيم الجايزة في ملكوت السماوات اذا كنت في حال النعمة بالاحتمال والصبر الجميل * ولعمرى ان هذا لامر مفيد النفس والجسد وهو ان تتقدم الى الرب في حال مرضك وفي كل ضيقة وبلية فانه يجازيك عن ذلك في

* ملك السما *

يصدر منها تاديب عن الخطايا فسبيلك ان تذكر وانت في حال مرضك ما اكثر ماتستحقه من جراير ذنوبك الكثيرة . ثم تفطن ايضاً ان الخطاة الذين هم اقل قبايح منك يعاقبون في سعير جهنم بعقوبات وباصناف من الاوجاع اعظم مما تقاسيه انت من قبل لامك هذه . وبهذا الفكر والهديذ تحسن الصبر وتشكر الله لانه صنع معك رحمةً كبرى وانت اهل لتعاذيب ابدية مبرحة * لكن لانك لاتفكر اى شي انت ولاتخطر في بالك قبايحك وشرورك التي صنعتها فلذلك تشتكى ولا اصطبار لك . فاذا عصرتك الامراض وعركتك الشدايد فالدوا انما هو الرجوع الي الله . وان نزعت عنك اسباب المرض وقطعتها فان الله يحولك صحة الجسد . والا فانه يهبك صحة النفس وجميل الصبر لتربح الملكوت الذى هو افضل من عافية الجسد * وقد ذكر الكتاب ان حزقيا الملك رجع الي الله في حال مرضه وتوسل اليه تعالي فمنحه العافية والعمرَ الطويل (ملوك ٤ ص ٢٠) * واما اخزيا الملك فكان صنيعه بعكس ذلك . لانه لما حل به المرض اصرَّ علي عصيانه ولم يتب الي الله ومات موتاً قبيحاً كما قال له ايليا عن وجه الله (ملوك ٤ ص ١) * وذكر الكتاب ايضاً عن اسا ملك يهوذا انه بلى بمرض النقرس في رجليه واشتد به المرض ولم يطلب من الرب وهو في هذه الحال فلاجل ذلك مات وقبر (ثاني الايام ١٦) * ان من عادة البارى

وعمون وغيرهم من المغتصبين الذين كانوا يقهرونهم قهرًا عنيفًا . لانهم كانوا كلما ارتكبوا العصيان والنفاق سلط الله عليهم هولاء الامم الكافرة المقدم ذكرهم . وحينما كانوا يرجعون اليه تعالي بالتوبة فكان يرسل لهم مخلصًا يخلصهم من اعدايهم * وكما ان الواحد متي جُرح في مكان مظلم فيخرجه الطبيب الي الضو ليعالجه . هكذا انت يا انسان فكلومك مخفيّة داخل نفسك وانت لاتراها فلذلك يكشفها الله في الجسد لكى تظهر كلوم النفس مكشوفة للعيان وتُطبب بعد ذلك وتشفى * وهذا هو السبب ان امراض النفس التي كنت لاتبالي بها طول السنة ولايهمك امرها اذا ضرب الجسد بمرض او بعلة فحينيذٍ تهتم بها وتُشفى تلك الاوصاب والعاهات النفسانية * وقد نرى اقوامًا يرجعون الي الله وقت المصيبة ويعترفون مقرين بخطاياهم ويثقفون امورهم ويهذبونها ويصلحون طريقهم وسيرتهم * ارايت كيف يخرج الله اوصاب النفس خارجًا ليشفيها عندما ينزل الاسقام بالجسد . فاذا كان البارى تعالي يبعث الامراض لاجل هذه العلة فلامحالة انك تشفى من عاهات الجسد ان شفيت امراض النفس * فالكنيسة المقدسة لاجل ذلك توصى الاطبا ان يحرصوا ويوصوا بمداواة انفس المرضى اولاً . اى ان يعترفوا ويتناولوا الاسرار المقدسة قبل تناول الادوية الطبية * فاذا كانت الامراض

فيوصى الا تعطى لهم الجراية المالوفة لسبب مخالفتهم . كذلك الباري سبحانه يعدمنا عافية الجسد والقوت ان كنا لانعمل مايجب علينا . كفعله بشعب اسرايل لما عذبهم بالجوع الشديد علي عهد ايليا النبي حيث قطع هطل الامطار علي الارض نحو ثلاث سنين ونصف بسبب اثام اخاب الملك وازبل امرأته (ملوك ٣ ص ١٧ وماذا كان سبب حلول الغضب على اهل سدوم والانتقام منهم الا الخطايا وارتكاب المعاصى . فلو وجد عشرة صالحين في المدن الخمس لكان تعالي غفر لها لاجل العشرة (تكوين ١٨ و١٩). لانه متي بطلت العلة بطل المعلول ايضاً . وكذلك الخطايا متي بطلت كفت الضربات ايضاً * ويونان النبي حين انذر وكرز في مدينة نينوى قال من الان الي اربعين يوماً تخسف ارض نينوى . ولكن لاجل توبتهم ابطل الله الحكومة الجازمة التي قضى بها عليهم . لانهم عرفوا ان يتعوضوا بالتوبة عن الذنب ولما بطلت الخطايا كفت الضربة ايضاً * (يونان ٣) * ومن هذا النموذج سبيلك ان تتعلم تثقيف ذاتك في زمن شدتك ومحنتك واصلاح طريقتك بالدموع والزفرات وكمال انسحاق القلب وغسل ذنوبك واوزارك * فهذا هو الدوا الفريد الصادق الذى نجت به اهل نينوى وخلصوا من قضا الله عليهم وصرامة حكومته * وبهذا الدوا خلص بنوا اسرايل من كوشان الملك وعجلون ونانين ومادايان

سبب المرض الجسدى الذى هو الخطايا * وقد قال موسي لشعب اسرايل ان لم ترد تسمع صوت الله فانه يضربك بالفنا والامراض والعاهات (تثنيه ٢٨) * فعدم طاعتنا لله عند ما نعتفى من سماع صوته هو الذى يكون سبب الضربات والامراض التي يبعثها الله لنا كما قال موسي النبي . فلذلك عالج هذا الدا واعتني ببروه واقطع السبب ان رمت الشفا * فهامان لما اراد هلاك الشعب الاسرايلى بادرت استير الملكة الي الله بالطلبة قايلة قد اخطانا بين يديك ولهذا اسلمتنا بايدى اعدايا (استير ١١٤) . وبهذا قد اوضحت ان الخطايا كانت السبب لنزول ذلك الغضب بهم لان سياتهم كانت تحاربهم اكثر من الملك احشوروش ومن هامان وزيره . وهذه المساوى كانت علة الشرور والاسوا التي اشتملتهم . ومن هذه الجهة ما عتبت الملكة الصالحة علي الملك ولا على هامان لكن علي الخطايا * ولما كان اليهود في عبودية سلمانا صر ملك اثور في مدينة نينوى . ونظر طوبيا الظلم والبلايا التي يقاسونها قال مخاطبا الله هكذا . لاننا ما اطعنا اوامرك فلاجل ذلك اسلمتنا سبيا ونهبا وقتلا (طوبيا ٣) * فظهر ان سبب عبودية ال اسرايل ومصايبهم انما هو خطاياهم كما قال الصديق . فبعلة الخطايا يبعث الله على الناس القتل والامراض والبلايا القادحة * فمثل ما ان رب البيت اذا خالفه غلمانه وعصوه

انما يشتهي ما يضاد الروح والروح تريد ما يضاد الجسد . وهما عدوان الواحد بازا الاخر (غلاطيه ٥) . فاذاً قد ظهر ان الضعف وعدم القوة الجسدانية هو قوة للنفس وصحة لها . وذلك علي ما قال ابن سيراخ ايضاً ان السقام الشديد يجعل النفس عفيفة (ص ٣١) * وكما ان البدن لايتبين ظرفه وجماله الا بخلع الثياب عنه . هكذا قوة النفس لاتعرف الا بعد فقد العافية . لكونها تختبر وتجرب مثل الذهب في الكور *

الفصل الحادي والثمانون

في بيان باى نوع ينبغي لنا ان نشفي الامراض والاوصاب الجسمية *

قال داود النبي كثرت امراضهم وبعد هذا اسرعوا (مزمور ١٥) * اى اقتربوا بامراضهم الي الله فشفوا * دوا الشرور انما هو عدم اسبابها . وسبب الامراض في غالب الامر انما هو الخطايا ومنها تحدث الامراض جميعاً اذ قد تولدت ونشات من معصية ادم * فازل اذاً سبب المرض ونق ضميرك من المااثم اذا شيت ان يخلصك الله من الامراض والاتعاب التي تعانيها * ان السيد لما اشفى المخلع الذى احدروه من السقف فاولاً غفرلهُ خطاياه ثم منحه برو الجسد فيما بعد (متي ٩) . لانه تعالي بما انه طبيب ماهرٌ ازال اولاً

عن ثوبها الذى هو الجسد عوايد السجة واخلاقه الردية . ويقمع الشهوات الشنعة الدنية * وكما ان الطيور ترعب الازوال التي يجعلونها علي الاشجار وفي المزارع . كذلك الجن ترهب من الامراض وترتعد خوفاً . والذين يحاكون الاطفال بالانعكاف علي الملاذ الجسماني ينفطمون بالامراض عن لذة شهواتهم القبيحة . وبها اى بالامراض تتبدل الدراهم الردية بالجيدة . لان الخطايا التي هى اقبح البضايع في العالم والاوزار السجة تغيرها الامراض وتنقلها الي الحسنات . وتجعل الانسان اشد باساً علي مصارعة التجارب كقول الرسول اني متي كنت مريضاً فحينيذٍ انا اقوى (قرنتيه ٢ ص ١٢) * فكيف يمكن ان المريض العادم القوى يكون اقوى من الصحيح البدن . فاعلم ان النفس لها ثلاثة اعدا وهم ابليس والدنيا والجسد . فاذا كان الجسد مريضاً فيعود احد اعداء النفس مغلوباً في ذلك الوقت . ولا يكون الجسد مغلوباً فقط بل مساعداً لها ايضاً . والنفس التي كانت من ذى قبل تحارب ثلاثة في اوان صحة الجسد ففى وقت مرض الجسد تقاوم اثنين . وليست هى وحدها في هذا القتال لكنها مستعينة بالجسد ايضاً . فمن قبل كان ثلاثة يناصبونها والان يكون اثنان بازاء اثنين . ولهذا السبب قال الرسول عن نفسه انه يكون اقوى متي كان مريضاً * ثم قال في محل اخر ان الجسد

قلوبنا ثقل المساوى القبيحة المفعولة منا ونرجع اليه بجملة قلوبنا * فكما ان حبة القمح وقت الدراس تخرج من قشرها الكاينة فيه . هكذا اكثر الناس منحصرون في داين الخطايا . فمتي دُرسوا بنزول الامراض بهم وحلول البوءس والضيقات فانهم ينصرفون عن اثامهم ويهملون السيرة الردية السالفة * وكما ان مر المآكل يكون سببًا للقي والاستفراغ . كذلك مرارة الاسقام الجسدانية تسبب للانسان التهاون بالعالميات فيتقاى ما يلذ الحواس * وكما ان من اراد الدخول الي مدينة منيعة فيهدم اسوارها . هكذا ربنا عزَّوجل متي منعناه عن الحلول داخل انفسنا فانه يوهن الجسد ويضعفه وحينيذٍ يدخل الي القلب . وهذا قد اوضحه الرسول مصرحًا بقولهِ انا افتخر بامراضي مسرورًا لتحل عليّ قوة المسيح (قرنتيه ٢ ص ١٢) * وكما ان الامراض تحلل الاخلاط الردية من البدن وتنشفها حتي ان كثيرين بعد برءهم من المرض يعودون الي صحة افضل من الاول . هكذا البارى تعالي من عوايد لطفهِ ان يفعل مثل ذلك في الانفس وينقيها من سجاياها الردية ونقايصها السجية * من شان المرض في غالب الامران يصلح الضمير ويغير السيرة . وينزيل عن النفس ما عليها من الديون والغرامات ويغنيها بالخيرات الروحية . ويعيد اليها كل ما اضاعته في حال الصحة . وينفض

وتخشع الانسان وتدله على معرفة خالقه ومعرفة ذاته . ويالهذه الامراض التي تقوم العوايد المعوجة وتصلح رديها وتجمع الانسان الي داخل ذاته * وتبًا لهذه العافية التي تخفف القدمين للمشي في طريق الخطية وسبيل جهنم . وبيس العافية التي ترخي عنان الشهوات وتميل بالانسان الى محبة الارض الدنية وتنسيه السما العليّة * لعمري ان مرض الجسد ليس هو الاشفاء بل دواء حقيقيا . فكما ان الصاعقة تضرب الارض وتمضي في الجو . هكذا الامراض والمحن توهن الجسد وتعذبه بالاوجاع لكنها تطهر النفس وتصيرها اجل بهاء وافضل اشراقا * فمثل ما كان ربنا يشفي بماء البركة الغنمية اسقام الجسد كلما حركها الملاك (يوحنا ٥) كذلك يهب الشفا بالمصايب والامراض للنفس الموعوكة بالاسقام * وقد ذكر الكتاب المقدس . ان يواب حاصر مدينة ابله وخرب اسوارها وكان يشد علي اهلها بالضر والضيق من اجل رجل خاين قد احتمى بها يدعي شبع بن بكرى . وهذا كان قد عصا داود الملك . فعقد يواب معهم عهدًا الهم ان اسلموا شبع رفع عنهم الحرب والحصار (ملوك ٢ ص ٢٠) . ونحن علي هذه الصفة يوجد داخل مدينة قلبنا محبة الذات عدو الملك السماوى . فمن هذا القبيل ينهك الله اسوار جسمنا بالامراض والاسقام . وهذا يصنعه مدبر الكاينات لغزارة شفقته وحنوه علينا . لنطرح عن

في حفرة جهنم . يمسكك ربنا في ذلك الوقت وياتيك بالامراض وضروب المصايب * والشاب الذى قد شغف بحب الدنيا وغرورها . يمسكه الله عن ذلك حين يفتقده بمرض شديد ليعترف ويصلح طريقه * وهو تعالي مثل طبيب راوف شديد المحبة لنا يعدم بواسطة المرض حسن الجسد لمن عصاه . لانه خير لك وافضل ان تكون فاقد الحسن والجمال ولا تهلك به . ومن كان سالكاً في طريق جهنم يعيقه الله تعالي عن المسير فيه بعدم العافية الجسدانية ليلا يدمن على ذلك . فمتي بعث لك الله مرضاً او وصباً وامثال ذلك . فليكن عندك معلوماً انه قد اقترب منك كما كتب في سفر ايوب ابسط يدك واقترب الي عظامه (ايوب ٢) * ففرعون بهذه الضربات ولمس يد الله رجع الي ذاته وعرف الله وطلب من موسي وهرون ان يتوسلا الي الله من اجله (خروج ١١) * ومنسا ملك يهوذا بسبب صحة جسمه وعافيته كان يبادر بالسعى الي جهنم اشد مبادرة بواسطة كثرة معاصيه وارتكابه جملة المحارم . فاذ اقترب الله منه ولمسه فوقف عند حده ورجع تايباً (ملوك ٤ ص ٢١) * وحزقيا الملك اسا الي الله فعوقب بمرض شديد جداً . فرجع الى الله بعبرات وزفرات وبهذا الصنيع اهل لان يمنحه الله الشفا وعاش عمراً طويلاً (ملوك ٤ ص ٢٠) * فيالها من امراض سعيدة التي توصل الناس البشريين الي الله .

عنه بمبالغة للوقت . كانه يسمع من الرسيل ما قال ابن سيراخ قبل القضا هيي لك البِرّ (اصحاح ١٨) * وقد يوجد البعض من ذوى الاسقام لايتوبون عن المعاصى ولايهملون اثقال الاوزار الا بنزول كثرة الامراض . ولاجل هذا قال داود النبي كثرت امراضهم وبعد هذا اسرعوا (مزمور ١٥) * ويوحنا الانجيلى يقول ان جمعاً كبيراً قد تبع المسيح لانهم كانوا يعاينون الايات التي صنع في المرضى (يوحنا ٦) * وقال لوقا الانجيلى ايضاً مرضى كثيرون كانوا ياتون الي السيد وكل من كان بهِ مرض او وصب (لوقا ٦) . فاذا كانت الاشيا التي تجذبنا الي الله وتميلنا اليهِ جيدة . فالامراض اذاً جيدة لانها توصلنا الي السيد المسيح كما تبعه اوليك المذكورون * وقد جاء في الانجيل عن ذلك الملكى انه فتش علي السيد من اجل مرض ابنه (يوحنا ٤) * وعن بختنصر الملك الظالم قال الكتاب انه تاب بواسطة الشدايد والامراض وخلص فيما بعد (دانيال ٤) * فلو رايت احداً صعد الي مكان عالٍ ليطرح نفسه في البحر فامسكت انت قدميه . فهذا ولو تفككت اعضاوه اما تكون قد فعلت معه جميلاً . وخير لهُ ان يعيش اعرج مما يموت بالنفس والجسد مطروحاً باختياره * فكثير من الخطاة يسارعون علي ما قال ارميا النبي الي الموت ركضاً كالخيل بلا لجام (ص ٨) . واوقات كثيرة وانت في رقدة الاثام والمساوى المتنوعة ملقى طريحاً

الفصل الثمانون

* في بيان المنفعة الصادرة من العلل والامراض الجسدية *

ان اشعيا النبي قد خاطب الله قايلاً بضربات الامراض تعلم اسرايل ليعرف ما يحفظه * اعلم انه لاشي من الاشيا يصير من دون ارادة الله . وهو مدبر مختاريه في ساير الاحوال لما يعود لمنفعتهم سيما في الامراض . كون الامراض تعليماً ومحبة ابوية . فهي تعليم يعرفنا اباطيل الاشيا الجسمانية الفانية ليلا تخاتلنا وتغشنا كقول النبي اعلاه . وهي محبة ابوية اذ بها يودبنا البارى تعالي كالاب الشفوق لنرجع عن شرورنا ومساوينا التي نفعلها كقول الرسول ان الله يجلد كل ابن يقتبله . ومن لايودبه الله ههنا فلا يحسب له ابن (عبرانية ١٢) * فالامراض انما هي كالاسنة تنخزنا لننهض سريعاً من حماة الخطايا والادناس * وهي ايضاً كدعوة رسول . فاذا كان المرض مرض الموت فدعوته لازمة ولابد منها . وان كان ليس هو بمرض الموت فانه منبه للمريض من الغفلة . فمن هذه الجهة سبيل المطلوب ان يصالح الحاكم الذى هو عتيد ان يحضر بين يديه . وان يبذل مجهوده بهمة كلية في كيفية الظفر بنعمة الوكلا والشفعا السماويين . ويحرص بكل نوعٍ من الانواع ليلا توجب عليه القضية * وهذا جميعه يجب ان يفحص

لا تكن مشيتي بل مشيتك (متي ٢٦) * ارايت كيف وقع السيد كالحنطة بين اقدام من ينقيها. فهكذا اعمل انت في حين نزول المصايب وكن مثل القمح مطروحاً تحت قدمي العظمة الالهية * فمن عادة الشدايد ان تكشف حال كل امر ما هو كما جرى للمصريين في البحر الاحمر. فانهم غرقوا وبادوا والعبرانيون نجوا وخلصوا. وزمن المصايب هو كالبحر المالح البعض يخلصون فيه والبعض يغرقون * فالبحر الاحمر قد صار لقوم مجداً وشرفاً ولقوم هواناً ومعياراً. وفتح لقوم ارض الميعاد واهلك اخرين وفتح لهم ابواب جهنم * كل ما هو للخطاة مضر فهو للصديقين نافع مفيد * وكما ان الزفت الاسود اذا سحق يعود ابيض بعد سحقه. هكذا الصديقون اذا مسهم في نجاحهم شي ردى مولم فانه ينزع عنهم متي انسحقوا واصيبوا بالشدايد * ان تاديب ربنا تبارك اسمه كتاديب اب حنون لاينسي الشفقة الابوية ابداً. بل يودب عباده بالرحمة والرافة. اما تاديب الحيوة الابدية فيكون تاديب انسان مغضب قاس بلا شفقة ولا رحمة كقول النبي خطاباً لله. ترعاهم بقضيب من حديد وكمثل انية الفخار تسحقهم (مزمور ٢) * فليكن أحب اليك ان تكون مطروداً في هذه الدنيا. وان يكون افتقادك بالمصايب والمحن. لانك بعد قصر زمان ورودها عليك ومقاساتها تحظى بالخيرات المفضلة التي لاتدرك ولا توصف *

القديسين الكبار لا يربون الا في الاتعاب والمشقات الكثيرة ومرارة الشدايد * ومن هو من العظما لم يضطهد . ولعمري انه ليس الا لشقي الناقص الحظ الذي لا تصيبه شدة ولا نايبة من نوايب الزمان في هذه الدنيا . وتعيس النصيب من لم يكن له زمرة من الاعدا والمنازعين * قاول كل شي مما صنع الله مع بولص الرسول وقت رجوعه انه اعماه واسقطه علي الارض . ثم بعد ذلك ابلاه بمحن كثيرة . وذلك ليعلمنا ان البداية في خدمة الله تعالي لا تكون الا بالشدايد * فمثلما ان القمح يكون في البيادر مخلوطاً بالتبن . هكذا تكون الاشرار مختلطين بالصديقين . ولكن عند ما تهب رياح الشدايد العاصفة تضمحل الخطاة بالبغضة والغضب . واما الصديقون فيلتامون جميعاً . والشدايد تختبر كليهما موضحة من هو القمح ومن هو التبن * فالحنطة تسقط تحت رجلي الرفاش والتبن يدريه الهوا . فانت متي اتضعت وسقطت تحت رجلي يسوع المسيح في اوان البلايا وتقدمت اليه بمطابقة مشيئته الالهية . فحينيذٍ تكون من خالص الحنطة التي لا يشوبها شايبة . ولكن اذا اعاقتك الشدايد وابعدتك عن المسيح . فما انت الا تبن لا يصلح الا للنار . واذا وجدت فيك رزانة الفضايل فانت حنطة لا محالة . والا فما انت الا تبن فارغ * فسيدنا يسوع المسيح كانت الشدايد تذريه في البستان . لكن هو خر على وجهه قايلاً يا ابتاه

هكذا مياه المحن والبلايا ترقي الانسان وترفعه الي الله . وبها يتضاعف الاجر ويعظم وتفيض النعمة وتكرم * فكما ان رايحة البخور في النار تعطي لذة نفيسة للمشام . كذلك خير الصديقين تفوح نكهته في نار التجارب * ومثلما ان ما المطر ينمي غلال الارض . هكذا حلول المصايب علي النفس ينمي اشتياقها الي السما * وكما ان المر يحفظ الجسم من الفساد . هكذا الشدايد تحفظ الانسان وتقيه من المعاصي والسيات وقد ايد ذلك الرسول بقوله ليلا استكبر لكثرة ما اعلن لي من الوحي اعطيت منخزًا في جسدي ملكًا شيطانيًا يقرعني (قرنتيه ٢ ص ١٢) * وقد راى بختنصر في الاتون ابن الله حافظًا الصديقين المظلومين وصابنًا اياهم بوقايته العزيزة (دانيال ٣) . ان الله يريد ان يستنقذ الانسان من التعاذيب العتيدة . وهو تعالي يريد هذا الخير العظيم بواسطة الشدايد الحاضرة . فلاجل ذلك سبيلك ان تختار لنفسك ان تكون مع بني الله في الشدايد ولا تكون مع الهالكين في نجاح الدنيا وقد قال المرتل في ذلك اخترت ان اطرح في بيت الاهي افضل من سكناى في مساكن الخطاة (مزمور ٨٣) * وموسي النبي رضي ان يكون مطرودًا مع شعب الله افضل من التمتع بالفرح الزمني . ولذلك انكر كونه ابنًا لابنة فرعون (عبرانيه ١٢) . وكما ان الحيتان الكبار لاتتربى الا في ما البحر المالح . كذلك عظما

الدنيوية . لانه يفعل ذلك سماحاً لتعرفه حق معرفته * ففرعون في وقت طول المصايب عرف الله (خروج ٨) . والشياطين عرفوه لما عوقبوا بحضور السيد المسيح واقروا معترفين انه هو (لوقا ٤) * فاذا كنت في حال التجارب وورود الاحزان لم تعرف الله ولا رجعت اليه فانت شر من فرعون واشد عصياناً من المحال اللذين عرفا الله وقت المصيبة * فبمرارة الشدايد يحصل لك حسن النظر والمعرفة مثل ما حصل لطوبيا النظر بمرارة الحوت (طوبيا ١١) * وقد يتفق ان اناساً بعض الاحيان يتخطرون بالطمانينة وعدم الخوف في ميدان طعن الثيران بالسهام . ولكن متي راوا ثوراً مقبلاً انهزموا واختبوا . وقد كانوا قبل ذلك يتمشون بامان وعدم خشية . وانت علي هذا القياس . فيرسل لك الله شدايد ونكبات في هذه الدنيا لتتحفظ وتحتبي في موضع مامون . وتعود اليه تعالى وتلتجي الي وقايته الحريزة . وقد قال النبي في هذا الشان كثرت امراضهم ومن بعد هذا اسرعوا (مزمور ١٥) * فكما ان الخيرات الدنيوية ورغد العيش ههنا يبعدك من الله تعالي . هكذا الشدايد تقربك اليه كما ان النبي دعا الرب عند شدته (مزمور ١٨) فعلى قدر ما كان ما الطوفان يزيد ويكثر بقدر ذلك كانت سفينة نوح ترتفع (تكوين ٧) . وعلي نحو ما كانت الشدة تعظم على ال اسرايل بمصر كان الشعب يتزايد ويكثر باضعاف ذلك (خروج ١) *

خرجوا ثمانية ايضاً مثل ما دخلوا (تكوين ٨). ومن هذا استبان تاكيداً ان النوايب والاحزان تصد الانسان ليس عن المخالفة لله وعن كل ما هو محرم فقط. بل تنسيه ايضاً الفرح الذى يقدر ان يستعمله خلواً من خطية * وما هو اعجب من ذلك هو انه لاخروف ولا اسد ولا حيوان اخر ولد في مدة اقامتهم تلك في السفينة * وذلك لتعلم الفايدة الجليلة التي تصدر عن الشدايد المانعة من ذاتها شهوة الحيوان الغير الناطق الحسية اذ تصيرها ان تنقاد لها خاضعة * فلاجل ذلك لاتطلب من الله ان يخلصك من المحنة او البلية. ولكن الاولي ان تطلب منحة الصبر عليها. وهذه المكاره والبليات تحصل منها هذه الفوايد الجليلة. وليس هذا فقط لكن تنير العقل والذهن ايضاً * وقد اوضح الكتاب المقدس ان يوسف الصديق لما ترحب باخوته واكرمهم ما عُرف منهم * لكن عند ما نزلت بهم النوايب عرفوه في ذلك الوقت (تكوين ٤٥). وكذلك انت يفتقدك الله بالشدايد لتعرفه بكمال المعرفة. حيث انك بنيل الاحسان تنحرف عن المعرفة به تعالي بل تنام متغافلاً وتنساه. فيقطع عنك في ذلك الوقت اللذات ومباشرة ساير الاشيا التي تثق بها كما صنع داود النبي مع شاول. لانه اذ اخذ منه الحربة وقسط الما فحينيذٍ استفاق شاول وعرف خطيته (ملوك ١ ص ٢٦) * فلا تحزن اذا قطع الله عنك التعزيات

ولتبن اسوار اورشليم (مزمور ٥٠). وقد قال بطرس الرسول انتا حجارة حية (بطرس ١ ص ٢) * ففي القصور المشيدة ذات المجد والشرف لاتستطيع ان تبتني لك مسكناً مالم تنهدم الحجارة وتنحت وتجلى بضرب الحديد والالات. هكذا لايمكن ان تبني منزلاً في اورشليم السماوية الا بعمل الشدايد والضيقات الكثيرة التي يجب عليك مكابدتها * ان المغتصبين والمضطهدين هم الفعلة والعمال الذين يجلون باداة الجلا. وكل من ابى مصابرة الاضطهاد ونزول المشقات فليس هو براغب البنيان لمنزله في اورشليم السماوية التي هي الملكوت * ان داود النبي والملك كان افضل من سليمان ابنه. وقد عرفنا ان الاب خلص واما الابن فوقع الشك فيه والارتياب * فعمر داود كله كان ممتلياً بالاتعاب والشدايد والدموع. واما سليمان فبخلاف ذلك حيث ان عيشته كانت رغدة مستمرة في التنعم والنجاح. فالشدايد اثبتت خلاص داود ونجاح سليمان اوقع الشك فيه * فالمصيبة انما هي قرينة امينة للنفس. واما حسن الحال فهو عدو مفسد لخيرات النفس فساداً كلياً * ان الشدايد تلجم الشهوات الردية والنهضات البهيمية كما ظهر بيانه قديماً بالذين دخلوا الى السفينة. حيث انهم كانوا ثمانية انفار اربعة رجال واربع نسا. وقد استمروا عاماً كاملاً والغطا عليهم كما هو واضح في الكتاب المقدس. ولما خرجوا من السفينة

والذل والهوان كما صبر علي مثل هذا سيدنا يسوع المسيح * لا تكن رغبتك في نعم الدنيا . اذ ان هذه لاتفيدك شيًا البتة بل تعيقك عن السعي في سبيل السما . لكن انتظر ذلك اليوم الكلي المجد كعبد امين لربنا يسوع المسيح الذى فيه تنال الحظ الصالح في الخيرات الابدية والتمتع بالحيوة السعيدة الي الابد امين *

الفصل التاسع والسبعون

* في بيان المنفعة الناجمة من المصايب والشدايد *

يقول الكتاب المقدس انه بشدايد كثيرة ينبغي لنا ان ندخل الى ملكوت الله (ابركسيس ١٤) * فكن صبورًا علي مكابدة البلايا والمشقات لان الرب يقول انا معه في الحزن (مزمور ٩٠) * وقال سليمان الحكيم ان الهوان والحاجة رسول امين * فكما ان من شتم رسول الملك يكون كانه شتم مرسله . هكذا الذى يشتكى من الشدايد الواردة عليه فانه يسيء الى الله اساءً بالغًا . وهو تعالي ينتقم من مثل هولاء مثل ما انتقم داود من بني عمون عن اساءهم الي المراسيل الذين انفذهم الي حنون ملكهم (ملوك ٢) علي مثال مايعمل الرفش في الحنطة والمبرد في الحديد والنار في الذهب هكذا تفعل النوايب والمحن وتوثر في الانسان * وقد قال النبي والملك خطابًا لله تعالي اصلح يارب بمسرتك صهيون

والتهاون بما شاكلها * ليس للاشرار نصيب في السما ولا للاخيار ههنا ان يقتنوا شيأ . وهو تعالي يرسل الحوادث والمصايب علي محبيه في هذه الدنيا لكيما يعجلوا بالمسير نحو السما بغير عايق ولا مانع * ان المسافرين في زمن القيظ اذا راوا مكانا رطبا يوجد فيه ماء واشجار نزلوا هناك ليستريحوا . غير انهم في هذه المدة القليلة التي يقيمونها يخسرون مسافة طريقهم . ولاجل ذلك يعطى الله لمختاريه ههنا طرايق خشنة ليكونوا مواظبين علي رحيلهم دايما الي جهة السما ولا يعيقهم ملاذ هذه الدنيا ونعيمها * فكما ان حرارة الشمس ويبوسة الطريق تحمل المسافر علي المشي ليبلغ المنزل من غير توقف . هكذا شاء ربنا الجزيل الرافة ان تكون عيشة المسيحي خشنة حزينة . حتي انه باستكراه هذه العيشة يرغب في تلك الحيوة السعيدة بشوق وتلهف * لما اراد الله اخراج ال اسرايل من مصر اراد ان يضطهدهم فرعون ويضيق عليهم (خروج ٣) * ويعقوب وهو في بيت لابان بكل كرامة ومحبة لم يخطر بباله الرجوع الي وطنه . ولكن لما صار لابان يضطهده ويهينه قال لراحيل وليا انني اريد الانطلاق الي ارضي لاني ارى وجه لابان ليس معي مثل امس واول من امس (تكوين ٣١) * ولعمري انه كما ان شرف الجندي انما هو رفع راية ملكه او قايده . هكذا شرف المسيحي هو احتمال الطرد

من غيرك او يكون لك دالة عند الله اكثر. لكن سبيلك ان تذكر ما اخبر به الانجيل الشريف عن الغني الكثير الاموال بقوله انك قبلت خيراتك في حياتك ولعازر كذا بلايا والان هذا يستريح وانت تعذب (لوقا ١٦) * فاذا كنت ياهذا ذا كرامة وجاه وخيرات ارضية فاعلم ان خلاصك شديد الخطر. وهذه علامة بينة انك بعيد من وراثة الملكوت. ولذلك لم تجز الشريعة ان يرث ابن الزنا مال ابيه حتي ولا ابن الامة كما ان ذلك ظاهر بما فعل ابرهيم. اذ انه وهب لاسمعيل وبقية اولاده هدايا وارزاقاً. اما اسحق فقد استورث كل ماله وارزاقه واملاكه وصار خليفة لذرية ابيه * فهكذا ربنا يعامل الذين قد عدلوا عن ابيهم الحقيقي بالاثام وانحرفوا عن الله تعالي لاجل خيرات هذه الدنيا واكراماً للاموال * ان الذين يسيون الي الله ويرتجون بعيشتهم رغداً في هذه الدنيا مترعين من خيراتها. فهم ممنوعون من وراثة الملكوت المعدة للصديقين المستخفين بنعم الدنيا والمعرضين عن هباتها المنتظرين كالبنين الناموسيين وراثة السما. خلافاً لاهل العالم الذين يمكثون في هذه الخيرات مستمرين بغير رجا ان يرثوا فيما بعد خيراً اخر * اذا رايت الاشرار ناجحين في هذه الدنيا فلا تتعجبن من ذلك. ان الشريعة المسيحية لم تاذن بنعم وخيرات ونحو ذلك. بل بالزهد والاعراض عن مثل هذه

ليلا نفتخر باطلاً بنعم الاكابر علينا والكرامات الانسانية لنا * وقد يسمح اللطف الالهي ان يمضنا وجع مدمة الغير لنا وتعييرهم ايانا . حتي اذا عظمنا صوت المادح يخضعنا ويذلنا لسان المعيير والثالب * ان التوبيخ والاسا باللسان يرشدك الي معرفة ذاتك . ولكن الخيرات متي دخلت النفس فانها تسلب عن الانسان نور المعرفة بذاته كما فعل انتيوخس الذى حين دخل الهيكل اخذ منارة النور (مكابيين ١) * جليس الروسا يجهل معرفة ذاته والكل يعرفونه . اما الرجل الدني الحقير فانه يعرف ذاته وهو غير معروف من الناس * لعمرى ان معرفة ذاتك خير لك من ان تعرف كل شي وانت جاهل نفسك * ان العطايا والصلات العالمية يتولد منها حوادث ومضرات اكثر من الاسايا . والمحبة توذى اكثر من البغضة والغضب * ولربما ان الغضب يضطهدك احياناً ولكن هذا الاضطهاد مفيد جداً . لانه يحمل الانسان علي التواضع والخضوع ويجتذبه الي معرفة ذاته . اما المحبة فتعمى الانسان وتجعلك ياهذا ان تجهل ذاتك . وان تكون غير مطلع عليها ولا عارفاً بها . ولهذه العلة اصلح لك ان تكون مطروداً مهاناً مما تكون ذا نعم وخيرات . لانك بالشدايد والملمات تصادف الله تعالى . اما في النعم والخيرات فانك تعدمه وتبتعد منه * فلا يخال لك انه بنجاحك في هذه الدنيا وخيراتك الوافرة تكون افضل

وكذلك ابنا زبدى عند ما رايا ان السيد قد انعم عليهما وانهما اقرباوه بالجسد . التمسا الجلوس الواحد عن اليمين والاخر عن الشمال وان يكونا مقدمين علي بقيّة الرسل (متي ٢٠) * وفي نشيد الانشاد يقول . ان العروسة المقدسة لما سمعت مديح العروس لها بانها بديعة الجمال بين النسا . قالت اخبرني يامن احبته نفسي اين ترعي اين تضجع وقت الظهيرة (نشيد ١) * ولكن البارى تعالي اخضع تشامخ هولاء وتجاسرهم بقوله لموسي ماترى وجهي بل تبصر ما وراى . ولابني زبدى يعقوب ويوحنا قال اتقدران ان تشربا الكاس التي انا عتيد ان اشربها . وقال للعروسة ان لم تعرفي ذاتك اخرجي * فاذا كنا نستعمل مواهب الله بالردى حتي نتجبر بها وننحرف عن استقامة المعقول . فالنعم الدنيوية ماذا عسي تفعل بنا * ان الخيرات التي نالها يوسف بمصر من مولاه ما كانت الا خطرًا عظيمًا لان يعصى علي الله ويهلك نفسه . فلذلك لاتظن ان الخير الانساني يفيدك شيًا سوى ماتقدم ذكره وهو المخالفة وهلاك النفس * فكما ان الخمر الصرف يسكر الراس . وصاحب البيت متي راى احدًا يشرب الخمر صرفًا في منزله زايدًا عن الحد فانه يوصى ان يعطى له ممزوجًا بالماء . هكذا اربنا تعالي اسمه يريد ان تكون النعم الانسانية التي تسكرنا وتعكر معقولنا ممتزجة بالما الذى يسكبه اهل الاضطهاد . وذلك

واثمار انصابهِ في ملك السما الي الابد *

الفصل الثامن والسبعون

* في بيان اباطيل النعم والهبات الانسانية *

قال الكتاب المقدس ان هامان كان من نبلا الملك وجليسه وكريماً عنده (استير ٣) * ولكن ايتما فايدة نالها من منادمة احشورش الملك وماذا حصل لهُ من كرامتهِ وصحبتهِ ما خلا هلاكه وعلة سقوطهِ الفظيع . فبهذا الانتها تنتهي النعم الانسانية والاكرامات الممنوحة من الملوك والروسا والمسلطين * اعلم ايها الانسان ان خلاصك بين مخاطر كثيرة ههنا الي هذا الحد حتي في انعام الله التي يجود بها علي عبيده يوجد مثل ذلك ايضاً . لكون طبيعتنا ضعيفة جدًا . حتي انها في حال ورود النعم عليها ترتخي ايضاً . ولوكانت من لدن الله فانها تستعملها فيما لا يفيدها نفعاً * فالسيد المسيح ربنا قد مدح بطرس وطوبه وقال ان اباه السماوي اظهر لهُ هذا المقال (متي ١٦) . لكنه بعد فيضان هذه النعم ضل في رايهِ حتي انه قصد منع السيد عن الامهِ الخلاصية . ولذلك ونب وبكت منه تعالي بحقٍ واجب (متي ١٦) * وايضاً موسي النبي الذي شرفه الله ومدحه بما يفوق الوصف . لما راى ان لهُ دالة عظيمة عنده جسر علي التماس كشف الاسرار الغامضة *

الفضيلة ولو انه راى اتقيا الله ومختاريه مظلومين مطرودين فلا يليق به ان يكن طريق الفضيلة . كون هذا هو الاجر الذى يعطيه الله لمحبيه في هذه الدنيا . لانهم بهذه الحوادث والمكاره يشقون ويتنقون ويتطهرون من الادناس * كثير من الناس يشبهون الاطفال . فتراهم احب اليهم ان يكونوا في المرض والوجع الطويل ولا يحتملون وجعًا يسيرًا بكى النار * لعمرى انه اصلح لك واوفق ان تكون صابرًا علي شدايد قصيرة هكذا في هذه الدنيا ولا تقاسي الامراض الجهنمية والتعاذيب الصعبة الاخروية * ان مجد المسيحى وغاية شرفه ان يكون صبورًا علي مكابدة الشقا والاضطهاد من اجل يسوع المسيح * فبولص الرسول ولو انه خطف الي السما الثالثة ونال من الله توفيقًا وتعزيات روحية جمة . فما كان يفتخر الا بامراضه واضطهاداته (قرنتيه ٢ ص ١٢) . وذلك نظير الجندى الباسل الذى يفتخر بوسم الجروح التي اصابته في المعمعة وبما صنع في الحرب اكثر مما نال من الملك من الانعام والهبات * من كان عبدًا اميتًا للمسيح سبيله ان يفتخر ويفرح بمصادفة الشقا واحتمال البوس والمضرات اكرامًا ليسوع افضل من اية موهبة كانت قد قبلها من يد الله * فينبغى ان يكون افتخارك بصليب الرب يسوع والتصبر علي الضر والباس من اجله . فاذا رافقته بمثل ذلك فحينيذٍ تفوز معه بثواب اتعابه

وصار اقبح طريقاً واسمج فعلاً * فكما انك متي اردت ان تحفظ صحة الجسم وعافيته تصبر علي البضع والفصد واخراج الدم واخذ الادوية المرة . هكذا يجب عليك ان تقبل بكل فرح الطرد والشتيمة والشدايد وما شاكل ذلك لتنال صحة النفس وعافيتها . ولا تلتفت الي مرارة الالام التي تقاسيها الان بل كن مترقباً الخلاص الذى تتوقع حصوله . ولا تذكر هذه الحوادث والنكبات التي تلم بك ولكن تفطن بالجايزة التي تنالها * وكما ان من يركب السفينة ليعبر البحر اذا خاف ان يتقاء او يدور راسه فانه ينظر الي الشاطى . هكذا انت لاتلتفت الي مياه الاضهادات العكرة ولا تبالي بها ولا بعدوك وهو مقبل عليك مغضباً . بل ارفع ناظرك نحو السما متاملاً في ارض الاحيا التي تسافر اليها في هيجان بحر هذا العالم . فهكذا فعل القديس استفانوس وقت اضطهاده برجم الحجارة فانه شخص نحو السما (ابركسيس ٧) * تفطن في الثواب الذى سيكافيك الله به اذا شيت الا تتعرس . وقد يجب عليك ان تحتمل الاضطهاد في هذه الدنيا والحيوة الحاضرة ان رمت امتلاك الاخرى * اذا رايت الصالحين يقعون في عظايم البلايا والاضطهادات فلا تشك ولا ترتب ولا تحد عن فعل الخير خوفاً من ذلك * فكما ان من تعلق بهوى شخص ما يراه حسن الصورة جميلاً ولو كان في وجهه علامة مستقبحة . هكذا من يحب

السلوان الدنيوى . ومغبوط هو من يقبل من يد الله علاج البلايا والمصايب . وطوبى للمطرودين من اجل العدل فان لهم ملكوت السما (متي ٥) * ان البارى تعالي يريد بما تقاسي من الضر والباس والطرد والهوان ان يصفيك من ذنوبك ويخفف ثقل اوزارك وبعد ذلك يحولك المجد الدايم * فمن عادة العميان اذا التقوا باحد في طريقهم وصدموه فانهم يغضبون ويدعون ذاك اعمى . ونحن هذه الحال حالنا نشتكى قلة الحظ مما يرد علينا من المصايب لاجل جرايرنا * فاذا اصابتك مصيبة فايقن انك تتطهر بها من الذنوب السالفة . ومهما نالك من الباس والمضرات فانما هو لمنفعتك ولاجل هذا كن صبورًا جلدًا علي ما يرد عليك * فكما ان الذهب اذا وضع في الما مدة لاينقص ثمنه ولا يفقد لونه . واذا جعلته في النار فانه ينقى ويصفو ويعود اكثر بهاءً . هكذا الرجل الصالح لا تضيع فضيلته في ما الرخا واستقامة الحال ولا يفقد لونه وبهاوه . وفي نار المحن والاضطهاد يعود اكثر صفاءً وازيد طهارة * اما الطين فبخلاف ذلك . لانه ينحل بالما ويبس بالنار . وهكذا سجايا الرجل الشرير الردى السيرة . فانه في زمن الرخا ينحل ويرتخى * وعند ورود المصايب يجف ويعود عاسيًا يابسًا . لانه في زمن الاقبال يسلم نفسه للخطايا والقبايح واصناف الملاذ . واذا اصيب بنايبة غضب عند حلولها واشتمله الحزن

محتاجاً ولا تكون مع يودس غنياً موسراً . علي ان اكل خبز التوبة القشفة انيابس بين زمرة تلاميذ المسيح بحزن وخشوع . افضل من العيشة الرخوة في التقلب بين اللذات والتنعم بالفرح الزايل مع جند ابليس اللعين * تجلد على الاضطهاد بتصبرٍ واسمع قول الرب القايل ان كانوا طردوني فسوف يطردونكم (يوحنا ١٥) * فانت لست اجل قدراً ولا افضل من الرب يسوع . ولا تحسب ان المجد الذى ناله مريم العذرا الكليّة القداسة بالاتعاب والمشقات الكثيرة يعطى لك وانت في هذه العيشة الرخوة حسب ايثارك وهواك . معرضاً عن الشاقات ولا تريد ان تمارس شيأً من صنوف المولمات * ان الراحة التي نالها محبوا الله الاجلا بمكابدة الشقا الجزيل لن تعطى لك وانت تبدرق حياتك باللهو والقصف والمزح والانتقام عن الاسايا * لا تفتخر ولا تتعظم بكونك غير مطرود ولا مهان . لان الاضطهاد الاعظم الذى لا يطاق احتماله هو ان تكون غير مضنوك ولا ينالك نوع من الاضطهاد * ان من عادة الطبيب متي قطع الرجا من برء العليل اباح لهُ كل ما احب واشتهى وان ياكل مهما اراد . واما من كان فيهِ رجوى العافية فلا يسمح لهُ بمثل ذلك . وعلي هذا القياس يكون هلاكك بيناً ما دام لا يعرض لك الاّ علي مرادك واستعمالك الامور بحسب هواك * طوبى لمن يتعاهده الله بمداواة عدم

علي هذا المنوال فانه يكره النظر الي من هو متحد مع الله المرتقي الي اعلي الفضايل . لان سيرة الرجل الصالح توبخ اعمال الشرير وطرايقه * وكما ان الجمل يعكر الما ليلا يرى سماجة صورته . هكذا الاشرار فانهم يعكرون فضايل الاخيار بالقذف بهم والاخذ من اعراضهم ويشرعون في اضطهادهم ليلا تشاهد قبايحهم وسوء طرايقهم * فينبغي لك ان تكون معيرًا من الخطاة مطرودًا . لانه ان لم تكن كذلك في الدنيا فيخشي عليك ان تكون الشرور مخزونة لك بجملتها عند ما يستاصلك الموت * ولا تظن انك مقبول عند الله ما دمت من النوايب خاليًا ولا يصيبك من حوادث الزمن مصيبة * ان السيد في العشا الاخير ناول بيده ليودس خبزًا مبلولاً بمرقة الخروف (يوحنا ١٣) . اما بقية التلاميذ فاكلوا خبزًا فطيرًا يابسًا . ولم يكن يودس من اجل ذلك مقبولاً اكثر منهم ولا اقدس ولا اكمل * فلا تظن متي اكلت خبزك باصناف الاطعمة المنمقة بلذة ونياح انك افضل من الفقراء الاكلين الخبز اليابس . لان البارى تعالى يجود علي الاشرار ايضًا بالقنايا العالمية بافضل التكرم وباللذات البدنية باوسع الفيضان . ولذلك دفع ليودس كيس النفقة وخول بقية التلاميذ الكد والعنا بالكرز والتعليم . ثم اعطى يودس اللقمة الطيبة اللذيذة وللتلاميذ الطرد والهوان والشدايد * خير لك ان تكون معوزًا مع الرسل

الفصل السابع والسبعون

* في بيان المنفعة الحاصلة من الطرد والهوان *

قال بولص الرسول الالهي كل الذين يحبون ان يحيوا في التقوى بيسوع المسيح يضطهدون (تيموثاوس ٢ ص ٣) * فمن العادة ان الاشجار الردية التي لاتاتي بثمر لاتضرب ولاترجم . ولكن اخرتها القطع وتلقى في النار كما فعل السيد في شجرة التين اليابسة (لوقا ١٣) * اما الاشجار الجيدة ذات الثمار التي تُضرب وتصيبها البوس لتجني ثمارها . فلا تقطع ولاتوقد في النار * وقد شبه سيدنا يسوع المسيح الناس بالاشجار (متي ٧) . فاهل العالم قوم منهم لايصيبهم باس ولا تلم بهم حوادث كما يجري على الصديقين . ولكن بعد انصرافهم من الدنيا يتلظون في سعير جهنم بلا انقطاع . فاذاً لاتحزن اذا كنت مطروداً ولاتغتم . لكن ارفع الشكر لله بلا فتور الذى اقامك بين صفوف المختارين * المسيح طرد وقبل الهوان . وكذلك رسله الاطهار وكل اصفيايه ومحبيه . وقد قال الحكيم ان الاشرار قالوا نضطهد العدل لانه مقاوم لاعمالنا (حكمة ٢) * ان الدنيا لاتراقب سوى الذين تعلم انهم ليسوا لها . فموسي النبي بعد مناجاة الله لم يستطع الشعب النظر اليه فاضطر ان يضع برقعاً علي وجهه (خروج ٣٤) . والعالم

حال الاضطراب ومرارة الشدايد * النجاح يجعل ذاته محباً لنا ويصير سكناه في منازلنا . ونحن معرضون عنه ومتغافلون ولا نتحرز منه . والذى هو اصعب مراساً واشد خطراً وباساً حمايته من الجسد المعتصم به الشديد الحب له . وكلاهما يهجمان علي النفس اقتحاماً * فاذا كنت منجحاً مفلحاً فردد في فكرك ما سيرد عليك من ضيق الزمان فتعود تقبل النجاح الحاضر كانه عارية وليس هو لك . وسبيلك ان تتقوى وتتجلد في زمن ورود المحن ظاناً انه يجوز باسهل محاولة . وهكذا تقبل الزمانين في حال واحدة اعني السرا والضرا * فترهاباً من افراح هذا العالم وجاهه الباطل اذا شيت الحظوى مع يسوع المسيح في الدهر الاتي . لانه خير لك ان تكون في الشقا والقهر مع يسوع افضل من عيشتك الرغدة في الدنيا ونجاح حالك فيها * افرح متي كنت مقهوراً مطروداً مع الرب مخلصك . لان المطرودين لهم ملكوت السماوات * اعرض عن نجاح هذا العالم وتهاون به من كل قلبك فتملك الكرامة الحقيقية التي لاتفني

* ولاتزول *

*

حسن الحال للارضى ورغد العيشة ينسي الانسان نفسه واحواله. ومثل هذا يجرى كثيرًا في قصور الملوك والمسلطين وارباب الدول الذين اول نسيانهم يكون لخواصهم وندمايهم واصحاب الدالة عندهم الذين كانوا علة ارتفاعهم الي هذه المراتب والوصول الي هذه الصحبة والى القصور الملوكية. حتي انهم يعودون اول المضطهدين والمبغضين لهم. علي ان هذا النجاح العالمي الباطل يعمى بصيرة صاحبه بالكلية حتى لا يكاد يبصر المحسن اليه * ولكون الله تعالي قد سبق علمه بان رخا الدنيا يعود سببًا لنسيان الناس ما يجب عليهم. خاطب شعبه اسرايل وهو سايرٌ في البرية الي ارض الميعاد قايلاً. احتفظ ولا تنس الرب الهك ولا تغفل عن وصاياه وسننه التي اليوم انا اوصيك بها. لئلا بعد ما اكلت وشبعت وابتنيت بيوتًا حسانًا فسكنتها وكانت لك قطعان البقر والغنم وكثرة الفضة والذهب وفضل كل الاشيا يرتفع قلبك وتنسي الرب الهك الذى اخرجك من مصر من بيت العبودية وساسك في البرية (تثنية ٨) * ان عيشتك ايها الانسان في زمن النجاح لعمرى اعظم خطرًا من زمن الشدايد والمشقات. لانه كما ان سفر المراكب في مياه الانهر الحلوة اشد خطرًا من السفر في مياه البحر المرة المالحة. هكذا عيشتك الرغدة في هذه الدنيا الشقية ورخايها هى اعظم خطرًا. وخلاصك اصعب مراسًا مما تكون في

فلهذا سبيلك ان تهرب من كل نجاح عالمي كمن يهرب من وباء مبين * فمثلما ان نبلا اسرايل واشرافهم ماتوا في جبل جلبوع . كذلك الفضايل تموت وتفني من نجاح هذه الدنيا * ان الانصراف عن البارى تعالي والتباعد منه هو قرين النجاح . كما جرى الامر حين توسل يوسف الي ساقي فرعون بان يذكره اذا اصاب خيرًا . فقال الكتاب ان الساقي بعد خروجه من الحبس الذى كان به مع يوسف واذ ارتد الي مرتبته الاولي نسي يوسف الذى فسر له منامه (تكوين ٤٠) . فيوسف اوصاه ان يذكره حينما يصادف خيرًا . لمعرفته ان خصب الدنيا وحسن حالها هو زمن النسيان * وفرعون ايضًا في زمن نجاح حاله قال انه ما يعرف الله ولا يطلق شعب اسرايل من العبودية (خروج ٥) . ولكن في زمن الضربات عرف الله وطلب في ذلك الوقت من موسي وهرون ان يتضرعا الي الله من اجله (خروج ١٢) * وبطرس الرسول وهو في طور تابور في حين تجلى الرب قال ان يعملوا ثلاث مظال واحدة للسيد وواحدة لموسي وواحدة لايليا ونسي نفسه ورفاقه (متي ١٧) . حتي انه نسي اخاه اندراوس الذى كان قد اتي به الي معرفة المسيح . لانه اذ صار هذا الرسول اعني بطرس خصيص السيد ومتقدمًا عنه في تجليه المجيد . لم يفتكر بالذى قد كان سبب له هذه الصحبة . وهذا لا يذهلنك امن كون

حال اختصابهِ امات الاحيا * انه في زمن النجاح والعيشة الرغدة يكون عقل الانسان في اختلافٍ وتقلبات . ولاجل ذلك لاتكن عيشتك بالتغافل في زمن الرخا واليسر العالمي . لان بقدرما يكون التغافل بمقدار ذلك تكون شدة الخطر * متي انصرف الخوف عن الانسان في عيشتهِ بسبب التغافل ففي ذلك الوقت يعود في اشد المخاطر واصعبها * مامن احدٍ يكون في ضيقة المصايب والشقا الا المشتبك في لذة اليسر والرخا * انه لفضيلة كبرى متي تصارع الانسان مع نجاح الدنيا وغبطة السعادة ولم يكن مغلوبًا ولا مقهورًا * فاذا كان الانسان محبوبًا من الناس ذا جاه ووقار وهو في حال اليسر والاقبال . فغير معلوم هل هو نفسه الذى يحب او نجاح حاله . ولكن متي غاب عنه هذا الحال حال الخصب وزال الغرور والغش العالمي فالحق يظهر للعيان . اذ ليس النجاح والرخا يظهران الصديق . ولا الضر والشقا يخفيان العدو * كل ما كان في الدنيا فانما هو غش يزول سريعًا . ولاجل ذلك قال داود النبي اعدل الرب حين يرتفعون ويتمجدون يفنون كالدخان ويضمحلون (مزمور ٣٦) * فكما ان الدخان اذا ارتفع الي الجو يضمحل ويتلاشي بايسر مرام . كذلك نجاح حال العالم يعمى الرجل الشرير ويبيده * وقد راينا اقوامًا فضلا اهل ثقة بالله اخيارًا بعد ما ارتفعوا الي درجات الرياسة تجبروا وانحلوا .

فلهذا

لنفسهِ واستنقاذه . وهذا جميعه انما تصنعه لاجل السيادة ونجاح حالك في الدنيا . وهذا غاية الجهل الذى لايوجد اعظم منه * فدع عنك هذيان هذه الكرامة وغرورها . واذا كنت ذا حق فيما تطلب فابحث عنه بوجوه حل لاغش فيها . لتفوز بذلك وتحظى زماناً طويلاً بالراحة والسرور بضميرٍ نقي لاريب

* فيه الى اباد الدهور *

الفصل السادس والسبعون

* يشتمل على بيان اباطيل نجاح الدنيا وحسن حالها *

يقول سليمان الحكيم اختصاب الجاهلين يهلكهم (امثال ١) * فلقد يحق عليك ان تخاف متي رايت حالك ناجحاً في الدنيا اذا شيت حفظ تواضع القلب والتعبد ليسوع المسيح * فشاول قال عنه الكتاب انه كان صالح السيرة حسن الطريقة متواضعاً بكمال التواضع . حتي انه عند ما كلفوه ان يصير ملكاً هرب واختبا في بيته (ملوك ١ ص ٩ و ١٠) . اما حينما حصل علي نجاح حاله في الدنيا واستظهار منزلته داخله التجبر والتكبر * وداود ايضاً وهو مطرود عفا عن قتل شاول عدوه وتجب عنه (ملوك ١ ص ٢٤) . ولما نجح حالهُ قتل عبده الامين اوريا (ملوك ٢ ص ١١) . والذى كان يعفو في حال اضطهاده عن مستحقي الموت ويخولهم الحيوة . ففى

قد التمست الاكرام والتفخيم . الا انها ما محلت بالاخرين ولا طعنت فيهم * اما الذين اشرنا اليهم فهم نظير احدى كفتي الميزان التي لا يمكن ان ترتفع الي فوق الا بهبوط الاخرى الي اسفل . هكذا هولاء لا يقدرون علي الارتفاع ما لم يوطئوا غيرهم * وكما ان ريش النسر متي لامس ريش غيره من الطيور فانه يتلفه ويفسده . هكذا عادة بعض الناس لاجل نيل الجاه والاكرام عند الامرا والروسا والمسلطين يذلون العاجزين ليبلغوا مقاصدهم ومآربهم . ولهذا يغتابون الناس بالتكلم عليهم سوءًا ويدنسون اعراض غرمايهم * ويوجد اخرون ايضًا يبتغون حسن الحال في هذه الدنيا بامتداح زلات الاكابر وتستير مناقصهم . ويرتفعون باضرار ضماير ممدوحيهم . وبالاساة الي الغير يحصلون المراتب والمناصب * ففي الناموس العتيق قد اوصى الله الا يطبخوا الجدى بلبن امه (خروج ٢٣) . وقد ابان سيدنا يسوع المسيح ان الجدا هم الذين يقفون من جهة الشمال في يوم الدين . اى الخطاة الذين يطرحون بعد لعنة اياهم في جهنم . فهولاء يطبخون باللبن متي مدحوا من الغير علي فعل القبايح . اذ كان سليمان الحكيم قد دعا تمليق الخطاة لبنًا بقوله في النسخة اللاتينية يا بني ان سقتك الخطاة لبنًا فلا تسمع لهم (امثال ١) فانت بذلك تحاتل قريبك وتثبت المجرم في جنايته وتصير عدوًا

لنوال ما قد حاولوا . ومع ذلك ففي اكثر الاوقات لا يسمح الله ان ينالوا اربهم . لانهم ولو كانوا من هذا الوجه مستحقين ذلك . فمن وجه اخر لا يستاهلونه . لانهم يظنون انهم بمسبات غرمايهم ومثاليهم وسوء الثنا عنهم ينالون الرفعة وعلو الشان ويبلغون المنا . ويتوهمون ان الهجو والمذمة سبب جيد وطريق حسن لنوال مقصودهم . الا ان الاله الصالح بحسن تدبيره يسمح بتغيير ضمايرهم . ويصير الحال بخلاف ما عزموا عليه وهذه الضروب التي ظنوا انهم بها يتصلون الي الكرامة فبها نفسها يعدمون الاكرام * ان الله قديما قد سلط روحا رديا بين ابيمالخ وسكان شخيم الذين اقاموه عليهم ملكا . وكان ذلك روح المضادة والبغضة . ففي كلهم بالسو لالتماسهم النجاح بطرق محرمة . لان اهل شخيم ارادوا حفظ ذواتهم بحماية الشرير . وابيمالخ قتل اخوته ليملك علي الشعب (قضاة ٩) * وكما ان البحر متي زادت امواجه واشتدت فينفض اوساخا الي الشاطي وينظف داخله . هكذا يوجد اقوام رغبة في تزكية انفسهم يدنسون عرض الغير بالهجو والشتايم . ان امرا بني زبدى قد سالت السيد من اجل ولديها . ولكن من غير ضرر لاحد . لانها لم تمدح ابنيها في طلبتها . ولا ثلبت بقية الرسل . ولا قالت للرب ان لا ينعم علي الاخرين . لكون سوالها لم يكن لمذمة الغير ولا لمضرتهم . علي انها وان كانت

من الموت. اما اوليك الاشرار فسختهم الاسد وافترستهم (ص ١٤) *
وايضاً اخيتوفال اشتهى ان يكون جليس ابيشالوم ملكهِ وحبيبه .
فاشار عليهِ بالردى في امر داود الملك الصالح فصار ذلك سبباً
لهلاكهِ . لانه لسبب ان ابيشالوم لم يقبل مشورته مضى حزيناً
الي بيتهِ وخنق نفسه (ملوك ٢ ص ١٧) * وبلعام العراف رغبةً
في اكتساب الصلات والمنح من بالاق اشارَ عليهِ بالسوء ضد
شعب الله . ولكن الاله الصالح لايسمح ان ينجح احد بما يقتني
بوجوه محرمة كما قصد هذا الشقي بلعام مضرة قريبه . ولذلك
تخلى الله عنه ليموت موتاً فظيعاً في ميدان الحرب (عدد ٢٤ و ٣١)
فلا تطلب اذاً الاكرام والرفعة بواسطة علل باردة محرمة .
لان الله لا يمكنك من اقتنايها مدة طويلة بل يعدمها بعد هنيهةٍ
بتخلية منه تعالي بحزن وخزي * لاتلتمس المراتب العالية التي
تنالها بوجوه غير محللة ولاجايزة . لان كل مايتحصل بوجهِ الحرام
فهو قليل الثبات * فاذا كان لك استحقاق في شيءٍ من هذه الامور
فاظهر حقك من غير ايصال الضرر لغريمك ولا تشاجر ولا تتكلم
في حقهِ سوءاً . وبهذا السبيل تستمد المعونة من البارى جل وعلا *
فكل ما يتحصل بالحرام لاتطول مدته . والضمير الردى لايخلو من
الفزع * وقد يوجد كثير من الناس يبالغون بالتفتيش علي المناصب
والمراتب والرياسات وهم اصحاب علم وفطنة وموهلون

الذى لهُ عنـد الحكام يرتفع بمعونتهم ومظافرتهم بخـــلاف الحق
* والعدل والانصاف *

الفصل الخامس والسبعون

في بيان اباطيل الذين يبتغون الاستيلا علي غيرهم
* ويظلمون قريبهم *

يقول يشوع بن سيراخ الذى يرمي الحجر الي فوق يقع علي راسه (ص٢٧) * اذا اردت التسلط ونجاح الحال بسفك دم الغير وظلم القريب فانما يعود الضرر عليك. لانه كما يستتلى الحكيم قايلاً. ان الذى يضع حجرًا لقريبهِ يعثر بهِ. ومن يحفر حفرةً فانه يقع فيها. ومن ينصب فخًا لغيرهِ يهلك بهِ * وهذى هى قضية الله العادلة وهو تعالي قد شابهت الحكومة المنصفة * فالذين اذًا يحبون الرفعة ويقضون بالظلم علي غيرهم فالاله يسمح بتخلية منه ان يقع الضرر علي رؤسهم ويهلكون بموت ردى. وهذا قد تاكد في هامان الجبار الذى اراد ثبات حكمهِ وسيادتهِ بسفك دما شعب الله. فانه اخيرًا تعلق علي الخشبة التي اعدها لمردخاى (استير٣و٧ والبابليون ايضًا ظنوا انهم متي اهلكوا دانيال النبي صاروا اندما داريوس الملك وجلساه. ولذلك حرضوا الملك علي ان يطرحه في جب السباع. فصار الامر بخلاف ماحاولوا وخلص الله صفيه دانيال

يطلبون مساعدة الاشرار وصيانتهم يشبهون من يبني بيتاً في الهوا * قال سليمان الحكيم عن مثل هولاء انهم مثل من يلقي حجراً في رجمة هرمس كذلك من يعطي الغبي شرفاً (امثال ٢٦) * فالامم الجاهلية عبدة الاوثان الذين كانوا يسجدون لتمثال هرمس مختلسين الوقار والاكرام الواجب لله وحده ومقدمين ذلك لصنمهم. كان كل واحد منهم يحمل حجراً توقيراً لهرمس الاهه ويقدمها لهُ. هكذا من يكرم الجاهل الغبي ويرفعه الي المنازل والدرجات انما هو بمنزلة عابد الاوثان يسرق الاكرام المختص للعاقل ويدفعه للمجنون العادم العقل الذى يشبه من لا يفهم ولا يسمع ولو كان لهُ اذنان وعينان ويدان . واليهِ يشير زخريا النبي بقولهِ يا للراعي ويا للوثن خاذل الغنم (ص ١١) * من يخول الجاهل كرامةً فكانه يرمي حجراً في رجمة هرمس * من يكرم الغبي فهو كمن يرمي الحجر بالمقلاع . فالحجر لرزانتهِ يميل طبعاً الي اسفل . ومتي رميته بالمقلاع فانه يندفع قسراً بخلاف طباعه الي فوق كالطاير. والجاهل والمنافق علي هذا النحو. لا يستحقان الرفعة والسيادة ولا الاستيلا علي غيرهم. ولكن يد المعونة التي اعتضدوا بها واستندوا عليها لها استطاعة هكذا حتي انها ترفع جبراً وقسراً الي مراتب الحكم بخلاف الحق ذاك الثقيل كالحجر الذى يليق بهِ ان يكون تحت ارجل العقلا . وهو لاجل الدالة والجاه

الذى

وما لكها . ولا تحب الاحتما الا تحت اكناف افاضل الناس بما ان لهم استطاعة ان يعضدوك . وان طلبت العصمة من المنافقين فما يدوم شرفك زمانًا طويلًا . لان الله يقول علي لسان اشعيا النبي انا اغير مجدهم عارًا * وقال علي فم حزقيال النبي عن الذين يريدون الدوام في درجاتهم بالجود علي الاشرار انا اخضعت الشجر العالي وجففت العود الاخضر (حزقيال ١٧) . فانت المرتفع بخلاف الحق والعدل وكل من يحامي عنك هكذا تسقطون بايسر مرام . لان البيت الغير المحكم الاساس لا يثبت * وقال النبي في زبوره كما يباد الدخان يبادون وكما يذوب الشمع من قدام وجه النار كذلك تهلك الخطاة من امام وجه الله (مزمور ٦٧) . فالدخان يعلو سريعًا الي فوق ولكن ابادته واضمحلاله اشد سرعة . وعلي هذا المثال يكون نجاح المنافقين * وقال ايضًا هذا النبي في هذا الشان اذا مجدوا ورفعوا فانهم يفنون كالدخان ويبادون (مزمور ٣٦) * فالاجرام المرتفعة بقوة الهوا تسقط عند هدوه . والمرتفعون الي المراتب بمساعدة غيرهم وهم غير اهل لذلك فهذه السجية تكون سجيتهم . وحين تبطل هذه المظافرة يسقطون للوقت وينحطون من درجاتهم . ولعمري ان اسعاف الاشرار يبطل متي راوا انهم لا يحتاجون اليك * وقد قال ايوب الصديق حملتني فحطيتني على الريح وسحقتني شديدًا (ايوب ٣٠) . فالذين

ويحسن حالك وانت تضطهد اهل الفضيلة وتفترى علي الفقراء وتتقوى علي الضعيف العاجز وتجود علي الاشرار وترفض الاخيار لاتعلم ان ظلامة الصديقين تهتف صارخة الي مسامع العظمة ذى الجلال الحاكم المنصف الذى يحاوب عن اصدقايه ومحبيه * وهو تعالي قال بفمه الطاهر الارملة واليتيم لاتاذوهما لانكم اذا اذيتموهما فيصرخان اليّ وانا اسمع صراخهما فيشتد غضبي عليكم واضربكم بالحرب (خروج ٢٢). وقد بالغ فرعون بظلمه وعدوانه لشعب الله لكيما يحفظ ملكه لانه احتسب ان بني اسرايل متي زادوا وتكاثروا فملكه يوول الي حال التلف فسمع الله صراخ الصديقين واباد المغتصب وملكه (خروج ١ و١٤) وانت علي هذا المنوال تتخذ هذا السبيل مثل فرعون وتحامي عن المنافقين وتضطهد اتقيا الله الجياد الاخيار لكى تستقيم في مقامك ومرتبتك * انت تقبل الجهال وترذل محبي الله والطريق الذى تظنه جيدًا لرفعتك فهو يصير سببًا لسقوطك وتهورك * فما السبب لهلاك هامان الجبار الا اضطهاده لمردخاى الرجل الصالح وقبوله الجهلة والاثمة الذين كانوا يسجدون له كالاه (استيره) * فلا تعدها كرامة متي كنت مكرمًا ممن ليس هو بذى كرامة كون الانسان لايقدر ان يعطى ما ليس له. فاية كرامة يخولك عادموا الكرامة * لاتامل اكرامًا وتشريفًا الا من الرجل الصالح صاحب الفضيلة

ولايحفظون عهود الوداد . وان ظننت انك بمعاشرتهم تكون محفوظاً في مقامك وكرامتك فقد ضللت عن استقامة السبيل . وعند نهاية المسافة تشعر بما خاتلت به نفسك * ولنا في ذلك نموذجات كثيرة في الكتب المقدسة . فمن جملتها ماجا عن ابيمالك بن يوربعال الذى اذ انطلق الي اهل شخيم فاقاموه ملكاً ومتولياً علي تلك الارض . ولانه كان رجلاً شريراً ردى السيرة جازاهم بشر علي ما كانوا قد استحقوا لانهم اعطوا الكرامة لمن لايستحقها. لانه اثار حروباً علي اهل شخيم الذين ملكوه عليهم حتي اخرب مدينتهم وهدمها وبذر فيها الملح (قضاه ٩) * فهكذا انت اذا كنت منعماً ومتفضلاً علي من لايستحق الفضل فلاتنتظر جزاءً ولامكافاةً سوى ما فعله ابيمالخ مع اهل شخيم * وايضاً يوربعام ملك اسرايل لكي يستمر علي ما اُعطى من الكرامة صنع عجولاً من ذهب واغرى الشعب علي السجود لها . ولكن لم تستقم مرتبته لان بيته وقبيلته خربوا وبادوا (ملوك ٣ ص ١٢) * وقد قالت الحكمة الالهيّة التي هى الله بذاته . بي تملك الملوك والاقويا ينصفون بالعدل (امثال ٨) . فاذا كانت السيادة والسلطان من لدن البارى تعالي ولايكون شي من الاشيا التي تحدث علي الارض الّا مدبراً بسياسته فكيف تروم ان الله يحفظك في درجتك وانت تتجني علي اصفيايه ظلماً وعدواناً * وكيف تظن انك تنجح

وينازعونه . ومتي راوه في حالة الذل والقهر فيكونون لهُ اكبر الاعدا واشد المبغضين * فاذا كنت سيدًا وتحب ان تكون محفوظًا في درجتك فكن محاميًا عن اهل الفضل رجال الله . فانهم يسندون ظهرك ويشرفونك ويكونون لك اعوانًا ومظافرين * وقد قال ابن سيراخ من يظلم على نفسهِ فالي من يحسن (اصحاح ١٤) . والحال انه من عادة الاشرار الآ يحبوا ذواتهم كما قال النبي الذى يحب الظلم يبغض نفسه (مزمور ١٠) فهولاء اذًا يبغضون انفسهم وليس انهم يبغضون انفسهم فقط . بل اجسادهم ايضًا لانهم يشترون الموت الابدى للنفس والجسد * فاذًا ان كان المنافقون لاينفعون ذواتهم فلا ينفعونك انت . لكن متي عرفوا عدم احتياجهم اليك عدلوا عنك واداروا ظهرهم نحوك واصبحوا لك اشد الاعدا * وقال سيدنا لهُ المجد وقولهُ هو الصادق ليس يجنون من الشوك عنبًا ولا من العوسج تينًا (متي ٧ فلا تظن انك ترضع عسلاً من صخرةٍ ولا زيتًا من حجرٍ صلد كما اخبرنا الكتاب انه هكذا صنع الله قديمًا لاجل شعبهِ اسرايل (تثنية ٣٢) . فموسي النبي قد اخرج من الصخرة ماءً (عدد ٢٠) . ولكن مثل ما كانت هذه معجزة بينة كذلك يكون امرًا معجزًا عجيبًا ان انت اخرجت خيرًا من المنافقين * علي ان محبة هولاء ليست هي الآ للغالبين المنصورين فقط . وكلامهم لا يصدق

ولا

الفصل الرابع والسبعون

في بيان اباطيل الذين يقصدون الثبات في درجاتهم

* بحمايتهم الاشرار والتفضل عليهم *

قال داود النبي مخبرًا عن الذين يطلبون الصيانة بالتفضل علي من لا يستحق . المنافقون يبيدون جميعًا وبقيّة المنافقين يستاصلون (مزمور ٣٦) * فمثل هولاء لا يدومون زمانًا طويلًا . اذ لا يتفق دوام ما صدر عن الاضطرار . ولعمري انه لبغي عظيم مباين الحق ان يُقهر الصالحون ظلمًا ويكون المنافقون في امنٍ وصيانة * وقد يوجد حشيشة من جملة النباتات يقال لها العاشقة وهي زرية بين النباتات . فترتفع وتنمو وهي مستندة علي الحايط ومحتمية به . ومثل ذلك كثير من الناس اشقيا ممتلئون معايب . قد ارتفعوا في العالم واحتووا علي درجات ومراتب سامية رفيعة بالحماية والاستناد علي الامرا والاراكنة . لكنهم بعد هذا كمثل ناكري الجميل وغير حافظين . يكافونهم عوضًا عن ذلك بالطرد والاهانة واصناف المضرات حسب امكانهم * فالحشيشة المتقدم ذكرها وان كانت ترتفع بالتوكي علي الجدار . الا انها تخرب ذلك الحايط وتحرق البنا * هكذا هولاء الروسا فانهم يعلون منازل من لا يستحق الرفعة ثم بعد ذلك يقاومونه

منها * ان الكرامة هي ثواب الفضيلة . ومن اجل ذلك ينبغي ان تقتني بحميد الافعال * انه لمن الجنون المبين متي فرح الواحد بمديح الاعمى اياه ووصفه له بالحسن والجمال . فالكرامة لا تكون كرامة مالم تكن عن الفضيلة . فمن يفرح بالكرامة التي لم ينلها مكافاةً عن الفضيلة فهو مقفر من الصواب وحسن الراى * وكيف تكون صاحب فضيلة وانت تحب الرفعة * كن محتملاً لما يحدث عليك من ضروب البلايا ومصابن الشقا . واستعمل فضيلة التواضع علي الارض لتقتني الكرامة الحقيقيّة ويرفع الله اسمك في الدنيا * وكما ان احدنا متي اراد مدّ الحديد فانه يضعه في الكور ثم يطرقه علي السندان . فعلى نحو ذلك انت لا تقدر ان تعظم اسمك وتقيم ذكرك مالم تكابد المشقات وتمارس المصايب والبلايا وتعصرك كثرة الشدايد * فبهذا السبيل نالت الشهدا وساير القديسين اكليل المجد الدايم في السما الذى قد خص لهم وحظوا به . وبهذا حصلوا علي الكرامة وحسن الثنا الذى قد خلفوه في الدنيا حتي ان ذكرهم الطيب ورفعة اسمايهم تدوم الي

* الابد *

ابن ابنة فرعون . فجعله الله الهاً لفرعون نفسهِ (خروج ٢ و ٧) *
وداود النبي حين كان يرعي غنماً في البرية بحالة الذل والهوان
في هذه الغاية حتي انه كان منسياً من ابيهِ . فاخذه البارى تعالي
من مراعي الغنم وصيره ملكاً علي اسرايل ومولي عزيزاً في
كل الارض * ويوحنا المعمدان كان في كهوف البرية مختفياً ولم يكن
معروفاً من العالم . ولكن لما جلت كلمة الله عليهِ وامن تعالي
بالكرازة . اشهر الله سره وصار معروفاً ومشهوراً في كل
المسكونة (لوقا ٣) * وسيدتنا مريم العذرا كانت في غاية التواضع
بما يفوق الوصف والقياس . محجوبة في الناصرة عن الناس
ومعرضة عن خلطة العالم . فشرفها الله اذ ذاك بسلام الملك المرسل
من قبلهِ اليها . ورفعها الي رتبة هذا عظم سموها حتي انه اختارها
اماً لهُ (لوقا ١) * ارايت كيف الكرامة تقتفي اثر المتواضعين وتنهزم
هرباً ممن يسعى في تحصيلها * ان البارى تعالي يعتني ابلغ الاعتنا
بعبيدهِ ومحبيهِ حتي في اماكن اقطار العالم المخفية . وذلك ليشهرهم
ويقيم ذكرهم ويشرفهم في العالم ويجعل اسماهم معلنة في
كل الارض * فاذا احتقرت مقامات هذه الدنيا وهذياناتها
وكرامتها من كل قلبك وحرصت مهتماً برضوان المسيح وحده .
فهو يصلح تدبيرك خلواً من كل كد ونصب . ومن طلب باحثاً
عن الكرامة لاينالها . لان تحصيلها انما هو التهاون بها والفرار

وحين مضى الي يوحنا ليعتمد منه كمن هو تحت تبعة الخطية وفيما هو في مثل ذلك من الهوان . اوضحه صوت الاب من السما معلناً ما هو والحمامة الطاهرة اظهرت شرفه شاهدة ببره (متي ٣) * ثم اذ حكم عليه بالموت كمجرم حفظ الله كرامته وشرف مجده . اذ انكسفت لذلك الشمس والقمر . وتزلزلت الارض . واقرّ قايد الماية معترفاً بانه ابن الله (متي ٢٧) * ارايت كيف ان الكرامة لحقت بيسوع اكثر من فراره منها * ادم الانسان الاول قد ظن انه بالجد والسعي في طلب الكرامة يحصّل الكرامة . ومن هذه الجهة نزعت عنه . اما ادم الثاني الذى هو المسيح الرب . فانه علمنا ان الشرف والجاه لا يحصل الا باجتنابه والتهاون به * فبهذا السبيل حصل القديسون على الكرامة وامتلكوها . والان هم في النعيم والراحة في ملك السما علي الدوام واسمهم وذكرهم ممدوح علي الارض . اذ كان ربنا تبارك اسمه يهب الكرامة للذين يهربون من الكرامة الدنيوية . المختفون في البرارى والقفار . وهو لهم وحدهم ودود وصديق * فموسي النبى قد ازدرى بقصر فرعون الملك وكرامته وايساره . وسكن القفار منفرداً يرعي غنماً كانه قد نسي من العالم . فاخذه الله من هناك واقامه رييساً كبيراً ومدبراً لشعبه اسرايل . وربح كرامة افضل شرفاً في هذه الدنيا التي احتقرها واستخف بها . ولانه استهان بان يكون

ففي ذلك الوقت يشرق مجد المسيح افضل الاشراق وتظهر كرامته وشرفه . ويأتي علي سحابة نيرة بمجد وقوة عظيمة محاطاً بالملايكة وهم محتفون به ليدين الاحيا والاموات * وبعد فنا ذكر اهل العالم وجملة اخبارهم . تبقى كرامة المسيح وشرفه فقط مع محبيه الي الابد * فهذه الكرامة السامية الدايمة البقا قد اكتسبها السيد بالهرب منها محتضن الصليب والاهانة . وهذه هي الفلسفة المسيحية والتعليم الذى علمه المسيح في مدرسته * وقد يوجد قوم من المسيحيين يستسيرون بحسب تعاليم القدما من الرومانيين وغيرهم من الامم الخارجين عنا . لانهم يهتمون لان يكون لهم اسم وشهرة علي الارض . ويبالغون باشد الاهتمام في تحصيل الكرامات والاموال الزايلة * فباطل الاباطيل هو الاستقصا عن الجاه والكرامة لتحصلها لذاتك اذ هي تحصل لمن لايريدها . فالطغيان العظيم هو اذا فتشت علي تحصيل الجاه والكرامة . واعظم الطغيان متي طلبتها بالوسايط التي تتبين لك انها مناسبة لها وانها اعني الكرامة تصدر عنها * احتقر الكرامة العالميّة لاجل الله تبارك اسمه . فانه يخولك اياها من غير طلب * سيدنا يسوع المسيح قد ولد بمسكنة وفقر لايقاس . ولما كان في المذود موضوعاً طفق الملايكة يرتلون تمجيده والرعاة يبشرون بمولده (لوقا٢) والملوك وافوا من المشرق للسجود له (متي٢) .

لاسمهِ كالاه حق في كل الارض . وهذا الجاه والشرف الذى هو اسني واجد من كل ما احتوى عليهِ البشر جميعهم قبلاً وبعدًا . قد حازه ربنا يسوع المسيح بسلوك الطرق المعوجة المنحرفة عن الشرف والكرامة . اذ لم يكن اكتسابه هذه الاوصاف الجليلة بالغني . ولا بقتل الاعدا واشهار السلاح . بل بالهرب والفرار من هذه الاشيا جميعها . وبالمسكنة والتواضع وسفك دمهِ بعينهِ * وهو نفسه القايل انا لست اطلب مجدى (يوحنا ٧) . فمن دون التماس الكرامة ادًا بل بالفرار منها ايضًا نال اعظم نوالاً من الذين طلبوها عمدًا * حتي انه لايجب ان نظن انه حاز هذا الجاه والعز بافتعال الجرايح والكرز والانذار وغيره من الافعال الفايقة الوصف التي فعلها . بل باحتمال الاهانة ومعيار الصليب كما صرح الرسول بقولهِ نرى يسوع انه من اجل الام موتهِ مكللاً بالمجد والكرامة (عبرانية ٢) . فعار الصليب اذًا قد صار سببًا لما نالهُ السيد من المجد والكرامة * وفي موضع اخر يقول ان ربنا يسوع المسيح اخضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب ولذلك رفعه الله واعطاه اسمًا افضل الاسما كلها (فيلبي ٢) . وحقًا انه لن يوجد بالجملة اسم كريم بهذه الصفة مشهورًا بالفضل والجلالة مثل اسم ربنا يسوع المسيح وهذا كله قد حازه بالذل والهوان * ففى يوم الدين الرهيب عندما يغني ذكر الملوك والروسا والمسلطين .

سيكون اتصالك اليه . وحينيذٍ ترخى مثل الطاوس ارتفاع ريش المجد الفارغ والكرامة الدنيوية * اشتهِ الان ان تكون مهانًا مع ربنا يسوع المسيح ومطرودًا وحقيرًا اذا شيت التمتع بالكرامة المحققة في السما * ان كرامتنا هذه لعمري باطلة ومستحيلة . فلذلك * سبيلك ان تهوى تلك الكرامة الدايمة البقا وحدها *

الفصل الثالث والسبعون

* في انه كيف تقتني الكرامة في هذه الدنيا وفي السما *

قال الرب في انجيلهِ المقدس انا لست اطلب مجدى حاضر من يطلب (يوحنا ٧) * انه من اعجب العجايب اذا سافر اثنان الى بلدة واحدة . وكان سلوك احدهما في الطريق متعرجًا الي هنا وهناك . ومع هذا يصل قبل الاخر السايرباستقامة السير * ان السبيل القويم الذى تحصل بهِ الكرامة وقد ربح بهِ كثيرون اسمًا وذكرًا عظيمًا . هو زيادة العلم . والانتصار في الحرب والقتال . او كثرة الغني والاموال . فقوم من الرومانيين وغيرهم قد اكتسبوا بهذه الطرق المذكورة كرامة وذكرًا علي الارض . لكن من ذا الذى من هولاء وغيرهم الذين كانوا في العالم قد نال كرامة وعزًا مثل سيدنا يسوع المسيح . لعمري ولا واحد من ذوى الشرف والنباهة والجاه خولهُ العالم مثل ذلك حتي يسجد

بابلغ التفتيش عن هذه الكرامة التي هي الفضيلة وتعتمد عليها . وتتهاون بما سواها من الكرامات العالمية التي يرغبها سخيفوا العقول وتشوق اليها السفها والارعنون * فاعدل انت عن عشقها والميل اليها . ومتي شغفت بها ورشقت بنبالها فاذكر انها تضمحل سريعاً . وفي اليوم المقبل تتحول الي رماد ورميم * فكما ان رماد الحية المحترقة يشفي لسع الحيات . كذلك انت متي لسعت من الكرامة واباطيل العالم انظر الي قصرها وانها تجوز وتفني بايسر مرام . وبهذا التامل تشفي ان اعرضت عن هذه الكرامة الباطلة ذات الجنون * ثم تفرس في الرماد الذى تتحول اليه هذه الابدان الفاسدة . وبذلك تتيقن الي اى شي تنتهي هذه الامور * قد طلب نعمان الشامي من اليشع النبي ان يحمل معه ترابا من ارض اسرايل (ملوك ٤ ص ٥) . وهكذا فعل ليلا يعود الى عبادة الاوثان الامية ايضاً . بل لله وحده يكون متعبداً ويدع ما سواه من السنن الغاشة . وانت ليلا تعبد صنم كرامة الدنيا ردد في فكرك التراب العتيد ان تتحول اليه . فحينيذٍ تختار هوان يسوع وذلهُ * وقد قال ابن سيراخ لماذا يتكبر التراب والرماد (اصحاح ١٠) متي تحققت انك تراب ورماد فما تجد لك سبيلاً الى رغبة هذه الكرامات الباطلة . لانها توجد اليوم وفي الغد تتركك وحدك وتنتهي بك الى المقبرة * تفكر في الرجلين اعني في عاقبة ما

المصايب تذيبه وتسحقه وتعدمه الحيوة مثل ورقة ذابلة * لا تطلب الاموال المصورة والكرامة الكاذبة . بل سبيلك ان تفحص عن الاموال والقنيات التي لا يفنيها اوان ولا يبليها قدم الزمان ولا يغيرها شي من الاشيا * ان اكثر الناس لحفظ هذه الخيالات وتماثيل الكرامات يكلفون انفسهم مشقات كثيرة الليل والنهار . ويخرجون عن الاخلاق المرضيّة . ويدفعون ذواتهم لتكلفات هذا عظم مقدارها . والذى هو اصعب من ذلك واشد شقاوة وتعثرًا . انهم يتلقون خسران املاكهم وغناهم وما تملك يداهم حتي وان دعت الضرورة اتلاف حياتهم ايضًا لاجل صيانة عرضهم وحسن صيتهم * فيالشقاوة بني البشر وغباوتهم التي هذا عظم مقدارها . وكم بعدوا واقصوا عن الحق الانجيلى * كرامة الرجل المسيحى انما هى يسوع المسيح المصلوب . ومجده وافتخاره هو مكابدة الشتايم والمسبات والاضطهاد ونظايرها من اجل اسمه القدوس . فاذا كان الانسان الذى هو اشرف المخلوقات يعود كانه ما كان . فكيف تظن باموال الدنيا ولذاتها وكراماتها الزمنية انها شي * فالشـــرف الحقيقى انما هو فضيلة النفس التي لم ينلها السلاطين ولا تملك بالتمليقات الكاذبة ولا تشترى بالدراهم التي لما ابتدات ان تصير ذات كرامة اخذت الكرامة الحقيقية بالسقوط والانخفاض * فالخليق بك ان تفحص

الانسان يهرب مثل الظل ولا يبقى في حالة واحدة (ايوب ١٤) * فقال ان الانسان يهرب ولم يقل يتحرك . وغرضه بذلك ذكر الاسراع وخفة المشي . وقال انه يهرب كالظل لا كهرب جسم حقيقي . وذلك لانه لا يوجد شي غير ثابت بالاكثر ولا اخف ولا اسرع تلاشياً وانهزاماً من الظل * وقد اوضح هذا النبي داود ايضاً بقوله الانسان يمشي بالشبه (مزمور ٣٨) . ولم يقل انه يسلك قليلاً قليلاً . لكن يمشي اى يبادر متواتراً كسرعة انهزام الظل . وقال بالشبه الذى هو شكل لا جوهر . وذلك اشارة الي ان اشيا هذا العالم على هذا النحو ليست هي جوهراً ثابتاً . بل شبه وصورة وشكل لذوات الجوهر . لان كل شرفه وكرامته وظهور حاله فهذه الاشيا كلها انما هي صورة خايبة من الذات والجوهر وشكل زايل كما قال الرسول . وشكل هذا العالم يزول (قرنتية ١ ص ٧) * ومما قد نرى كثيراً بعض اوراق ملتصقة علي الجدران مصوراً فيها مدن وقلاع وممالك وبحور وانهار وجبال وغير ذلك . ولكن متي لحقها يسير من الما اهتزت للوقت وتلفت وانمحت تلك الصور المشوهة فيها . فمن قبل كانت الدنيا كلها تبان فيها وهي ورقة تتمزق باسهل محاولة وتتلاشي . هكذا قلب الانسان المتجبر المفتخر هو ورقة مصور فيها العالم . وفي وقت واحد يفني جميعه ويتمزق . ومصيبة صغيرة من

قصر مدة الكرامة الدنيوية * ومثل ذلك جرى لبولص في جزيرة مالطا (ابركسيس ١٨) . وكذلك سيدنا يسوع المسيح رب العالم فانه حيث مدح الشعب تعليمه في الناصرة واكرموه غاية الاكرام . تغيروا بعد ذلك وانتقلت اراوهم حنقاً عليه حتي انهم قصدوا ان يرموه الي اسفل الجبل (لوقا ٤) * واشعيا النبي قد شبه كرامات العالم واباطيله بفي مصر بقوله . متوكلين علي ظلال مصر (ص. ٣) . فكما انه لايفل شي بسرعة مثل الظل . كذلك لايوجد شي غير ثابت مثل الكرامة السريعة الزوال . واذا كان الحال هكذا فما بالك تهتم برغبة كلية في اشيا مضمحلة هكذا وانما هي ظل خالص لامحالة * قل لي اذا صدف ان يكون احد عطشاناً جداً حتي انه قد اشرف علي الموت من شدة الظما . ثم نظر عين ماء صاف بارد تجري في قصاطل من ذهب . فلم يشرب منها لكنه تمسك بفيها ليروى ظماه . اما كنت تحسبه مجنوناً . فكم بالحري ان يعد مجنوناً من يهمل ذلك المعين الالهي الدايم الفيضان الذى هو وحده قادر ان يشفي غلة النفوس ويشبع اشتياقها . ويفتش طالباً الاكرام الدنيوى ويجرى وراء ظل هذه الاباطيل والمديح الانساني . ولاجل هذه الامور يهلك نفسه * فاذا كان لاشي من الاشيا ثابت في الدنيا وكافة الاشيا سريعة الجرى فكيف ترومر الثبات فيما ليس هو بثابت * وقد قال ايوب الصديق

فنيت وبادت وشرفهم قد انتهى الي حماة مخلفة بعدهم * لقد تحولوا الي تراب ولا يشاهد من بقاياهم غير دود ورماد والناس تدوسهم وتمشي علي قبورهم * لقد عبرت سرعة تلك الاباطيل وما بقي الا التراب والطين . وفي معني ذلك قال ايوب الباران امراء العالم والاكابر يرتفعون لكنهم يعودون سريعاً كلاشي والي الدثار والبوار ينتهون * ولقد احسن لوقا الانجيلي بقوله فيما اخبرنا به عن ابليس انه ارى المسيح في الجبل جميع ممالك المسكونة في اسرع وقت . وذلك ليفهمنا كم هي وقتية كرامات العالم وسريعة الزوال * فمثل ما ان النبات المعروف بالقسوس يتشبث بالشجر العتيق اليابس . هكذا تلتصق انت بالكرامة اعتماداً علي الاكابر والروسا . ولثقتك بهم واستنادك عليهم تصير انت معدوماً ومفقوداً * ان الكرامة الدنيوية باطلة . والثقة بالروسا والملوك وكل شي للزوال وعدم الثبات * اتشا ان تبصر ما اسرع زوال الحاضرات انظر الي بولص وبرنابا . فانهما عندما بلغا الي مدينة لسترا اكرمهما الشعب اكراماً عظيماً حتي اتخذوهما مثل الالهة وعزموا ان يقدموا لهما قرابين . ودعوا برنابا زوس اى المشتري وبولص ارميس اى عطارد . ثم انهم بعد زمن يسير طردوهما من المدينة بالتعيير والاهانة واخذوا برجمهما حتي كادا يموتان (ابركسيس ١٤) * وهذا لكي تعلم مقدار

وارتفاع الشان . كون الجزا عنها في ذلك المحل الاشرف قليلاً *
فدع اذاً عنك هذه الباطلات ولاتلتفت الي هذه الكرامات
القصيرة الكاذبة اذا شيت ان تنجو من الخزى والعار . اهرب من
* هذه الكرامات العالمية فتكون في السما كريماً *

الفصل الثاني والسبعون

* في بيان قصر الكرامات العالميّة *

قال ابن سيراخ اموال الظالمين تجف مثل الوادى وتصوت كالرعد
العظيم عند المطر (اصحاح ٤٠) * فقد نرى في زمن الصيف بروقاً
ورعوداً وسحايب وصواعق حتي يكاد ان يخرب العالم . ويصير
من ذلك امطار وسيول عظيمة . اما بعد نحو نصف ساعة . فيبطل
هذا الهيجان كله وتعود السما صاحية مثل الاول ويهدا كل شي *
فيالقصر كرامة هذا العالم ومجده الفارغ وسرعة زواله وانحلاله *
فهذه الاضطرابات تجوز سريعاً . وهذه الغيوم تنحل وتتلاشي
ولايبقى من ذلك علامة ولااثر ما خلا جزء طين علي الارض تدوسه
الناس * كم من الملوك والمسلطين رايناهم مصطحبين بجنود
وفرسان ورجّالة وحراس وحجاب حتي لا تسعهم الشوارع .
والكل يرتعدون منهم خوفاً ويتعجبون من عظمتهم وشرفهم .
والان ليس لهم ذكر في الدنيا * لقد وفد الموت وعظمتهم

الذل والهوان لاباس عليك في هذا المحل . بل تكون حياتك في امان واطمينان * فقد نرى في خيار القوم واجلايهم رذيلة الكسل والبطالة التي هي ام ساير المعاصي والرذايل . وبالتوانى والتضجيع يبدرقون حياتهم ويصرفون الزمان بالملاعب والملاهى والملاذ الحسية . ويستعملون اللذات وكثرة الاطعمة . وينعمون ابدانهم برغد عيش يفوق القياس . وهولاء يجنون علي الله جنايات اكثر من الذين يعيشون بعرق جبينهم * اتروم اكتساب الحيوة الابدية فانعطف ههنا شوقاً الي الاشيا ذات القيمة هناك . كمثل التاجر الخطير الذى يقصد ارباح المعيشة فانه يشترى البضاعة من حيث تكون رخيصة الثمن ويحملها الي حيث لايوجد من صنفها * فاذا شيت الوصول الي السما التي تسعى اليها فلا توسق نفسك وتحملها ماليس لهُ قيمة هناك * فهناك تصادف كرامةً وغني ونجاح حالٍ وافراحاً ومسرات ما يفوق الوصف والقياس . فاصغ ادّ القولي واستمع مشورتى . واحمل ماليس لهُ وجود هناك فتبيعه بيعاً يرضيك ثمنه كما تحب وتشتهى * فالهوان والاضطهاد والدموع والصوم والاقلاع عن السيات وما اشبه ذلك لاتوجد هناك ولا يصادف مثالها . فاذا حملت هذه البضايع التي لاتُعادل بثمن الي هناك . ففي ذلك المحل تستوفي احسن الوفا وتدومر في الغني والكرامة السعيدة سرمدًا * لاتتعبن باطلاً بوسق الكرامات

كنت ترتاح الي الكرامة العالمية بعصيانك علي الله تعالي فهيهات ان تفلت من مثل هذه المساوى والجنايات * كثير من الناس يذهبون الي جهنم ليكونوا مستمرين ههنا على ماهم حاصلون عليه من الكرامة الدنيوية . ولعمرى ان هذا الحال معطب جدًا * ولو عرفت علي التحقيق الخطر العظيم الذى تتهور فيه اصحاب المناصب والدرجات العالية من المجد الفارغ . لكنت تستخف بهذه الاباطيل من صميم قلبك . وتتهاون بهذه الخيالات والكرامة التي تشتهيها الان بزيادة وترتاح اليها جدًا * فادمراذ كان في الفردوس الارضى في درجة كريمة مرتفعة جني على نفسه اذ ذاك جناية عظيمة (تكوين ٣) * اما ايوب الذى اُصيب بملامات كثيرة وتجارب متباينة لياسى الي الله وتعويقات تعيقه عن خدمة ربه . فقد كان امره بخلاف ذلك . لان هذه الكوارث جميعها لم تلجه الي السقوط في المعصية * ادم قد كان في اسني الدرجات واعلي الكرامات والكل منقادون اليه طايعين . وايوب كان على المزابل مهانًا مرذولًا من الكل . فمن هذا يجب ان تعرف ان كثرة الاخطار هى في الرتب والمناصب العالمية . وان الطمانينة هى في الذل والاحتقار * من كان في موضع عالٍ متحدر فهو في اعظم الخطر للسقوط . وكذلك القايمون علي ارتفاع البنا فهم في اشد خطر من الذين يمشون على الارض السهلة . فما دمت في حالة

الحال التي يسير بها ويتقلب فيها محبوا الكرامة الوقتية . لانهم يستخيرون هلاك نفوسهم والا فقدوا كرامتهم ههنا * ان بيلاطس حكم علي السيد المسيح عدوانا لاجل كرامة ذكره وصيانة شرفه الذى كان فيه . مع انه كان عارفا بره تعالي وانه برى من كل ذنب وجناية . وقد علم ان اليهود قد اسلموه حسدا واراد اطلاقه . غير ان اليهود قالوا له ان انت اطلقته فما انت محب لقيصر (يوحنا ١٩) . وهو لمحبته الكرامة وخوفا ليلا يعدمها وان تشتكى اليهود عليه لقيصر . اطلق القضية بالموت لهذا السبب عينه علي مبدع الحيوة . وارتضى بفعل ما هو خلاف الحق والمعقول وحاد عن صوابه ليلا يخسر نعمة مولاه . واحب ان يفعل ما هو ضد الاستقامة والعدل الذى به يقبل الي الله والا ينقصه شي من مرتبته وكرامته وصداقته مع قيصر * وكذلك يرو بوعام ملك اسرايل لكى يدوم في الحال الذى كان فيه من العز والشرف صنع عجلين من ذهب وامر القوم بالسجود لهما (ملوك ٣ ص ١٢) * وهكذا هيرودس العسقلاني قتل الاطفال عمدا ليقتل المخلص (متي ٣) وذلك لكى تدوم له الرتبة الملوكية التى كان مالكها * وايضا قيافا ريس الكهنة وكل اصحاب المجمع بذلوا مجهودهم في قتل المسيح ليبقوا في حال عزهم وحكمهم . حيث انهم خافوا من ان تاتى الرومر وياخذوا الملك والمراتب التي كانت لهم * فاذا

لخطر هي الكرامة العالمية ومعطية لكونها علة لسقوط كثيرين * وداود لما كان ذا كرامة ووقار متنعماً في قصره بكل تعزية سقط اذ ذاك في المعصية وتهور تهوراً يفوق الوصف. فقد تبين من هذا ان الانسان وهو في حال درجته ومناصبه السامية وكرامته وشرفه فانه تحت معاطب هذا عظم مقدارها. حتى قال عن نفسه هذا النبي حين ارتفعت اتضعت وتحيرت (مزمور ٨٧). وفي كرامتي وعزى سقطت سقوطاً عظيماً * ان اقواماً كثيرين اهلكوا نفوسهم بطلب الشرف والكرامة. ومن قبل هذه الكرامة الانسانية تجرا قوم بوقاحة علي البارى تعالي لكيما يحفظوا لهم حسن الثنا وجميل الذكر عند الاخرين. فيدنسون اعراض الناس ولا يريدون اصلاح ما قد اتلفوا. خيفة من انهم اذا كذبوا انفسهم عند الغير يعدمون حسن الثنا والذكر المظنون بهم جيداً بين الناس. واحب اليهم عذاب جهنم والا يضيعوا حسن صيتهم * والارغب عندهم ان ينشئوا بيوتاً وعيالاً بخدم وحشم وكل كرامة دنيوية من وفاء ما عليهم من الديون * وقد قال يوحنا الانجيلي ان كثيرين من الرؤسا قد امنوا بالسيد لكنهم لم يجهروا ذلك بالاقرار من اجل الفريسيين لئلا يصيروا خارجاً عن الجماعة. لانهم احبوا مجد الناس اكثر من مجد الله (يوحنا ١٢) ولعمري ان هذه الحال لصعبة المراس وشديدة الخطر جداً اى

يمين الكرامة العالمية وعزها هم اكثر عددًا من الهالكين وهم في حال الاهانة والاحتقار * لعمرى ان نجاح اهل العالم وحسن حالهم انما هو مكر خايب من التاديب وضربة من الله غير معروفة * لاتجلس في مكان مكرم فتخدع وتحصل في معاطب واخطار * ان المريض الذى يعتريه الهذيان فانه يتالم كثيرًا مما يتصور لهُ من الخيالات . وان لم يشفَ من هذا الدا فهو في حالة العطب * دع عنك افتكارات الكرامة الباطلة المتصورة في مخيلتك فانك ان لم تصرفها عن ذهنك تكن حيوة نفسك في اعظم المخاطر المهلكة * اطرح عن قلبك افكار الجهل بالرفعة والشرف اذا شيت نيل الخلاص والصحة . وان كنت لاترفض هذه الخيالات ولاتجتنبها فلن تنال الشفا البتة * فالسيد لما كلفوه لان يصير عليهم ملكًا فرَّ من ذلك هاربًا (يوحنا ٦) . مع انه لايقدر احد ان يدبر الناس ويسوس احوالهم مثل الذى خلقهم * وهو تبارك وتعالي لبس جسدًا لا لينقذنا ويخلصنا فقط . لكن ليعلمنا ايضًا ان نهرب من الكرامة والشرف والمجد الفارغ . ولهذه العلة طفر فارًّا في ذلك الوقت من رفعة الملك تعليمًا لنا ان نحتذى بحسن طريقته ونتهاون بجميع الكرامات العالمية لما تحتويه من كثرة المخاطر * فشاول بعد ما اختبأ ليلا يصير ملكًا داخله التجبر والعظمة بعد تسلطه واخذ الملك وطلب ان يكرمه صمويل النبي * انها

الرسول لا تكونوا اطفالاً في ارايكم . فالطفل احب اليهِ فـرس من قصبةٍ وافضل لديهِ من جياد الخيل . والبنت تحب صورةً من خرَقٍ افضل من محبتها المراة الجميـلة * فلاجل ذلك لا تكن مثل طفلٍ تسعى ورا ظل الحق افضل من الحق بالذات . لان الغني والكرامة والمال في هذه الدنيا انما هي ظل لتلك الكرامة والقنيات الحقيقيّة التي في السّما * فلاتحبين هذه الخسايس * ولاتهوين هذه الكرامات لانك انسان ذو عقل وتمييز *

الفصل الحادي والسبعون

* في بيان اخطار الكرامات العالمية ومعاطبها *

يقول ابن سيراخ لاتطلب من الرب السلطان ولامنبر الكرامة من الملك (اصحاح ٧) * ان الذين يمشون علي ارتفاع البنايات العالية فهم تحت العطب . وينبغي ان تكون روسهم جيدة ليلا ياخذها الدوار والا فيسقطون ويتمزقون اربًا اربًا * وانت ايها الانسان متي حصلت على كرامات هذه الدنيا فيجب عليك ان يكون لك عقل عظيم وافراز جزيل . وان تكون ودودًا لله ان اردت الفرارَ من الوقوع في هوتة جهنم . كون الحظ الوافر الصالح هو اشد خطرًا من الحظ الردى * وقد قيل في المزمور سقط عن الشمال الف وعن اليمين عشرة الاف (مزمور ٩٠) . لان الذين يموتون في

الناس يتداولون اخبارهم واليوم لايخطرون علي بال احد * لقد جازت تلك الاباطيل والاهوا . ويوم عيدهم قد مر ونفذ سريعاً . وامست كرامتهم كالهبا والدخان * ولربما ان تلك الصورة التي كانوا يوقرونها سابقاً يفسخونها بعد ذلك ويوقدونها في النار * فياليت محبي العالم وكراماته الفارغة الغرارة الآنلحقهم بوس بعد انقضا الاجل . ولاتصيبهم مضرات غير فقد الكرامة وان يعودوا منسين من الناس * فبالعظم شقاوة هولاء الذين اصروا على المعاصى والمساوى * لان بعد انصرام هذه الايام القصيرة التي استعملوها في خدمة الدنيا تكون عاقبتهم الخلود في نار جهنم * فهذه الباطلات التي تصرف اهتمامك بها فانها تبلغ الي هذا الحد . وهذه خاتمة الاكرام والاجلال الذى تهواه * فمن كان للمسيح عبداً اميناً لايهوى كرامة زمنية لمعرفته انها باطلة وسريعة الزوال والانحلال * المتعبد المحق للمسيح هو محب اكرام ربه والهه افضل من اكرام نفسه ومنفعتها * فطوبى لمن لايحب ان يكرم سوى الهه في كل ما يفعله . وهنيئاً لمن يحضن التواضع ويلحق بيسوع المسيح كنز التواضع * احتقر اذاً هذه الكرامات الباطلة داحضاً اياها من كل قلبك لتنال الفوز مع المسيح الي الابد * لاترغبن في كرامة هذا العالم لتقتني الكرامة الصادقة في السما . ولاتهمل حقيقة الشي من اجل خداع خيالاته * وقد قال بولص

عاجز اثيم ولو ارتفعت الان الي اعلي منبر الكرامة. فما دمت في هذه الحيوة القصيرة فالناس تخضع لك كتمثال من خشب حقير مزين بما هو مستعار. لانك بالاعارة حزت درجتك وبالاعارة هو كل ما تملكه. وقد ظهر ان هذه الاشيا ليست لك. لان وقت انصرافك من الدنيا لاتقدر ان تتخذها معك. فانت الان تتزين وتتجمل بما هو لغيرك. وتتكرم بما هو مخصوص للعالم ويبقى مع العالم سيده. وعند استتمام هذه الدورة التي تدورها باى شي تنتهى هذه الكرامة. فلاريب انه عند مجى المسا الاخير من ايامك يوافي الموت وتاخذ الحيوة جمالها الذى اعارتك اياه. والدنيا تاخذ كرامتها التي خولتك اياها. وانت تلج القبر فقيرًا من الاموال الدنيوية وكرامتها * قد عرفنا بكثيرين من الروسا والملوك والامرا الذين كانوا قد تزينوا بالحلى والحلل الفاخرة الملوكية. وكانوا يجلسون علي المنابر المرتفعة العالية والناس تنقاد اليهم وتكرمهم باجلال وتعظيم كصورة من التماثيل. اما بعد مماتهم فالذين كانوا من ذى قبل يعظمونهم بكل كرامة صاروا يمشون علي قبورهم من غير توقير ولا احتشام ولا يلتفتون اليهم الان * وقد قال النبي رايت المنافق يرتفع ويتعالي مثل ارز لبنان وجزت فاذ ليس هو * فبالامس كانوا اكابر الناس واجلاهم مكرمين منهم كثيرًا. واليوم اضحوا عديمي الاكرام. بالامس كان

شهواته باعيانها هو اجل قدرًا ممن يخرج الشياطين * ان اكرام العالم ونجاحه يشبه صحو الشتا وهدو البحر وكمال القمر. وكما ان هذه الاشيا لاثبات لها في حالٍ من الاحوال ولا تزال في الانقلاب والتغيير علي الدوام . هكذا الكرامة العالميّة تنتقل وتتغير وتكون دايمًا في تقلب من غير ثبات * فالي كم من الزمان استمر الحكم والكرامة التي امتلكها سنحاريب وهامان وبختنصر وارفخشاد وانتيوخس وكثيرون غيرهم من عظما الارض . فاليوم هو ملك ومقتدر وغدا ميت ورميم * بابل الكبرى قالت انني اجلس ملكة ولست انا ارملة ولا اعاين حزنًا . فلاجل هذا في يومٍ واحد تاتي ضرباتها موت ونوح وجوع وتحترق بالنار (رويا ١٨) * فامعن النظر في النهاية التي تنتهي اليها هذه الاباطيل والكرامات كلها. فحينيذٍ يسهل عليك الاستخفاف بها * وقد يتفق في بعض الاعياد والدورات ان يعملوا تماثيل القديسين ويزيحوهم بكل كرامةٍ وورعٍ وخشوع . مزينين بحلل فاخرة وجواهر ولآلٍ جزيلة الثمن معارة من الناس . وكل الحاضرين يسجدون لتلك الصورة ويمدحونها . لكن بعد استتمام الدورة والزياح يعرون تلك الصورة عند المساء وينزعون عنها كل ما كان عليها من تلك الجواهر النفيسة وغيرها . ويرجعون ذلك لاصحابهِ . وانت علي هذا القياس ولو كنت من نبلا الناس وعظمايهم . فاعلم انك ضعيف

بغير خوف ولا جزع مبتهجاً . اما الطالب لمثل هذه الاباطيل فقد جلب علي نفسهِ محناً وبلايا كثيرة * لعمري ان هذه السعادة التي تغوينا وتغرينا ما هي الا شقاوة اعظم من ذات الشقاوة الظاهرة نفسها . لان سعادة الدنيا ونجاحها وحسن حالها ممتلى هموماً وغموماً * من كان مسافراً الى وطنهِ وترك السير في طريقهِ ملتهياً بالرياض والاشجار والنزهات الموجودة فيها فهذا لعمري سخيف العقل والبصيرة * فينبغي لك ان لا تصدك احدى هذه الكرامات الدنيوية ونجاح الاحوال الزمنية عن السعي في طريق السما التي انت طالبها وسالك فيها . كون النفس لا تستطيع الفوز بشي من الاشيا من غير مانع الا بما تملكه بلا خوفٍ ولا رهبة . والحال ان الشرف العالمي واستظهار احواله لا ثبات لها لكنها تعبر سريعاً . ويتفق ان يفقدها الانسان بغير ايثاره * فاذا شينا ان نقتني شيأً من الاشيا العالمية فلنقتنِ الله تعالي المالك كل شي والحاوى كل شي وبهِ نملك كل ما يمكننا اشتهاوه * فمحبة الكرامة انما اعطيت للانسان لكي يشتاق الى تلك الكرامة السماوية . وهي ان يكون محباً لله ووارثاً للمجد الابدى . متشبهاً بهِ تعالي ومحتذياً بجوده وصلاحهِ * وهذى هي الكبريا الجيدة المحمودة التي تعلم رفض ساير الاشيا الحقيرة وان يتجنبها الانسان ويحتقرها ويشتهي الخيرات الدايمة فقط * الانسان الذى يلجم

الصادقة * فمن غاية الجهل ان يطلب الانسان كرامة هذه الدنيا التي لا تملك الا بكدٍ ونصب جزيل . وتحتاج الي مهمات وافرة لكي تحفظ لصاحبها وتبقى لمالكها . وهي لعمري سريعة التغيير والانحلال * اما الكرامة الحقيقية فانما هي لعبيد الله واتقيايه فقط . والذين قد احبوا الله حباً خالصاً فالعالم يجلهم الان ويكرمهم * وهذه الكرامة التي يتمتع بها القديسون في السما وفي الارض لم يمتلكوها باهتمام وتفتيش ولا بالكد والعنا في تحصيلها . بل انما بالفرار والهرب منها * اتوثر ان تكون مكرماً كريماً فكن متواضعاً ذليلاً * اتشا ان تكون معروفاً عند الكل فاجتهد بتحرز الا يعرفك احد . كون الكرامة خيالاً ينهزم ولا يقدر احد ان يلحقه . لكن اذا وقعت على الارض وصار الظل تحتك فقد ملكته في ذلك الوقت * لعمري لو عرفت يقيناً بانك تراب ورماد لما اشتهيت هذا الشرف والكرامة الباطلة التي يطلبها اهل العالم العميان . وان اعرضت عنها ولم تطلبها فانك تنالها . واذا هربت منها فهي تبادر اليك . وباقتنايك التواضع تحصل لك * اذا رغبت حب الكرامة الدايمة الحقيقية فتهاون بالفانية الزمنية * فسيدنا له المجد في يوم عزه واكرامه ركب علي جحش حقير . وفي حال الغلبة والنصر مات علي الصليب موتاً فظيعاً * من كان غير معتنٍ بالكرامات ولا يفتش على منفعة ذاته فانه يتوجه اينما شاء

ولطايرة السما فتخبرك (ايوب ١٢) * ان الاتكال علي العقل نفسهِ قد اسقط كثيرين وهورهم . ومن هذا القبيل تولدت الهرطقة والانشقاق * فمن ثمه ينبغي لك ان تواظب علي قراة الكتب باتضاع كلي ضارعًا الي الله ومصغيًا لمن هو ارقي منك علمًا عارفًا بضعفك وجهلك . سل عن الشي الذى لاتعرفه ولا تحتشم ان تقر بعدم معرفتك * وقد نرى اقوامًا راضين بغبا وتهمر ويلبثون مصرين على جهلهم افضل مما يسالون عما لا يدركون * ان التلاميذ الاخيار سالوا المعلم الالهي والتمسوا منه ايضاح مثل الزارع الذى غبي عن افهامهم (لوقا ٨) * فاهرب اذًا من سمايم الكتب البرانية والمصنفات النجسة العالمية كهربك من الطاعون المبين * واهوى قراة الكتب الروحية الخشوعية التي ينشرح بها صدرك . وتغترف منها المعرفة بما سبيلك ان تعمله لتتمتع بالحيوة الابدية * والسرور الذى لايوصف *

الفصل السبعون

* في بيان اباطيل الكرامات العالمية ومعاطبها *

قال داود النبي . لقد كرمَ عليّ اصفياوك يا الله جدًا واعتزت رياستهم (مزمور ١٣٨) * اذا ابتغيت كرامةً فكن محبًا لله . لان من كان بينه وبين الله سلامة فقد حظى وحاز بالكرامة

بالمخاطبات اكثر من القراة والصلوة * من يصغ باختياره لسماع اباطيل العالم ويتلفظ الفاظاً ذات جهالة فقد باع نفسه بثمن قليل * فحيث يشرق تعليم المسيح فهناك ينمو خلاص النفس . وان انعكفت حباً لقراة الكتب المقدسة فقد رفضت قبايح الجسم وما اثمه وتجنبت سيانه * فاذا عسر عليك فهم بعض الامور الغامضة فسل الاله الصالح ان يفهمك اياها . وتوسل اليه ان ينيرك بجوده لاجل مجده ولاجل فايدتك * ومن الواجب ان تنقاد مطيعاً لمشورة من يفوقك بالعلم من الشيوخ واهل الذكا ولا تعتمد على عقلك ولا تثق بنفسك . لكن كما فعل موسي النبي ولو انه كان مناجي الله وكليمه . فانه خضع لقول يترون طايعاً وقبل مشورته (خروج ١٨) * وكذلك نعمان السرياني من اجل انه قبل مشورة غلمانه استحق التطهير من برصه (ملوك ٤ ص ٥) * ان الله يريد ان تتعلم الناس بعضهم من بعض . وربما يكون الذين يريد ان يتعلموا منهم اوطى درجة واقل علماً . وذلك ليخضع تجبرهم . فعلى هذا النحو ارتضى ان يتعلم بولص من حاناني الذى كان اقل معرفة من بقية التلاميذ (ابركسيس ٩) * وكرنيليوس قايد المائة انفذ الي بطرس (ص ١٠) * وسليمان ارسل الكسلان الي النملة ليتعلم منها (امثال ٦) * وهكذا ايوب ايضاً يقول للانسان سل الحيوانات فتعلمك

الرسول ان كل كتاب اوحى به بالروح من قبل الله مفيد للتعليم وللتوبيخ والتقويم والتاديب بالبِرّ لكي يكون رجل الله كاملاً مستعدًا لكل عملٍ صالح (تيموثاوس ٢ ص ٣) * الكتب الالهيّة تعلمنا ما يجب علينا عمله لاجل خلاصنا في هذه الغربة. والامور التي ينبغي لنا ان نفر منها ونهرب عنها * وقد قال صاحب الالحان طوبى للرجل الذى يهذ في ناموس الرب ليلاً ونهارًا. فسعادتنا وغبطتنا انما هي الهذيذ والتامل في ناموس الاهنا. لان الانسان كلما ثابر قراة كتب الله نال بالاكثر لذةً وفهمًا. ان تعاليم ربنا قد اذهلت النفوس وحيرت الالباب والافهام الي هذا الحد. حتي ان قومًا قد لحقوه الي البرية منقادين من حلاوة تعاليمهِ المحييّة ولم يفطنوا بالقوت الضروري. فلذلك دعت الضرورة ان يطعمهم هو تعالي بالاية العظيمة التي فعلها بتكثيره الخمس الخبزات والسمكتين (يوحنا ٦) * فهنيًا لمن كان غير مفتش علي فرحهِ وتسليتهِ بين الناس لكن في قراة الكتب المقدسة الروحية. وذلك لكيما تكون حياته صالحة وللسماويات محبًا كما عمل القديسون باحتقارهم هذه المنظورات وازدرايهم بها * فطوبى لمن يجعل كلماتهِ وافعاله سببًا لتسبيح الله وتمجيده ليكون تعالى مباركًا ومقدسًا في كل شيءٍ وعلي كل شيءٍ ومن جهة كل شي * فكيف يسمى صالحًا خيرًا من يلتذ بالاحاديث ويفرح

المصاحف المقدسة نبصر وجوه نفوسنا كمثل ما في المراة . وفيها نشاهد قباحتها وجمالها ومقدار فوايدنا * فهذه الكتب تخبر عن افعال الصالحين رجال الله وتحرض قلوبنا على متابعتهم واقتفا اثارهم . حتي متي وردت اوصافهم الحسنة في مشاعرنا ومناقبهم الحميدة في اسماعنا تقوى ضعفنا في ذلك الوقت * ان علو الكتب المقدسة انما هو جبال مخصبة ومراتع حسنة حيث ترتعى نفوسنا . وهذه الصحف تنير العقل وتصد الارادة عن الشوق الي العالميات . وتعلمك ما ينبغي لك الاحتفاظ به والتحرز منه . وتريك السبيل الذى يصلح لك السلوك فيه * فانت في وقت صلاتك تخاطب الله تعالي . اما في وقت قراتك الكتب تسمع خطاب الله المتكلم معك * قراة الكتب المقدسة تكشف جهالتنا وغباوتنا . وتبين ظنوننا وتوهمنا . وتصلح غلطاتنا . وتسوس احوالنا في افعال صالحة . وتكشف استار القبايح والزلات . وتحمل الانسان علي افتعال الصالحات . وتنبه الحرارة وتجمع تشتت الافكار * وقد قال الرسول كل ما كتب فقد كتب لتعليمنا لكى يكون لنا رجا بالصبر وبعزا الكتب (رومية ١٥) * لن يوجد شي مستلذ بعد الله ولا يقع تحت حسنا شي احلى ولا يمنع نفوسنا عن حب العالم منعاً كلياً ولا يقوى جندى المسيح بازا المحن ومصارعتها مثل المواظبة علي قراة الكتب المقدسة وتلاوتها . وفي ذلك قال

الرسول

وينبغي ان تفحص فيها مفتشاً على التعزية الروحية افضل من العلم * فالجدير بك ان تخرج من الكتب والقراءة سبباً للعبادة ولخشية الله . وتاسيس الصلوة يكون علي هذه الرياضة . فاذا اضفت هذا الي الاخر فحينيذٍ تستثمر من قراءة الكتب فايدة ليست بيسيرة * فمن قراءتك اليومية ينبغي ان تحفظ كل يوم شيئاً في باطن الذهن . واهذذ بهِ وتامل فيهِ لاجل فايدتك الروحية * لاتقرا قاصداً بذلك علماً وخبرةً بل لتكون ورعاً فاضلاً * لاتكن قراءتك من اجل العجب والافتخار وان يعدوك عالماً ماهراً . لكن لكيما تنال فوايد بالتعبد للبارى تعالي وصالح الاعمال المسيحية * ان الشيطان خابر الكتب جيداً وتاليها . وقد اورد شهادةً منها حين جرّب السيد علي جناح الهيكل (متي ٤) . غيرانه لم تكن قراءته الكتب ليصلح حالة التعيس ولكن ليغش الغير باغتياله ومخاتلاته * والان في عصرنا هذا يوجد اقوام يتعمقون في دراسة الكتب مثل ذلك الطاغوت المحال . وليس غرضهم بذلك ليحكموا صلاحاً اكثر . لكنهم يتوخون بذلك خديعة غيرهم بمحال علمهم وقراتهم كفعل هيرودس لما استشار قاريي السنة وعرف منهم اين يولد الرب (متي ٢) . حيث انه سال عن هذا الامر لا ليصلح ذاته بل ليميت مخلص العالم ومنقذ حياتنا * لاتكن دراستك الكتب لتكون خابرها فقط لكن لتعرف ان تنجو من الهلاك * ففي

البلغم لا تستطعم بالمآكل الطيبة. والذوق الردى المفسود الناشي عن فساد المعدة يتبين له المر حلواً * ومثلما ان الخنازير من عادتها ان تستهين بالورد والزهور وتميل الي الزبايل والخسايس فعلى هذا النحو حال الناس الشهوانيين الجهلة يرتاحون رغبةً الي الخرافات والمصنفات النجسة ويسرّون باباطيلها سروراً وحبوراً. ويلتذون في حماتها ويحتقرون الكتب الروحية التي

* تحث علي عبادة الله تعالي *

الفصل التاسع والستون

* في بيان منفعة قراءة الكتب المقدسة *

قال الله لا يبرح سفر هذه السنة من فيك لكن ادرسه الليل والنهار لتحفظ وتعمل جميع ما كتب فيه فحينئذٍ تفلح في طريقك وتتفطن بها (يشوع ١) * فهذا الخطاب خاطبه الله ليشوع بن نون موعزاً اليه بقراءة كتاب السنة المقدسة ليحسن حاله ويفلح في عيشته * ان قراءة الكتب المقدسة لمفيدة جداً لتجتمع الروح المرتحية المشتتة في المهمات العالميّة المثقلة باوقارٍ مختلفة * القراءة تعلمنا وترشدنا الى الطريق المستقيم لعيشتنا. والقصص والاخبار تحضنا على مماثلة طرايق اصحابها. والصلوة تظفرنا بنعمةٍ كليّة للخلاص * فسبيل النفس اذاً ان تبتهج بقراءة الكتب الدينيّة.

ولو لم يكن برهان يوقفنا علي جهل اصحاب هذه المصنفات غير تبدرق زمانهم في مثل هذه الامور . لكان هذا وحده كافياً للاقناع ولان يخزى هولاء ويخجلهم * وهذا لمن اعجب العجايب ان حياتك قصيرة هكذا وفيك اشيا سبيلك ان تصلحها وتتقنها وتتوب عنها . وانك مبادر الى القبر وايامك تطير بك طيراناً لتحضرك بين يدى الحاكم العادل . وانت مع ذلك تضيع هكذا الشي الغالي اى الزمان الذى لايتفق لك تحصيله ايضاً البتة . وهكذا تجوز حياتنا ولانهتم بها ولانبالى لزوالها * قل لي ما الذى امتلكته وانتفعت به بعد ان اصرفت اكثر النهار والليل في مطالعة الكتب النجسة . لعمرى انك لم تصر اكثر اطلاعاً ولا اعظم فضيلة ولا اوفر علماً ولا ازيد عبادة روحية * كون هذه المصنفات لاتعلم الفضايل ولا حسن المناقب ولا تصلح الانسان الباطن ولا تعطى معرفة الغايب ولا تنبي عن العتيدات ولا ينتج من قراتها فايدة اصلاً . بل تهيج الشهوة وتسوق الانسان الي جهنم * وقد كان بولس الرسول يتاسف نادباً علي تبدرق هذا الزمان بقوله لتلميذه تيموثاوس سيكون زمان لاتصبر الناس فيه علي التعليم الصحيح ولكن كشهواتهم يحتذبون لانفسهم معلمين باهتياج سماعهم . ويصرفون اذانهم عن الحق ويميلون الى الخرافات (تيموثاوس ٢ ص ٤) * ان من عادة المعلم الممتلية من

هكذا عاصياً شريراً كل اهتمامهِ علي الدوام في ان يتشبه بالله بقدر طاقتهِ * ومن حيث انه عارف ان الله لهُ انجيليون قد حرروا افعالهُ ولهم تصانيف مقدسة جليلة . فيريد هو ان يكون لهُ ايضاً نساخ وكتبة ومولفون نظير البارى تعالي . لكى يخدمه مصنفوا هذه الكتب النجسة ويعلموا الناس ارتكاب المعاصى وكل ما يسير بهم الى حفرة جهنم . بخلاف ما تصنع عبيد الله ونساخ يسوع المسيح الذين يعلمون المسيحيين بكتب الله الشريفة كل ما ينبغي لخلاصهم * لعمرى انهم لجهلة هولاء اعني مورخى ابليس والذين ينقلون كتب الاشعار ايضاً من لغةٍ الى لغةٍ غيرها . والذين يطوبون الزمان المنصرف في تصنيف هذه الكتب . فجميعهم هم ايضاً في الغواية والغباوة نظير اصحابها والذين يقراونها ايضاً . اذ لا طايل تحتها سوى فساد النموذجات الصالحة وموت النفس . فاذا كان سيدنا يسوع المسيح قد قال في انجيلهِ المقدس ان كل انسان يرد جواباً عن كل كلمةٍ بطالة (متي ١٢) . فيجب ان يتيقن مالفوا هذه الكتب شدة الدينونة المفزعة المعدة لهم واى عقاب ينتظرهم * انه من الممتنع ان يكون الله كاذباً في قوله حاشا لهُ من ذلك . فانت اذاً من اجل قراتك بهذه النجاسات والطغيان والغرور تذخر لنفسك دينونةً وعذاباً شديداً ليوم الغضب والانتقام عندما يوافي الديان المقسط ليعذب الخطاة *

ولو

وتسجها وتجعلها في حالة شقية . وتفسد الذهن بالكذب والعقل يعتريه الكدورة من الخرافات ويخامن الظلام حتي لايدرك شيأ من الالهيات * والذى قالة الرسول عن الاكلة يطلق علي السرطان ايضاً . فانه لايمشي الي ما قدام مستقيماً كباقي الحيوانات الدابة في الماء بل الى الورا وجنبياً . هكذا تعاليم هذه الكتب النجسة فلاتسوق من يقراها الي قدام ولاترشده الي طريق الخير ولاتدله علي منهج النما الخلاصى اللايق بالمسيحيين ان يسعوا فيه . بل تجعله يمشي متواربا بالخلاف مقتفياً سبل جهنم * اما بولص المصطفى فانه لم يعمل هكذا كما صرح بقوله انني انسي ما وراى وانبسط فيما هو امامي الي اكليل دعوة الله (فيليبيه ٣) * ثم كتب ايضاً هذا الرسول الي تيموتاوس عن بعض ارامل جاهلات انهن ابتدان بالميل الي الورا وتركن طريق الله التي شرعن بها (تيموتاوس ٥) * والنبي داود يقول عن لسان الصديقين . ما رجعت قلوبنا الي خلف (مزمور ٤٣) * اما هولاء فيرجعون الي خلف كما اخبر عنهم بطرس الرسول في رسالته الثانية قايلاً الذين بعد اعتقادهم بالانجيل والايمان بيسوع المسيح يرتدون الي الكفر ايضاً . وذلك بقراتهم الكتب الغريبة والاحاديث السجية النجسة واباطيل الاسمار الكاذبة * فالشيطان قال قديماً بكبريا وتجبر انه يريد يصير شبيهاً بالبارى تعالي . ولم يزل

الفصل الثامن والستون

* في اباطيل الكتب الدنيوية النجسة *

ان بولص الرسول الالهي كتب الي تيموثاوس تلميذه قايلاً اجتنب الكلام النجس الباطل لانه شديد الامالة الي النفاق . وان هذه الاحاديث تدب كالاكلة (تيموثاوس ٢ ص ٢) * ان قراة هذه الكتب النجسة المصنفة بالكذب والبهتان من قومٍ بطالين تابعي العالم ماهي الا جنون لا يعبر تقديره وجهالة في الغاية القصوى . اذ لا يُصادف بها خير ولا ينتج منها فايدة . ولا يوجد في مثل هذه الكتب تعليم ولا ادب ولا تهدى الانسان الي سيرة صالحة ولا تهذب الاخلاق . بل يضيع الزمان فيها . وانما تسر الحواس وتعرف المساوى والشرور وتضرم نار الشهوة وتجعل العالم سيدًا مخدومًا * وهذا انما هو من جملة الاباطيل العالمية الكبار وكثيرون يصرفون عنايتهم بقراة هذه الهذيانات بهذا المقدار حتي انهم يتوهمون من لذة استماعهم لهذه الاحاديث والاسمار الملعونة ان الساعة قد اسرعت بالدق قبل حينها . وقد سماها بولس المعظم قراة نجسة وباطلة تدب كمثل الاكلة * فكما ان الاكلة تاكل اللحم وتفسد الموضع الكاينة فيه وتسجه وتدنسه . كذلك هذه الكتب الدنسة فانها تدنس النفس وتفسد عبادتها

وتسجها

ارتضى بتلك التسبيحات الالهية الروحانيّة عند ما خرجت اهل المدينة الي ملاقاته باغصان في ايديهم وهم مرتلون خلصنا يا ابن داود مبارك الاتي باسم الرب (متي ٢١). حتي انه بكت الفريسيين الذين ذمذموا عليه لاجـل رضاه بما صنع الشعب (لوقا ١٩) * والمليكة ايضاً رتلوا في يوم ميلاده وسبحوا الله وقالوا المجد لله في العلا (لوقا ٢). وفي الصلوة اللفظية والتسابيح الالهية لايخص المصلى نفسه فقط بل ويحث غيره على ذلك ايضاً. ولذلك تراى بغتةً مع المليكة جنود سماويون مرتلين ومسبحين لله * وهكذا انت حين تسبح الله تدعو غيرك لهذا الصنيع. وهكذا كان يفعل داود الملك كما اوضح ذلك في زبوره قايلاً عظموا الرب معي ولنرفع اسمه جميعاً (مزمور ٣٣) * ومريم اخت موسى لما اخذت تضرب بالدف وترتل مسبحةً الله تحركت بقيّة نسا بني اسرايل من هذا النموذج الي حسن صنيعها واجتمعن كلهن وتبعنها في تسبيح الله (خروج ١٥) * فهذى هى الالحان والتراتيل الالهيّة التي يجب على المسيحى ان يتعاطاها تمثلاً بالملايكة والقديسين. ويتجنب كافة اباطيل الالات الموسيقية والاغاني العالمية ويرفضها كانها شيء ضار للخلاص الروحى والراحة الحقيقية التي انت قاصدها وطالب نوالها فى الحيوة الخالدة الي دهر

* الداهرين *

مكان الما المفتقرة اليه الجيوش التي كادت ان تموت من العطش (ملوك ٢ ص ٣) * وداود بالترنم طرد الروح الردى الذى اعترى شاول الملك . لانه عندما كان يضرب بالعود كان يستريح شاول وينصرف عنه الروح الردى (ملوك ١ ص ١٦) . ومن اجل هذا قال هذا النبي في مزموره (١٧) اسبح الرب وادعوه فانجو من اعدائى * فكما ان الالحان والانغام الدنيوية تحقق الخضوع والعبادة لله . بعكس ذلك النشايد الروحية ترفع القلوب الي الله وتدحض الاعدا عن النفس . فانت اذاً لكونك لاتزال محاطاً من الاعدا فينبغى لك ان تجعل تسبيح الله في فمك كل حين كما قال داود ابارك الرب في كل وقت وفي كل حين تسبحته في فمي (مزمور ٣٣) * الصلوة اللفظية والتراتيل الجسدانية تنبه النفس الراقدة الساقطة بسبب الرخاوة والفتور لتستفيق وتنهض الي الاهتمام بالله * فكما ان الله وهب الانسان نفساً وجسداً * هكذا يريد ان يسبحه بالنفس والجسد ايضاً ويبذل له خالص الخدمة * ان التسبيح لله بالقلب والفم وتمجيده في هذه الحيوة فهذه خدمة كريمة وصناعة مفرحة * وسيدنا يسوع المسيح لما علم تلاميذه كيف يصلون قال لهم حين تصلون قولوا ابانا الذى في السماوات (لوقا ١١) . فقد امر تعالي بالصلوة اللفظيّة اذ اوصاهم ان يقولوا وما قال لهم تاملوا او افهموا بل قولوا * وايضاً وقت دخوله الي اورشليم

الفرح . ممتلين من المجد والبها الذى لايدرك * وقد قال طوبيا الشيخ الصديق في كل شوارع اورشليم السماوية يلحن ويرتل الليلويا (طوبيا١٣) * وقال يوحنا في الابوكالبسيس انه سمع مثل صوت جموع كثيرة في السما قايلين الليلويا ان الخلاص والمجد والقوة لالهنا (رويا١٩) * فهذه الصناعة الجيدة قد تدربت بها الملايكة في السما وجماعة الاكليروس في الكنايس * وقد انتقل بكا الصديقين ونواحهم كله علي هذه الحيوة الي تلاحين وافراح سماوية ونشايد روحية * فينبغى لك اذاً ان تجتهد في هذه الحيوة اهتماماً بالتسابيح والمدايح الالهية التي انت عتيد ان تتمتع بها في السما * فالالحان الروحية تطرد عن النفس روح الكسل والفتور الخبيث النجس وتقصيه بعيداً . وتدحض التوانى وعدم قبول الامور الروحية . وهذه الخصال الذميمة في غالب الامر تحزن النفس وترخى العزم وتفتر القلب . وتلقيه في الملل والتواني ليلا يسمع . وتصده عن الفوز بالالهيات * ان التسابيح والالحان الروحية تجدد العبادة والتورع في النفس . وتنبه الهمة الي شوق افتعال الخير والمعروف والي اخلاص التعبد للبارى عزّ وجل بفرحٍ وابتهاج * فاليشع النبي قد امر ان ياتوه بزمار ليرتل لهُ بمزمارهِ . وبهذه التراتيل رفع الروح ورقاها الي الله واستنهض العبادة والديانة واخذ في الصلوة . وفيما هو يصلى كشف لهُ

الصادقة * فالتراتيل المزامير والتسابيح لله هي الالحان التي تفرح النفس وتسلي الروح وتقوي القلب بتحقيق . وما علا ذلك فلا شي يسر الانسان الباطن ولا يبهجه * فلو ضرب الارغن والالات الموسيقية جميعها ولم يرنّ تسبيح الله في جوارح النفس ما تقدر تلك الالات على تعزية النفس في وقتٍ من الاوقات ولا تفرحها * ولعمري انه لكي تكون هذه الالحان مرضيّة لله ومقبولة لديه سبحانه . فيجب ان يكون تعالي وحده وجلال مجده سبباً لها اى سبباً لهذه التراتيل والنشايد . وما علاه من الامور فليطرح خارجاً * فاذا كنت صافي النية وحسن الطوية فانك تستطيع ان تلحن مع العذراء امر الله وتبتهج روحك بالله مخلصك (لوقا) * فان التسبيح لله بكل خليقةٍ لاجل خيراته الفايضة علينا ولاجل عظمة جلاله هو اللحن اللذيذ في السما والارض * ان المدايح والتقديسات لله في كل حينٍ والتودد لصانع السما والارض والاجلال لواهب الحيوة الابدية هو الفعل الذى يجلب السرور ويملاء النفس من البهجة والحبور بما يفوق الوصف والتعبير * فالملايكة الكرام مع الارواح المغبوطة هكذا يصنعون في السما الخالية من قيود هذه الاجرام الكثيفة والناجية من اشتراك الطاغوت المحال مع عدم الخوف من حوادث الزمان حيث انهم لا يبرحون متحدين مع الله بكمال المحبة ودوام

وقال عن الدنيويين ايضاً اخذوا البرابط والمزاهر ويفرحون لصوت الزمير ويغنون بالتنعم ايام سرور بسرعة الى الهاوية يهبطون (ايوب ٢١) * فمن جهة ان عاقبة الموسيقى العالمية والاغاني والطرب باطلة وقصيرة المدة فلا يجب ان يغرنا الطمع فيها ولا ان تميل قلوبنا الي هواها ولا نرغبها . بل ينبغي ان نرفع قلوبنا الي محبة التراتيل السماوية والالحان الحقيقية التي لا تزول

* الي دهـــر الداهرين *

الفصل السابع والستون

* يتضمن فضل التسابيح والنشايد الروحية *

ان النبي والملك يقول سبحوا الرب بصوت البوق سبحوه بالمزمار والقيثارة . سبحوه بالطبل والدفوف سبحوه بالاوتار والارغن . سبحوه بصوت الصنوج سبحوه بصنوج التهليل والابتهاج كل نسمة فلتسبح الرب (مزمور ١٥٠) * فقد اراد النبي المترنم بروح القدس ان نسبح الله بالقلب والفم والفعل . ولاجل ذلك قال كل نسمة فلتسبح الرب . ثم ذكر بعض الادوات الموسيقية المستعملة بالفم مثل البوق وغيره . وذكر الات تستعمل بالايدى كالقيثارة والمزمار والارغن . فهكذا انت ايها المومن يجب عليك ان تستعمل مثل هذه الاشيا التي قد قبلتها من يد الله في عبادته

لكن اذا اغواك وادهش حواسك بهذا المحال تعرض عما ينسب للروح وتتجنب ما يخصه * ان نجتنصر وهو في حال طربه وغناه ومجده الفارغ انتقلت صورته وعاد حيوانًا * هكذا كثيرون يضاهونه في هذه الصفة بواسطة الاغاني والطرب والالحان الموسيقية العالميّة . ولعمري انهم لمجانين الذين يكونون علي هذه الصفة ويصرفون اكثر الزمان في مثل هذه الاباطيل . اذ الاشيا التي تزول سريعًا باطلة وعاقبتها تؤول الي هذه الغاية . ولذلك يقول اشعيا النبي تنهد جميع فارحي القلوب . زال سرور الضارب بالدف . سكن صوت الفرحين . بطل طرب القيثار (اشعيا ٢٤) * ان من عادة الذين يدخلون ميدان اللعب والمراحة . انهم ياتون الي ذلك المشهد بالترنيم والتراتيل الموسيقية والطرب والطبول والزمور اما عودتهم من هناك ففي اكثر الاوقات يكونون متحنين بالجروح مهشمين مرافقين البكا والانين . وهكذا حال الطرب والاغاني الدنيوية فقد تنقضي بهذا الحال * وقد هدد الله قديمًا شعب اسرايل بشقاوة هذه العاقبة المرة حيث قال علي لسان حزقيال النبي . انني اسكت كثرة نشايدك وصوت قيتارك لن يسمع الي ما بعد (حزقيال ٢٦) * ان الموت يوافي الينا لامحالة . فحينيذٍ ماذا يصير في مجالس الاغاني واللهو والطرب * وقد قال ايوب الصديق تغير كناري بالحزن وزمري بصوت البكا (ايوب ٣٠)

التي ارتكبوها في عبادة الاوثان . فعلى هذه الصفة الشيطان يرنم باسماعنا نغمة حلوة لذيذة لكيلا نشعر بالمعصية التي نرتكبها في عبادة الجسد والشهوات الحسية وندفع انفسنا للفواحش العظام * ان الترنيم واصوات الموسيقى تصير الانسان اخرس اصم حتي لايسمع الهام الله ولايحس بنخس ضميره . ولايبالي بالحال الشقي الردى اعني حال الخطية وعاقبة لذات الدنيا الباطلة السريعة الاضمحلال * لما لحق لابان يعقوب في جبل جلعاد قال له من جملة ما قال لماذا هربت ولم تعلمني فكنت ارسلك بفرح وغنا ودفوف وقيثارات (تكوين ٣١) * فطالما كان يعقوب مقيماً عند لابان كان يكلفه لابان الي اتعاب ومهن كثيرة . اما حينما عزم يعقوب علي تركه ومفارقته والعودة الى بلدته بالهام من الله . فقصد لابان اغتياله بالاغاني والمعازف ترغيباً له لان يستمر في مهنته تحت الرق والعبودية * فالعالم يغني طرباً لكي لاتبرح اتباعه من تحت حكمه . ويشغل فكرهم بالطرب والغنا والات الموسيقى فيعودون متحيرين مدهوشين من هذا الهذيان . جاهلين حالهم التعيس مما هم به من الاسر والمضرة * وقد ذكر الانجيل المقدس عن بنت ميتة كانت في بيت يايرس رئيس الجماعة . وكان علي باب منزله زمارون يلعبون (متي ٩) . فهكذا العالم يغني ويرنم علي نفسك الميتة بالخطية ليلا تشعر بهلاكك .

انه سمع صوتاً من السما كصوت مياه كثيرة ومثل صوت رعدٍ عظيم . والصوت الذى سمعه كصوت ضاربي القيثار ويضربون بقيثارهم ويسبحون كتسبيح جديد قدام الكرسي والخروف وقدام الاربعة الحيوانات والشيوخ (رويا ١٤) . فهذه التراتيل قد حظى بها الذين اتوا من ضيقة عظيمة وهم الذين مسح الله الجالس على الكرسي دموعهم * فاذا احببت ان تنال الحظ الاوفر حيث التراتيل السماوية فاجتنب هذه الالحان وارفضها . ولا تظن ان الحان هذه الدنيا واغانيها مطربة لذيذة . فانها لا تستحق ان تدعى ظلاً لتلك الالحان السماوية التي لا توصف باللسان * وقد يتوهم كثيرون ان هذه الالحان شي جليل حقيقي وانما هي منام في الزمن العتيد * وكما ان طيور الجبل تنخدع بتمثال ثور كاذب وتمشي وراء صوت الجرس وتجذب الى الشرك تسليماً للموت . فعلى هذا المثال يوجد اقوام يحاكون العميان ويسعون وراء رنين هذا العالم مخدوعين بمحال تلاحينه الكاذبة واغانيه الباطلة . وينقادون بصوت المعازف والعيدان الى موت المساوى والاثام * وقد امرَ بختنصر الملك الظالم ان يضربوا بالنفيرات والقيثار والمعازف وساير الات الموسيقى ليطغى الشعب الجاهل ويستجذبه الى السجود للتمثال الذى صنعه (دانيال ٣) . فكانت الناس تنذهل وتتحير من لذة الالحان والانغام ولا يلتفتون الى عظم الخطية

التي

ما كانت مقرّ الضحك والفرح بل الحزن والبكا . هكذا في قلق هذه الدنيا واسرها واضطرابها لايجوز الضحك والطرب . بل الاولي ان تترك الاغاني وان تعلق اداة الالحان كما فعل شعب اسرايل المأسور حسب قول النبي . علي الصفصاف في وسط بابل علقنا الة الحاننا * اذا تاملت الموضع الذى انت فيهِ فانك ترى ان سكان مياه بابل العكرة يحق لهم البكا والعويل افضل من التراتيل والموسيقى العالمية * فلا ترغبن اذاً في لعب الات الطرب ولاتغني الحاناً باطلة في هذا المنفى الحاضر . اذ لايوجد فرح حقيقي في بابل لكن في صهيون اورشليم المقدسة * لاتفرح في حسن حال الدنيا وغناها كما يفعل بنوها الدنيويون . بل كن مثابراً خشية الله متاملاً ضعفك وذبولك وتقصيرك * وقد قال الله الويل لكم انتم المدلجين باكراً بالقيثار والرباب والطبل والصافور والخمر في ولايمكم ولاتنظرون اعمال الرب (اشعياه) * ان عاقبة الاغاني العالمية والالحان الموسيقية ومنتهى مصيرها الي عبرات واحزان كما تم باسر بابل . لان العود والقيثار اللذين كانوا يطربون ويفرحون بهما من ذى قبلٍ فعلى الصفصاف علقوهما . وتحولت تراتيلهم والحانهم الى تنهد وعبرات * ولكوننا غير مشاهدين غباوتنا وجهالتنا التي نحن بها سايرون . نريد ان نجعل هذا الوادى وادى الدموع فردوساً ونعيماً * وقد قال يوحنا الانجيلي

تكون خطواتهم الي الموت بالاغاني والزفن والافراح . وفيما هم في هذه الحالة يكون مصيرهم الي المقبرة * كيف تسير بالفرح والرقص الي دينونة الله المفزعة وانت عارف بانك قد اسات اليه في امورٍ كثيرة وهو خالق السما والارض الذى يحاسبك علي عيشتك وطرايقك اشد الحساب وربما قبل غدٍ . فكيف ترقص وتضحك وتلهو طربًا * لعمرى اننا لم نعط هذه الحيوة لنلتذ فيها ونفرح ونطرب . لكن لنحظى بواسطة البكا والتوبة في هذه الدنيا الشقية بالفوز بالحيوة الدايمة الحقيقية * فسبيلنا ان تكون سيرتنا في هذا المنفى صالحة مرضية لله . ليلا نكون فاقدى * الفرح الذى لا يمازجه حزن والمجد الذى لا يغيره زمان *

الفصل السادس والستون

* في اجتناب الاغاني والموسيقات الدنيوية *

يقول ابن سيراخ الغنا في زمن البكا كلام في غير حينه (ص ٢٢) * فاذا كان زمن حياتنا هذه هو زمن البكا . فلا يسوغ لك ان تبدر قه في الاغاني والالحان الموسيقية * وقد انبا داود النبي عن بني اسرايل وهم في اسر بابل قايلًا . علي انهار بابل هناك جلسنا فبكينا عند ما تذكرنا صهيون (مزمور ١٣٦) . وبقوله هناك يشير الى المكان الذى بكوا فيه الذى هو بابل * فكما ان بابل

علينا متي يكون وربما يكون ونحن في هذه الحال . لاننا جميعنا تحت قضا الموت . وهذه الحيوة انما هي طريق وعبور الي الموت * فمن عادة البقر متي سيقت الي المسلخ فانها تنط وتلعب . ولكن ليس هو بعجب اذا فعلت البهايم العادمة التمييز مثل هذا الفعل اذ لا علم لها باخذها للموت . اما الذى ينبغى منه التعجب والانذهال هو انك انت يا ايها المسيحى الخليقة الناطقة تسير باللعب والرقص والملاهى الي مسلخ جهنم ماخوذاً من ايامك التي تطويك طياً وتنتهى بك الي المقبرة . وقد كتب اننا نموت اجمعين ونحن مثل الماء السايل علي وجه الارض نموت كل يوم (ملوك ٢ ص ١٤) . ومثلما ان جرى الانهار الى البحر لاينقطع ابداً هكذا نحن نجرى الي مرارة الموت بلا انقطاع * ان بداية الانهار ونهايتها من حسب قول الحكيم لان خروجها من البحر ودخولها الي البحر ايضاً . (جامعة ١) هكذا حيوة الانسان علي هذا المنوال تبتدى بالبكا وتنتهى بالدموع * فحياتنا من اوايلها تكون محتاطة بالاوجاع . وفي اواسطها واواخرها بالاحزان . وما دمنا عايشين ههنا فالشدايد والبلايا مستولية علينا . فما هذا الجنون اذاً والجهل العظيم . حيث اننا ماشون الي الموت كالثيران راقصين ولاعبين . افهل رايت احداً ممن شجب بقضية الموت قد ذهب الي الشنق بالطبول والزمور والة الطرب وهو يرقص ويرتكض فرحاً * فالراقصون

ياسون الي الله اساءً بيناً بكل حواسهم التي اعطاهموها ليخدموه بها حق الخدمة . اما هم فيصرفون اهتمامهم كله في خدمة العالم ولا يستعملون يسيرًا منها في خدمة سيدنا يسوع المسيح تعالي اسمه * لعمري انه امر يحق منه التحير والانذهال . وهو ان عيشتك في هذا الوادي وادي الدموع . منفيًا من الفردوس الذي خلقت لاجله . وحياتك مكتنفة باخطار شتي . وانت تغني وتقهقه وترقص طربًا . مع انك لا تعلم ان كنت لا تفارق الدنيا غدًا وتنقضي ايامك * لما كانت اهل فلسطين في حال الافراح والطرب والحبور والاكل والشرب وهم منتظرون شمشون ليرقص في وسطهم . سقط في ذلك الوقت البيت عليهم وتهور في جهنم اذ ذاك نحو ثلاثة الاف منهم (قضاة ١٦) * وايوب يقول اخذوا البرابط والمزاهر ويفرحون لصوت الزمير ويغنون بالتنعم ايامهم وبسرعة خلوًا من مرض الي الهاوية يهبطون (ايوب ٢١) * ومثل ذلك ورد علي العمالقة اذ ادركهم داود والموت معًا وهم في راحة لذاتهم وافراحهم بالنصرة التي انتصروها (ملوك ٣٠) . ولربما يجري عليك انت مثل هذه الحوادث لان الموت يحدث كل يوم علي الناس بغتة وهم غافلون * فاما جهل اعظم من هذا انك تبدرق هذه الحيوة القصيرة بالملاعب والزفن والمطربات ونحو ذلك . ونحن كلنا تحت قضية الموت ولا نعلم نفوذ حكمه

التي يحارب بها وبكل واحدٍ منها يذبح النفوس . وتلك الانفس التي يخسرها في الكنايس والصلاوات فانه يكتسبها في مشاهد الزفن واللهو والطرب * لان هولاء الجهلة لايحضرون في هذه المحاضر الّا بعد الزينة بالحلى والحلل البهية والمفتخر من الملبوس . ويتباهون بالبهتان والمحال اللعين يوازرهم علي مثل هذه الامور الباطلة . وذلك لكي يسقط غيرهم في اشراكه بواسطتهم بزيادة ويتضاعف سقوطهم . وهو يرهف سيوفه في ذلك ويسن نباله ويقتل بها انفساً كثيرة * لانه خزاه الله يقاتل في مجالس الرقص باقوى الاسلحة واجودها . وان سالت وما هي اسلحة الشيطان الاشد قوةً من غيرها . فاجيب انها النسا وبهن قد غلب كثيرين من الاقويا الاشدا الباسلين وقهرهم مثل ادم وشمشون وداود وسليمان وغيرهم كثيرى العدد * فهذا اللعين اذلم يقدر علي قهر بني اسرايل في البرية لان الله كان معهم . استعمل في ذلك الوقت اسلحته المعتاد عليها . واخذ نسا اهل مديان وبهن ظفر بشعب الله واوقعهم في عبادة الاوثان (عدد ٢٥) * ثم استعمل اسلحته هذه ايضاً لما غلب نايب السيد المسيح على الكنيسة بطرس المعظم في دار قيافا رييس الكهنة على يد امراة بوابة (متي ٢٦) * ولعمري ان الرقص واللهو اختراع من حيل المحال لكيما يقود الناس الي جهنم بهذه البدعة التي ابتدعها واتي بها الى الدنيا * ان الراقصين

ولعمري ان العذاب الذى انذر به الله بنات شعبه وهددهن به علي لسان حزقيال النبي . انما هو ليعرفنا ما اكثر ما يبغض الله تعالي الرقص والطرب وما اشبه ذلك من الملاهى * وموسي النبي الذى ما كان في عصره اودع منه في كل المسكونة اذ شاهد العجل وزفن محافل الشعب الاسرايلى غضب جدًا حتي انه رمي بالواح الناموس التي كان حاملها علي يديه وقتل من الشعب ثلاثة وعشرين الفًا * فلولا معرفة موسي غيور الله بشدة عصيان بني اسرايل في ذلك الرقص والطرب واللهو . لما كان فعل ما فعل مع انه رجل وديع واصبر الناس اجمعين * وفي عهدنا هذا يتجرى اقوام علي مثل هذه المعاصى المذكورة في اكثر الاوقات * وقد رقصت بنت في فرح ذكر مولد هيرودس فنتج من زفنها قطع راس السابق . فهذى هى الفايدة الناجمة من اللهو * فهيروديا الزانية علمت ابنتها الرقص والطرب قبل ان تعلمها عمل الفضيلة . وبعض الناس يماثلون هيروديا بتعليم بناتهم مثل هذه الاباطيل قبل تعليم الصالحات * فقل لي ياهذا ايما دليل اوضح علي خفة العقل من ان الشخص يغنج بجسده . واى جنون اشنع من هذا الجنون . فكل من كانت رجلاه خفيفتين في الرقص هكذا فيكون راسه ايضًا ليس بثقيل * فعلى قدر عدد المزينين الحاضرين في محافل الرقص يكون عدد اسلحة الشيطان

التي

يولد دود الخطايا في الانسان ويفسد مزاجه ويبعده عن الله. حيث ان سيدنا يسوع المسيح قد قايسنا بالاشجار (متي ٧) * وداود النبي يقول ايضاً الرجل الصالح يشبه العود المغروس علي مجاري المياه (مزمور ١) * وكما ان نابوزردان ريس الطباخين هو الذى اخرب اسوار اورشليم (ملوك ٤ ص ٢٥) . هكذا الحنجرة تخرب فضايل النفس وتبيدها * من كان حاصلاً في الخطر بين اعلايه والمياه محيطة به وهو مع ذلك يركب فرساً شموصاً بلا لجام فانه خايب من التمييز وعادم المعقول . وانت علي هذا القياس تكون جهالتك ان لم تلجم جسدك بلجام الزهد حيث انك سالك بين اخطار كثيرة * فلتشنا نفسك ما اكل مصر الغليظة لكى تستلذ بالمن السماوى وتغتذى بمطاعم نفيسة شهية . وتتعزى * بالتعزية الروحية السماوية *

الفصل الخامس والستون

يشتمل علي ذم اباطيل الزفن والطرب

* والملاهى العالمية *

قال الله من اجل انكِ صفقتِ بيديكِ وركضتِ برجليكِ وفرحتِ بكل قلبكِ علي ارض اسرايل . فلهذا هانذا ارفع يدى عليكِ واسلمكِ نهباً للامم واقتلكِ في الشعوب واهلككِ (حزقيال ٢٥) *

ان يتنعم في نجاسات الجسد وفساده متمادياً * اننا لم نشاهد في الكتب المقدسة ان الله خول عبيده واصفياءه كثرة المآكل المتنوعة والولايم والدعوات وامثال ذلك . بل دربهم بالقناعة والزهد في كل شيء . فايليا لما هرب من ازبل واعياه التعب فاضجع تحت ظلال العرعر . وافاه ملاك الرب ميقظاً وقايلاً قم وكل . فلما نهض لياكل ما وجد عند راسهِ ما اكل نفيسة ولا خمراً عطراً ثميناً بل رغيف خبز وكوز ماء (ملوك ٣ ص ١٩) * واليشع النبي لما اضاف بني الانبيا ما كان لهُ طعام سوى مرجل من عشب البر . لانه لم يكن لهُ عادة ان ياكل شيئاً افضل من هذا (ملوك ٤) ودانيال النبي ايضاً لما كان في بابل ملقى في جب السباع ما اراد الله يطعمه من موايد ملوكية متلونة . لكن من طعام الحصادين بواسطة حبقوق النبي الذى اخذه ملاك الرب اليهِ (دانيال ١٤) * ولعمري ان ذلك الطعام لم يكن ملوكياً جزيل الكلفة * فكما ان الباقلا وبقية المآكل الغليظة تزيد الحليب في النسا . كذلك القناعة تحول الناس التمتع بروح القدس . اما الشرب المفرط من الخمر وزيادة الامتلا من الاكل فانه يولد خطايا متنوعة وقبايح متفننة * وكما ان غرس الاشجار في انتصاف القمر وقطع الاخشاب في هذا الزمان نفسه يكون سبباً لان تفسد وتسوس وتربى دوداً لكثرة الرطوبة في الزمن المذكور . هكذا كثرة الاكل والشرب

من قبل الاكل نتجت الخطية . اما الخلاص فمن الزهد والقناعة *
ان الذى فرض الصوم هو الله حين امر الانسان الاول الآ ياكل .
والحيّة هى التي اشارت بالشراهة * فالشراهة طردت الانسان
من الفردوس الارضى واقصته بعيـــدًا . والزهد استرده اليه *
اصحاب الحنجرة يتقلون بتعاذيب الجوع في جهنم . حتي قال عنهم
اشعيا النبي كل واحدٍ ياكل من لحم ساعده (ص ٩) . وتمسهم
شدة العطش بهذا المقدار حتي انهم يشتهون نقطة من الما مثل
ذلك الغني المذكور في الانجيل ولا يُعطى لهم (لوقا ١٦) * ففى جهنم
يكون الجوع والعطش وعدم الما اكل بالكلية بمقدار ما كان
الشبع من ذلك ههنا بل يفوق عليه كثيرًا * الحنجرانيون في هذه
الدنيا ليس لهم تصبر علي الجوع والعطش . اما هناك فانهم كقول
النبي يجوعون مثل الكلاب وياكلون لحومهم (مزمور ٥٨) *
وماذا يكون اشد جهلاً وغباوةً من ان الخليقة الناطقة تتنزل
خاضعة الى بلايا ونكبات كثيرة الاصناف . وتتهور في بوسٍ
شتي من اجل لذةٍ حقيرة . لان الانسان بسبب الرغبة في كثرة
الما اكل يصير منهوكًا بالاسقام التي تلم به ههنا . وبعد ذلك يكابد
العقوبات المخلدة في نار جهنم ويقاسى الجوع والعطش الذى
لا يحتمل * ولعمرى ان غاية الجهل والغباوة ان يجعل الانسان
بطنه وثنًا . والعار الذى لا يقاس عليه والذل الذى لا يقدر هو

وتتنزل بكليتك الي ان تصير اقل تمييزًا من الحيوانات الغير الناطقة وفي هذا الشان قال ابن سيراخ الخمر والنسا تجعلان الحكما ماردين ومن الله مقصين (اصحاح ١٩). وهولاء وامثالهم كما قال الرسول عنهم لا يفوزون بملكوت الله (قرنتية ٦) * فليس هو بمستغرب اذا عمل الكفرة والوثنيون الذين لا يعرفون الله نظير هذه الاعمال السيية الردية . اما المسيحيون المحقون الذين قد انقذهم سيدنا يسوع المسيح من الظلام واوجدهم في نور الخلاص . والكتب المقدسة تنهيهم عن السكر وان يحذروا منه حذرًا كليًا . فامرٌ مستغرب هو ان يحتذوا اثر اوليك المنافقين الملحدين ويتبعوا خلالهم وسجاياهم السيية * فالسكر سم عذب وشيطان خفيف الروح . ومن كان فيه هذان لا يحس بذاته ولا يشعر بما يفعل . لكونه غير عارف به وهو كله غارق في الخطيّة * اذا لم تلجم عنك رذيلة الحنجرة اولاً فباطل ان تصادم بقية الرذايل * وقد قال ابن سيراخ كثيرون بادوا من اجل الشره اما القنوع فيزداد حيوة (اصحاح ٣٧) * فكما ان ريق الصايم هو سم قاتل للحيات . كذلك القناعة هي سم بازا الخطايا والذنوب . ومثلما ان نارَ اتون بابل ما احرقت الثلاثة الفتية القنوعين . هكذا التجارب لا تشعل جسد القنوع الزاهد * ان فريضة الصوم وسنة القناعة هما وصيّة من الله . اما مخالفة هذه السنة فهي من الشيطان . لانه

والمشارب استعمال استقامة عدل النفس . فالزمان الذى حفظ نفسه بهِ ادم في الفردوس لم يزل فيهِ كله صالحاً قويماً . ولكن لما تنزل عزمه الي المستلذ من الاكل خسر خيرات كثيرة وسقط متهوراً في ضروب البلايا (تكوين ٣) * وفي هذا المعني قال الرسول لاهل افسس لاتكونوا تسكروا من الخمر التي فيها شهوة الزنا (افسس ٥) * وهكذا كان لما افرط لوط في شرب الخمر وزاد عن الحد فزنى بابنتيهِ (تكوين ١٩) * وايضاً حمنون بن داود بعدما شبع من الخمر وثمل قتل (ملوك ٢ ص ١٣) . وهذه الرذيلة نفسها صارت سبباً لموت اليفانا مذبوحاً بيد امراة وانكسار جميع جيوشهِ الكثيرة (يهوديت ١٣) * ان من ارخى العنان لهذه الرذيلة وانقاد لها عجز عن القيام بفروض الصلوة وباقي المحامد المفضلة * وكما ان كثرة الامطار توحل الارض وتعمل بركاً من الما لايتربى فيها الا الحيات والضفادع وغير ذلك من الهوام والحشرات . كذلك شرب الخمر المفرط يولد شهوات ردية خبيثة ورغبة قبيحة وفواحش متلونة متباينة * ومن كانت هذه الحال حالهم فهم لعمرى اقبح طرايق من الحيوانات التي لاتاكل ولاتشرب الا ما تحتاج اليهِ ولاتعود الي الشرب بعد شبعها ولو جبرتها علي ذلك * واما انت ياانسان فلاتقنع بما يكفيك . بل تواظب منعكفاً علي الاكل والشرب وتلاومه حتي يوول بك الي الابتعاد من البارى تعالي

ليتناول منها المومنون بشكر (تيموتاوس ١ ص ٤) . فسبيلك ان تصنع مع جسدك كما يُصنع مع المريض حين يبعدون عنه ما يضره من الاكل ولو طلبه . ويناولونه ما ينفعه ولو كان كارهاً له *

الفصل الرابع والستون

في بيان الضرر الناتج من التفريط في الاكل والشرب *

قال الرب انظروا ليلا تثقل قلوبكم من الشبع المفرط والسكر (لوقا ٢١) * فلو نهاك احد الاطبا الماهرين عن شرب ماء حشيشة من الحشايش القتالة . فانك لعمري كنت تتوقى شربها لا محالة خيفة من الموت . فهكذا طبيب الانفس والاجساد قد نهاك عن زيادة المآكل والمشارب التي تكون سبباً لهلاكك وانت لم ترد ان تكف عن ذلك * ولقد يجب ان تعلم ان هذه الرذيلة تذيب النفس والجسد وتضعفهما . لان الجسد متى اعتراه مرض من الامراض تكون النفس في ذلك الوقت قوية جداً كما اعلن ذلك الرسول بقوله . ان كان انساننا هذا الظاهر يفسد فان انساننا الباطن يتجدد (قرنتية ٢ ص ٤) * فقد ظهر ان فساد الجسد والنفس من الاكل والشرب يكون حدوثه . فالجسد يضعف ويبتلى بالذبول والنفس تموت حقاً * لن يستطيع المترعون من المآكل

الموت . وجسمك المرفه يعود ماكلاً للدود . وذلك كما جرى لاهل فلسطين الذين اذ كانوا في حال لذة مسراتهم ومطرباتهم خرب شمشون الجبار البيت عليهم فماتوا جميعاً * وكذلك العمالقة ايضاً الذين فيما كانوا في لذة اكلهم وشربهم ومطرباتهم اقبل داود الملك بالسيف عليهم وصنع فيهم مقتلة عظيمة واستغنم كل اموالهم . فهذه خاتمة الولايم العالميّة وعاقبة المسرات والمطربات الدنيوية * ومتي استلذ الجسد بمذاقة الاطعمة ارتخى القلب في ذلك الوقت وانحل من تلك الاطعمة الباطلة * وكما ان الجندى المثقل باسلحة كثيرة لا يستطيع مقاومة العدو . هكذا الممتلى بالمآكل الكثيرة المتنوعة لا ترجى مقاومته الاثام * اذا تنزلنا لخدمة البطن فلسنا نعيش كالبشر بل كالحيوانات المنقادة الي شهواتها * وقال الانجيل المقدس ان مرتا قد اجتهدت في ان تهيي عشاءً للسيد . اما هو فلامها ونبهها بقوله انك مجتهدة مهتمة بامور كثيرة والحاجة الى شي واحد (لوقا ١٠) . فكانه يقول لها لا تتعبي ان تعدى اطعمة كثيرة . فقد يكفيني يسير مما تيسر . وانني لمحتاج الي صحيفة واحدة فقط وهذا كاف لضرورة الجسد والعيشة الانسانية . وكلما زاد علي ذلك فهو باطل لا طايل فيه * فاذاً عش بالقناعة وتناول ما تحتاج اليه فقط واقطع عنك ما يزيد عن الحاجة * وقد قال الرسول ان الله خلق الاطعمة للضرورة فقط

ولا يزالون منهمكين في ملاذ الجسد على الدوام * وقد كان البابليون يعبدون التمثال المسمى بيل . وزعموا بما ذهبوا اليه انه كان ياكل كل ما يقدمون له (دانيال ١٤) . والان في عصرنا هذا قد يوجد اناس من الذين قال عنهم بولس الرسول بطونهم الههم (فيلبيه ٣) . اذ يعبدونها بمنزلة الاصنام بكثرة الماكولات والمشروبات المتنوعة * فقل لي يا هذا اذا دعاك احد الاراكنة العظام ليجعلك طباخاً عنده . افهل ترتضي هذه الوظيفة الحقيرة لنفسك لا لعمري . والحال انك بهذا العمل اي بانهماكك بكثرة الماكولات والمشروبات تنزل عزمك الي هذه الغاية حتي تصير طباخاً لديدان حقيرة دنسة عتيدة ان تاكل لحمك المسرف بالتنعم . وتهيي لها الوليمة * كل من انقاد طايعاً لهذه الرذيلة الخبيثة فقد اصحى عبداً لبقية الخطايا المتفننة * ان من يعتني بكل جهده في ان ينعم لصاً غدارًا مشجوباً بطايلة الموت ويسمنه ويرفهه . مع علمه بانه في الغد يشنق لامحالة فهذا يكون عديم الراى بغير شك . فعلى هذا القياس نحن . اذ اننا كلنا تحت قضية الموت . ولا نعلم متي يكون وقوع القضية علينا اليوم او غداً . فالذين يسمنون ابدانهم ويعتنون براحتها ولذتها فانهم في داين الباطل حاصلون . وجنونهم لايماثله جنون * ففي وقت غفلتك واستغراقك في ملاذ الجسد ومطربانه تنفذ فيك اذ ذاك حكومة

فايق ولم يهتموا بسحق يوسف وتواضعه (عاموص ٦) * فالغني المتقدم ذكره لو فعل ما كان يفعله بعض الاحيان لاجل ضروريات الجسد لما كان ذلك امرًا منكرًا رديًا. لكن قال عنه تعالي انه في كل يوم كان يفعل ذلك * ويعقوب قال عنه الكتاب انه خر ساجدًا بين يدى اخيه عيسو عند رجوعه من بين النهرين بكرامة جزيلة. علي انه يسوغ للروح ان تتواضع وتنقاد للجسد بعض الاحيان. والانسان ولو كان روحيًا فسبيله ان يطيع الجسد في الاكل والشرب والرقاد. كون هذه الحيوة الشقيّة لا يمكن قيامها وبقاوها خلوًا من مناولة احتياجها * غير ان عيسو لما سال يعقوب المرافقة معه في الطريق ابى يعقوب عما عزم عليه ذاك وافترق عنه. وكل منهما انصرف في حال سبيله. هكذا انت متي دعتك الشهوة الي الحضور في الولايم والعيشة الرخوة. فالاولي بك ان تعرض عن متابعتها وتهرب من مرافقتها. وان جاز لك احيانًا ان تتنازل لعيسو وتسجد له. فاياك ان تتفق معه او ان تصادقه صداقة متصلة * فليس هو قبيحًا ولا منكرًا اذا فرحت وشرحت صدرك بعض الايام. ولكن الامر الردى جدًا انك تقضى عمرك في متابعة الشهوات واللهو والطرب والمسرات كما يفعل ذلك اقوام من اهل العالم * وقد نشاهد اقوامًا كثيرين يماثلون ذلك الغني المحب الاستكثار من الاكل والشرب والقصف.

شرب الخمر (يهوديت ١٣) * وهامان من مايدة احشوروش الملك وبعد تلك الوليمة العظيمة التي عملتها استير الملكة حمل الي الصلب (استير ٧) * وهيرودس بينما هو في حال القصف والانشراح في الوليمة التي صنعها في الجليل سقط بذلك الاثم العظيم اذ امر بقطع راس يوحنا المعمدان (مرقص ٦) * ومثل ذلك شمعون المكابي عظيم امرا اسرايل قتل هو وابناه معاً في وليمة عظيمة (مكابيين ١٦) * وشعب اسرايل بعد ان اكل وشرب وامتلا نهض الي عبادة الاوثان وسجدوا للعجل (خروج ٣٢) * فهذه الامور وامثالها تصدر كل يوم في الولايم والافراح العالمية . ومثل هذا الصنيع كان يصنع اولاد ايوب اعني دعوات وولايم . ووالدهم الصديق كان كل يوم يقدم لله قرابين من اجل ذلك كفارة عن ذنوب اولاده متوسلاً من اجلهم . اذ كانت هذه الولايم والمحافل هيهات ان تسلم من الخطايا والفتن والشرور * وقد اخبرنا لوقا الانجيلي عن ذلك الغني المحب الشر بكثرة الماكل والمشارب في كل يوم . انه في جهنم يكابد العذاب الاليم سيما في لسانه (لوقا ١٦) . لانه كان بعد ما يشبع بطنه يطلق لسانه . ولمحبته رغبة البطن صار قاسياً شديد الجفا علي لعازر المسكين . اذ انه من عادة العايشين في هذه الطرايق الا يرحموا الفقرا ولا يواسوا الضعفاء العاجزين . كما انبا بذلك عاموص النبي قايلاً . ان شاربي الخمر بالكاسات مدهونون بطيب

اسمع ما قالهُ الملاك عن يوحنا المعمدان انه يكون عظيماً قدام الرب . ثم أضاف الي قولهِ هذا ولا يشرب خمراً ولا مسكراً (لوقا ١) * فالملاك اظهر جلالة قدر السابق بشهادتهِ علي زهده * فقد ضل اهل العالم بظنهم ان العظمة والشرف بكثرة المآكل . حيث ان العظيم الجليل قدامَ الرب هو الزاهد الراضى بالقليل كما كان يوحنا * ان جهل اكثر الناس وغباوتهم وكبرياهم قد تجاوزت الحد وفاتت المقدار . لانهم يتخيلون الشيء الذى هو عيب وعار بتحقيق انه غبطة ورفعة شان * لانه اذا مدحك البعض من الجهال فالحكما واهل المعرفة يلومونك ويذمونك * ولعمرى انه من غاية الجنون ان ترغب مديح المجانين . واقبح العار متي استهنت بارا اصحاب العقول والافاضل * فالذين يحضرون بهذه الدعوات والولايم بالنادر انهم لا يسيون الي الله . وهذا كمالوف العادة الجارية انه بعد شبع الشهوة وامتلايها تنطلق الالسن في عرض الناس ويشتعل الغضب بحرارة الخمر . ويحدث من ذلك فواحش كثيرة وشرور مختلفة الانواع * فالولايم التي قد اخبرتنا الكتب المقدسة عنها قد وجد فيها على الدوام اهراق الدم البشرى . فقد ذكرَ عن فرعون انه عمل وليمةً عظيمة وفيها اوصى ان يشنق احد غلمانه (تكوين ٤٠) * وكذلك حمنون قتل في وليمة اخيهِ ابيشالوم (ملوك ٢ ص ١٣) * واليفاناذب بعد فرحهِ وافراطه في

مع ان الله تعالي لم يوجد ويصوره انسانًا الا ليبذل الحب له ويعبد في هذه الدنيا حق العبادة . واخيرًا يكون متمتعًا به في السما سرمديًا . اما هو الشقي الحظ فقد جعل فردوس لذاته في هذا الوادى وادى الدموع * فقد قال تعالي لذينك التلميذين . اليس انه كان ينبغي ان يقبل المسيح الالام وهكذا يدخل الى مجده (لوقا ٢٤) * فكيف توثر انت الحظوى بالمجد الابدى مع انك تتخطر بين اللذات * اترك عنك هذا النعيم الضار الممتلى شوكًا وقرطبًا وانواع الالام المختلفة واحتضن صليب يسوع المسيح . لكى تنال بعد ذلك الفوز بالنعيم الابدى الذى لا يزول ولا ينقضى *

الفصل الثالث والستون

في بيان اباطيل الولايم والدعوات العالميّة واللهو والطرب *

يقول سليمان الحكيم لا تكن في ولايم الشاربين ولا في محافل الذين ياتون باللحوم للاكل لان المدمنين علي هذه الامور يفنون ويضمحلون (امثال ٢٣) * كثير من الناس يتوهمون ان هذه الامور والولايم والدعوات واجبة للعظما وضرورية لاصحاب المناصب . ولا يعدون ذواتهم اكابر وارباب دول الا بمتابعتهم تعاليم ابيكورس في الولايم والقصف واللهو وما يتبع ذلك *

بالذل والاهانة فانه يسقط متهورًا في حماة الخطيّة مع النفس جملةً * فالنفس تشارك الجسد في ضعفه وتنازله لشدة ما بينهما من الاتحاد. وكذلك في عجزه ونعيمه. وترفه الجسد وشحامته تفضي بالنفس الي الضرر العظيم. ولا يمكن النفس التخلص من الاذى. كون الجسد وحده يستطيع علي ذلك. بل النفس تساعده من حيث انها صارت كفيلة له. فلذلك يكون هو في حالة ناجحة. لان الجسد لا يحسن حالة هكذا الا بما يحق للنفس ومنه تصدر مضرتها * وقد قال الرسول الارملة التي تعيش بالتنعم فقد ماتت وهي حيّة. اى انها بذلك تقتل نفسها (تيموثاوس ١ص ٥). فلا تحول الجسد حياتين فتقتل النفس. حيث اتضح من قول الرسول ان لذات الجسد انما هي موت للنفس. كما كانت حالة ذلك الغني الشره باللذات مرذولة من فم المسيح الحق اليقين. ومن اجل هذه العيشة الرخوة وكثرة ما اكله المتنوعة كل يوم هلك هلاكًا ابديًا (لوقا ١٦) * ان العبادة الروحيّة تختنق حيث توجد العيشة الرخية وكثرة الما اكل. والنفس تغرق في وسط هذه المواد. لان كل من قضى حياته بالرفاهية والتنعم فقد اضاع الحس بكل الامور الروحية ويغلب عليه الفشل والكسل * وايما شقاوة اعظم من ان الخليقة الناطقة المشرفة علي باقي المخلوقات الملحوظة الذى هو الانسان يعيش عيشة حيوانية في هذه الحيوة

وهي امر البكا كما ان اللذة امر الضحك * الندامة تضيق القلب وتعصره . واما اللذة فترخيه وتطلقه * اذا قضيت حياتك بكثرة التنعم والترفه ولو كانت ماية سنة . فماذا تكون هذه السنون بالقياس الى زمن الخلود الدايم * كل الزمان الذى يمكنك فيه نوال ملاذ هذه الحيوة الحاضرة انما هو كهجعة ليلة واحدة مقابل ذلك النهار الذى لايشوبه ليل ولايدانيه ظلام ولا ينقضى * متي كان الجسد مستغرقاً في اللذات والشهوات فلا يوجد فيه خشوع ولا عبادة . وكما يتربى الجسد في اللذات ويعتاد عليها هكذا النفس تتربى وتنشاء في الامور القشفة الخشنة * فانت يا انسان حامل الفخ معك وعدوك مرافقك وهو جسدك المولود بالخطية وقد نشاء فيها . ومن الاصل والمبتدا استولي عليه الفساد وتدرب في العوايد الردية السبحة التي قد تصرف فيها . وقد صارت له عادة من اطلاقك العنان له * نحن في هذه الدنيا نولد مع تجاربنا فبعض الاوقات يوازرنا الجسد في الخير واحياناً يغتر بنا ميلاً نحو الشر . ومتي افرطت بتنعيمه عما يزيد ويتجاوز الحدود الواجبة متمادياً في ارتكاب القبايح ومتابعة الشهوات فانك تربى لك عدواً . واذا قطعت عنه حاجاته الضرورية فقد قتلت رفيقك وقريبك واهلكته * فتحتاج اذاً من هذه الجهة الى قناعة عظيمة واعتنا بافراز . ومتي كنت لاتحسن تدبيره كما ينبغي ولاتقمعه

الخلاص الذى بذل السيد دمه دونه . فقد احتسب السيد تاجراً جاهلاً . لانه لاجل امر دنى في هذه الغاية دفع نفسه التي لاجلها اهرق المسيح دمه الثمين * فاللذة قد اضربت وسقطت وجازت وافضت بالانسان الي نهاية الشقاوة ثم هربت . وصيرته ذا فاقة واهملته متروكاً * فاللذات البدنية من شانها ان تضرم الشهوة قبل البلوغ الي امتلاكها . اما بعد امتلاكها فتكره ذايقها . ولاجل ذلك يضرم الشيطان الشهوة غالب الاوقات ويعيق اللذة . لانه يخاف انك متي ملكتها تكرهها وتشناها كما اخبر الانجيل المقدس عن الابن الشاطر انه كان يشتهى ان يملأ بطنه من الخرنوب طعام الخنازير ولم يحصل لهُ * فالشيطان الذى كان يخدمه هذا الابن الجاهل منعه عن اللذات النجسة ماكل الخنازير خوفاً من انه يكرهها ويمقتها بعد بلوغ المرام . غير انه وضع شوقه فيها ليشتهيها . اما الملذات الروحيّة فهى بخلاف ذلك . لكون الانسان يمقتها قبل ذوقها . ولكن بعد الحصول عليها يميل بالشوق اليها * ان الجوع في الانسان الدنيوى يولد الاشتها . والشبع يولد الاستكراه . اما جوع الناس الروحيين اتقياء الله فبعكس ذلك . حيث ان شبعهم يولد جوعاً . وجوعهم يولد شبعاً . لان اللذات الروحية من شانها ان تزيد شوق النفس عند امتلائها منها * ان الندامة المقدسة منافية اللذات الباطلة

الي نفوسهم من غير عايق ولا مانع * فاوليك الشياطين قد وثبت مع الخنازير علي جرف وتواقعت في البحيرة وماتت في الما . هكذا انت ياهذا متي كانت سيرتك بالفواحش وبلوغ الشهوات . فانك تجري سريعاً واثباً نحو جهنم * فقل لي ماذا يكون هذا الاسراف على الولايم والدعوات وغيرها من الملاذ . اليس هو ركضاً وتواثباً الى حفرة جهنم * وقد قال سيدنا يسوع المسيح الويل لكم ايها الشباعا لانكم ستجوعون (لوقا٦) * وذلك الغني الذى اخبر عنه الانجيل انه كان يلبس حللاً فاخرة وياكل باتساع ويعيش بالتنعم واقتراف الشهوات البدنية . قد ذكر عنه انه مات اخيراً وقبر في جهنم (لوقا١٦) . ولكونه قد تمتع بملاذ هذه الدنيا خاب من اللذات السماوية * وارميا النبي يقول ان من ياكل الحصرم تضرس اسنانه . ولاجل ذلك لا يقدر ان ياكل ما اكل اخرى لذيذة . هكذا من ياكل لذات هذه العيشة الحاضرة ترتبط حواسه حتي لا يمكنه ذوق اللذات الروحيّة * لا تاكلن العنب قبل اوانه ولا تطلبن اللذة في هذه الحيوة . لان اوان التمتع ما قد حان بعد . بل دعها تنضج بالتاني فحينيذٍ تاكلها في الحيوة الابدية * ان اهل العالم لا يلتذون بشيٍ من الاصناف الروحية بل يكرهون كل طعامٍ لذيذ كما كتب شنيت انفسهم كل طعام (مزمور١٠٦) * من سلم نفسه لاجل لذةٍ قصيرة وخسر

المنغمسة في حماة اللذات في ارض بهية هكذا * وكما جرى للابن الشاطر انه بعد تبديد ماله اضحى تحت رق اركون الظلمة فاوصاه ان يرعي الخنازير (لوقا ١٥). هكذا من قد ابتعد من الله ودنا الي الشيطان فانه يماثل حيوانًا نجسًا كالخنزير بطرايقه النجسة. لكون من يعمل الاعمال التي تفرح الارواح الخبيثة فانما هو راعي الخنازير. اعني الخطايا والقبايح الشهوانية التي يلتذ فيها المحال ويرتعي * ان الذين يتلوثون بالفواحش الردية فانما هم في حالة شقية تعيسة. والكتاب الالهي سماهم وحوشًا ونجاسة كقول يويل النبي فسدت البهايم بزبلها (يويل ١) * فماذا يكون احقر من الزبل. واي شي يكون ارذل منه. فالذين ينهمكون في النجاسات ويصرفون اهتمامهم في مثل هذه فمنزلتهم في مقام الزبل * ان سيدنا يسوع المسيح قد اخرج شياطين كثيرة من جسد واحد فدخلت في الخنازير. ولعمري ان من خسر حياته وبددها في ارتكاب المعاصي واقتراف الملاذ والدعوات. فانه يضاهي الخنزير الحاضر المهيا للشياطين. لانه اذ كانت الخنازير حيوانات ملتطخة بالحماة راتها الارواح النجسة مستعدة لتدخل فيها * ان الذين قد افرطوا في تنعيم اجسادهم خارجًا عن الحد الواجب ليس لهم سبيل الي مصادمة التجارب. لكن يغلبون سريعًا كعديمي القوة وابواب رضاهم مفتحة لكي يدخل ابليس

الفصل الثاني والستون

* في بيان اباطيل اللذات الدنيوية *

قال اشعيا النبي بيض الافاعي كسروا (اشعيا ٥٩) * فكما ان بيض هذا الجنس من الحيات يتبين من خارج صقيلاً ناعماً وهو من داخل مسموماً قاتلاً بهذا المقدار حتي ان من يكسر منه بيضة يمت من رايحة سمها. فعلى هذه الصفة نعيم هذه الدنيا ولذاتها. ظاهرها ناعم سلس. وباطنها سمايم قتالة. ومن غاص داخلها مكترثاً بامورها فانه يهلك هلاكاً ابدياً * ثم ان هذا الجنس من الافاعي كثير النوم. وملسوعها يحصل في سبات الموت. هكذا الذين يعيشون في ملاذ الدنيا فهم كالملسوع من هذه الافعى الخبيثة اللعينة. ينامون الى نصف النهار ويصرفون اعمارهم في الباطل بلذة الاكل والشرب والنوم نظير البهايم والحيوانات. ومن هذه الحال تتولد العيشة المفسودة وتنمو بارتكاب المعاصي والمحارم. اذ انه من الممتنع ان يعيش الانسان عيشة رخوة ولا تكون العفة في اعظم المخاطر. وقد قال الكتاب المقدس عن ارض صادوم وعاموره انها كانت تحاكي الفردوس الشهي (تكوين ١٣). ومن هذه الجهة صارت اهلها خبثاء رجاساً يرتكبون السيات والفواحش. وذلك من حيث ذميم عيشتهم

عصرًا كان صفاوه مضاعفًا وبياضه متزايدًا . هكذا انت ايها المسيحي بمقدار ما تكون في هذا العالم مضطهدًا ومدعوكًا بنزول الشدايد والحوادث بزيادة . باضعاف ذلك يكون مجدك مشرقًا في السما متلالئًا * وقد قال الرسول اننا كلنا نقوم ولكننا لسنا نتغير جميعنا (قرنتيه ١ ص ١٥) * فلا بد ان نقوم جميعنا الصديقون والمنافقون . لكننا لسنا نتغير كلنا من الفساد الى حالة غير فاسدة . بل انما يتغير اوليك الذين قمعوا اجسادهم واهانوها واذلوها بجميل الصبر . فهولاء فقط يغيرهم المسيح في السما الي مجد جسده * ان ذينك التلميذين اذ خاطبا السيد عن لامه ومقاساته وهما ماضيان الى عمواص . قال لهما تعالي . وما هو . كانه لم يدر شيئًا مما صار وكانه مستخف به . وذلك لان الجزا الذى ينالة اهل المجد بعد القيامة عظيم السعادة في الغاية القصوى . حتي ان كل ما كابدوه في هذه الدنيا يعدونه كلاشي ويستخفون بكل ما اصابهم من البوس كانه لم يجر لهم شي البتة * فيالهذه الدموع والاحزان . ويالهذه الشدايد والنكبات التي تتوقع خيرات جسيمة معدة في السما * فاذًا ينبغي لك ان تثابر متجلدًا علي هذه المصاعب والمشقات التي توول الي الراحة والفرح لكونك ماخلقت لتلهو وتطرب في هذه الدنيا . بل لتتعب وتشقى * وبالدموع والصلوات تحظى بملكوت السماوات امين *

وبركات . ويكونون مشابهين لصورة ابن الله * وقد قال بولص العظيم لاهل كولوصايس فانكم قد متم وحياتكم مستترة في الله مع المسيح واذا ظهر المسيح حياتكم فحينيذٍ تظهرون انتم ايضاً معه بالمجد (ص٣) . فالصديقون يتبينون الان كالاموات لانهم قد ماتوا عن العالم . اما في ذلك اليوم فانهم يظهرون في السما بكل مجد واكرام * فمن يصدق انه من خرقٍ وسخة رثة تصير اوراق بيض وقراطيس رفيعة نظيفة بهذا المقدار . وهذا انما يصنعه العقل البشرى والمهارة الانسانية في طاحون الورق التي تدق فيها هذه المادة اولاً ثم تعصر وتهرأ * فعلى نحو ما يعمل الانسان من الخرق العتيقة البالية هكذا يصنع الله الخالق من جسدنا البالي الكثيف . اذ هو تعالي يعلم مختاريه ويجلب عليهم الضيق والضنك في هذه الدنيا . لكى يقوموا فيما بعد مرتقين الي السما اوفر اشراقاً من الشمس نفسها . واخف طيراناً من النسور . واسني بها من القمر حسب نص الرسول اذ قال . نحن ننتظر مخلصنا يسوع المسيح هذا الذى يغير جسد تواضعنا فيصيره شبيهاً بجسد مجده (فيليبي٣) * فجسمنا هذا لابد ان يتغير ويذبل بالدموع والصوم والسهر والعنا . حتي انه بعد ما كابد مثل هذه الحوادث الشاقة يغيره الله ويمجده ويعيده جميلاً بهياً كصيرورة بياض الصحايف . وكما انه كلما زادت مادة الورق

الالهية * فالعرق والتعب والشدايد التي يكابدها رجال الله الصالحون . فانها تتبين لاهل العالم كالطين والتراب والزبل . وهي بالحقيقة درر ولال جزيلة القيمة قدام الله وبها يزين عرشه الجليل * فذاك الطين والتبن الذى كان يعمله بنوا اسرايل تحول الي اسمنجوني غالي القيمة . كذلك افعال الذل والتواضع تتبين حقيرة للناس الارضيين لاقيمة لها ولامقدار . اما لامر الله تعالي فلا يعادلها شي * فذلك الطوب لم يظهر كالاسمنجوني فقط بل كالسما ايضاً . والحال انه لايوجد شي احقر من الطين ولاشي اطهر من السما . ومع ذلك فانه تعالي لم يرد ان يحول ذلك الطوب الارضى الي اسمنجوني سماوى فقط . بل الي سماء بعينها . وليس الي سما علي الاطلاق بل الي سماء صافية بهية جداً * فيالهذا الذل والاحتقار الذى يحتمل لاجل المسيح . لانه ينتقل سريعاً الي بهاء سماوى * فتنهد الصديقين يحوله الله الي تراتيل سماوية . ودموعهم الي لال وجواهر ثمينة . وعريهم وفقرهم الي حلل فاخرة برفيرية . وذلهم وخضوعهم الي مجد وشرف لايوصف ومنابر كرامة لاتدرك * القديسون في هذه الدنيا خجلون مخزيون لكون فضايلهم مخفية . ولكن سوف يوافي زمان ترتفع فيه رؤوسهم ويشتهر مجدهم . وينقل الله اتعابهم ومشقاتهم الي حبور وافراح . وما قبلوه من المسبات واللعنات الي مدايح

خيرًا بدل الشتم (ملوك ٢ ص ١٦). اى يصير ذلك علة رفعتي . وقد قال ايضًا هذا النبي المترنم بروح القدس عن وجه زمن القديسين . فرحنا عوض الايام التي اذللتنا والسنين التي راينا فيها الضر (مزمور ٨٩). واخبرت ايضًا الحكمة الالهية بما تقوله الاشرار وهم متعجبون من استقامة احوال الصديقين ونجاحهم. هولاء هم الذين كانوا عندنا ضحكةً ومعيرة فاحتسبناهم نحن الجهال بسيرتهم جنونًا ووفاتهم مهانة . فانظروا كيف حسبوا ابنا الله وحصل حظهم مع القديسين. فنحن راينا هم اذلا حقيرين فظننا انهم لا يرفعون رووسهم ابدًا . فانظروا الان ما اعلي درجاتهم وهم متعالون بكمال المجد مسرورين (حكمة ٥) * وهذا الرجا قد وعدنا به يوحنا الانجيلي في رسالته الاولي قايلًا. نحن الان ابنا الله وما قد تبين لنا ماذا سوف نصير. ونحن نعلم انه اذا تبين فاننا نكون شبهه (اصحاح ٣) * ففي ذلك الوقت يوول حزننا الي فرحٍ . واتعابنا الي راحةٍ . وذلنا وحقارتنا الي مجدٍ واكرام * وقد كتب ان موسى وهرون وناداب وابيهو وسبعين رجلًا من شيوخ اسرايل عاينوا الله في الجبل وتحت رجليه مثل عمل الحجر السمنجوني وكمثل لون السما الصاحية (خروج ٢٤). فبنوا اسرايل قد كانوا في مصر بتعب وضر شديد من عمل اللبن والطوب. فراوا اخيرًا هذه كانها قد تحولت الي حجارة كريمة تحت رجلي العظمة

ان الصديقين يتمشون الان في هذه الدنيا مكتيبين منكسي الروس خجلين والعالم يظن انهم لا يرفعون روسهم . اما المنافقون المتشامخون بالمشي الرافعون هاماتهم ففي ذلك اليوم يكونون مطرقينها الي الارض مخزيين كما كتب في الزبور . لا يقوم المنافقون في الدين (مزمور ١) . علي انه وان كان لا بد لنا جميعاً الاخيار والاشرار ان نقوم في الدينونة . ولكن الخطاة لا يقومون للخلاص والحكم مع الصديقين . ولا يرفعون روسهم . بل يكونون منكسي الروس منخذلين * فليصبر اذاً معاشر الابرار والفضلا قليلاً . فانهم ولو مشوا الان في هذه الدنيا مطرقين مخزيين خجلين . فسوف ياتي زمان يكونون فيه مرتفعين الروس بلا خجل ولا وجل . وذلهم واحتقارهم ههنا يعود سبباً لرفعتهم * ان الخضوع والتذلل الذى كان في المسيح راسنا صار علة لسموه ورفعة شانه كما اوضح ذلك الرسول بقوله . انه اخضع نفسه واطاع حتي الموت ولذلك رفعه الله واعطاه اسماً يعلو علي كل اسم (فيلبيه ٢) فهكذا الصديقون الذين هم اعضا المسيح يكون لهم الذل والخضوع الذى اذلهم به العالم . سبباً لارتفاعهم ومجدهم وعلواً لشانهم ومراتبهم * وهذا الامر عرفه داود الملك الصالح حين رجمه شمعي وشتمه وعزم احد غلمانه ان يقتل ذلك الشاتم . فنهاه الملك قايلاً . دعوه يشتمني لعل الرب ينظر الى ضيقتي ويجازيني

ان الله يسر بدموع التايب بهذا المقدار . حتي انه ولو كان سكب الدموع في تامل الامة تعالي مقبولاً جدًا . فمع ذلك لم يرد وهو حامل الصليب علي ظهره ان تبكى عليه بنات اورشليم . بل ان يبكين عليهن وعلي سياتهن وماثمهن (لوقا٢٣) * وكما ان الكتابة تمحى بالما وتفني . هكذا بالدموع يمحى الصك المكتوب بالهلاك الذى لابليس علينا * وكما ان الذين يزرعون بالدموع بالابتهاج يحصدون حسب قول الزبور (مزمور١٢٥) * هكذا يجب ان نزرع نحن بالدموع وننضح بها خطايانا التي ارتكبناها . لكيما نصل بواسطة التوبة الى الافراح الابدية والتراتيل السماوية في المجد السماوى *

الفصل الحادى والستون

* في ان احزان الصديقين تودل الي افراح ومسرات *

قال الرب للاخيار حزنكم يتحول الي فرح (يوحنا١٦) * انه بقدر ما تكون شدة الاحزان في هذه الحيوة . فباعظم من ذلك جدًا وباوفر زيادة تكون الافراح والمسرات في الحيوة العتيدة كقول النبي . ككثرة اوجاعي في قلبي تعزيتك فرحت نفسي (مزمور٩٣) . فطوبى اذًا لهذه الدموع التي مكافاتها عظيمة هكذا . وقد قال السيد لتلاميذه ارفعوا روسكم فان خلاصكم قد دنا (لوقا٢١) *

فهكذا صنع داود النبي كما تبين من خطابه الله اذ قال . مجارى المياه نزلت من عيني لاني لم احفظ ناموسك (مزمور ١١٨) * على ان تلك النظرة التي نظر بها الى امراة غيره صارت مملوءة من العبرات * وكما ان السما بعد سكب الامطار تروق وتصحو . هكذا بعد الدموع يكون صفا الضمير * ان مياه البحر جميعها لاتقدر ان تطفى شرارة واحدة من نار المطهر . اما الدموع الهاطلة عن انسحاق القلب فانها تستطيع ان تطفى نار جهنم جميعها * وكما ان النسر يتجدد في الما . هكذا انفسنا تتجدد بالدموع * متي اشتعلت النار في بيت ما فللوقت يستعان علي طفيها بنضح الماء . هكذا نحن متي راينا انفسنا قد احترقت بنار الشهوات يلزمنا ان نبادر للوقت الي مغتسل الدموع ونستحم به لكى تطفى بهذا الما التهاب الشهوات الردية * اذا وضعت درهما في اناء وبعدت عنه فلا تقدر ان تنظره . لكن اذا ملات الانا ماء فيتبين لك الدرهم بواسطة الما . هكذا نحن الان لانرى دنس انفسنا . ولكن متي سكبنا عليها ماء الدموع فاننا نشاهد اذ ذاك قبايح كثيرة ومناقص جمة مما لانراه الان * ومثلما قبل الله ذبيحة ايليا التي سكب عليها ماء (ملوك ٣ ص ١٨) . فعلى نحو ذلك يقبل الله القلب المنضوح بالدموع الذى تقدمه بين يديه . وفي هذا قال داود النبي نحو الله انت سحقت روس التنانين في المياه *

اوصى الله قديماً شعبه ان يقدموا لهُ في كل عيدٍ عظيم وموسم معلوم قرباناً عن الخطية (العدد ٢٨و٢٩). لكون تذكر السيات والذنوب والتوبة عنها مقبولاً لديهِ تعالي غاية القبول * ولما حضرت مريم المجدلية صحبة الاكلين في الوليمة في بيت الفريسي بكت في ذلك الوقت وتنهدت فصارت دموعها عند الرب مقبولة جداً (لوقا ٧) * فكما ان الندامة ترافق التوبة وتقترن بها. هكذا الدموع علامة الندامة. وكما ان الحزن يلاصق الفرح الدنيوى. هكذا الدموع الهاطلة من اجل الله يلاصقها الفرح * ان دموع المصلين احلى من بهجة مشاهدة اللهو وافراحهِ * لانك بالدموع والتنهد تقتني ملكوت الله. وبالفرح والاكرام تعدم الملكوت ونعيم الفردوس * فمتي اخطا الانسان يعود دنساً بارداً جافاً. وبالدموع يحمى ويتطهر ويتندى. فاذا كان الامر هكذا فمن يقدر ان يمسك نفسه عن سكب العبرات * ادخل الي داخل ضميرك وافحصه مفتشاً. وتامل في عيشتك الماضية. واذا كنت قد ضحكت في الشبوبية فابكِ في زمن الشيخوخة. وانظر الي طول الزمن الذى بددته في خدمة الدنيا وتصرفاتها والى قصر الزمن الذى خدمت الله فيهِ * ان الخطايا الكباير المميتة تحتاج ضرورةً الي بكا وزفراتٍ كثيرة. والفرح الذى فرحته بالمعاصى ابدلهُ بانسحاق القلب والندامة عوضاً عما تقدم سالفاً.

قاطعاً . فكما ان درور رماد الحيّة هو دواءٌ للدغها . والسوس الذى يتولد في الخشب هو الذى ينخره ويتلفه . هكذا ربنا تعالي اسمه يستخلص من الخطية ضدًّا لها . وفيها يتربى مايبيدها * ان الدموع والندامة وانسحاق القلب والحزن قد صدرت جميعها من قبل الخطية . وبها نفسها تمحى الخطايا وتشفى جروح النفس * قد قال هامة الرسل بروح القدس لبعض الخطاة توبوا لمغفرة خطاياكم (ابركسيس ٢) . فسل اذًا الله واطلب منه ان يزيل القساوة من قلبك وينظر اليك بعين الرافة لتستطيع البكا في هذا الوادى وادى الدموع على ذنوبك واوزارك * انه لما نظرَ يسوع الي بطرس فلوقتهِ بكى بكاءً مرًّا على جحودهِ ثلاث دفعات (متي ٢٦) * وغنم راحيل لم تستطع شرب الما الّا عندما دحرج يعقوب الحجر عن فم البير (تكوين ٢٩) . فهكذا ربنا لهُ المجد ان لم ينظر اليك برافتهِ ويرفع عن قلبك حجر القساوة الصلد لاتقدر علي البكا . قد حرج الحجر وانظر الي بكا الرسول بطرس فانه بالدموع قد غسل ذنبه * ونعمان السرياني لكونهِ اغتسل في الاردن برى جسده بالكمال . وانت علي هذا الحذو انما تشفى نفسك وتطهر بما الدموع . ولذلك كما سد اليفانا عين الما وبقيّة الينابيع عن مدينة بيت فالوا لكى يمتلكها (يهوديت ٧) . هكذا ابليس المحال قصده ان يسد عين الدموع عنا لكيما يستولى علينا * وقد

الدوا للعيون لا للارجل . هكذا الدموع فانما هي دوا مخصوص للخطايا . ومتي اصرفتها في امور الدنيا فانها لا تفيد شيئاً . ولاجل ذلك لما بكت تلك النسوة وقت الامر السيد . التفت اليهن اذ ذاك وقال لهن . يابنات اورشليم لا تبكين عليّ لكن ابكين عليكن (لوقا ٢٣) . فكانه تعالي يقول ما اصبتن فيما فعلتن . لان هذا الدوا لا يوصف الا حيث توجد الخطية . وانا بري من الخطيّة فلا تبكين عليّ . بل ابكين عليكن وعلي اولادكن اهل الخطية * وقد كان تعالي يستعمل هذا الدوا بمنزلة علاجٍ للخطايا فقط . فبكى علي اورشليم لعدم معرفتها بيوم سلامها . وعلي لعازر ايضاً ساخطاً علي الخطيّة التي جلبت الموت الي العالم . ثم بكى علي الصليب من اجل اثامنا وخولنا بدموعهِ مسامحة الذنوب * وداود ايضاً كمثل حكيم ذى فطنة لم يبكِ علي موت ابنه الذى كان بلا خطية بل فرح وتعزى . اما علي ابيشالوم الذى مات عاصياً فانه بكى بكاءً مرًا متواترًا . لان هذا الملك الحكيم ما وصف مداواة الدموع الا للخطية فقط * ان حكمة الله تتضح بهذا انه تعالي ياخذ الشي الذى هو من ذات الخطيّة ويجعله وسيطاً ليمحو بهِ الخطية . هذا هو الذنب الذى قد جلب علي العالم الحزن والدموع . وهما صنفان مبيدان الخطية ومقصيان لها * وقد شاء الهنا بجوده ان الشي الذى نشا عن الخطيّة يكون عليها حساماً

الفصل السنون

* في ان الدموع تغسل الاثام وتنقي الخطايا *

قال داود النبي ذنوبي قد تعالت فوق راسي ومثل حمل ثقيل قد ثقلت عليّ (مزمور ٣٧) * ان الاحمال العظيمة والاوساق الثقيلة تحمل علي الما. ولكون الخطايا عظيمة الثقل الي هذا الحد كما تقدم من قول النبي . فيجب ان تحمل علي الماء اى ان تغسل بمياه الدموع . ان الدموع ضماد ودوا تعالج به قروح الخطايا . وليس لها نفع اخر غير محو الذنوب واضمحلالها * فاذا بكيت علي موت ابنك او صديقك . او اذرفت الدموع علي فقد بعض المال . فالميت لايقوم لذلك . وحزنك وتوجعك لايجديك نفعاً . بل يكون بكاوك باطلاً وسكب دموعك بلا فايدة . ولكن متي بكيت على سياتك وجرايرك فانها تغفر للوقت . لانه تعالي قال متي تاب الخاطى باكياً علي خطاياه فلا اذكرها ابداً (حزقيال ١٨) * الدموع لا تنفع لشي الا لتمحيص الذنوب علاجاً لها . فاذاً من غاية الجنون ان يبكى الانسان علي شيٍ من الاشيا العالمية ويضيع الدموع باطلاً في ذلك * فاذا وجد عندك ماء نافع لامراض العين ومن تناول منه شفيت عيناه . وانت تستعمله لغسل رجليك فما الفايدة في ذلك سوى انه يضيع الما من غير ان يفيدك شيئاً . كون هذا

النفوس لنكون عرايس للملك السّماوى يسوع المسيح * وقد قال ارميا النبي اغسلى قلبكِ من السو يا اورشليم لتخلصى (٤) * وايضاً بولص الرسـول يقول عن السيد المسيح . انه كان يصلى بالدموع وهو على الصليب (عبرانيه ٥) وبذلك محاصك القضا الذى كان للشيطان علينا (كولوصايص ٢) * فاذا كان قلبك قاسياً كالحجر في الجساوة فامعن النظر فيما صنع موسي النبي . فانه لما ضرب الصخرة بالعصا جرت المياه الغزيرة (العدد ٢٠) * فهكذا انت متي ضربت قلبك بصليب المسيح وتاملت في الامه المحيّة . فحينيذٍ تبرز منه الندامة النافعة والدموع الخاشعة ولو كنت من العبادة مقفراً وكان قلبك قاسياً * وعلي نحو ما رفعت مياه الطوفان سفينة نوح الي فوق هكذا الدموع والندامة الخشوعية ترفع النفس الي نظر العلويات . وبشدة مرارتها تغرق الخطايا كما جرى قديماً للمصريين حين غرقوا في المياه المالحة في البحر الاحمر (خروج ١٤) * فالدموع سوف ترفع نفسك الي الله تعالي لكيما تنال بعد ذلك الحظوى به سرمداً نوالاً لا يشوبه امترا.

* وتفرح في المجد الابدى الذى *

* لا يزول *

عليك ان تستحرى في هذه الدنيا بنار المحبة الالهيّة . وتذرف العبرات باستحرار المناقب الحميدة * وقد ذكر الكتاب عن النفس الصالحة قايلاً . من هى هذه الصاعدة من القفر كانها عصن دخان بخور من طيوب ومر وكندر ومن دراير العطار (نشيد ٣) فالدخان من عادته ان يهطل الدموع التي يجب ان تسكبها انت في قفر هذه الحيوة مدة حياتك . مرتقياً بواسطة الندامة الصادرة عن حب الفضايل الي السّما * وقد قال ايوب الصديق فان اغتسلت بما الثلج (ايوب ٩) . ان مياه الابار والعيون تنبع من الارض . اما الثلج فينحدر من الجو . فالذين يبكون من اجل خسران الاموال الارضية او خوفاً من العذاب فانهم يغتسلون بمياه الابار والينابيع . اما الذين يبكون ويندبون محبةً للفضيلة ورغبةً في السّما . فانهم يتطهرون بمياه الثلج النازل من العلو * فسبيلك ان تحس بهذه الفضيلة داخل قلبك في هذا الوادى وادى الدموع * ان الرب يسوع بكى علي اورشليم ليحضها علي البكا لاجل ذنوبها نفسها * فلماذا لاتكلف نفسك البكا اذ قد بكى هو تعالي من اجلك وكان بكاوه وتنهده من غزارة تحننه . وانت تمضك الام المحن والشدايد ولاتزال ضاحكاً * ان ماء الدموع يشبه المخضب النحاسي الذى كان ما بين القبة والمذبح لتغسل الكهنة فيه ايديهم وارجلهم (خروج ٣٠) * ماء الدموع هو الحمام الذى تستحم فيه

اللتان اعطاهما كالب لابنته عكسا . وقد كانتا احداهما عالية والاخرى واطية . فالاب الازلي يصنع هكذا عندما يمنحك نعمة البكا خوفاً من العقوبات الجهنمية السفلية . وشوقاً الي المجد السّماوى العالي الذى قد اضعته بارتكاب المحارم والسيات * ولكون الندامة الصادرة عن رغبة النعيم والمجد السّماوى افضل من الندامة الصادرة عن خوف العقوبات . ذكر الكتاب الارض العالية الممثلة الندامة الصادرة عن رغبة الثواب . قبل ذكر الارض الواطية الممثلة الندامة الصادرة عن خوف العقوبات * وقد اوصى الله قديماً ان يصنعوا في الخبا الناموسى مذبحين . الواحد مقابل الثابوت من داخل مصفحاً بالذهب حيث كانوا يقدون البخور . والاخر خارج القبة في الدار مصفحاً بالنحاس حيث كانوا يحرقون ذبايح القربان (خروج ٣٠ و ٢٧) . فالمذبح الخارج اشارة الي الناس الجسديين الغير الكاملين الذين يبكون خوفاً من العذاب . اما المذبح الداخل فانه يومي الي الذين تجذبهم محبة المجد الازلي الدايم فيبكون من جرى هذا المنفى الحاضر . ويشتهون الخلاص من الجسد لينالوا الفوز مع المسيح . وقد كان الستر مسبولاً بين مذبح البخور وبين الثابوت . رمزاً الي انه بين اهل الفضيلة الملتهبين بمحبة الله في هذه الحيوة وبين الله يوجد حجاب الجسد الذى يحجب النظر الي وجهه الكريم * فقد يجب

عليك

شاخصاً الي الامور المحزنة اعني المخاطر الكثيرة المحيطة بك . وقد قال الحكيم قلب الحكما حيث يكون الحزن وقلوب الجهال في منزل السرور (جامعة ٧) * ان اهالى اورشليم لقلة افرازهم وعدم تمييزهم ما نظروا الاّ السعادة الحاضرة فمن هذه الجهة كانوا يلذون ويطربون . اما السيد المسيح ذو الراى المصيب . فانه بكى على شرورهم لنظره ما هو عتيد ان يجرى عليهم من البلايا والنكبات * وصمويل النبي كان ينوح علي هلاك نفس شاول الملك (ملوك ١٥) وداود كان ينتحب بمرارة علي ابنه ابيشالوم لانه مات بالخطية (ملوك ٢ ص ١٨) * فاذا كان هذان القديسان قد بكيا بهذا المقدار علي ذنوب غيرهم . فكم اولي بك ان تبكى على جرايمك وقبايحك * وكما تنهدت عكسا ابنة كالب وطلبت من ابيها ارضاً تُسقى بالمياه اذ لم يكن لها سوى ارض ناشفة (يشوع ١٥) . هكذا انت يجب عليك ان تتنهد بانين زايد . وتسال ربك وخالقك ان يحولك الندامة المقدسة ويمنحك الدموع المطهرة * كثير من الناس نالوا موهبة من الله تعالي لان يغيثوا العاجزين المحتاجين . وايضاً لان يتكلموا خيراً ويحاربوا عن الضعفا . ولكنهم خايبون من موهبة الدموع وارضهم يابسة غير منداة * وقد توجد ندامة ناشية عن خوف العقوبات . واخرى صادرة عن شوق المجد السماوى والرغبة فيه . وتمثلهما الارضان المسقيتان

لمعونتهم ويسرع الي اغاثتهم والاجابة لهم في حال شدايدهم. وبالدموع والزفرات قهروا اعداهم * فكما ان زمان الامطار غير موافق لمحاصري المدن . كذلك الدموع تقاوم الاعدا الذين يحاربونا كون وبل العبرات يطفي بارود التجارب عن الجسد ويخمد ناره * متي كان روح الندامة داخل قلبك فحينيذٍ تنسحق كل تجربة خبيثة خارجة وتتلاشي * وكما انه يمتنع ان تضرم النار وسط الماء . هكذا يمتنع ان تمكث الندامة بين اللذات لانهما ضدان لا ياتلفان * ان الندامة ام البكا . والتنعم ام الضحك . والندامة وحدها تزهد الانسان بالثياب البرفيرية وتشوقه لبس المسوح ولان يحب البكا ويهرب من الضحك * الانسحاق الحقيقي من القلب المتواضع يعمل امورًا غريبة . يتكلم بالتواضع والخضوع . ويفعل افعالاً جيدةً . ويخشي القبايح ويجتنبها * انسحاق القلب انما هو تواضع النفس بسكب الدموع الصادرة عن تذكر الخطايا وخوف الدينونة والحساب * فحيث تكون البطالة والفضول في الكلام والاحاديث الباطلة . هيهات ان توجد ندامة او ضمير صالح طاهر . من يحب سماع الكلام البطال ونقله الي الغير . فلن توجد فيه ندامة القلب * من لا يصن باب القلب والفم ويحفظه . فقد اضاع نعمة الندامة بايسر مرامر * لا تراقب نجاح الامور ومفرحاتها . بل سبيلك ان ترفع ناظرك

علي موايد الخطاة * فالاولي بك والاحسن ان تبكى في الوحدة والانفراد . مما تضحك وتمزح في قصور الاراكنة * ازدر بهذا الفرح الوقتي لتنال فيما بعد النعيم الذى لايدرك ولايفني في المجد الابدى امين *

الفصل التاسع والخمسون

* في بيان فضيلة البكا والندامة الحميدة *

قال النبي والملك داود صارت لي دموعي خبزًا الليل والنهار (٤٢) ان الايل متي راى الكلاب محيطة به فانه يبكى ويتنهد . فاذا كان هذا الجنس من الحيوان الغير الناطق يصنع هكذا . فكم بالحرى يليق بك ايها الانسان ان تبكى في هذه الحيوة الشقية لكونك مكتنفًا باخطار كثيرة وفخاخ شتي . فبالبكا حنن عيسو قلب ابيه واستعطفه للاشفاق عليه لينال اربه ويبلغ مرامه (تكوين ٢٧) . فاى شي لم تنله الدموع الحنونة من لدن البارى تعالي * فبالدموع انعكف علي الصلوة والطلبة الي الله حنه ام صمويل . وحزقيا الملك . وساره ابنة رعوايل . وتحميا حين راى خراب اورشليم . ويهوديت لما حاصر اليفانا مدينة فالوا . ومردخاى وكل الشعب العبراني عند ما عرفوا القضية الجازمة عليهم . وسوسنة في وقت ضيقتها ومحنتها . وهولاء جميعهم استحقوا ان يصغى الله

الباطلة (تكوين ٧) * وبنوا اسرايل اذ كانوا في البرية يلعبون ويرقصون امام العجل فللوقت ادركهم غضب الله ومات منهم في يوم واحد ثلاثة وعشرون الفاً (خروج ٣٢) * وكذلك حمنون بن داود كان غافلاً عن نفسه منهمكاً في الاكل والشرب فبينما هو في حال الفرح والطرب قتل علي المايدة (ملوك ٢ ص ١٣) وايضاً فلتاصر ملك بابل عمل وليمة عظيمة وفي تلك الليلة نفسها خسر ملكه وحياته معاً (دانيال ٥) * فهذه عاقبة الضحك والمزاح . كون الفرح هنا واستقامة الحال يجلب معه احزاناً ونوحاً . فباطل اذاً هو الضحك والطرب في هذا العالم الباطل * لعمري لو كنت صاحب تمييز وعقل ثاقب رزين . لكنت تبكي وتندب افضل واجمل من الهزل والضحك وانت عايش في هذه الدنيا تحت المعاطب والاخطار * وقد قال سليمان الحكيم الضحك حسبته حزناً وقلت للسرور لماذا تضلني باطلاً (جامعة ٢) * وموسي النبي احب ان يكون في الضيق مع شعب الله افضل من ان يكون في نعيم ارضي . ومن اجل ذلك انكر كونه ابناً لابنة فرعون (عبرانية ١١) * قال سيدنا يسوع المسيح حزنكم يتحول الي فرح (يوحنا ١٦) . والمزمور يقول ايضاً ككثرة اوجاعي في قلبي تعزيتك فرحت نفسي (مزمور ٩٣) . فخير لك واصلح ان تكون في الضر والضيق مع الصديقين . من ان تاكل خبز الفرح

وتصيروا مثل الصبيان لاتدخلوا ملكوت السموات (متي ١٨) . فالطفل سلاحه انما هو دموعه . فبهذه الدموع سبيلك ان تحتمي من ابليس المحال * ان فرعون غرق بالمياه . والشيطان بماء الدموع يبيد وينسحق * فباطل هو ان يتنعم احدنا ويلذ ويطرب في هذه الدنيا بين جملة المخاطر العظيمة المتنوعة . وفي هذا قال الحكيم صالح هو المضى الى بيت النواح افضل من الذهاب الي بيت الوليمة (جامعة ٧) * ففي بيت النواح تعاين كثرة المخاطر التي انت ساير فيها والبوس المحدقة بك ومكتنفة اياك . اما في بيت الوليمة وانت في حال لذة المآكل والافراح العالميّة فلا تركن بذلك . هكذا كانت اولاد ايوب الصديق وهم متكون في وليمتهم حين سقط البيت عليهم بغتةً وماتوا وهم غافلون عن العطب الذى دهمهم * وكما ان الافراط في الاكل والشرب الزايد عن الحد يفسد الذهن . هكذا نجاح الحال ينشي نسيان الله . ففي بيت الوليمة وحال الافراح العالميّة ينبغى ان يخطر الموت دايمًا في خواطرنا ليلجم الضحك الدنيوى الباطل * ان طبيعتنا يحق البكا عليها لانها لاتحب الّا الاشيا الضارة وتنفر من الامور النافعة * فالفرح العالمي ينتهى بالبكا علي ما قالهُ الحكيم ان اخر الفرح يُقضى بالنواح (امثال ١٤) * ففى عهد نوح كان الناس ياكلون ويشربون . ولكن الطوفان الذى دهمهم قطع افراحهم

مدمناً عليهِ من الضحك والمزاح وغير ذلك . لانك بهذه الفعايل تشترى التنهد والعويل الدايم * ان سلوة قلبك الان وانشراح صدرك سيعود مراً جداً . لانه بقدر ذلك تكون العقوبات الدايمة . فالان وان كان لايهمك ماقد اكلته وشربته في المنزل . فصاحب الموضع لاينسي شيأً . بل يحاسبك اخيراً حتي اخر فلسٍ . فلو تفطنت في هذه الامور متاملاً اياها لما كنت تفرط بالنفقة الي هذه الغاية . ولاتطلق العنان وتدفع نفسك للدنيا . لكن لكونك لاتبالي بما سوف تفيه ولايهمك ذلك . فتسرف بالنفقة مكثراً حتي لاتتخلص من جهنم البتة * ومثل ما قال ايوب عن اهل الفضيلة انهم يتنهدون قبل اكلهم . قال ايضاً عن اهل العالم انهم يفنون ايامهم بالتنعم ويفرحون لصوت الزمر وبسرعةٍ يالى الهاوية يهبطون (ايوب ٢١) * وقد قال ابرهيم للغني الشره . اذكر انك قد قبلت خيراتك في حياتك ولعازر كذا بلايا . فالان هذا يستريح وانت تتعذب (لوقا ١٦) * فالي هذا الحد ينتهى نعيم الدنيا وهذا اخر المجد الباطل الدنيوى . وعلي هذه الصورة ينقضى * ففى الانجيل ما راينا ان المسيح ضحك ولامرة . بل رايناه قد بكى دفعات كثيرة . في مولده المقدس . ولما اقام لعازر . وعلي مدينة اورشليم . وعلي الصليب (عبرانية ٥) . وقد كانت حياته كلها بكاءً متطاولاً وتوبة متداولة * وهو تعالي اسمه قال ان لم ترجعوا

وانت تحت طايلة الموت . ولا تعلم ان كان في هذا اليوم نفسهِ لا تكمل فيك القضية . فكيف تلهو طربًا بالقصف والمزح ولربما قبل غدٍ تضطر ان ترد جوابًا عن اعمالك وطرايقك للديان المتعالي قدامَ اهل السما والارض * فاذًا من غاية الجهل متي تعمدت الخلاعة والطرب وسلوة القلب في هذه العيشة . لكن اذا بكيت الان علي ما فرط منك من القبايح والمعاصى . فانك في اوان انصرافك من ههنا يكون لك هذا البكا خيرًا عظيمًا . وهو افضل مما تكون قد بدرقت ايامك في الملاعب والمطربات الكاذبة * اذا شيت ان تعيد في هذه الدنيا وتفرح . فانك في الاخرة تصوم بالكلية وتحزن . واذا دربت عيشتك ههنا بالضحك واللهو وما يتلو ذلك . فانك تنوح وتبكى في جهنم بلا انقطاع * وقد قال ايوب الصديق قبل انكلى صعد تنهدى (ايوب ٣) . وذلك كما هى العادة ان الصوم في اعياد القديسين يسبق العيد * فالقديسون قبل تناولهم الطعام . كانوا يصومون ويبكون ويمارسون الاتعاب والبووس الكثيرة واخيرًا نالوا الحظوى بالله في الملك الذى لا يفني . واما ههنا فيكون الامر بعكس ذلك . اذ انه من عادة الناس انهم ياكلون في المنزل اولاً ثم يفون الاثمان بعد ذلك * ان الموت سيوافي من كل بدٍ ليحاسب اهل العالم ويستوفي منهم كل ما اكلوا * فحقًا ايها الانسان انك لتفى ثمنًا غاليًا عما كنت

وقرطبًا وتربى الحيات . فهكذا نفسك تربى الاباطيل والقبايح اذالم تروِ ظماها بمياه الدموع . فلاجل ذلك يضطر الامران تُمطر الارض وتُندى . ولان كل ذى جسد افسد طريقه فارسل الله لاصلاح الارض مياه الطوفان فنقتها وطهرتها (تكوين ٦) . فهكذا اذا ما ورد طوفان الما علي قلبك ففى ذلك الوقت تموت كل رغبةٍ عالمية * فيالهُ من طوفانٍ قامع الالام البشرية وممیت كل شهوةٍ دنيوية ومخصب الارض المدبرة * ان الذين يطلبون في هذه الدنيا اللهو والطرب وما شاكل ذلك فهم في غرور واباطيل . لانه اينما حولت ناظريك فتصادف سببًا للبكا . فاذا شخصت الي السما العليا فانك تشاهد الملك السماوى الذى انت ناءٍ عنه بعيدًا ولاتعلم هل تصل اليهِ امرلا . واذا نظرت الى اسفل فترى قبرك والارض التي تعود اليها . واذا التفت يمينًا وشمالاً فانك تلاحظ الخطر الذى انت سالك فيهِ حيث كما يقول داود النبي يسقط الوف عن يسارك وربوات عن يمينك (مزمور ٩٠) . ثم ان الموت قدامك . والسيرة القبيحة السالفة خلفك . وسجاياك وعوايدك السيئة تتبعك . وانت مسارع الي الموت ومنقاد من اربعة اخلاطٍ متنافرة الطبايع كانها خيول اربعة سريعة الركض تجتذب مركبة جسمك وتحملك الى حيث تحاسب بين يدى الديان حسابًا شديدًا عن عيشتك * فمالك تضحك وتطرب

ففي الله وحده ينبغي ان تسر وتفرح . لكون سرور العالم وبهجته * كذبًا وغرورًا ويزول سريعًا *

الفصل الثامن والخمسون

* في اباطيل الضحك الدنيوي *

قال الرب الويل لكم ايها الضاحكون الان فانكم ستنوحون وتبكون (لوقا٦) * الويل لكم ايها الحاصلون الان علي تعزية وسلوان في هذه الدنيا لانكم ستحزنون في الاخرة كثيرًا * الويل لكم ايها المتنعمون الان لان التعب الذى ينتظركم صعب المراس جدًا * فطوبى اذًا لمن امات شهواته من اجل المسيح ونصب الامه المقدسة امام عينيه * سعيد هو ومغبوط من كانت عبراته طعامًا له في هذا الوادى وادى الدموع * مغبوط هو وسعيد من كان خبزه الدموع ليلاً ونهارًا في هذا المنفى الحاضر (مزمور ٤١) لقد يجب علي الانسان البكا متواترًا متذكرًا صهيون السماوية الوطن الحسن الطبيعي . اذ يرى نفسه مطرودًا في وسط مياه من عكرة في بحر بابل الذى هو هذا العالم (مزمور ١٣٦) * فطوبى للنايحين فانهم يعزون يقول السيد المسيح (متي ٥) ويمسح الله دموع عيونهم (رويا ٧) * فهنيًا لتلك الدموع التي تمسحها يد الخالق المتحنن * ان الارض الناشفة من ذاتها تنبت شوكًا

بل لثروانهم . ولذلك متي عدموا اسباب ابتهاجهم هذه . اى متي نفد منهم غناهم العالمي ونقصت عنهم تلك الاشيا التي كانوا يتباهون بها . فليس من الممتنع ان يعدموا ذلك الفرح . اما الفرح الذى يسميه المسيح فرحنا الذى هو فرح الضمير النقى . فلن يقدر احد ان يسلبه البتة * فهذا هو فرحنا وتعزيتنا بعينها التي لا يقدر احد ان يعدمناه من غير ايثارنا * فالفرح الحقيقى انما هو الذى يُستمد من الخالق لا من الخليقة . حيث انه غير ممكن ان يوجد في المخلوقات فرح كامل . بل الفرح الالهى وحده هو الكامل من ذاته لانه غير منته لانتسابه الي جوده تعالي الغير المتناهى . اما فرح الخلايق فمضمحل سريع الانحلال * ان الفرح العالمي يشبه شوق العليل وميله الى تحريك جسمه . فاذا عدم هذا الشوق حصل على كمال الراحة والسرور . فعلى هذه الصفة يكون فرحنا كاملاً حينما لا يوجد فينا توق الي شي من اباطيل هذا العالم . اذ كان اشتياقنا ورغبتنا في هذه الحيوة لا يمكن ان يجد راحةً كاملةً . وهذا مسبب من عدم كمال راحتنا في المكونات . ومن حيث ان البارى تعالي وحده هو المكمل رغبة نفوسنا فهو وحده الذى يصنع كمال الفرح * قال داود النبي عن الله تعالي انه هو الذى يشبع من الخيرات شهواتنا (مزمور ١٠٢) . وقالت حنه ام صمويل اعتز قلبي بالرب وفرح بالاهى (ملوك ١) *

حبور وابتهاج * فباطل هو فرح اهل العالم اذ ان كثيرين منهم يبحثون بحرص واجتهاد عن الفرح الذى هو بلاية الحزن اللايم * ان الفرح الصادق لن يمارى صاحبه ولا يقاومه * جميع الناس يحرصون علي طلب المسرات والملاهى . لكن كثير منهم لا يدرون اين يوجد الفرح الحقيقى الثابت . فقوم منهم يسعون علي تحصيله في الولايم والمجالس . وبعضهم في الحكم وعلو الدرجات . واخرون في افتخار القراة والعلوم . وجميعهم عميان وفي الباطل غايصون . لانهم بالامور الظاهرة يلتمسون التعزية الباطنة وفرح النفس * فالفرح الثابت الذى لا يشوبه زوال ابدًا انما هو في الله وحده . وكل ما سواه من الافراح العالمية يبيد ويفني سريعًا * ان الماء الذى كان مع اسماعيل بن ابرهيم بالجسد وامه هاجر قد فرغ سريعًا (تكوين ٢١) . اما اسحق ابنه بالروح فلم يجر له هكذا . وكذلك تعزيات الاشرار الدنيوية . فانها تفني لديهم وتتلاشي باسهل مرام . اما تعزيات الصديقين فهى ابار ماء حية التي احتفرها اسحق ولم تنقص اصلاً لكونها روحية ومختصة بالنفس . وهذا الفرح هو الثابت المحق وحده . وعنه قال الرب لن ينزع احد فرحكم منكم (يوحنا ١٦) * ان كثيرين من اهل العالم يفتخرون بالملابس . الآن هذا المجد والافتخار ليس هو لهم ولكن لحسن ملابسهم . واخرين يتباهون بالغني وذلك التباهى ليس هو لهم

جميلة انتِ ياقرينتي (نشيد٤) * اتوثر الحيوة انا هو الحيوة يقول الله (يوحنا١٤) * اترم الخلاص فهو الخلاص والنجاة * اتطلب السلامة فقد قال الرسول ان الرب هو سلامتنا الذى جعل الخصلتين واحدةً (افسس٢) * اتقصد الاكرام فانظر ما كتب في المزمور لقد كرم عليّ اصفياوك ياالله جدًا واعتزت رياستهم (مزمور١٣٨) * فاذا كان الله معك فتحصل لك كل اسباب الفرح الصادق . لان بهِ تعالي تنال كل ما تطلب وتشتهي وتحتوى عليهِ * ان من تملك ينبوع الفرح والحبور فهو حقًا مبتهج . فاذًا دع عنك رغبة الافراح الزمنية . اذ كل دقيقةٍ من دقايق التعزية الروحية هى افضل من جميع الافراح الكاذبة التي يبديها العالم . اذ كان ليس فرح صادق الاّ في الله تعالى * فمن لا يرغب الخيرات الابدية لابد ان يكون فرحه انما هو بهذه الاشيا الوقتية . ومن شان فرح الروح ان يخفف اوجاع الجسد ولكن متي اتفق مرض الجسد مع مرض النفس الذى هو الفرح من دون الله فمرضك يعود مضاعفًا * فما السبب الداعي الي الفرح مع كون البرايا مبتعدة في هذه الغاية عن الفرح الصادق الذى هو الله . فلا يوجد فرح حقيقي الاّ حيث يكون العدل والسلامة . اذ ان العدل هو اصل السلامة . ومن السلامة تنشو البهجة الصادقة . فحيث لا عدالة فكيف توجد سلامة . وحيث ليس سلامة فكيف يوجد

المنافقين يتألم قلبهم بشهواتٍ حايدة عن الترتيب * ونعيم النفس انما هو النعمة . فتنعم اذاً انت مع الرسول بفرح الضمير الصالح كجوهرةٍ ثمينة قد جاد بها الله عليك بالفرح الصادق المحق الذى يكون لك في السما * ان داود النبي وهو مخذول من الله قال عن نفسهِ ان دموعه صارت لهُ خبزاً بالليل والنهار اذ قيل لهُ اين هو الاهك ولم يكن لهُ ما يجيب بهِ (مزمور ٤١) * فحيث ليس الله فهناك خالٍ من الفرح الصادق * فالكتاب ولو قال ان اهل العالم يفرحون بعمل الشر. لكن ذلك الفرح ليس هو فرحاً حقيقياً لكون اساسه ليس هو الضمير الطاهر. وهو خلاف فرح يوحنا السابق الجليل القدر الذى قد قالت عنه امه القديسة انه ارتكض بفرح (لوقا ١) * فالكل اذاً يفرحون ويسرون الاخيار والاشرار. ولكن يوجد فرق عظيم بين الفريقين . وهو ان فرح الخطاة غرور وطغيان اما فرح الصديقين فثابت متمكن على الضمير الطاهر. وهكذا كان فرح يوحنا المعمدان وتهليله بهذه الصورة. بما ان فرحه كان راسخاً في الضمير الصالح بامتلائهِ من روح القدس . اذ كل فرح لا يكون اساسه نعمة الله فانه باطل * فان كنت متحداً مع الله تعالي فيكون لك فرح تام. وحيث يكون الله معك فكل خير يتم لك * اتريد الغني فقد كتب مجد وغني في بيتهِ (مزمور ١١١) * اتبتغى الجمال فاسمع ما قالهُ الله لعروسهِ كلكِ

واتقن سعيك . واحتضن صليب يسوع المسيح متفرسًا في الامهِ . لتبلغ غاية الماثور المشتهى وهو المجد الذى خلقت لاجلهِ *

الفصل السابع والخمسون

* في بيان الشي الذى ينبغى ان يفرح الانسان بهِ *

يقول بولص الرسول افرحوا بالرب في كل حينٍ واقول ايضًا افرحوا (فيلبيه ٤) * فقد ينبغى ان يكون فرح عبيد الله بالرب نفسهِ . لان من يفرح بغير الله ففرحه باطل هو * ان الله سبحانه لايوثر ان تعيش كايبًا بل متهللًا مسرورًا . وغاية مراده تعالي ان تبدل سبب الفرح . اى ان تهمل الفرح الكاذب وتجتنبه وتتمسك بالحق اليقين * فالتلاميذ لما قالوا للرب ان الشياطين تخضع لهم كانوا مبتهجين في ذلك الوقت . اما هو فاجابهم الا يفرحوا بذلك بل انما يجب ان يكون فرحهم لان اسماهم مكتوبة في السموات (لوقا . ١) * فكل نعيم من دون الله باطل هو . وكل سرور ليس هو بالله فهو كاذب لااساس لهُ * قلب الرجل الكريم لايمكنه الفرح الحقيقى الا في الضمير الصالح * لما وصف الرسول اثمار روح القدس ذكر من جملتها الفرح بقوله . اثمار الروح فهى المحبة الفرح (غلاطيه ٥) . فذكر الرسول المحبة اولًا لكون الفرح الصادق يوسس عليها وخلوًا منها يمتنع كمال الفرح * ان

والسيف بيدك . وعلي هذه الصفة تدخل القبر ايضاً * فلاجل ذلك احرص ما استطعت ان تعيش علي هذه الصورة . فهذى هى الطرق المتقومة التي امرنا يوحنا المعمدان ان نصنعها (لوقا٣) . اى ان نعيش كما ولدنا امس ومثلما نموت غداً * فقد كان ايوب الصديق يمشي في هذه الطريق المستقيمة لقوله خطاباً لله . كف عني فابكى قليلاً على وجعى (ايوب.١) . فلم يطلب الصديق حيوةً لاجل الضحك واللهو وغير ذلك . لكن للبكا . فلهذا الغرض ينبغى لك ان تطلب الحيوة من الله تعالي * لعمرى ان الذين يسرون ويفرحون بغربة هذه الدنيا فهم صايمون عن ذوق الحقيقة . وانما ينبغى ان يكون فرحك في هذه الدنيا الاّ تنسي مرارة الديونة العتيدة * اصل الضمير الصالح انما هو ان لايفرح الانسان باشيا باطلة . لكون الفضيلة وحدها هى التي تمنح فرحاً كاملاً اميناً * وقد قال سليمان الحكيم ان ارتفاع الجهلة هو ان (امثال٣) * فلاتبدد زمن هذه الحيوة بالملاهى والمطربات الكاذبة . كون الاشيا جميعها باطلة زايلة . واذا ما بكينا في هذا الوادى الدموعي فينبغى لنا ان نزيد البكا والنوح . فاحبب اذاً الندامة الكاملة وتلهف الي الوطن السّماوى . ولاتجعل فردوس نعيمك في هذا المنفى الحاضر * فاذا كانت سيرتك في هذه الدنيا بالافراح والمسرات وباقي الاباطيل . فانت تايه عن السبيل . فعد الى ذاتك راجعاً

النايه فانه يعروج في مشيه الي البلاد التي يطلبها * فالكتب المقدسة في مواضع كثيرة تشبهنا بالمسافرين والغربا لكوننا نبتدى بالسفر والرحيل منذ مولدنا . وبالموت تنتهى مسافتنا * فسل الحكيم عن بداية مسافتنا ونهايتها . فيجيبك قايلًا اول صوت برز مني كان البكا نظير بقية الناس . لان الملك ليس له بداية غير هذه يوم ميلاده (حكمة ٧) . ولاريب ان الخروج في ساعة الموت يكون نظير هذه البداية . فان كنت اذًا قد ولدت بالبكا وتموت ايضًا بالبكا . فكيف ترومران تعيش ضاحكًا فرحًا . فانت اذًا لعمري لست بسالك في المنهج المستقيم الذى سار فيه الصالحون . بل انك من اوليك الذين قيل عنهم حسبما قرات النسخة اللاتينية المنافقون بالاستدارة يمشون (مزمور ١١) * فوافق ما بين الاواسط والمبادى والاواخر . وعش علي ما ولدت ومثل ما تصدق انك تموت * لاتصرف اهتمامك بجمع المال . لان ايوب يقول عريانًا خرجت من بطن امي وعريانًا اعود الي الارض امي (ايوب ١) * لاتبتن لك قصورًا متسعة فاخرة . لانه في مولدك قد وسعك سرير صغير وبعد موتك لايكون لك الا قبر ضيق * لاتشتهِ ان تكون عظيمًا في هذه الدنيا بما انك ولدت صغيرًا حقيرًا . وعند انصرافك من الدنيا تعود ذليلًا وضيعًا * فقيرًا وحقيرًا قد برزت الي العالم لاغنيًا ولاكبيرًا . ولم تولد منتقمًا ولا اتيت

وهو مبتهج لاجل محبة احشورش الملك لهُ ولان الملكة قد اضافته مع الملك دون غيره . لكنه في يوم فرحهِ المتزايد اُخذ من الوليمة الملوكية وعلق علي خشبةٍ (استيره ٧) * واليفانا ايضاً بعد ما لذ وطرب واكل وشرب اصبح مذبوحاً وهبطت نفسه الي الجحيم (يهوديت ١٣) * وداود الملك اذ كان في صيقلع يفرق الغنايم بغاية الفرح والابتهاج بالنصرة التي انتصر بها علي العمالقة . وصل اليهِ النذير يخبره بموت شاول ويوناثان صديقهِ الاعظم وانكسار جيوش بني اسرايل . فتحول فرحه اذ ذاك الي حزنٍ وكابة عظيمة (ملوك ٢ ص ١) . فقصير اذاً هو نعيم الدنيا . والحزن مقترن بافراحها . وقد قال اشعيا النبي تنهد وبكى جميع فرحي القلوب وزال السرور (اشعيا ٢٤) * باطل هو فرح الطيور باكل اللقاط وهي في اشراك الصيادين . وباطل التذاذ السمك بالطعم الموضوع في الصنارة والم الموت ملانيه . فانت اذاً متي فرحت بسعادة هذه الدنيا والموت مقترب منك فقد اشبهت نفسك بالخليقة الغير الناطقة . وهذا من غاية الجنون * ان الزمان قصير هو كقول الرسول . والذين يفرحون يكونون كمن لا يفرحون (قرنتيه ١ ص ٧) * وقال سليمان الحكيم الصديق ارشد الرب الي طريق الاستقامة (حكمة ١٠) * فالطريق اذا كانت اواسطه مثل اوايلهِ واواخره فانه يكون مستقيماً . اما المسافر

فرحنا نحن في طريق هذه الغربة هو باطل . اذ كنا لا نعلم ان كنا مقبولين عند الله ام لا * فباطل هو فرح الانسان بالحال التي يكاد ان يحكم عليها بجهنم . ولكون هذا الامر يحتمل ان يجري في كل وقت من اوقات هذه الدنيا . فسبيلك ان تسير بالخشية والورع في كل زمان من حياتك . وايضاً انه لعجب غريب اذا فرحت وانت ساير ليلاً في طريق خطرة حيث انه يجب الخوف هنالك . وكذلك من راى بيت جاره محترقاً فما يفرح خوفاً من وصول النار اليه * فاذا ضيعت ايام فرصة التوبة باللهو والطرب وترى خلانك وجيرانك يموتون كل يوم فانت بلا شك متهور في الاباطيل * ان الموت حق هو لا محالة . اما الحال التي يحدك الموت فيها فهي غير محققة ولا تُعرف . فلذلك تكون عادم العقل بالكليّة اذا فرحت ههنا وقهقهت ناسياً مخافة الله * من ولد له ابن ثم مات في ذلك اليوم بعينه فيكون حزنه اكثر من فرحه . هكذا فرحنا الزايد في هذه الارض يجوز سريعاً . لكون فرح العالم وقتياً لا ثبات له * وفي هذا قال سليمان الحكيم ان الجهالة هي سرور الجاهل (امثال ١٥) . واى جهل ابلغ من الالتفات الى الفرح الارضي كانه ثابت لا يزول . فباطل هو ان تطرب جسمك وتلذ بالافراح التي تنحل قبل ابتدايها . كون فرح هذا العالم قصيراً وباطلاً * وقد جا في الكتاب عن هامان انه كان يمدح نفسه

مرارًا كثيرة علي الرجوع الي عبودية مصر * ونحن لعدم اطلاعنا علي الخيرات الراهنة وقلة معرفتنا بها . نلتذ بافعالنا الشنعة ونفرح بالاباطيل ونستريح في ظلام هذه الدنيا . اما القديسون والعباد الصادقون فكانت افكارهم وغاية شوقهم نحو السما . وكانوا يتلهفون اشتياقًا الي الله وتهطل عيونهم كمثل ينابيع المياه * فانت لكونك عبدًا للخطية وخلقت فيها وولدت معها فتسر بالعبودية وظلام لذاتك وغباوتك . وذلك بما انك فاقد النور ومعرفة الحرية التي يتمتع بها البنون الروحيون * ولاجل انك خلقت في عبودية الاثام وظلام الجهل فمحبتك لحرية الروح وارض الميعاد التي هي المجد الابدى ليست هي بشيءٍ * فلو كان لك عينان باصرتان وشاهدت الخطـر الذى انت سايرٌ فيهِ ورايت حالتك التي اوصلتك اليها مساويك لما فرحت لعمري طربًا ولا كنت تستلذ بظلمة هذا السجن . لكون كل فرحٍ دنيوى باطلًا هو * حقًا اننا نحن في الظلمة سالكون ونظرنا قاصر بهذا المقدار حتي اننا لانرى ولا ما كان مقابل اعيننا . ولانعلم من كان صالحًا او شريرًا . ولا من هو من صف الابرار المختارين او الاشقيا المخـذولين . حسبما قال سليمان الحكـيم لن يعرف احد ان كان هو مستوجب المحبة او البغضة (جامعة ٩) * ان من يسافر في طريق لم يعرفها فيكون لهُ سبب لعدم الفرح توهمه امكان توهانه عن الطريق . هكذا

الفصل السادس والخمسون

* في بيان اباطيل فرح العالم ومطرباته *

قال الكتاب ان طوبيا الصديق لما خاطب الملاك قال له من اين يكون لي الفرح وانا قاعد في الظلام (طوبياه) * ان الذين يبدرقون زمان حياتهم في الملاهي والمطربات وملاذ هذا العالم الكاذبة سايرين في خدايعه انما هم في ظلام الجهل والغباوة حاصلون * فالذين ولدوا في الرق وتربوا عبيدًا يسرون فرحين بالعبودية بمنزلة الحرية . والذين ولدوا في الظلمة يعدونها ضيا . والطفل الذى ولد في حبس مظلم يطرب ويلعب في الظلام لعدم معرفته بماهيّة النور . اما والدته فلمعرفتها بالنور والحرية لما سبق من نظرها وعلمها بحالتيهما . فانها تبكى حينيذٍ وتتاوه لاقامتها في الاسر والظلام * فهكذا يجرى لنا نحن القليلى الحظ . حيث ان قلة معرفتنا وادراكنا للامور الروحيّة الجليلة العديمة الفنا انقص من معرفة الاطفال المتربين في العبودية والظلام . لاننا نتمسك بهذه الاشيا الحسية الفانية ونتوهم هذا المنفى الحاضر هو وطننا الحقيقي . وذلك نظير بني اسرايل الذين ولدوا وتربوا في عبودية مصر . ولذلك كما قال عنهم داود النبي رذلوا الارض الشهية (مزمور ١٠٥) واحتسبوا حريتهم كلاشي . حتي انهم عزموا

مزينين ويظهرون جهلهم وتشامخهم لكل من رآهم * ان حامل العسل اذا فرح بما يلحقه من النحل والذباب فهو مجنون لامحالة . لان هذا الجنس يتبع العسل لاحامل العسل . وكذلك الخدام الذين يمشون قدامك ليس اتباعهم لك بل انما هـو لغناك وثروتك . التي متي عدمتها وخسرتها وراوك في حالة الفقر فلا يعودون اليك ولا يلتفتون الي احتياجك * فكيف لا تكون جاهلاً متي افتخرت بالذباب الذى يتبعك من اجل العسل الذى انت حامله . ولعمرى ان ما يعمله عشرون نفرًا يستطيع ان يعمله اربعة انفار . ولكن قصدك في ذلك انما هو مشي عدة من الحشم قدامك حتي ان من كان يحسبك عاقلاً منذ قبل يتيقن ذلك الوقت انك ارعن سخيف الراى * ان زينة الدنيا وعظمتها هى باطلة لاطايل تحتها . اذكر الحال التي تصير اليها بعد موتك والي ماذا تنتهى هذه الاباطيل العالميّة . فانك تنجو من همومك كثيرة التي تهمك الان وتخدعك وتشغل فكرك وتكدر خاطرك . لاكتراثك بامور لاتفيدك وقت انصرافك من العالم بل تجعل خلاصك

* في خطـــر *

* عظيم *

*

وقت العماد اذ اشرطت على نفسك رفض اباطيل العالم والكفر بها * والحال انه قد انتهى بك التكبر الى هذه الحال المضادة وتفاوت وزاد بين المسيحيين حتي انهم في الكنايس ايضاً يظهرون اباطيلهم وجنونهم وهم وقوف امام ملك السماوات بكل زينة وجبروت مالايجسرون ان يظهروا بمثله امام ملك من ملوك الارض * ان سمعان الشيخ لما تقدم بروح الله الي الهيكل لم يكن مجيه بعظمة وفخامة (لوقا ٦) . وكذلك ام اولاد زبدى سجدت للرب وطلبت بتواضع وخضوع (متي ٢٠) * وسليمان الحكيم بهذا الروح كان مبتهلاً في الهيكل (ملوك ٣ ص ٨) * وكذلك العشار كان يصلى بالتذلل وتواضع العزم في اخر مكان منفرداً في الهيكل فاهل لنيل مغفرة ذنوبه . اما الفريسي فلم يفعل هكذا بل كانت صلاته بتجبر وافتخار وهو واقف مقابل المذبح (لوقا ١٨) * فاهرب من المفارش المعظمة والوسايد المنقوشة لاسيما في الكنايس قدام رب المجد الذى ترتعد امامه اعمدة السما والشاروبيم يضمون اجنحتهم بين يديه (ايوب ٢٦) * فكيف يتجرى الانسان دودة الارض الحقيرة المملوة من المالاثم ان يقف بجبروت وكبريا تجاه اله العظمة * كيف لاترهب وانت واقف امام الديان العظيم وانت مذنب في امور كثيرة * عذاب اليم شديد مهيا لاوليك الجبارين المترعين جنوناً . لانهم بهذا الجبروت والتكبر يمشون

تواضع المخلص . ولمعرفته بروح الله المتكلم فيه بان قوماً كثيرين لايتبعون طريقة المسيح ولايهمهم ذلك . تهددهم بالعقاب * ولعمري انه لايوجد انسان فاقد المعقول نظير من يكون راكباً صحبة الملك ويراه قد نزل عن جواده ومشي على رجليه وهو لاينزل عن فرسه ايضاً لكن يستمر راكباً * العلك تروم ان يكون ملكك ومولاك خادماً اياك في ركوبك الخيل والعجلات * فليس هو بعجب اذا ركبت الامم الكفرة خيولاً وعجلات وغير ذلك . حيث ان هولاء لايعرفون ربنا يسوع المسيح فيتعظمون ويتجبرون بالمركبات المزينة والمحفات المذهبة . اما انت ايها المسيحي فكيف لاتحتشم عند ركوبك الخيل المسمنة والمركبات المزينة اذ تنظر ملك المجد ماشياً * وهذا الجهل وعدم الترتيب راه سليمان الحكيم اذ قال . رايت عبيداً علي الخيل وروسا ماشين علي الارض كعبيد (جامعه ١٠) * فالذين قد تعبدوا للدنيا وشهواتها يركبون خيولاً معظمة حيث يكون سيدنا يسوع الصالح وتلاميذه روسا كهنة الكنيسة ومعلموها يمشون علي الارض * وهذا الجهل يستعمله كثيرون من المسيحيين اتباعاً للامم الذين قال عنهم داود النبي هولاء بالمراكب وهولاء بالخيل ونحن باسم الرب الهنا ندعو (مزمور ٢٠) * ايها العبد الشرير من فيك يدينك الله . اذ لم تعمل بحسب القول الذى عاهدته به

وراكبها بالحمق (زخريا . ١و١٢) * وقال اشعيا النبي الويل للنازلين الي مصر ويتوكلون علي الخيل (اشعيا ٣١) . وهذا بين جملة اباطيل العالم غاية الجهل والحماقة * فاذاً بما انك مسيحي يجب عليك ان تماثل سيرتك بسيرة المسيح كاروز الحق الذى ما اهمه ولا ثقل عليه تواتر تعب الكرازة والانذار . وانما كان مجيه الي العالم ليعلم الناس ويرشدهم الي السما بحسن طرايقه وتعاليمه الشهية * وينبغي ان تنعم النظر فيه بحسن دقة التامل اذ كان يطوف متردداً من مكان الي مكان يبشر وينذر مفتشاً علي خلاص نفسك . وقد ركب حيواناً حقيراً عند دخوله الي اورشليم دفعة واحدة (متي ٢١) * وقد قال زخريا النبي متنبياً علي ذلك هوذا ملكك هو ياتيك عادلاً مخلصاً فقيراً راكباً علي اتان وعلي جحش ابن اتان (زخريا ٩) * فماذا تقول في هذا اصحاب المركبات المطلية بالذهب والخيول المعلوفة المجملة بحسن الملبوس . فعلى حسب ظني انهم قد ارتضوا باسم مسيحي فقط * فمن اراد الاقتفا باثار المسيح فليتبعه . ومن رام الذهاب الي ملكوت السما فليحذ حذوه * فليسمع هولاء ما قاله تعالى علي لسان زخريا النبي بعد ما انبا عن تواضع دخول السيد الي اورشليم . قال انا ابيد المركبات من افرام والخيل من اورشليم (زخريا ٩) * فهذا النبي احضر لنا المثال الذى لابد لنا ان نحذو حذوه ونتبع طريقته . ووصف لنا

المعظمة جهل وطغيان مع انك مسيحي وتفتخر باسم مسيحي *
وقد قال الله علي لسان عاموص النبي الويل لكم ايها الذين
ترقدون علي اسرة من عاج وتتنعمون في مضاجعكم (عاموص ٦
فلو رددت في فكرك ذلك السرير الضيق المكرب الذى انت
مزمع ان تقبر فيه طريحاً الي يوم الحشر لكنت تعرض عن هذه
الاباطيل باعيانها. ولو تذكرت في وقت رقادك وانت منبسط علي
سريرك ان جسدك علي هذه الصفة يوضع في القبر ممتداً. ومثل
ماتتغطى بالاغطية هنا سوف يغطونك بالتراب. فلو تذكرت
هذا لما هجعت متكاسلاً بالتواني مثل وحش منقاد لشهوات
حواسك * لعمري انه من الامور الغير السايغة ان الجسد العتيد
ان يلقى طريحاً في لحد مكروه جداً يرقد الان علي سرير عالٍ
متعظماً * وايضاً لو تفطنت عند نهوضك من النوم انك علي هذه
الصورة ستنهض يوم المعاد وتخرج من القبر لتحضر امام الحاكم
المرهوب وتحاسب اشد حساباً وفي غاية الصعوبة. لكنت تصلح
ضميرك اوفر اصلاحاً * فيا حبذا لو خطرت هذه الامور ببالك
وادمنت الهذيذ بها. فكنت تعرف يقيناً مقدار اباطيل عظمة
الدنيا وتيهانها * وان كان افتخارك باصايل الخيل وزينة
ملابسها الفاخرة فاسمع ما قاله الله بفم زخريا النبي. تحزى فرسان
الخيل وفي ذلك اليوم يقول الرب اضرب كل فرس بالحيرة

بالبها والعظمة الدنيوية واعطاهم الويل . فمن كانت هذه الصورة صورتهم فقد خالفوا وانحرفوا عن اعتقاد المسيحيين الذى اعتقدوه وقت عماذهم اذ كفروا بعظمة الشيطان وبهايه * قل لي ماذا تفيد القصور المعظمة والستور الثمينة والاواني الذهبية واللجينية والموايد المتلونة والمساكن المدهنة والاسرة المتسعة الفاخرة . اليس ان هذه جميعها انما هى اباطيل وجنون * ففى غدٍ يدركك الموت وتنفصل عن العالم فماذا يكون من هذا كله . فحقًا انه باطل الاباطيل وكل شي باطل * فان كنت تفتخر بالمفارش البهية وتتباهى بالاسرة المعظمة والاغطية الجزيلة القيمة فاسمع ما يقوله اشعيا النبي . هبطت الي الجحيم عظمتك وسقطت جثتك . ويفرشون تحتك السوس وغطاوك الدود (ص ١٤) . وقد ذكر مرقص الانجيلى عن السيد انه كان نايمًا في موخر السفينة علي وسادة (مرقص ٤) . وبهذا النص قد شجب المفارش الفاخرة والاسرة التي يستعملها اهل العالم * تفرس متاملاً في سيرة سيدنا الهُ المجد منذ مولده في المذود حتي موته على الصليب . فلا تجد فيها الا فقرًا ومسكنةً وقمع الشهوات واحتقار العظمة والتباهى . حتي ان الاباطيل التي تعيش انت فيها تظهر كمثل عدوٍ لصليب المسيح * فاذا وضعت مقابلك ذلك السرير الضيق القشف الذى هو الصليب الذى سند ظهره عليه ملك المجد فحينيذٍ تعرف ان افتخارك بالاسرة والمفارش

المضرة لنفسك فما انت بنافع احد * وقد نرى اقواماً من المبددين اموالهم مجاناً يشتكون من عدم استيلائهم علي بلدان وامصار لقصر هممهم وليس هم اهلاً لذلك * فالملوك الذين قلوبهم بيد الله (امثال ٢١) يتغافلون عن مثل هولاء المبدرقين ويتغاضون عنهم مهملين . وذلك بالهام من البارى عزَّ وجل . لانه تعالي لا يسمح لمن لا يعرف تدبير بيته ان يدبر غيره * افتح ناظريك يامن هو محب الدنيا . واعلم انك اذا عملت ما يجب عليك واصرفت بحسب امكانك فقد ربحت عند الله والناس اوفر ربحاً . وليكن ضميرك صالحاً ولاتكن مديوناً ولا غريماً لاحدٍ فتهجع براحةٍ وتعود في عيشتك مسروراً وتصحو عند الناس كريماً * والخليق بك ان تنصت مصغياً لما قالهُ المخلص للعبد الصالح . نعماً ياعبدًا صالحاً وامينًا . انك كنت امينًا في القليل اى الاموال الدنيوية . * فانا اقيمك على الكثير فادخل الي فرح سيدك (متي ٢٥) *

الفصل الخامس والخمسون

* في بيان اباطيل عظمة العالم وبهايه *

قال الله علي لسان عاموص النبي الويل للاغنيا في صهيون المتكين على جبل السامرة العظما رؤوس الشعوب الداخلين بالبها في بيت اسرايل (اصحاح ٦) * فالله اذاً قد هدد العايشين

تليق بعرضهم . فيكذبون ويماحكون ويبذلون انفسهم لاصحاب الديون ولغيرهم من الادانى الذين هم اقل منهم قيمة * فالذين قد اختلست اموالهم ولهم عليك ديون يكون بغضهم اياك اعظم من العز والاكرام الذى يمكن ان يقدمه لك الذين قد اتلفت مالك في شانهم . والذين ظلمتهم بغياً وعدواناً يتمرمرون عليك اكثر مما يمدحك اوليك الذين اكلوا مالك . وقد كنت تظن انك بتبديد غناك تربح مديحاً انسانياً لذاتك ولكن قد خاب ظنك وعاد ربحك اعلاً ومذمذمين . واضحيت خاسراً ليس لدى الله فقط بل عند الناس ايضاً . ولا يحسبك احد من اصحاب العقول سخياً كريماً لكونك لست كذلك * حتي ولو بذلت كل شي للعطا فتكون كانك لم تعطِ شيأً . فكيف تُسمى كريماً وانت قليل العطا * فالاشجار لا تدعي سخية متي رمي الهوا ثمارها . ولا كل من ترمي الريح عمامته يسمى جواداً . كذلك المبدد ماله في هوا الاباطيل لا يكتي باسم السموح السخي * ان الجود والكرم هو فضيلة وليس يوافق الرذيلة اصلاً . والمبدر ق ماله خارجاً عن الواجب تكون نفسه متباعدة عن الفضايل . والعطا بعجب واقتدار ليس هو بسخاء ولا كرم . وعلي حسب النية يكون الفعل * فينبغي ان تنفع قريبك ولا تضر نفسك . لان سليمان الحكيم يقول ان كنت حكيماً فكن حكيماً لنفسك (امثال ٩) . فاذا كنت كثير

النباهة وشرف الجنس لكنك لست بصاحب ثروة نظيره وليس لك مال تصرفه بمقدار مصروفه * لا يليق بالانسان ان يظن بنفسه من جهة ذاته ومقامه وكل امر يخصه انه شريف نسيب مثل غيره . والذى له شي قليل اذا ابتغى الافتخار نظير ذاك الكثير المال فهذا من غاية الجنون ومنه تتولد الشرور الكثيرة * ومن قبح فعلك هذا وصرف مالك في مثل هذه الفواحش يكون عليك مبلغ من الديون يفوق ما معك . وبناتك تبلغ من السن مبلغاً معتبراً ولا تقدر ان تعطيهن موجبات الزيجة . ولذلك يبقين عاطلات وتلجيهن الي اتباع طريق لا ترتضيها . وهذا هو ذنب عظيم عليك واثم جسيم منسوب اليك . فلاجل ذلك تمس الحاجة الى سرقة ما للغير . وان كنت مسلطاً فتخرب نظام رعيتك بظلامات لا تطاق وتتجاوز الى استملاك اراضى وبلدان بغير حق . وتتلف قوماً كثيرين الذين لعدم وفايك ما لهم عليك يعصون ويعملون مضرات بالغة * فالابن الشاطر بعد ما بدد ماله بعيش بدخ وتراخ . ال امن الى شدة الفقر حتي انه رعي الخنازير مع انه ابن غني شريف الجنس . وخدم لمن ربما كان يتمني ان يكون خادماً لابيه (لوقا ١٥) * فالمسرفون بتبديد اموالهم يفضى بهم الامر الى هذه الغاية . ولعظم ما يحل بهم من الفاقة والافتقار تلجيهم الضرورة الي التدرب في امور ردية لا

ابنته مفضلاً اياه علي من تكون الدراهم محتاجة اليه * وقد نرى قوماً من النبلاء والروساء والاراكنة مخدوعين وخاضعين تحت هذه الاباطيل . ويبدرقون بالمصرف اوفر مما يملكون . وهذا المرض شامل اكثر عظما الدنيا واشرافها . وبه يوبدون سبيل جهنم ليلا يحيدوا عنه . ولا يقتفون طريق السما التي لا يوثرون السعي فيها علي ما يظهرون من سوفعايلهم وردى طرايقهم . وهم من خبث تعبدهم للدنيا اسرى تحت رقها ويفنون مع فنايها الي الابد * فالرجل الناموسي لما سال السيد قايلاً ماذا اصنع لارث الحيوة الابدية . قيل له . ماهو مكتوب وكيف تقرا . فارشده السيد الي الناموس لا الي الدنيا التي لا تعلم الناس طريق الخلاص بل تقودهم الى طريق الهلاك * ان الدنيا تشير عليك ان تتبع عوايدك وسجاياك وان تشرف قبيلتك وال بيتك . حتي ولو كان ذلك من حقوق الفقرا وظلم الرعايا . اما الناموس فيقول ان يكون مصروفك بطريق الاعتدال والعفاف . وان تفي ما عليك من الديون وتعطى ما يفضل عنك للمحتاجين * انت تشاور الدنيا نظير اخزياحين بعث يسال بعلزبوب الاه عفرون (ملوك ٤ ص ١) . وتترك المسيح الذى يشير عليك بما يعود لمنفعتك * انت ترى نفسك نبيلاً نبيهاً اكثر ممن كان يفوقك بالغني . وتريد ان تغاير بالبدخ وما اشبه ذلك . ولا تعلم انك ولو كنت مثله من اهل

وتعطيه للملاقين الذين يحاكون الكلاب اذ يلحسون جروحك بلسانهم حينما يمدحون كرمك وسخاك * ولعمري ان قصور الملوك مشحونة من انواع هولاء الكلاب الذين اما العقلا اهل البصيرة الذين ينفقون علي قدر احتياجهم فقط من غير تفريط ولا اسراف . فيدعونهم بخلا اشحا . واما الاشقيا المسرفون بالخرج والتبذرق . فيسمونهم امرا وعظما واصحاب كرم * فلا تصدق هولاء الملاقين الذين لا يراقبون الا ما يعود الي منفعتهم . ولا يتوقعون غير تحصيل الفايدة لذواتهم . وان كنت ممدوحا ومهابا منهم فقد يوجد كثيرون ايضا ممن يسخر بك مستهزيا ويحتسبك جاهلا عديم الراى . اذ هم عارفون بك بلا ريب من انت وما تملك وتقتني وكمية مدخولك . ولذلك اذ يرون تفريطك بالنفقة يستخفون بعقلك ولا يأتمنونك على شيٍ ولا يصدقون كلامك . ولنفرض انك تكون ممدوحا من الكل غير انهم لا يركنون اليك ولا يقبلونك في منازلهم * فالدنيا التي تعبد نفسك لها تمدح فخامة حليك وملبوسك وشرفك . وتفرح الكل بزيك وتعجبهم بملابسك الحسنة . لكنهم لا يريدون ان تدخل بيوتهم ولا ان يزوجك احد منهم ابنته لخوفهم من وقوعك في الفقر والقلة بعلة بذخك واسرافك واعجابك * وقد حكى عن تاميستوكلس الفيلسوف انه طلب رجلا يكون محتاجا الي الدراهم ليزوجه

هكذا كان عن بني اسريل لما طلب منهم هرون وهم في البرية اقراط الذهب لعمل العجل . فللوقت نزعت النسا اقراط الذهب والاساور والاطواق وغير ذلك من الحلى الذهبي وقدموها الى هرون محاضرين . وكان عنها ذلك العجل الذهبي الذى عبدوه اخيرًا (خروج ٣٢) * ارايت كيف انهم لما عزموا علي خدمة ابليس المحال والصنم الملعون البطال بجرانهم وعصيانهم على الله ما توانوا بذلك ولا تباخلوا * فالان في هذا العصر ايضًا اكثر الناس يبدرقون جملة اموالهم لاجل الدنيا والجسد . ويجودون بها علي قوم اشرار اهل فواحش . اما علي نسايهم واخوتهم واخواتهم واهاليهم فيبخلون ويشحون . وعند وفا حقوق الله يدّعون بالفقر والعوز . اما لاجل العالم فيظهرون الغني والقوة * ولذلك اى لعلمه تعالي بان الناس اغنيا في خدمة الدنيا اما في خدمته عزّ وجل وايفا حقوقه فيدعون انهم فقرا . اوصى في العهد العتيق ان الذى يقدم قربانًا لتطهيره فليقدم حملًا ولو كان فقيرًا (احبار ١٢) . وذلك لكى لا يشح احد في الواجبات عليه محتجًا بالفقر . علي ان المقتني الاشيا الكثيرة لتربية القبايح لا يجوز له ان يكون خسيسًا علي خدام الكنايس . لكون الشح في تقدمة القرابين لله تعالي غير جايز * والسيد المسيح يقول ليس هو جيدًا ان يوخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . اما انت فتفعل بخلاف ذلك اى تاخذ خبز الفقرا والمعوزين

وتعطيه

ذمتهم قد امر الله ولا اولادهم كملوا القيام بما اوصوهم . ولذلك سيحاسبون يوم الدينونة علي ما كانوا ملزومين به . ووقتيذٍ لا يقبل اعتذارهم بانهم اوصوا بذلك الذين تخلفوا بعدهم في في الدنيا . اذ كانوا هم انفسهم الملتزمين بايفا ما لله عليهم * وقد ترى مثل هولا بمقدار ما هم كرام اسخيا علي الدنيا بمقدار ذلك هم بخلا اشحا على حقوق الله تعالي * فكما ان رجلي الارنبة اللتين من قدام قصيرتان واللتين من خلف طويلتان . هكذا هولاء مع الله بخلا ومع الدنيا اسخيا * انه علي نحو ما تعطى الانهر جميع مياهها للبحر تكون الاراضى التي حولها ناشفة عطشى لا يتصل اليها من الماء شي . فعلى هذا المثال الذين يجودون بالهدايا والصلات علي الاغنيا ويعطون اموالهم لمن لا يحتاج . يسكبون مياههم في البحر ويدعون الفقرا والمساكين يموتون جوعاً ولا يرفدونهم بقليل من الاحسان * فالبارى تعالي ما اوصى هكذا حيث قال على لسان اشعيا النبي اقسم خبزك للجايع وادخل المساكين والغربا الي بيتك . واذا رايت عريانا فاكسهِ ولحمك لا تهنه (اشعيا ٥٨) * فعلى المحتاجين ينبغي ان تقسم اموالك ولا تصرفها في الاباطيل . ولعمرى انه من اعجب العجايب ان تسارع الناس بنشاطٍ في عطيّة اموالهم مجاناً وبذلها في خدمة العالم . واما فيما يقدمونه لله خالقهم فتراهم اشحا متوانين وباردى الهمة *

الدنيا التي اضاعت عقولهم بما عليهم من الديون . ويخطر ذلك حينئذٍ في بالهم ويقرّون بذنبهم . وبهذا الجواب يبطل كل ما كان لخدمة الله سبحانه * فكل ما قد ضيعه ذلك الغني المتنعم وبدرقه فكان مما يحق عليه للعازر المسكين * هكذا الان فكل ما تراه من اسراف اهل العالم الشرهين محبي البدخ وكل ما تشاهده من تبدرقهم . فانما هو من حقوق الفقرا وحقوق من هم تحت ايديهم . حتي انه يتبين لهم مع فعلهم هذا الذميم ان كل ما قد انفقوه ليس هو بضايعٍ ولا هو خارج عن الواجب . ويتوهمون ان المال ليس هو الا لخدمة الدنيا بمتابعة الهوى الذى يعدونه رفعة شان وعزًا واكرامًا . واذا اتفق بعض الاحيان واعطوا الله شيًا ما فيظنون انه يذهب باطلًا . ويخال لهم انهم بسبب ذلك يصيرون مديونين وان هذا ينقص مالهم . وكان العهد الذى عاهدوا الله به في المعمودية هو ان يكونوا للدنيا خدامًا ولا يعيشوا مسيحيين * وقد نشاهد الان ديورة وبيمارستانات وامثال ذلك التي ابتدا السالفون بتعميرها واولادهم الان لا يهمهم ان يكملوها ولا يضعوا فيها حجرًا واحدًا . حتي ولو كانت اباوهم قبل الممات عندما استفاقوا علي تغافلهم وتوانيهم قد اوصوهم بكتاب الوصية ان يتموها . وطرحوا عنهم تلك الهمم الخلاصية والقوها علي اولادهم العديمي الفطنة نظيرهم . فلا هم خلصوا

ذمتهم

من يضيع الاشيا التي رزقه الله ليبتاع بها ملك السما . بل هم ايضاً في داين الباطل وحيطة الجنون حاصلون * ولعمرى ان ارباب الدول والروسا واراكنة العالم مترعون من هذا الدا . لانهم يبددون اكثر مما يقتنون . حتي انهم يتعبدون لاهويتهم وكرامات العالم . ولا يزالون في القلة وتركيهم الديون الي ان تؤول احوالهم الي غاية الاهمال والفشل عن خدمة البارى تعالي في كل الامور * فذاك الغني الذى ذكره الانجيل المقدس كان يبدد مالهُ علي المآكل والمشارب والولايم والملابس وما شاكل ذلك الي هذا الحد . حتي انه لم يكن لهُ ما يحسن بهِ علي لعازر المسكين (لوقا ١٦) * واهل هذا الزمان علي هذه الصفة . فانهم يسرفون بالنفقة على البدخ وخدمة البطن والدنيا بافراط . حتي انه لا يتبقى عندهم ما يخدمون الله بهِ . وبدخهم انما هو خسران ما هو مختص ليسوع المسيح ربنا ومن جملة حقوقهِ . ولكى يرضوا الدنيا وفخرها واباطيلها يبطسون ايديهم بالعطا والتبذرق . واذا لم يكن لهم شي فانهم يقترضون وياخذون بالربا . وذلك توخياً لمرضاة الدنيا التي تعبدوا لها غاية الارضا ولكى لا ينقصهم شي لديها . وفيما هم في هذا الاحتفال محترون وفي هذه الاباطيل منهمكون . تضيع اذهانهم ولا يبالون بما عليهم من كثرة الديون * ومتي اراد احد ان يدربهم علي بعض افعال من الحسنات والصدقات . تفطنهم

الوقت بل الغني هو الذى قد تركهم * وكما اننا نحن معشر الناس لا ناكل الطيور والحيوانات الا بعد موتها مطبوخة او مشوية . هكذا الفقرا لا يقدرون ان ياكلوا شيًا من الاغنيا مالم يتسلط الموت عليهم وينصبحهم ويفنيهم * اعطِ الفقرا وغث الملهوفين في زمن هذه الحيوة الذى هو اوان الاجر واكتساب الجزا . لانه بهذه الافعال المسيحية تمتلك المجد الابدى الذى تفوز به الرحماء * والشفوقون المبدرقون اموالهم علي الفقرا والمساكين *

الفصل الرابع والخمسون

* في اباطيل الذين ينفقون اكثر مما يملكون *

قال الرب لتلاميذه اجمعوا الكسر التي فضلت ليلا تضيع (يوحنا ٦) * انه بعد ما اشبع الجود الالهى الجموع الذين لحقوه الي البرية . اوصى بحفظ ما فضل من تلك الوليمة . فاذا كان السيد الصالح والخير الوافي الاعظم امرَ بحفظ مالا يجوز تبديده باطلًا . فلا تكن انت مبدرقًا باسراف ما منحكه الله تعالي * انه من عادة اهل الكرم ان ينفقوا في المحل الواجب من غير بخلٍ . اما المبددون فبخلاف ذلك تكون عوايدهم . فانهم ينفقون اموالهم بافراط ويضيعونها من غير طايل * فكما ان الذين يجمعون الاموال ولا يتصدقون علي المحتاجين تكون احوالهم تعيسة شقية جدًا . هكذا تكون احوال

من

فقير (لوقا ١٦) . فلو كان مخالفاً لسنة الناموس بالتماس الصدقة لما حسب صالحاً * وبولص الرسول انبانا عن القديسين في العهد العتيق انهم كانوا فقرا ومضيقين ومجهودين (عبرانية ١١) * وايليا النبي طلب من الارملة في صرفند صيدا ان تطعمه حباً لله (ملوك ٣ ص ١٧) * وسيدنا يسوع المسيح الذى هو نموذج التواضع ورسمه والكمال الكلى . قال عنه القديسون انه طلب صدقة معلماً احتقار الدنيا بالفعل والمثال . سيما في الايام الثلاثة التي اقامها باورشليم وكان عمره اثنتي عشرة سنة . وفي ذلك قال داود النبي عن وجهه تقدس اسمه انا مسكين وفقير (مزمور ٣٤) . علي انه كما قال المعلمون القدما القديسون ان هذا المقال نفسه يفهم عن المسيح . والرسول بولص نفسه حقق اختصاص هذا المزمور به تعالي (عبرانيه ١٠) * فاذاً اى جهل هو منع فقرا المسيح عن ان يطلبوا باسمه من المسيحيين الامنا المحقين . فهذا لعمرى ليس هو الا جهلاً ورايا جديداً مبنياً على اساس ضعيف * فخير اذاً لك ان تخلى سبيل الفقرا ولا تمنعهم . وان تتحنن عليهم ما استطعت بما انك ذو سعة ومال غزير . وترق لحالهم في عوزهم * وقد نرى قوماً من الاغنيا لا يمنحون شيأ من صدقاتهم الا عند الموت . فحينئذٍ يجودون بالاشيا التي لا يقدرون علي حملها معهم . ولعمرى انهم ليس هم التاركين الغني في ذلك

الصدقة فقد اعدمت الناس اجرهم . فان من الناس كثيرين متي راوا فقيرًا ولو لم يمدوه باحسان من انواع الصدقة لعدمها فانهم يتوجعون لاجله ويحزنون لمصيبه . وبذلك ينالون اجرًا عظيمًا امام الله . لان من لا يمكنه اعطا شيٍ للفقير بل توجع قلبه لاجله فالبارى تعالي يقبل نيته وعزمه . ويكون سبب هذا الاجر هو النظر الي شخص الفقير وحالته * هكذا تعدم الفقير نفسه الثواب الجزيل ان انت منعته عن طلب الصدقة . لكون هذا الطلب واظهار المسكنة هو فعل التواضع بين يدى الله تعالي وهو تبارك اسمه يثيب فاعله اجرًا جزيلًا * وان قلت ان الله اوصى في تثنية الاشتراع الا يكون فقير في شعب اسرايل (ص ١٥) . فنقول ان هذه الوصية لم تكن من اجل الفقرا ليلا يتسولوا . بل انما هي لاجل الاغنيا لكي يرفدوا المساكين في ضيقتهم وعوزهم * فالاهنا تبارك اسمه قصد بهذا ان الاغنيا يكونون اسخيا باسطين الايدى في العطا للمحتاجين ولا يعوزهم الي شيٍ . لان من طلب الصدقة فقد ابتاعها ابتياعًا * ولعمرى ان الاغنيا لو فعلوا بحسب الواجب عليهم لما احتاج المساكين الي التماس الصدقة حتي ولا كان يوجد فقير * ولو كان طلب الصدقة محرمًا علي ماتوهم قوم لما كان طلبها العازر المسكين الذى وصفه الانجيل المقدس ان الملايكة اخذته الي حضن ابرهيم مثل صالح وهو

ان حضور الفقرا لهُ قوة عظيمة جدًا . حتي ان النظر اليهم وهم حاضرون فقط يحرك الانسان ويحضه علي الاحسان اليهم . وذلك نظير باعاز فانه حين راى راعوث الارملة الفقيرة تلتقط لقاطًا في حقلهِ . رثى لحالها ودفع لها احسانًا من غير ما طلب (راعوث ٢) . كما ان السيد المسيح تحنن علي تلك الارملة بمدينة نايين بالنظر اليها فقط من غير ان تطلب منه شيًا . ونظير ذلك فعل بالمخلع الذى كان مطروحًا عند البركة منذ ثمان وثلاثين سنة (يوحنا ٥) . وهكذا رق علي الاعمى المولود خلوًا من التماس شي . بل كان سقمهم وعوزهم صوتًا جاذب الناس الى الرحمة والتحنن * ان الذين يمنعون المساكين عن طلب معيشتهم في الازقة والابواب فانهم يمنعون عنهم اتصال صدقات كثيرة . اذ ان حضورهم ونظر الناس اليهم يصير سببًا لبذل الصدقة عليهم اكثر مما يُعطى للاغنيا الصحيحي الابدان اللابسين الثياب الفاخرة الذين يطلبون من اجلهم * وكثيرون من الذين يكونون في حال الاغتذا علي موايدهم . اذا طلبت منهم الفقرا في ذلك الوقت شيًا فربما انهم يعطونهم اشيا وافرة من الماكل الفاضلة عنهم . اما اذا طلب لهم ذلك الذين يجمعون الحسنات للفقرا في ذلك الوقت نفسهِ . فلم يكونوا يدفعون لهم منها شيًا ولو ارادوا العطا حينيذٍ لما امكنهم ان يعطوا لهولاء * ثم انه اذا منعت الفقرا عن طلب

قال داود النبي نحو الله لقد طردوا الذى ضربته انت وعلي وجع جراحهِ زادوا (مزمور ٦٨). يعني بذلك ان الذى ضربه الله وابلاه بالضعف والمسكنة طرده هولاء القساة منعًا عن التماس حاجتهِ. ثم اضاف النبى الي قوله هذا بيان ما قد اُعد لهم من العقوبة قايلًا. فيمحون من سفر الحيوة ومع الصديقين لا يكتبون * ولعمرى ان هولاء الذين يصدون الفقرا عن التماس الصدقة في الابواب وعن ان يظهروا للناس عوزهم. ولذلك يوصون مدبرى المدن بان يعولوهم وان تجمع لهم الروسا الصدقات. فانما يخاتلون بذلك انفسهم. حيث ان هذا كله نقض للرحمة والرافة المسيحية لان قومًا كثيرين لا يحبون هذه المحمدة التي هى الصدقة. لكنهم متي راوا بعيونهم جروح الفقير وقروحه ومسكنته. رثوا لحاله حنوًا في ذلك الوقت ورحموه باعطا الصدقة. ولولا مشاهدتهم اياه عيانًا لما منحوه شيًا. اذ كان الحاضر للعيان يحرك العزم اكثر من الغايب. كما ظهر ذلك بتلك الارملة حين راها السيد باكية علي ولدها الميت في مدينة نايين. فانه تحنن عليها اذ ذاك واقام لها ابنها حيًا (لوقا ٧). فافعل انت هكذا متي رايت قريبك في حالة الفقر والعوز. اى رق لحاله شفقةً ورحمةً وحنوًا * الرحمة انما هى شفقة علي احتياج الغير تحل في قلبك. واذا لم تنظر فقيرًا فلن تقدر ان تصور في قلبك احتياجات الاخرين وعوزهم *

اولادك وامراتك وكل ما هو ماثور عندك . او اصابتك مضرة بنوعٍ من الانواع . فاعلم ان ذلك قصاص وانتقام عما تجنيت بهِ علي الفقرا والبايسين * فلا تلم الفقير ولا تحزن المظلوم . بل انظر فيهِ يسوع المسيح الذى صار فقيرًا لاجلك . واعطهِ صدقةً واحسن اليهِ بوجه باش وصدر واسع * وقد قال ابن سيراخ اصغ للمسكين بلا حزن (ص ٤) . وقال في محل اخر في كل عطية فليكن وجهك مبتهجًا . وقال بولس العظيم ان الله يحب المعطى الفرح بعطيتهِ (قرنتيه ٢ ص ٩) * فارحم مسكنة الفقير وعجزه واقبله مثل المسيح بمحبة . ولا تفحص عن حاله ولا تونبه . لكون هذا ليس هو مطلوبًا منك * اذا احسنت الى الفقير بخالص المودة وشفقت علي ذله وعجزه . فانك تنال من الله ثوابًا جسيمًا واجرًا وافرًا عظيمًا في المجد السعيد الذى لا يزول *

الفصل الثالث والخمسون

في اباطيل الذين يمنعون المساكين عن التماس الصدقة *

قال ابن سيراخ لا تحزن المسكين في مسكنتهِ ولا تضيق قلب البايس (اصحاح ٤) * فقد يكفي الفقير تعبه ومسكنته فضلاً عن ان تسد فاه ليلا يطلب ما يحتاج اليهِ مما يفضل عن غيره * وقد

والبايسين لما كانوا استحقوا ان يضيفوا ملايكة * وعن مثل هولاء يقول ابن سيراخ عطية الاحمق لاتنفع لانه يعطى يسيرًا ويعير كثيرًا (اصحاح ٢٠) * دع الفقير ولاتوله فيكفيه فقره وعوزه وعريه وهو طايف يسال في البرد والشتا * فان عسرً عليك ان يكون بطالًا من الشغل والعمل وتلومه علي هذا الفعل. فلمَ لاتلوم كثيرين من القايمين طول نهارهم في المدينة يتخطرون فى الاسواق والشوارع وليس لهم عمل سوى هذا. بل تصاحبهم وتتفاوض معهم. ولكونهم اغنيا ترتضى بهم وتتواطى معهم على اباطيلهم. ولاتطلق لسانك الا علي المسكين والعريان المطروح فقط اذ ليس لهُ سلاح ولاقوة لكى ينتقم لظلامتهِ * فهذه الغيرة انما هى حمق وجنون ومستوعبة جهلًا. وبعيدة في الغاية القصوى عن الرحمة المسيحيّة وعن المحبة التي يجب ان تحب بها قريبك كعبد يسوع المسيح * فاذا كنت تعلّم الفضايل وانت شبعان ومكتسي بالكمال. وتلوم الفقير علي الاطلاق وكيفما اتفق وهو جيعان عريان. فانما انت معلم كاذب. ومن حيث انه لاسبيل للفقرا علي دفع ما يتجنى بهِ عليهم المفترون. فالبارى تعالي بما انه ابوهم فهو يجاوب عنهم ويقاصص المتجنين عليهم * علي ان الظلامة الواصلة الي الفقير لاتطلب الانتقام بين يدى الله اقل مما طلب دم هابيل من القاتل القاسي قديمًا * فاذا اخذ الله

وقد قال الرب من يقبل نبياً باسم نبيٍ فاجر نبي ياخذ (متي ١٠) .
ومن المعلوم انه ليس غرضه في ذلك ان المقبول يكون نبياً . لان
الذى يُقبل باسم نبي ليس هو بنبي . اذ انه لو كان نبياً فكان
الذى يقبله يقبل النبي بعينه وليس يقبل غيره باسم نبيٍ *
فكذلك الفقير ولو كان ردى السيرة وسيي الطريقة فالخليق بك ان
تقبله باسم يسوع المسيح * وقد يوجد اقوام من الفقرا كثيرين
لاجل خجلهم من الناس يرون الافضل لهم ان يصبروا علي الفقر
بهدوٍ ونصتٍ ولا يعلم بهم احد من ان يفحص عن امرهم *
فالمساكين يحتاجون الي من يسد اودهم اكثر ممن يعظهم *
اذا ادمنت التفحص والتفتيش عن احوال الفقرا وطرايقهم .
فهيهات ان تعمل حسنة او تعطى صدقة . لانك بالتفتيش ترى
نقايصاً وعللاً مالا يخلو منها احد من شانها ان تبرد همتك وتعيقك
عن فعل الخير * ان الظن الانساني في اكثر الاوقات ينقاد
خاضعاً للباطل والغش . ولذلك في الغالب اذا قطعت الصدقة
والرحمة عن الشرير فتقطعها عن الصالح ايضاً * ومتي استفحصت
الفقير عن امره بالخزى والتعيير فقد فعلت معه ظلامةً اعظم
من الخير الذى تعينه به . وربما انك توبخه وتقرعه بالفاظٍ من
لا تطاق حتي يكون ما تصدقت به عليه مقابل ما اسيته به بالكلام *
ان ابرهيم ولوط وغيرهما لو كانوا استقصوا عن احوال السايلين

في كل ساعة تقبل تفضل الله وامتنانه وانت اقبح من ذلك طريقة * فالمسيح قد لحقه الي البرية جموع كثيرة جدًا حتي ان الرجال فقط كانوا خمسة الاف . وقد اطعمهم تعالي واشبعهم جميعهم بخمسة ارغفة من الخبز وبسمكتين لانهم كانوا جياعًا ومحتاجين (يوحنا ٦) * ومن البين الواضح ان اناسًا كثيري العدد بهذا المقدار لم يكونوا كلهم صلحا وفاضلين . ومع ذلك فقد فاض الجود الالهي علي الجميع وعمهم كلهم من غير ان يمنع اشرارهم ولا ميز اهل المساوى من اهل الصلاح * ان الرحمة ليس من شانها ان تترقب الاستحقاقات بل ان تعين عجز المقلين . ولا تتفحص عن سيرة الغير ولا تدين طرايقه بل تساعده في احتياجه وضروراته . فكثرة مبالغتك في تفتيشك عن امر المسكين لتعطيه صدقة انما هو تفحص شيطاني . علي ان الشيطان اخزاه الله بما انه عدو الخير يحرك هذا البحث وينشيه ويشوش بذلك عقل الانسان لكيما يحجب الرحمة ويعيقها . لان حرارة الرحمة تفتر بالتسويف والتاخير * ان هذا اللعين المحال في حال جوع سيدنا يسوع المسيح طفق يتفحص عن حاله اهو ابن الله ام لا عوضًا عما كان سبيله ان يغيثه في ذلك الوقت . وانت علي هذا المنوال فعوضًا عما يجب عليك من مواساة الفقير بما كان لسد اوده . تاخذ في الاستقصا عن خيره وشره وهل هو من بني الله ام لا *

شمسه علي الصالحين والاشرار ويمطر على الصديقين والظالمين (متي ٥) . فلذلك سبيلك ان ترحم الاخيار والاشرار لتكون شبيهاً بابيك السماوى * احسن الى المسكين ولوكان شريراً . افليس هو تعالي يعول الاشرار ايضاً ويغيثهم في احتياجاتهم . فالاولي بك ان تتشبه بالله في كل ما تصنعه . وتنصبه تعالي دايماً تجاه عينيك . وكن كاملاً مثل ابيك السماوى فانه كامل (متي ٥) * فنحن اذا قبلنا الغير المستحقين فياتي بينهم المستحقون ايضاً كما جرى لابى الابا ابرهيم . الذى لاجل قبوله في منزله كل احدٍ استحق ان يضيف الملايكة (تكوين ١٨) * وقد قال الرسول وسليمان الحكيم ان جاع عدوك فاطعمه (امثال ٢٥) . فاذا كان عدواً فليس هو صالحاً . ومع ذلك فقد امرتنا الكتب المقدسة برفده واغاثته في حال ضيقه ولوكان خاطياً شريراً . فيسوغ اذاً لنا ان نواسي الفقير ولولم يكن صالحاً * ان سيدنا يسوع المسيح بقوله لنا اعط كل من طلب منك لم يميز الصالح من الطالح . اذ قد امرنا بالعطا لكلَ من كان محتاجاً علي الاطلاق بالسوية * ولوان البارى تعالي لم يجد الا علي الاخيار فقط فماذا كان يصير بالكثيرين منا * ولوانه تعالي عاملك بسو فعلك لكونك شريراً مثل ما تعامل الفقير لكونه شريراً . فماذا كان يصير فيك ويجرى عليك . فانت لنظرك الي سيرة الفقير الردية لاتريد ان تعطيه صدقةً . مع انك

وقد قال الرب في انجيلهِ المقدس اذا صنعت وليمةً فلا تدع الاغنيا لكن ادع المساكين والضعفا والمقعدين (لوقا ١٤) * وقد اوصى اليشع النبي ان يوضع الزيت في اواني فارغةٍ لا في اواني مملوءة (ملوك ٢ ص ٤) . ويشار بذلك الى ان الصدقة ينبغي ان تدفع للفقرا الذين هم مصفرون من الثروات الزمنية * وكما ان الزيت متي وضع في اناءٍ ممتلئٍ يتدفق ويضيع باطلاً . هكذا اجر ما تعطيهِ للغني المكثر من المال يضيع بلا فايدة * ويوحنا المعمدان لما وعظ الشعب قال لهم هكذا . من لهُ ثوبان فليعطِ من ليس لهُ (لوقا ٣) . وما قال فليعطِ الغني الذى لهُ اشيا كثيرة بل الفقير الذى ليس لهُ شي * فاذا شيت ان تفعل صالحًا وامرًا حميدًا فازرع خبزك في هذه الارض المنحلة الناشفة . فانك

* ستحصد ماية ضعف في الملك السماوى *

الفصل الثاني والخمسون

في اباطيل الذين يتفحصون عن حال الفقير لا حل اعطا الصدقة *

قال الله علي لسان اشعيا النبي اذا رايت عريانًا فاكسهِ ولحمك لا تهنه (ص ٥٨) * فاعطِ اذًا صدقةً للمسكين ولا تستقصِ عن حاله بل انظر الي فقره وعجزه . لان الرب يقول ان الله يشرق

تعطى لبطرس الرسول احساناً لو انه طلب منك . وانت لاتعطى الفقير الذى يطلب الاحسان علي اسم المسيح الذى يقوم مقامه انما هو قلة امانة فيك * واذا كنت لاتومن بالمسيح وانجيله فما انت مسيحى . واذا ايقنت ان الذى تقدمه للمسكين هو واصل للمسيح بعينه . فكيف لاتخجل اذ لم تعطِ كسرةً من الخبز للمسيح الواهب لك كل ما تملكه * اعلم ايها الشقى انك مثل ما تصد الفقير عن باب بيتك خايباً هكذا يصدك سيدنا يسوع المسيح ويبعدك عن باب ملكوته السماوى * فلا يحال لك ان ما تبذلهُ للفقير والمسكين يضيع باطلاً اذ انه يزداد حقاً كما يقرر ذلك الرسول (قرنتيه ٢ ص ٩) . حيث ان الصدقة كالزرع الذى يزرع في الحقل . فانه وان تبين انه يضيع فليس الامر كذلك لكنه يزداد بتحقيق ويتضاعف * واذا خسرنا هذه الفانيات الغير الممكن دوامها طويلاً وجعلناها في ايدى الفقرا فاننا نصيرها ابدية فاقدة الفنا * وكما ان الاكارين في اول السنة يبذرون الزرع وفي السنة المقبلة يحصدونه . فانت علي هذا المثال اذا اعطيت الصدقة في حال حياتك هذه فانك سوف تحصدها في تلك الحيوة الاتية * وهذا امر عجيب ويحق لهُ التامل وهو ان الصدقة المزروعة في ارض بور اعني بها الفقرا تثمر افضل مما يزرع في ارض مخصبة اعني بها الاغنيا واكابر هذا العالم *

فما بالك ياهذا متوانياً في اعطا الصدقة . فكل ما تقدمه للفقير المطروح على الارض فانك تقدمه للجالس في السما . فلماذا تصد وتدفعه عنك بقولك لهُ الله يعينك * فاذا كنت قادراً على اغاثته ورد لهفته فلاى سبب ترده الى الله وقد جاء اليك . وهو الذى ارسله لك الا تعلم انه عار عليك ان ترد ما بعث لك الله * لا تخف من ان تصير محتاجاً . لان صانع الصدقة لا ينقص عليه شي . ولا يكذب الكتاب المقدس اذ يقول من يعطى المسكين فلا يحتاج . ومن يهن السايل يحتج احتياجاً (امثال ٢٨) . كما جرى لتلك الارملة التي اطعمت ايليا النبي فما نقص عنها الزيت والدقيق بتة . وان قلت انني لقد كنت اعطى ايليا النبي لاجل قداسته . اما هولاء الفقرا فلا لانهم ليسوا بقديسين نظير ايليا النبي . فهذا هو عين الجهل وغاية الخداع . لان من لا يعطى لرب ايليا فولا لايليا ايضاً يعطى * امسيحي انت . فان كنت مسيحياً فقد التزمت بتصديق الانجيل الذى قال ما عملتموه باحد هولاء الصغار فبي فعلتموه (متي ٢٥) * واذا صدقت ان كل ما تبذلهُ للفقير واصل لربنا يسوع المسيح نفسه فكيف كنت تعطى لايليا صدقة وانت لا تعطى للمسيح * من لا يواسي الفقير من ماله فاحرى انه لا يعطى لبطرس ولا ليوحنا ولا لاحد من بقية الرسل ولو جاوا بانفسهم من السما ملتمسين منه صدقة * ولعمرى ان قولك هذا انك كنت

الصندوق وحدها ولا تفيد احداً شيئاً . ولكن اذا اوقدت بنار المحبة فتنصب الي نواحي شتي وتعين المساكين والمعوزين * ان ابيشالوم لو قص شعره لما كان تعلق به ولا مات تلك الموتة ومن اجل انه طلب الملك الارضي فخاب من الارضي والسماوي معاً * ان الاموال والقنايا صارت سبباً لموت كثيرين الذين ما ارادوا ان يوزعوها علي المساكين * ومن عادة الابار كلما اخذ من مياهها نبعت ماءً اطيب واصفي . واذا استكن الماء فيها فسدت وامتلات وحلاً واوساخاً . فعلى هذا النحو تكون الاموال . فانها متي تفرقت علي المعوزين والبايسين زادت ونمت واكتسبت غنيً سماوياً . وان حفظت وتلجمت في حضن البخل المذموم وسخت الضمير ودنسته * فالسيد هو الذى قال اعطوا فيعطى لكم (لوقا ٦) . وهو السايل الطالب بواسطة الفقير * ان الذى يطلب منك الان القليل فهو بعينه ذاك الذى تلتمس منه ملك السما . فان انت انكرت عليه القليل فهو ينكر عليك الكثير . وفي ذلك قال الحكيم من يسد اذنيه عن صراخ المسكين فانه يصرخ ولا يسمع له (امثال ٢١) * اذا طلب المسكين منك صدقةً فاعلم يقيناً ان السيد المسيح يقول لك اعطني مما انعمت عليك به . انا اطلب ممالى فلمَ لا تعطيني . اقرضني قرضاً بربحه . قد انعمت عليك بافضالي حتي الي الان . ومنذ هذه الساعة فاصير لك مديوناً *

وقال لنفسهِ استريحي يانفسي لان لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة . الا انه للوقت سمع صوت الله قايلاً لهُ ياجاهل في هذه الليلة توخذ منك نفسك والاشيا التي اعددتها لمن تكون (لوقا١٢) * فقد دعا الله هذا الغني جاهلاً . لان من يجمع المواد ولا يبني فهذا في غاية الجهل * اذا واسيت الفقير بحسناتك فانما تحسن الي نفسك * فكما ان اشجار الصنوبر البرى اذا لم ينزعوا عنها قشورها الغليظة فانها تيبس وتتلف . لان غلظ القشر يحجب الروح النباتي ويمنعه عن ان يدب فيها . ومن هذا القبيل تيبس تلك الاشجار . فعلى هذا المثال تفعل الارزاق والاموال . اى انها تميت النفس وتهلكها . ولهذه العلة ينبغي لاصحاب الثروات ان يعطوا الفقرا بسماحة ويعينوا المحتاجين ويرفدوهم بالاحسان * وقد اوعز الله الي حزقيال النبي امرًا ان يحلق شعره بسيف حاد ويحرقه (حزقيال ٥) . ومراده تعالي بذلك ان تقطع بكلمتهِ التي هي كالسيف الحاد كقول الرسول زيادة مالك كما قال الانجيل المقدس (متي١٩) . وتعطى الفقرا حبًا بالله ما يفضل عنك وتحرقه بنار عشقه الالهى * ان المعادن الذايبة متي وضعتها في اناء ذى ثقوب كثيرة وهى باردة جامدة بقيت علي حالها في الانا . وان اذبتها في النار فتنصب من تلك الثقوب وتنفذ . فعلى نحو ذلك تكون الاموال متي جمدت ببرودة البخل فانها تبقى في

في احضان ابى الابا ابراهيم . ولم يطلب الغني الآ لعازر فقط لاغيره لمعرفته اذ ذاك ان الفقرا هم سلوة وتعزية للاغنيا وخلاص لهم وان هذا لعازر المسكين كان قد اعطى لهُ دواءً واستنقاذاً من اوزاره . فالبارى عز وجل ارتضى بهذا اى ان يكون استفكاك الاغنيا وخلاصهم علي ايدى المساكين . ولاجل هذا الشان عندما خلق الغنى خلق الفقير ايضاً ليحصل للغني ثواب * فكما انه اذا اراد مولي من الموالي ان تميل اهل بلدتهِ الي محبة ابنه البكر . ويقبلوه بكل كرامة وتوقير . فانه يحسن الصنيع اليهم ويجود عليهم بجزيل النعم علي يد ابنهِ العزيز فينقادون بذلك الي محبتهِ . هكذا حتم الله تعالي ان الخيرات الروحيّة التي ينيلها للاغنيا تكون علي ايدى الفقرا والمساكين . لكى يشفق الاغنيا علي المحتاجين . وبهذا الاحسان الذى يبذلهُ الاغنيا نحوهم تبني لهم قصور في السما علي ايدى الفقرا الفاعلة ذلك * ان الذى يقتني الاموال ولا يفرقها على ذوى الفاقة فهو كمن يجمع حجارةً وخشباً وامثال ذلك لبنيان البيت ولا يعمر ابداً * ماذا ينفعك ان تجمع مواد البنيان ولا تبني المنزل . فلعمرى ان المواد تضيع بلا فايدة * وماذا يفيد الغني في البيت والذهب والدراهم في الصندوق وانت لا تقتني لك بيتاً في السما على ايدى الفقرا * فقد جمع ذلك الغني المذكور في الانجيل اموالاً جمة وافرة جداً .

خبزًا امامكم ثم تجوزوا (تكوين ١٨) . فقال ذلك لانه تحقق الخير الذى تفعله الفقرا مع الاغنيا اذا ارتضوا ان يكونوا ضيوفهم * وتلك الارملة التي من صرفند صيدا لما اطعمت ايليا النبي الفقير ربحت ربحًا وافرًا باضعاف ماربح هو. ومضيه الي منزلها انما كان لفايدتها (ملوك ٣ ص ١٧) * والتلميذان في انطلاقهما الي عمواص اذ اضافا السيد بزى غريب ومسكين نالا فوايد تزيد عما اكتسبه الضيف الالهي. فيالسعادتهما وغبطتهما اذ انه من اجل الرحمة التي صنعاها مع الغريب الغير المعروف منهما استحقا ان يعرفاه فيما بعد بكل تسلية وتعزية (لوقا ٢٤) * وزكا لما اضاف يسوع وادخله الي بيته ربح ما يفوق كثيرًا علي ما استفاده المسيح بدخوله الي منزله (لوقا ١٩) * ولما نزل سيدنا في بيت مرتا التي اضافته انما كان ذلك لمنفعتها (لوقا ١٠). حتي انه لايستطيع احد ان يصف جزيل الفوايد التي نالتها من الله هاتان الاختان مرتا ومريم المجدليّة الفاضلتان من اجل الاحسان الذى فعلتاه مع مخلصنا الذى صار لاجلنا مسكينًا وبايسًا في هذا العالم * فالمساكين اذًا قد خلقهم الله لمنفعة الموسرين. لانه تعالي بواسطة المحتاجين يشفى جروحات ضماير الاغنيا. ولذلك ذلك الغني محب الاستكثار طلب وهو في الجحيم من ابراهيم ان يرسل له لعازر المسكين ليسكن اوجاعه (لوقا ١٦) * فقد كان كثيرون من الفضلا والصالحين

في

الفصل الحادي والخمسون

* في بيان شرف فضيلة الصدقة *

قال الرب انا اقول لكم اتخذوا لكم اصدقا من مال الظلم حتي اذا نفدتم يقبلونكم في المظال الابدية (لوقا ١٦) * فاذا كانت اصدقاونا هم الفقرا والوراثة السماوية تشترى بالصدقات . فينبغي لنا ان نتصدق علي الفقرا لا بحسبما هم عاجزون . بل نتوسل اليهم كمثل الموالي والسادات والشفعا * ان البارى تعالي جعل هذه الاموال الارضية لاجل الاغنيا لينالوا بها الفوز في نعيم السما . وليخلصوا ببذل الاموال للمحتاجين . ولذلك خلق الله الفقرا ايضاً لينعم بهم علي الاغنيا * فمتي رضى الفقير باعطايك الصدقة لهُ فقد صنع معك خيرًا وافرًا بقبولهِ اياها منك . وهذا قد اشار اليهِ بولص الرسول بما كتبه الي الرومانيين قايلاً . اسالكم يا اخوتي ان تعينوني في صلواتكم لكي يُقبل قربان خدمتي في اورشليم عند الاطهار (رومية ١٥) . حيث يتضح من مقال الرسول هذا ان الذين يعطون الصدقات يربحون اكثر من الذين يقبلونها . وانه يجب علينا ان نسال الاهنا قبولهم اياها * وقد عرف هذا يقيناً ابو الابا ابراهيم . ولذلك قال لاوليك الغربا الثلثة الذين ظهروا لهُ ان كنت قد ظفرت بنعمة لديكم فلا تتجاوزوا عبدكم بل استريحوا الي ان اضع

الكتاب المقدس نعمة. ومن يصنع الصدقات والحسنات فلا بد ان يكون في حال النعمة. والرسول دعاها نعمةً ايضاً اذ قال اننا نخبركم يا اخوتنا بنعمة الله التي اُعطيت في جماعة اهل مكدونيا (قرنتيه٢ص٨). وقال في مكان اخر فاذا ما قدمت فارسل الذين تختارون برسايلكم ليحملوا نعمتكم الي اورشليم (قرنتيه١٦). فاجعل في السما دراهم من معدن خالص جيد. واجمع ذخيرتك وصدقاتك سرًا. لانه يجب ان يقترن فيها هذان الشرطان اللذان ذكرناهما. اعني ان تكون دراهم جيدة نقية لا نحاسية ومكنوزة بالسر لا بالتظاهر * واذا رمت ان تعرف رزانة هذه الدراهم وقيمتها فاحملها الي ميزان محبة الله تعالي وزنها به. فعلى قدر ما تكون المحبة بمقدار ذلك تكون رزانتها واستحقاقها * وهذه المحبة الالهية فهي وزن القدس الذى قال الله عنه كل تثمين يكون وزنه في مثقال القدس (احبار٢٧). فينبغي اذاً ان تزن المال الذى تقدمه لله بهذا الوزن وحينئذٍ تختبر نقصه * فاذا كسوت العريان فزن هذا الفعل بوزن القدس. وان اطعمت الجيعان وعملت حسنات اخر فزن ذلك ايضاً بوزن القدس الذى هو وزن محبة الله وسبيلك ان تزنها به. فاذا رايتها ناقصة في هذا الوزن وغير كاملة فهي غير لايقة للكنز السماوى. وترذل كالدراهم الردية الدنية * فاكنز اذاً كنزاً جيداً في السما فتكون غنياً الي الابد

صالحة كما تبان الاعمال من خارج * فمن اراد ان تكون صدقاته مقبولة عند الله ينبغي له ان يتصدق اولاً علي ذاته. اى يحسن الصنيع اليها . وقد قال بولص الرســـول لاهل قرنتيه عن اهل فيلبيسيوس انهم اسلموا نفوسهم للرب اولاً ثم لنا (قرنتيه ٢ ص ٨) وابن سيراخ يقول ارحم نفسك وارض الله (ص ٣٠) * فالذى يتراف علي قريبه يجب ان يشفق اولاً علي ذاته . لان الاجدر بالرحمة التي يبذلها لغيره ان تبتدى من نفسه . لانه كيف يرحم قريبه من لا يرحم نفسه . ومن يظلم نفسه فالي من يحسن (ابن سيراخ ١٤) . فمن كان في حال الخطية ويعطى صدقة فيعطى الغير صدقة ولنفسه اثماً * وقد قال ايوب اولاً قد لبست الحق اى البر. ثم انه قال في اثنا ذلك كنت عيناً للعميان ورجلاً للعرج (ايوب ٢٩) . فايوب اذاً قد رحم ذاته بدءاً اذ لبس الحق والبر . ثم بعد ذلك تحنن علي قريبه العاجز * وفي محل اخر تكلم اولاً عما يخص بره وعدله قبل ما تكلم عن الحسنات التى صنعها مع القريب فقال . ان كان ذهب قلبي وراعيني وان كان لصق عيب بيدى (٣١) * فمن حيث ان البارى تعالي مراقب القلب قبل العطا فنظف قلبك اولاً لتكون صدقاتك مقبولة لدى الله * فاذا رحمت ذاتك اولاً وكانت سريرتك كما تبان انت في الظاهر. فلست تكنز في ذلك الوقت دراهم ردية بل جيدة حقيقية * فالصدقة تدعي في

يجب اخفا كنز الصدقة والاحتفاظ عليه * فلذلك يجب ان تحفظ كنزك لنفسك . وان تصنع رحمة لوجه الله فقط . وان كانت علانية فلتكن النية مستورة . واعلم ان كل ما تعطيه لله هو محفوظ لوقت الحاجة مضاعفاً * فلو كان لاحد الناس هذه الخاصية وهي انه يصلح ما قد فسد بلمسه اياه ويزيده فضلاً عما كان . افما كان امراً مرغوباً وجميلاً ان نسالهُ ان يلمس ذلك الشي بيديه اى نعم لاريب بذلك . فهذى هي يد الله التي عنها قال الكتاب المقدس يداه مخروطتان من ذهب مملوتان اسمنجونة (نشيده ٥) فاذا نحن وضعنا صدقاتنا في يد الله وبذلناها لاجله . فانها وان كانت يسيرة وحقيرة جداً فللوقت تنقلب ذهباً ابريزاً وتتحول الي الاسمنجونة . اى الي لون سماوى اذ تصير سماوية موهلة للعلا * وليس من عادة الكنز ان توضع فيه دراهم ردية التي تكون مطلية بالذهب من خارج وداخلها نحاس . وعلي هذا المثال تكون افعال المرايين وصدقاتهم . لانهم يتظاهرون بالخير والتقوى في الظاهر . وهم خبثا اشرار وضمايرهم ردية في باطنهم * ان السيد قبل ما يشرع بايراده لنا ذخيرة السما تكلم عن المراياه واوصانا ان نهرب منها (متي ٦) . وذلك ليلا تكون كنوزنا في السما دراهم ردية . اذ ان مثل هذه الدراهم لا تنفق هناك * انه تعالي يريد ان تعطى الصدقة في حال النعمة وتكون سريرة القلب

حيث مقرهم الدايم . فارسل اذًا ايها الاخ العزيز كنزك الي السما علي ايدى الفقرا * ومن عادة الذين يكنزون كنوزًا ويخبون الخبايا ان يفعلوا ذلك سرًا ولا يضعوا بتلك الكنوز الا دراهم معدنيّة من النقود الجيدة التي ليست بردية . فهذان الامران ينبغي لك ان تحرص علي حفظهما في اذخار كنزك السّماوى * ثم انه بالدراهم النحاسيّة انما تشترى البضايع الخسيسة الدنية . اما البضايع الشريفة الثمينة فلا تبتاع الا بالفضة والذهب * فاذا عملت صدقاتك في حال الله وفي حبهِ فقط . فتكون صدقتك من معدن جيد وذهب ابريز . لان المحبة الالهية تصيرها عظيمة القيمة . ولكن اذا فعلت الصدقات علي الفقرا وواسيت البايسين لاجل الافتخار . فتكون صدقتك من نحاس قليل القيمة . ولا تشترى بها اشيا جليلة سماوية . بل مديحًا انسانيًا حقيرًا جدًا * اما الدراهم التي من المعدن الجيد فتبتاع بها حيوة الابد التي وعد بها مخلصنا يسوع المسيح لمن يسقى كاس ما بارد باسمهِ (متي ١٠) * فسيدنا له المجد حيث اراد ان يكون اعطا الصدقة من اجلهِ فقط اوصى بان تكون بالسر . حتي انه قال لا تعلم الشمال بما تصنع اليمين (متي ٦) . وبولص الرسول يقول عن الجباية التي كانت تجمع للصدقة علي المحتاجين من المومنين . كل احد فليعزل في بيتهِ ويحفظ عنده ما يرتضى بهِ (قرنتيه ١٦) . وبهذا القول يشير الرسول الي انه

الفقرا . وهم يدفعون لك التمسك الذى بهِ يفونك مالك في السما مع ربحهِ ويثبتونه هناك . ولعمرى ان هذه المايدة التي يجب ان تضع عليها مالك لتذخره هى افضل من المايدة الارضيّة . حيث متي اردت ايصال مالك الى غير بلدةٍ فلا بد لك عن خسران شي . ولا يوصلونك بمقدار ما سلمت انت . اما الفقرا اذا اعطيتهم مالك فانك تجده علي المايدة السّماوية . وليس بمقدار ما انفقت هنا فقط بل زايدًا باضعاف كثيرة * ليس احد يضمن في هذه الدنيا مال غيره مالم يترك لهُ صاحب المال جزءًا . اما سيدنا يسوع المسيح فيضمن لك مجانًا . حتي انك تجد كنزك في السّما من غير خسران شيٍ . فلاجل ذلك يجب ان تهتم بحرص فى ان تكنز هناك حيث يكون كنزك محفوظًا مصونًا * فاذخر ذخيرتك في السما لانها تبقى هناك ولا يشوبها فساد . حيث ليس صدا يفسد . ومتي اذخرت هنالك فان ذخيرتك لايعادلها قيمة * اجعل مالك في ارضك الحقيقية الطبيعية حيث سكناك الدايمة . فلماذا تجعل كنزك في المكان الذى تمر بهِ عجلًا ولا ترسله الي حيث تحيي سرمدًا . ومن عادة التاجر الخطير ان يبعث تجارته الي حيثما يربح فيها لا الي حيث يخسر * ان الذين لايقيمون في هذه الدنيا الّا اياماً قلايل وهم مسرعون الي العالم الاخر . فهم في غاية الجهل غارقون اذا اذخروا في الارض حيث هم ضيوف وغربا . ولم يعتنوا بان يذخروا في السما

حيث

الفصل الخمسون

* في كيف ينبغي لنا ان نكنز في السما *

قال الرب اكنزوا لكم كنوزًا في السما (متي ٦) * انك اذا حفظت الان هذه الاشيا التي تفقد بعد حفظك اياها . فذلك جنون هو . ولكن اذا اضعتها وفرقتها فانها تحفظ حقًا * فالقمح اذا بذر في الحقل زمان البذار فانه يضاعف . وان حفظ فيفسد . هكذا حال الاموال الزمنية . اذا فرقتها علي الفقرا والمساكين فانها تفيدك فايدة مضاعفة . وان اذخرتها فتضيع وتفني * وقد قال ابن سيراخ اتلف مالك على اخيك وصاحبك ولا تطمن تحت الصخرة للهلاك (اصحاح ٢٩) * لما كان بنوا اسرايل يحفظون المن فكان يفسد ويدود . هكذا هذه الثروات والغنى الارضى متي حفظ سرى فيه الفساد والتلف ولا يفيد فايدة * انها لصناعة غريبة ان يكنز احدنا بتبديد ماله . لان من عادة الكثيرين ان يكنزوا بجمعهم المال بكل حرص واحتفاظ . فانت اذا فرقت ههنا على الفقرا فانك تجمع كنزًا في السما * ان الذين يريدون حمل ثرواتهم الي بلدة غريبة يطلبون من يعطيهم وثيقة بها لياخذوها هناك . وانت اذا شيت ان تكنز في السما وتنقل قناياك من غير خوف الي الملكوت . فاعلم ان المكان والمايدة التي تجعل عليها مالك هي

لهُ من الاكل والشرب وغير ذلك * فان انت اقتديت بهم وفرقت هذه الاموال الترابية على المحتاجين . فيكون الكنز الذى تجمعه في السّما عظيم القيمة جدًّا . وفي هذا قال طوبيا الصديق انك تكنز لك اجرةً حسنة في يوم الحاجة (طوبيا ٤) * ففى ايام الطوفان اخذ نوح زادًا الي السفينة لياكل هو واله . ويوسف في سني الاقبال خزن القمح بمصر وحفظه لسني القحط . فسبيلك انت ان تفعل هكذا . اى ان تكنز لوقت الحاجة في زمن هذه الحيوة التي هى زمن الاقبال . لتوجر في الحيوة الاتية . لان ذلك الزمان المقبل مدبر هو ومتحل بهذا المقدار حتي انك لاتستطيع فيهِ عملاً تربح بهِ او تخسر * انه غاية الجنون والطغيان ان تدخر ههنا وتجمع لك اموالاً في هذه الحيوة الفانية . مع انه توجد مساكين ومقلون كثيرين تقدر ان تحسن اليهم وتواسيهم * اكنز في السّما واتخذ لك اصدقا من مال الظلم لكى يقبلوك بعد انقضا الاجل في المظال الابدية السّماوية (لوقا ١٦) . حيث الفوز والحظوى بالسعادة الحقيقية والحيوة التي قد زال عنها الموت وتابدت

* فيها الراحة *

* الدايمة *

*

محتاجاً ندخله الي منازلنا ونغسل قدميه ونعد له مايك ونقوم بالحقوق الواجبة له ونحن راكعون امامه ناظرين فيه المسيح الاهنا نفسه مع حسن اليقين وصدق الايمان بان خدمتنا للفقير ليست هي متصلة بملك ارضي . بل بالملك السماوي الذي يمن علينا بالمجد الابدي ويغبطنا بافضاله غبطة لايعتريها غيار ولا دثار * فياله من كنز جليل اعني بذلك الفقرا السايلين . فطوبى للارض التي يوجد فيها خير مثل هذا . ومغبوطون هم الذين يعرفون الخير الذي يعمله الله معهم عند ما يقرع بابهم بيد المسكين العاجز ويقبلونه بكل ورع وعبادة كما قبل زكا في بيته هذا الرب العظيم (لوقا ١٩) * وقال داود النبي صالح هو الرجل الذي يترأف ويقرض فهو يدبر جوابه ليوم الدين (مزمور ١١١) * علي ان من يقرض الله اختياراً وينعطف بالرحمة علي الفقير بطلاقة وبشاشة وجه . فانه في القيامة عند ما يسال السيد المسيح ان كان اطعموه في حال جوعه وعن المناقب الاخر الخيرية . فجوابه اذ ذاك يكون نعم . فاذا اعطيت المسكين صدقة ههنا فيكون لك يوم الدين جواب حسن لترد عن نفسك * ان الابا القدما مثل ابرهيم وغيره من الصالحين . كانوا لايزالون وقوفاً في ابواب منازلهم الي ان يجوز فقير او غريب فيلزموه بالدخول قسراً ويعتنوا بلوازمه مع كل حرص واجتهاد . ويعزوه بما يقدمونه

ايضاً * فاذا اعطيت فقيراً فعطيتك انما هي لله بالفايدة . ولذلك سبيلك ان تسرّ متي ابطا بالوفا وامهله الي الحيوة الاتية . لانك هناك تستوفيه مع ربحهِ الكثير . فقل لي ايها الاخ اذا اتفق ودخل ملك من الملوك الي منزلك ليلاً خفيةً . وطلب منك طعاماً ليعوض عليك في قصرهِ علانيةً ويجعلك من اعيان دولتهِ . اما كنت تعدّ ذلك حظاً وافراً سعيداً . بل كنت تبذل المجهود باعداد كل ما هو مستحسن عندك انت واهل بيتك بغاية الحرص والنظافة . فاسمع ما يجيبك بهِ ملك المجد عن هذا الامر قايلاً . ان الذى فعلتموه باحد اخوتى هولاء فبي فعلتم (متي ٢٥) * فمتي جاء الفقير الي بابك يلتمس احساناً . فيجب عليك اذا كنت مسيحياً ومومناً بالانجيل ان تحدق ناظراً الي يسوع المسيح ملك السماوات في صورة ذلك السايل . وليس يطلب منك عشاءً نفيساً ثميناً بل قليلاً مما يفضل عنك من الكثير . وذلك ليثيبك عوض ذلك بجزيل النعم والخيرات علانية امام اهل بيتهِ الكرام وتكون مشرفاً معظماً عندما يقول للرحما في يوم الدين انني جعت فاطعمتموني وعطشت فسقيتموني وما يتلو ذلك من افعال الرحمة (متي ٢٥) * فاذا كان هذا القول في الانجيل حقاً وانت تصدق انه كذلك . فما بالك تغلق الباب في وجهِ يسوع المسيح عندما يقبل الي بيتك * فحقاً اننا لو كنا مسيحيين كما ينبغي لكنا متى صادفنا مسكيناً

والالام كما يشير بهِ النبي الي ذلك حيث يقول خلصني يا الله فان المياه قد دخلت الي نفسي (مزمور ٦٨) * علي ان النبي لم يتكلم ههنا عن المياه العنصرية حيث انها لاتقدر علي الدخول الي النفس الروحيّة . وانما قولهُ بذلك مجازى لاحقيقى . اى يشير بالما الي الامتحانات والمصايب المتعبة للنفس * فهذى هى المياه التي تخوض فيها الفقرا . فارسل خبزك معهم كقول الحكيم . اذ ان الاحرى والاليق ان تعطى المحتاجين لاالمثرين * فارسل خبزك يقول الحكيم . لان الصدقة ينبغى ان تكون من مالك لامن ارزاق الغير كما قال طوبيا الصديق اعمل صدقة من رزقك (طوبيا ٤) . وقد قال الحكيم ارسل خبزك ولم يقل اعطِ . لكون الفقرا مرسلين من الله وهم يحملون صدقاتنا الي السما * ثم انك اذا اعطيت الفقير فتكون قد اقرضت الله بالربح ليرد لك راس المال مع ربحهِ فيما بعد . وذلك لفايدتك ونفعك . لانه قيل في امثال سليمان من يرحم المسكين يقرض الرب وهو سيكافيهِ علي قدر عطيتهِ (١٩) * ولا يسوغ لك ان تحزن لقولهِ انك بعد زمان كثير تجد خبزك لانك وان لم توجر في هذه الدنيا عن افعالك الحميدة التي فعلتها . فانما يتاخر عدم الوفا لجزيل منفعتك * ان الذى يعطى فضته بالربا يفرح بتاخير ارتدادها . لانه بمقدار ما يوخر المديون الوفا بمقدار ذلك يزيد الربح لصاحب المال . وكلما زاد الربا تضاعف الربح

وعن هذا قال الرب انه يجب ان نكنز في السما حيث لا تصل ايدى اللصوص . وارشدك على يد من توصله الي هناك . اى ان توزعه علي المحتاجين وذوى الفاقة * ان داكيوس الملك لما سال القديس لورنسيوس عن كنوز الكنيسة . اجابه الشهيد الصالح قايلاً ان اموال الكنيسة التي تطلبها ايها الملك قد حملتها ايدى الفقرا الي الكنوز السماوية * وانت ايضاً ايها الغني ضع كنزك في هذا الموضع الحريز * فيالهُ من سر عظيم واكسيرٍ خطير جسيم اذا اصرفت هذه الاموال الدنية الدنيوية باصطناع المعروف ومواساة الفقرا . فانها تتحول الي تجارةٍ كريمة لا تعادل بثمن ولا يقام لها قيمة * ان الذى قد تخيلته الشعرا في اوهامهم عن ميداس الملك ان كل ما كان يلمسه يتحول الي ذهبٍ . فنحن نقدر نقولهُ بتحقيقٍ ونطلقه علي ايدى المساكين والمقلين . الذين اذ تلمس ايديهم ما يعطى لهم من الحسنات والصدقات يستحيل في الحال ابريزاً سماوياً . ومن يحسن اليهم بذلك يضحى موسراً غنياً * فلا تظن ان الذى قد بذلته لذوى الفاقة يذهب ضايعاً . بل تستمد بهِ منفعة جزيلة لذاتك اكثر منهم . اذ قد اودعت كنزك في محلٍ مامون . وقال سليمان الحكيم ارسل خبزك علي الجايزين في الماء السايل فانك تجده بعد كثرةٍ من الزمان (جامعة ١١) * فالما السايل يشير بهِ الحكيم الي المحن والاحزان

وبهذا لم يصدّ عن مباشرة صنعته . بل انما فضله فيها * ان الباري تعالي لما عزم على اخراج الشعب الاسرايلي اللحمي من مصر . اوعدهم من اجل رغبتهم في الماكل بارض تذر لبناً وعسلاً (خروج ٣) . فلم يقل لهم سبحانه الّا ياكلوا . بل خولهم اطيب الماكول . وقدم لهم ما اكل شهية مقوية تسمو على ما اكل مصر الغليظة وتفضل عليها * وكذلك لما ابتهج التلاميذ بخضوع الشياطين لهم ما الهاهم السيد عن الفرح . ولا قال لهم الّا يفرحوا . لكنه بذل فرحهم بقوله لا تسرّوا بهذا بل افرحوا الان اسماءكم مكتوبة في السما (لوقا ١٠) * وهكذا حيث كانوا يخافون من الناس ما منعهم من الخوف . لكنه قلب سبب الخوف بقوله لهم خافوا ممن اذا قتل الجسد له سلطان ان يلقيه مع النفس في جهنم (لوقا ١٢) * وذاك الشاب الغني محب المال ما امره السيد المتحنن الّا يكنز بل ان يكنز في السما ببذل ما يملكه للمحتاجين (لوقا ١٨) . فاذا رمت ان تكنز كنوزاً وذخايراً فانظر ما الذّ الانجيل وما اشهى وصاياه . لانه ما اوصاك الّا تكنز . لكنه اشار عليك مشورة حميدة مفيدة . اذ ارشدك الى المحل الذي ينبغي ان تودع فيه الكنز ليلا تضيعه . وهذا الامر لا يضاد هواك لكن يوازره ويستحثه الي متابعة اشتياقك * ان من اعتمد ان يدخر شيئاً يلتمس ان يجعل كنزه في موضع امين حيث لا يصل اليه السارقون .

في هذه الحيوة الوقتية هم هولا الاغنيا الذين يخلفون كنوزًا . ولكن بعد مماتهم يبدرقها مجانًا من لا يعرفهم وهم في الجهل والغباوة حاصلون * وهذا قد اوضحه سليمان الحكيم بقوله اني انعطفت فرايت باطلًا اخر تحت الشمس واحدًا لاثاني لهُ ولا ابن وهو لا يزال يتعب وعيناه لن تشبع من الغنى . ولا يفتكر ويقول لمن اتعب انا واعدم نفسي الصلاح (جامعة ٤) . فهو ادًا باطل وجنون علي قول الحكيم ان انت اصرفت همتك في جمع الكنوز والاموال ولست تعلم لمن تجمع * ان الله تعالي بعد ما ابرز الارض الي الوجود انبتت حشايش ونباتات لاجل منفعتنا . والماء اعطى الحيتان . والهوا كل طاير السما . وانت يا انسان وحدك تتعظم تشامخًا وتحزن خزاين وتفتخر بنعم الاله وخيراته . فاذا احببت ان تحزن الاشيا فاسمع ما قالهُ السيد اكنزوا لكم كنوزًا في السما (متي ٦) * ارايت افضال الله خالقك والطافه وجوده . فانه تعالي ما انهى عن الرغبة والشوق لكنه يريد تغيير النية والطوية . فهو لم يمنعك ان تذخر لك اشيا بل انما امرك ان تجعل ذخيرتك في مكان مامون جدًا وهو السما * فربنا تبارك اسمه يعطى السما بثمن قليل . حتي بواسطة يسير من التعب تقدر تقتنيها . ولهذا السبب لم يرد ان تغير هواك بل نيتك * هكذا حين دعا السيد بطرس ما قال لهُ الا يصطاد . لمعرفتهِ ان ذلك عسر عليهِ . بل جعله صياد الناس .

وتكون اخرتك مثل اوليتك . وعلي نحو ما دخلت سبيلك ان تخرج ولو درت دورانا كثيرا وانهمكت في اشيا شتي لتكون غنيا وعظيما * فباطل الاباطيل اذا ملت الي هوى الدنيا وصبوت نحوها في هذه الحيوة القصيرة هكذا * فلذلك ينبغي لك ايها المسيحي ان تحتقر العالم وجميع ما في العالم من صميم قلبك لتنال الفوز مع المسيح الى ابد الابدين امين *

الفصل التاسع والاربعون

* في اباطيل الذين يكنزون كنوزا في هذا العالم *

قال سيدنا يسوع المسيح لا تكنزوا لكم كنوزا في الارض حيث الصدا والسوس يفسد وحيث ينقب السارقون فيسرقون (متي ٦) * ان من خاطر بنفسه ودخل في بعض الاحراش ومعه من الاموال مبلغ جزيل المقدار . مع معرفته ان هناك لصوصا وقطاع الطريق وهو قادر ان يحملها الي الوطن من طريق اخر امين . فلعمري ان هذا لا يعد مع العقلا . وهكذا اصحاب الثروات فانه لا بد لهم ان يمروا في طريق الموت متجردين من كل ما يملكون . فكيف لا يكون من غاية الجنون اذا اذخروا ههنا ذخاير ولم ينفذوها الي السما بايدى المحتاجين والبايسين . حيث المكان المامون والوطن الحقيقي الذى خلقنا لاجله * ان العايشين بالشح والبخل

كل ما يدب على الارض فليكن لكم نجساً (احبار ١١) . فيالعظم هذه النجاسة وقباحتها . وهي ان الانسان الذى خلق لاجل السما يدب علي الارض رغبة وحباً في اموالها . ومثل هولاء ليس هم باهل للسما . وهم نظير اوليك الذين طردهم جدعون لانهم يدبون علي الارض كالحيوانات طمعاً في شرب المياه الجارية التي هي اموال هذه الدنيا الزايلة (قضاه ٧) * ان الاهنا المتحنن يعمل معك في غالب الاوقات كما يعمل بالطيور عندما تقص اجنحتها ليلا تطير وتفر . فهو تعالي يقطع عنك الاكتساب وتحصيل الاموال احياناً ليلا تدلك الكبريا وتفر من بينه هارباً * ثم وان كنت قد احتويت على اموال جمة فاسمع ما قالهُ ايوب وصدق مقالهُ . انك عرياناً خرجت من بطن امك وعرياناً تعود الي الارض امك (ايوب ١) * ان حجر الرحى لايزال دايراً طول النهار خلواً من سكون . وبعد كثرة دورانه يكون اخر النهار في الموضع الذى كان فيه صباحاً من غير انتقال عن محله . وانت علي هذا المثال ولو انك تعبت وشقيت الي الغاية . واستقصيت كل الاستقصا لتكون في الدنيا بكمال الايسار والاكرام . فعقيب ذلك يوافيك يوم حتفك وتهلك من الكد والعنا . وتوجد حينيذٍ في تلك الحالة التي دخلت بها الي الدنيا * فقيراً وعرياناً اتيت وفقيراً وعرياناً تدخل القبر . لانك بالحال التي ابتدات بها بها نفسها ستنتهي ايضاً

ذلك ولك جملة من الفقرا يساعدونك علي حمل اوساقك * ان المشي بلا اثقال لخير لك . وافضل لك ان تقاتل وانت عريان . لكون مصارعتك بلباسك مع الشيطان وهو عريان . هي سبب لان يظفر بك ويستحوذ عليك سريعاً * ان المسيح سيد العالم صارع لاجلك وهو عريان علي الصليب صراعاً متواتراً . فان انت احتذيت بهِ فجرد نفسك من كل غني دنيوى . لانه تعالي قال انه سيعطى ماية ضعف للمزدرين بالاموال والقنايا الارضية (متى ١٩) * انه بين الامور البشرية لايوجد اعظم من القلب المستخف والمزدرى بهذه الاشيا الجليلة * من هو الفقير الذى يبان غنياً فهو من كان مقتنياً للاشيا الوافرة . حيث انه يكون اقل حرية من غيره . وهيهات ان يرفع قلبه الي الله * وقد ذكر عن احد الفلاسفة يُدعي كرانيس تبانو انه ترك اموالاً جزيلة كثيرة . وسبب ذلك معرفته انه باقتنايها لايحسن الفلسفة . فكيف انت تريد استعطاف البارى تعالي مع انك موسوق من اموال الدنيا . انك اذا حاولت معاطاة صناعة من الصنايع فتلتزم بترك ماعداها وبان تدفع عنك تراكم الهموم والاشغال . فكيف اذاً تروم الذهاب الي ملكوت الله وانت تفتش ابلغ تفتيشاً على العوايق التي هى الاستكثار من الاموال والاملاك وماشاكلها * فماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه (متي ١٦) * قال الله

ان الاشيا التي نبتاعها بالدراهم الجزيلة نقدرها ذات قيمة . اما الذى نشتريه ونفديه بانفسنا وارادتنا فنعده لاقيمة لهُ . وهذا خداع مبين لاتقدير لهُ * ان من عادة الذين يحترون في زمن القيظ ان يخلعوا ثيابهم . فنحن اذاً متي كنا متمسكين بالعالميات الي هذا الحد فذلك دليل واضح علي فتورنا وتضجيعنا وعدم محبتنا لله ربنا . اذ انه لوكانت فينا حرارة محبة الله لطرحنا عنا هذه الاثقال من القنايا الارضية والاموال الفانية العالمية * فحيثما كانت الاموال مهانةً محقورة فحينيذٍ تفيد فوايد وافرةً * والطريق القريبة الموصلة الي السّماويات السعيدة انما هى الزهد في القنايا الارضية . ومتي استخفيت بالارضيات بلغت اذ ذاك الي السماويات * ان من يزدرى بالاموال فهو لعمرى خالٍ مما تجلبه من الهموم * فطوبى للنفس المجاهدة لان ترفض كل شي يتبين انه مزهر في ظل هذه الحيوة * اجتنب هذه الثروات الفاسدة وارفضها لاجل الغني الذى لا يشوبه فساد ولا اضمحلال * ليس الذهب والفضة هما موهبة للناس ولا عطية وانما هما اوساق واوقار . فالدابة لاتستطيع ان تحمل ما يفوق طاقتها اما محب الفضة فانه يحمل علي ظهره كل ما يلقى عليه من الاثقال . خفف عنك الحمل بترك هذه الاموال الكاذبة فتعود في سعيك جزيل الخفة والرشاقة * فلماذا توثر المشي وانت مثقل باوقار غزيرة هكذا . وكيف ترى

تضع السكر وتقف متاملاً سرعة جريان الاشيا كلها واباطيل الاموال الحاضرة . فلا تقدر ان تسمع صوت الرب يسوع الذى يدعوك * وقد قال الرب لشابٍ من الاغنيا ان شيت ان تكون كاملاً فبع كل شي واعطهِ للمساكين فلم يمتثل الوصية بل مضى حزيناً (مرقص ١٠) . فانت اسمع ما قال لك الرب من لا يرفض كل شي لا يقدر ان يكون لي تلميذاً * فاذا رمت ان تكون تلميذاً حقيقياً للمسيح فتهاون من كل قلبك بهذه الاموال والثروات العابرة الزايلة التي لا ثبات لها . لان سيدنا لهُ المجد قد مدح تلك الارملة المسكينة التي القت في خزانة الهيكل قليلاً من الفلوس اكثر من الاغنيا الذين القوا اموالاً وافرة (مرقص ١٢) * فاتضح من ذلك ان الكمال الاعظم انما هو الزهد بكل شيٍ في شان يسوع المسيح . والدخول في طريقة الرهبنة افضل من ان يطعم احدنا الفقرا والجياع وهو مقيم في العالم * ان الذين لحقوا السيد واقتفوا اثره فقد زهدوا في العالم بمقدار ميل الذين لم يتبعوه الى العالم ورغبتهم في لذاتهِ * ان هوانا قد يكون متجاوز القياس . حتي ان من كان لهُ هذه الارادة لا يشبع ابداً . ومن انكرها وكفر بها فانه يزهد بكل شي ويرفضه مثل بطرس الرسول . فانه ترك بقدر ما امكن ان يشتهي اسكندر ذو القرنين * اذا كنت معرضاً عن العالميات ومستخفاً بها فانت مالك نفسك ! ومتي جنحت الي الرغبة فيها فلا تكون لذاتك *

الاوجه والراى الاصوب . وهو ان تزدرى بالاموال الباطلة الفانية وتحتقرها . لتفوز بالغني الحقيقي السماوى الذى لا يشوبه زوال * ولا يخامره فساد ولا اضمحلال *

الفصل الثامن والاربعون

* في فضيلة احتقار الغني الارضى *

قال الرب كل من لا يرفض كل شيٍ يملكه لا يقدر ان يكون لي تلميذاً (لوقا ١٤) * ولعمرى ان هذا النص لا يستطيع الشرهون سماعه . لان اذانهم مسدودة بالفضة والذهب وقد تطن الدراهم في اذانهم اكثر من كلام الله * وكما ان من كان في الطاحون لا يستطيع السمع من صوت الرحى وخرير الما . هكذا الغني من صوت الدراهم ورنتها لا يمكنه سماع صوت يسوع المسيح . ولكن اذا اراد سماع هذا الصوت الفرح فسبيله ان يضع السكر لينقطع الما ويهدأ الخرير . وانت علي هذا المثال اقطع عنك حب هذه الدنيا وثرواتها . واجعل السكر في مجرى شراهتك منعاً لشهواتك الارضية . فحينئذٍ تسمع صوت يسوع الذى يدعوك * اعرض عن الرغبة في اباطيل العالم وغناه التي تجرى كامواه الانهار بغير انقطاع ولا يمسك جريانها . وتمر على بلدانٍ كثيرة اى تتوارث عن الابا الي البنين من ورثاتٍ الي ورثات . لانك اذا لم

المقدس لكثرة الاخطار الموجودة في عيشة السايرين فيها * ولكن كما ان الذبابة متي هلات علي العسل تمسك منه برجليها فتموت ومتي اخذت منه بفمها فقط من غير ملامسة برجليها فانها تخلص وتنجو. هكذا حالة الانسان المقتني الاموال الزمنية. فانه متي تصرف فيها مع القناعة بما يقوم بضرورات المعيشة فانه يفلت من حبايل اشراكها ويمكنه الطيران نحو السما. اما اذا تورط بها لشدة طمعهِ ورغبتهِ وافراط محبتهِ . فانه يمسك منها في ذلك الوقت فيموت موتاً شنيعاً رديًا * وكما ان القمر لا ينكسف الا وهو بدر عند امتلايهِ . علي هذا المثال يكون حال الموسر بالغني الزمني فانه يغشيه الظلام عند امتلايهِ من الاموال . وكما ان كمال القمر لا يكون الا لبعده عن الشمس التي يستمد النور منها . كذلك كثيرون في هذا العالم علي قدر غناهم وايسارهم الكثير يكونون بعيدين عن شمس البِرّ سيدنا يسوع المسيح الذى منه قد استمدوا كل ما يملكون * وعلي نحو ما ان بعض الاحيان تنكسر اغصان الشجر لغزارة حمل الثمار وكثرتها . هكذا المحتوون علي الاموال والارزاق الوافرة يكونون مخذولين ومقصين ويقعون في وهدة الجحيم السفلى هابطين * فاذ كان اذاً توجد في الغني هذه الاخطار والمعاطب الجزيلة العدد . والكتب المقدسة تحذر ايضاً الاغنيا الدنيويين وتنذرهم . فالخليق بك ايها الانسان ان تختار لنفسك السبيل

ان الرغبة الحارة والشوق المتزايد يعميان العقل . واذا اتفق ان يشتهي ماليس بحلال فيصرفه الفكر للوقت الي وجهِ الحلال ولولم يكن كذلك . وهكذا يمكر بنا قليلاً قليلاً حتي انه عند الوصول الي الربح المحرم بالذات لايتبين للانسان انه اختلس مال الغير . وسبب ذلك انما هو الرغبة الخارجة عن الترتيب وتداول الفكر في تلك الرغبة الي ان يتبين لهُ ان مال الغير حلال لهُ * ولهذا الامر نفسه اى لان اقتنا الاموال يوجد فيهِ اخطار كثيرة . فحينما فرض الله الناموس وضع وصيتين بين الوصايا العشر مشتملتين على هذا الامر . فقال في احديهما لاتسرق . وفي الاخرى لاتشتهِ قنية اجنبية (خروج ٢٠) . وذلك لكى يلجم طموح شهواتنا * ان من عرف تصريف الحلال واستعماله بالخير والمعروف فقد يمكنه ان يرفض الحرام وينجو من اضرار الغني بحسن رايهِ وذكائهِ * علي ان ذلك الغني المحب الاستكثار لم يكن سبب هلاكه انه اختطف مال الغير . لان الانجيل لم يذكر عنه انه مرابي ولا ان مقتناه حرام (لوقا ١٢) . وانما كان سبب هلاكهِ عدم استعماله غناه الذى ربحه بالحلال علي وجهِ البر وسبيلهِ * انه لعسر على المرء جدًا ان يقتني الاموال ولا يكون مفرطًا في حبها خارجًا عن الحد الواجب وذلك لفساد الطبيعة . ولاجل ذلك بالغ السيد المسيح في توبيخ الاغنيا كما هو واضح في مواضع عديدة من الانجيل

الاموال والاملاك الزايدة فنفوسهم في غاية الانحصار وعيشتهم في خطر جسيم . ولا يتهيا لهم الاهتمام بالامور السّماوية العالية ولو انهم اثروا ذلك . ولا يستطيعون التفرغ لعبادة الله . لان الامور الروحية من شانها ان تبتغي راحة القلب . واما الاموال الارضيّة فانها تجلب معها الهموم والاتعاب للنفس * ولهذا قال الرب ان كلمة الله لا تثمر عند وقوعها في قلب الغني لكثرة الهموم والمشقات والجهاد التي يجلبها الغني وينشيها (لوقا ٨) * فاحد اوليك المدعوين الي العشا المجيد نسبح عذرًا انه لا يستطيع المجي . لان من كان مهتمًا بامور كثيرة بالجهد يستطيع ان يرفع قلبه الي الله . اذ لا يحصل لهُ راحة القلب التي بواسطتها يبلغ الى معرفة الحيوة السّماوية . ولاجل اكتراثهِ بمحبة هذه الخسايس لا يحصل لهُ التفرغ للامور الالهية السامية * فاذا احببت الغني الذى قد ربحته بوجه الحلال والبر محبة مفرطة . فانك تعود رويدًا رويدًا الي رغبة الحرام واستحلالهِ ولو كنت عازمًا الاّ تشتهيه اصلاً . لانك متي قبلت عشق الغني فهو وحده يُفضى بك الي هذه الغاية . حتي ان كل ما تربحه وتكتسبه يبينه لك انه حلال ولو لم يكن حلالاً كما يجرى هذا الامر كل يوم للتجار واصحاب البضايع * والي هذا اشارَ الرسول بقولهِ الذين يحبون الغني يقعون في بلية الشيطان وفخهِ وفي شهوات كثيرة غير نافعة ومضرة (تيموثاوس ١ ص ٦) * علي

ان

والاعتماد عليهِ الذى هو اخص اضراره . ولهذا في مكان اخر لم يلم السيد المسيح اقتنا الثروات بقدر ملامته الناس علي غفلتهم عن التفتيش علي الثروات السّماوية * وفي المثل الذى ذكره عن اوليك الذين دُعوا الي العشا المجيد وابوا الحضور يشير لنا ان الامور التي تصدنا عن البلوغ الي المجد السّماوى ليست هى الامور الردية بذاتها فقط . بل كل شي تخدم بهِ هذه الدنيا ايضاً ولو ظهر انه حسن جيد . وذلك متي استعملناه بغير افراز . لان ما اعتذر بهِ اوليك المدعوون لم يكن رديًا بذاتهِ . لانه ليس هو رديًا ان يزيد الانسان ماله . ولا هو قبيحًا اذا تزوج . بل القبيح استعمال هذه الاشيا بانهماك وعدم افراز من شانهِ ان يصير هذه الاشيا ايضاً ان تقصينا من المجد السّماوى وتلقينا في سعير جهنم . فالخطر اذًا ليس هو في الامور الردية فقط بل في الشي الذى نظنه جيدًا ايضاً * ولعمرى ان الامور التي تبان جيدة حسنة قد يصدر عنها لبني المعمودية مضرات اوفر من الردية المشهورة . فان القتل والزنا والسرقة ونحو ذلك من القبايح المعضلة فلكونها مكشوفة الاستار نعرفها سريعًا ونحترز منها ونتجنبها . اما المستورة المجللة بغطا الخير ففيها يكون اعظم الخطر وقد نسقط بها بايسر مرامر * انه اسهل علي الانسان الّا يتصرف بمال غيره من ان لا يتصرف بمالهُ الّا حسب الواجب وكما يليق بالمعقول * ثم ان الذين يقتنون

مستطعمين بها بهذا المقدار حتي انهم يتلجون في عمق غناها . فلا يرتاحون الي الابديات الراهنات . ولاجل ذلك قال الرسول ان الانسان الحيواني ما يقبل ما لروح الله (قرنتيه ١ ص ٢) * فمثل هولاء المنهمكين بالحواس فقط دعاهم الرسول حيوانيين لتدربهم بالحواس التي تكمل بها الحيوانات لذاتها وشهواتها . وهذا المانع الذى هو رغبة الطعام قد كان يردده بنوا اسرايل في خواطرهم لما كانوا قد ادمنوا عليه من لذة طعام مصر . ولهذا السبب لم يقدروا ان ينعطفوا الي اشتياق ارض الميعاد * ولعمرى ان هذا العايق يتولد غالب الاوقات من مستلذات العالم . التي ولو تحصلت بوجه الحلال فانها متى استعملت استعمالاً مفرطاً بغير افراز اولدت في النفس هذا الحاجز الذى يصد الانسان عن الاعتنا بما يتعلق بالنفس ويمنع اكتسابه . وهذا علي الخصوص يحدث من الغني لكون جملة القبايح والرذايل متولدة منه وبه نموها * وعن هذا اوصى الرسول تلميذه تيموثاوس قايلاً اوص اغنيا هذه الدنيا الا يستكبروا في هممهم ولا يتكلوا علي الغني الذى لا اتكال عليه بل علي الله الحيّ (تيموتاوس ١ ص ٦) * وقد برهن هذا السيد المسيح نفسه بما اخبرنا به عن ذلك الغني انه كان يقول في نفسه افرحي يانفس واستلذى لان لكِ خيرات كثيرة (لوقا ١٢) . موضحاً لنا بذلك الموانع والعوايق الناشية عن استكثار الغني سيما الثقة به

وصايا الناموس ولم يرد ان يتبعه * وهذا القول ليس يفهم عن الذين يحبون ثروتهم ويفضلونها علي الله فقط . بل عن الذين يقتنونها بوجه الحلال ويرغبونها حباً لها بكل حرص واجتهاد ايضاً . لانهم ولين كانوا بامتلاكهم الغني يمكنهم الخلاص . لكنه عسر جداً وصعب في الغاية . ومن اجل هذه الصعوبة قال السيد المسيح كجاري عادة الكتاب انه غير مستطاع * علي ان الغني الارضي هو لعمري عايق عظيم عن اقتنا الغنى السماوي . لان السماويات لا تمتلك الا بالرغبة فيها والاشتياق اليها . وكل شيء يصد الشوق اليها فهو يمنع امتلاكها ايضاً . وهذا هو ما يفعله الغني العالمي . اى انه ينزع من النفس الشوق الي الغني السماوي . علي ان النفس لرغبتها وتدربها في الاموال الدنيوية لا يبقى لها اشتها للامور السماوية . واذا اتفق ان يبقى لها شي من ذلك فانه يكون يسيراً جداً . وذلك كما اذا دُعي احد الناس الى وليمة ملوكية شهية المطاعم جداً ولعدم تصبره امتلا قبل ذلك شبعاً من الماكل الغليظة الدنية . فانه بذلك يعدم الشهوة لتلك الاطعمة النفيسة المستلذة . لانه حين كان مزمعاً ان يتمتع بها سد جوعه بغيرها * فعلى هذا النحو يجري الامر لكثيرين . وهو ان الاشتياق الطبيعي الذى منحه الله للانسان كانه جوع الي السما والي الغني المجيد والشرف الفايق الحقيقي . يستعملونه هم في الارض

من اطراحهِ والتهاون بهِ * فلماذا ترغب الناس في محبة هذه الاشيا الترابية مع قصر مدة اقتنايها الذى لاثبات لهُ . لعمرى ان سبب ميلهم الي هذه الخسايس الدنيّة هو عدم تذكرهم قصر عيشة هذا الجسد التي لايبالون من سرعة فرارها * وقد قال ابن سيراخ الذى يحب الفضة يبذل نفسه (ص.١٠) * فلا تمل الى حب هذا الغني اذا شيت ان تستغني حقاً . حيث ان شرف الغني ومجده انما هو قايم بعدم الشوق الي الغني . ومن هو الذى يملك كثيراً الاّ الذى يشتهى القليل ويقنع بهِ * لقد اوصى الله قديماً الاّ ياخذ احد شيأً من ارزاق ريحا التي هى صورة هذه الدنيا لاجل تغيرها . فلا يليق اذاً بالمومنين ان يرغبوا في اموال هذه الدنيا . بل يجب ان تحُرق بنار المحبة الالهية علي نحو ما صنع يشوع بن نون . ومن عمل بالخلاف يقتل مثل عاخان رجماً

* بالهلاك الابدى (يشوع ٦و٧) *

الفصل السابع والاربعون

* في الضرر الذى ينشيه امتلاك الغني الارضى *

قال ربنا في انجيله المقدس ان دخول الجمل في خرم الابرة لاسهل من ان يدخل غني ملكوت السماوات (متي ١٩) * فسيدنا يسوع المسيح قال هذا الكلام بسبب احد الاغنيا الذى كان حافظاً

الخليقة المذكورة * وقد قال بولص الرسول كثير من الناس استبدلوا مجد الله الذى لا ينالهُ فساد بشبه صورة الانسان الفاسد والطيور وذوات الاربع القوايم والزحافة (رومية ١). فتامل انت ايها الانسان الدنيوى ماهى هذه الاشكال والصور التي تقبلها في نفسك حينما تميل الي حب الاموال الارضية * فمسكن النفس بعينه انما هو السما حيث يليق ان تسكن بكل شوقٍ ورغبة كقول الرسول معاشرتنا نحن في السماوات (فيلبيه ٣) * فمتي اعترفت في وقت الصلوة الربية ان لك في السماوات ابًا غنيًا عظيمًا قديرًا. فهو عار عليك اذا ملت الي خسايس الارض * ومن حيث ان اباك هو في السما . فسبيلك ان تحب الاشيا السماوية الدايمة البقا. ولا تلتفت جانحًا الي محبة مايفوت ويفني علي ممر الزمان. وقل مع داود النبي اليك رفعت عيني ياساكن السما (مزمور ١٢٢) * فالجدير بك ان يكون شوقك كله في السما التي تسعى اليها لان الله تعالي اذ اراد ان يعطى ابراهيم ارض الميعاد التي هى عبارة عن السما . اوصاه ان يترك اولاً وطنه وقبيلته وان ينظر الي السما (تكوين ١٢و١٥). فاترك انت اذًا العالم. وليكن اتجاهك كله نحو السما وكل شوقك وعشقك فليكن فيها * اذا شيت ان تكون زاهدًا في محبة الغني والميل اليهِ فلا تقتنهِ . وهذا هو السبيل الاوجه لذلك. لان امتلاك الغني خلوًا من الميل الي حبهِ هو اغرب

مثلاً اذا وضعت مراة مقابل السما فترى السما مصورة فيها . واذا قلبتها واملتها نحو الارض فترى الارض مصورة فيها . وانت علي نحو ذلك تتصور بشكل كل صورة تميل اليها . لكون شرك وخيرك في من تحبه وتجنح اليه * لما شغف بختنصر بحب الدنيا صار كحيوان يطوف الجبال حتي كان يرعي الحشيش . ولما عاد الي الله بالتوبة اكتسب صورته التي كان قد خسرها سابقاً (دانيال ٤) ان الله اذ ابرز الشمس والقمر وكل البرية التي كونها استحسنها حالما ابرزها الي الوجود وقال عنها انها جيدة . اما اذ جبل الانسان واحياه فلم يقل عنه انه جيد او ردى . مع ان جميع البرايا ليست خيراً من الانسان ولا اجل قدراً منه بل هي ادني رتبة . حيث ان الكل خلق لاجل الانسان * فلمَ اذاً قال الله تعالى عن الكاينات جميعها انها حسنة ولم يقل ذلك عن الانسان مع انه اشرف من جميعها . فنقول ان البارى تعالي ما مدح الانسان ولا وصفه بخير ولا بشر . لانه تعالي انتظر عمله ليسميه بما يرغبه ويميل اليه . لانك اذا هويت الخير فتكون خيراً . واذا احببت الشر فتكون شريراً * فالانسان مالك الحرية مسلطاً على ذاته . فمن هذا القبيل له الاختيار ان يفعل الخير او الشر حسب ميل هواه . ولذلك شاء البارى تعالي ان يعلم مراد الانسان وميله وهواه ليصفه بما هو فيه . من حيث ان له الاستطاعة والاختيار ما ليس لغيره من

قلوبنا ولو كانت فايقة كل برّ وقداسة مثل انسانيّة الكلمة الازلية ان اردنا سكون روح القدس فينا * فكيف تريد ان يحل الالهُ في نفسك وانت مملو من انواع الشهوات . ومحكومٌ عليك من تلقا حبك لذاتك . ومنقاد من الرغبات . وماسور الارادة لمحبة الغني والاستكثار ورغبة الاباطيل العالميّة * فاذا رمت ان الله يحل في نفسك ويستمعك حين تصرخ اليهِ . فلا بد ان تميت فيك جميع شهوات هذه الدنيا ونعيمها متنزهاً عن كل ميلٍ ارضي . وترفع قلبك الي السّماويات العالية التي لاتُرى * ان بني اسرايل بعد موت ملك مصر صرخوا الي الله فسمع صوتهم (خروج ٢) . اما قبل مماتهِ فقد كانوا استغاثوا اليهِ تعالي فلم يستجب لهم كما استمع صراخهم بعد وفاتهِ * فالاخيار والاشرار يصرخون جميعاً ويطلبون الي الله . لكنه تعالي لايستجيب دعا اهل العالم . لان ملك مصر اى محبة الغني ليست مماتةً فيهم . فالخليق بك اذاً ان تميت محبتك للعالم ورغبتك وشهواتك . فان الرب يستمعك سريعاً * انه من شان المحبة ان تصيرك شبيهاً بمن تحبه . وتاخذ مثال من تميل بالوداد اليهِ . كون النفس تشبه الشمعة اللينة . واى خاتمٍ كان من الخواتم يمكن ان يرسم فيها الصورة المنقوشة فيهِ * فاذا ملت الي الارضيات فانك تكون ارضياً . واذا هويت السماويات فانك تكون سماوياً .

تستفيق وتعرف مرتبتك ولا تكلف ذاتك لعمل غير لايق بالقلب الملوكي . وهكذا تعود مايلاً الي اشتياق السما كالوارث لملكهِ طبيعيًا خلوًا من نسيان ولا تغافل يخص طبيعتك . وذلك ليلا تستعبد قلبك لاباطيل هذا العالم . ولاجل حبك وميلك نحـو الارضيات وكثرة رغبتك بها تبقى علي الدوام متغافلاً عن ملك السما * فيعقوب اذ كان راغبًا ان يكون لهُ اولاد من راحيل كما كان لهُ اولاد من ليا وعبدتهِ لم يخطر بالهِ ان يتوجه الي ارضهِ . وذلك نظير محبي الاموال الارضية . فانهم ماداموا مهتمين بالامور الظاهرة . يتغافلون عن ملك السما الذى هو وطنهم الحقيقي * اما اذ نصل من هذا الاهتمام ورزق ولدًا من راحيل . فلساعتهِ اشتهى الرجوع الي وطنهِ الاصلى نظير رجال الله متي ارتاحوا شوقًا الي ملكوت الله * ولما ودّع السيد تلاميذه الاحبا في العشا الاخير قال لهم من جملة ما خاطبهم بهِ . خير لكم ان انطلق لانني ان لم انطلق لا ياتكم البارقليط (يوحنا ١٦) * فالتلاميذ كانوا محبين للمخلص الفايق القداسة حبًا خالصًا . ومع ذلك فاراد المخلص ان يصير محبتهم روحية بالكليّة . ومن ثمه غاب عن ابصارهم . حتي اذا ما تطهرت قلوبهم وتزكت البابهم يكونون موهلين لقبول الروح القدس في نفوسهم * ارايت كم يريد الله ان تكون محبتنا لهُ نقية طاهرة . حتي انه تبارك اسمه لم يشا وجود محبة الخليقة في

صاحة تنسب محبتها جميعها لمولاها فقط لا لشي من الموجودات * متي جنحت شوقاً نحو الارضيات الملحوظة بافراطٍ كمثل ابنٍ دنيوى فقد نقضت سنة الطبيعة ويحق عليك العقاب الشديد * ان الله جبل الانسان وصنعه علي صورته (تكوين ١). وعلي راى اريسطو الفيلسوف ان كل حيوان يحب شبهه . ولان الانسان لا شبه له في الاموال الارضية فلا بد لهُ ان يحب شبهه الذى هو الله * فاية مشاكلة بينك وبين الغني وبين نفسك والذهب . فلكونك قد خلقت على صورة الله فيجب عليك محبته وطاعته لا محبة الاموال والثروات الترابية * وقد قال الرب اطلبوا اولاً ملكوت الله (متي ٦). ولعمرى ان سبب افراطك في محبة الاموال الدنيوية والثروات الفانية الارضيّة انما هو لظنك ان ملكوت الله ليس هو لك * فشاول لما بلغه انه سيصير ملكاً علي بني اسرايل لم يتعظم بشي البتة . بل قال لصمويل النبي مجيباً اني انا من اصغر اسباط بني اسرايل وقبيلتي اصغر قبايل سبط بنيامين فلماذا كلمتني بهذا الكلام . وبقوله هذا ابان واوضح ان التملك علي اسرايل غير جايز لهُ . ولم يعنهِ الوعد بالملك . اما اذ حل عليهِ روح الرب حصل لهُ قلب ملوكى . ولوقتهِ اخذ يفتكر افكاراً عالية * هكذا انت متي افتكرت بانك انسان ظهر لك اذ ذاك ان ملكوت الله ليس لك . لكن اذا حل عليك روح الله فحينئذٍ

تهواه . وان يرفع قلبك لتشتهي ثروة اخرى افضل شرفاً واوفر
* غنيً واحق صـــدقاً *

الفصل السادس والاربعون

* في بيان اباطيل محبة الغني الارضي *

يقول سليمان الحكيم من يحب الغني لايستثمر منه (جامعة ٥) * ان الرجل الشره المحب الاشيا التي لاتفيد محبتها شيئاً بل تضر الجانحين اليها ضرراً بالغاً وتفيد المتهاونين بها فايدةً جزيلة هو سالك في طريق الضلال . ولاجل ذلك اوصانا يوحنا الرسول قايلاً لاتحبوا العالم ولاما في العالم (اولي ص٢) * وقد اتضح من النور الطبيعي انك غير ملزوم بالجنوح الي محبة هذه الاشيا الترابيّة من اجل ذاتها . اذ المحبة شريفة جدًّا حتي انه لايجوز ان تعطى الاّ لمن يقدر يفي عوضها ويعطى المحبة ثمن المحبة نفسها * ولانه لايوجد شي من الكاينات يستطيع ذلك مالم يكن ناطقاً . فاذاً لايليق ولايجوز ان تستاسر قلبك لامور هذه الدنيا الحاضرة * ولعمري انه من غاية الشقاوة ان تستلذ بالاشيا التي سبيلك ان تستعملها للحاجة فقط . اما البارى عزّ وجل ففيه وحده يليق ان تتنعم . وله وحده يجب ان تود باخلاص المحبة لاجل شرف عزه وجلاله وبما انه الخير المحض ومركز فوادك . وليكن تصرفك في الخليقة كامة

وتحظى بما لم تر عين ولا سمعت به اذن ولا خطر في وقت من الاوقات علي قلب بشر (قرنتيه ١ص٢). فلماذا تريد ان تمتلى شبعاً من ثوم مصر وكراثها وبواقي طعامها * ان الاسرى والعبيد لا يستغرب منهم اذا تعاطوا اموراً ارضية وانعكفوا عليها. اما بنوا الله وورثة ملكوته فامر مستكن وردى جداً ان ينشغفوا بهذا المقدار في ايسار هذه الدنيا وثرواتها * فلو كنت متسلطاً علي اموال الدنيا باسرها لما امكنك يوم الدينونة ان تفي بها عن هفوة صغيرة من المكتوبات عليك. كون الاموال لا تنفع يوم الانتقام (امثال ١١) * والاغنيا افتقروا وجاعوا اما الذين يبتغون الرب فما يعدمون كل خير. وهم وحدهم الذين يعيشون غير معوزين (مزمور ٣٣) * وقد يوجد فرق عظيم بين الغني الروحي والغني الارضي. فالروحي يوصل الانسان الي ملكوت السما. اما الثروات الارضية الترابية فانها تسوق مقتنيها الي حفرة جهنم * الغني الروحي يزيد بالمواساة ويتكاثر. اما الزمني فيقل وينقص واذا حفظ فلا يفيد * وقد سمى الغني سيدنا يسوع المسيح خادعاً وغاشاً (متي ١٣). وحقاً انه كذلك اذ لا يمكن ان يقيم مع الانسان زماناً طويلاً ولا يشبع كل اشتياق النفس ايضاً * انما الغني الحقيقي هو الذي يغني بالفضايل. فسل الله واطلب من لطفه ان يصفي ذهنك وينور عقلك لتعرف خلاع المال الذي

القبايح ويغني الفضايل . فما العلة لافراط حبك لهُ ورغبتك فيهِ . فليس ذلك الّا انك تربى في عبك الحيات والعقارب التي لاتفيدك شيئاً . وبعد تربيتك لها تسمك بحرارتها وتقتلك * اعلم ان هذه الاموال التي تجمعها بحرارة رغبتك وتربيها بزيادة طمعك وتعيش منهمكاً فيها . فانها تاكل احشاك وتنخز ضميرك . وتخنق العبادة وتجعل خلاصك في اعظم الاخطار واكبر المعاطب * فهذى هى الاموال التي تميل الي حبها ايها الانسان الاعمى وتفتش عليها حثيثاً وتهلك نفسك من اجلها . ان الكفرة والغير المومنين الذين ليس لهم امل في السّما لا يبعد عنهم ان يجعلوا اكترائهم ومهماتهم في هذه المحالات والاباطيل الارضيّة . اذ ليس لهم رجا باقٍ في السما . واما انت الذى لك في السّما كنز وحق علي السعادة الثابتة . فما لك وهذه الاموال الارضية الفانية * فالغير المومنين الذين بعد ما فقدوا هذه الحيوة الحاضرة يعودون بلازم الضرورة فقرا معوزين . فليس هو بالمستغرب منهم اذا اجتهدوا في تحصيل الاموال في هذه الدنيا . اذ الذين ليس لهم خبز في ارض الميعاد ينزلون الى ارض مصر ليمتاروا حنطة (تكوين ٤٢) . اما انت الذى لك مايدة في السّما مهياة (مزمور ٢٢) وقد اعد لك المسيح ملكوتاً كما اعد لهُ الاب لتاكل وتشرب سرمداً في الوليمة السعيدة (لوقا ٢٢) حيث تشرب من ينبوع الحلاوة والمعين المستلذ .

لماذا تحبون الباطل وتبتغون الكذب (مزمور ٤) * فلكونك ابن انسان ناطق ذا عقل وتمييز فلا تعش بغير عقل وتمييز وتجعل اجل قصدك وغاية اربك في الاموال الترابية . لانك قد خلقت لتتمتع بالخيرات السماوية * لا تصدق العالم الغرار لانه لم يزل كذوبا علي خدامه . وهذا هو قول الزبور انه باطل كل ما تهواه وترغب فيه . وزور وبهتان كل ما يوعد به العالم * فهذا الذهب هو تراب علي التحقيق . وهذه الملابس الحريرية التي تتنعم بلبسها فانها تخرج من دود دنس كريه المنظر حتي انه لا يوجد ادني منه * فهذه حال الجواهر الثمينة التي تتزين بها والثياب الفاخرة التي تلبسها . ولكونك منحصرا في هذه الامور فيدركك الفقر والكبريا * فلا تتطرمذ بانواع الملبوسات . ولا تفتخر بالستاير واصناف المفارش في دورك ومنازلك المتسعة . فانها ولو تبينت لناظريك الاعميين انها غني . ففي الحقيقة ليست هي بغني ولا يعدها شيا اهل العقول الثاقبة . وهذه الاشيا لا تجعل الانسان غنيا * فاذا رمت ان تكون غنيا بتحقيق فاحبب الغني الحقيقي . لان هذه الثروات لا تجعل الانسان عاقلا . ولا صبورا . ولا متواضعا . ولا عفيفا . ولا حليما . ولا تنقل الخلق الي دعة . ولا تصير القاسي مترافا . ولا المبغض محبا * فاذا كان هذا الغني لا يفيد فضايل النفس شيا البتة . بل نشاهد بالاختبار انه يضر جدا ضررا بالغا وينشي

محتقرًا مهانًا متي كنت مفرطًا في محبة الغني . وما اكثر ما تكون معظمًا متي كنت مستخفًا به * فكف اذًا عن محبة هذه الاباطيل واعرض عن هواها . ودرب نفسك في استعمال محبة يسوع

* المسيح وحده *

الفصل الخامس والاربعون

* في بيان فقر الغني الارضي *

قد قال سليمان الحكيم مادحًا الحكمة انني لم اساوها بالجوهر الثمين . لان الذهب باسره نظرًا اليها هو كرملٍ يسير . والفضة بازائها تحسب كالطين (حكمة ٧) * ان كل ما سماه العالم بالغني فهو علي التحقيق فقر عظيم . فاياك ان تجعل قلبك في اباطيل المخلوقات بل ارفعه الي الله فقط . ولا تتنزل بعزمك تذللًا الي اشيا خسيسة في هذه الغاية * ان البارى تعالي خلقك مستقيم القامة لتكون مشتاقًا الى السماويات وتعرض عن الارضيات . ولكونه تعالي ناظرًا الي ما يعود لمنفعتك سخر لك علي وجه الارض كل ما تحتاج اليه كالخبز والخمر واللحم وغير ذلك لكى تجده بسهولة . اما ما زاد علي هذا كالذهب والفضة فانه جعل وجودهما في قلب الارض لئلا تميل الى رغبتهما . فلاجل ذلك لا تفحص باحثًا عن الاشيا الباطلة بهذا المقدار * وقد قال داود النبى يا بني البشر

لاجل المحبوب حتي لايكون لنفسهِ بل لمن شغف بحبهِ . كذلك انت متي كنت جانحًا الي حب هذه الثروات الارضيّة وشهواتها التي لاقيمة لها وانت عظيم القدر والقيمة . فانما تكون مقايضًا الافضل بالادني . وبايعًا الثمين الجليل بالدني الحقير الذى لاثمن لهُ . وباذلًا الافضل الذى هو قلبك بزبالة الارض * فلاجل ذلك اوصى الله تبارك اسمه ان تحبه . لالكونهِ تعالي مفتقرًا الي مودتك لهُ . بل لاصلاحك وتقويمك . ويريد ان تخلص الود لهُ لتكون عنده كريمًا . لانك اذا بذلت نفسك محبةً لهُ فانك تربح في هذه المبايعة جدًا . اذ تبذل الجيد لاجل الفايق الجود والصلاح الذى هو الله الغالي بما يفوق الاثمان * ان الغني الحقيقي يملك بتنقيص الطمع اكثر من تضاعف الكنوز التي يكون اقتناوها غالب الاوقات ضررًا لصاحبها * وقد ينزع البارى تعالي غني الذين انتخبهم لملكوت السّماوات بلطف ورفق جزيل التقدير . احتياطًا من انهم باقتنا الايسار والحصول علي لذّة النجاح الباطل يعودون منهمكين في حفلة اللهو وعميان من دخان الاكرام العالمي فيخسرون الغني الابدى والاكرام الذى لاوصول الى حد تثمينهِ وشرفهِ الغير المتناهي * ارايت ما اقل قيمة الغني الارضى واحقرها عند الله . حتي انه تعالي اعدم منه ايوب خصيصه من اجل عدوه الشيطان اللعين (ايوب ١) * فانظر اذًا باستقامة ما اكثر ما تكون

نظر الناس اليك لاتعجباً بشخصك بل لفخر ملبوسك وايسارك . وكذلك تكريمهم واحترامهم ليس هو لك بل لثروتك ولما تقتنيه * ولو راى الناس فقر نفسك واحتياجها لاستشعروك انك من اسافل الناس وارذلهم . والكرامة الصادقة انما هي بان تكون حبيباً لله * واذا قلت انك بالاموال تكتسب كثرة الاصدقا والخلان وما يتلو ذلك . فتيقن حقيقةً ان مثل هولاء ليسوا لك باصدقا صادقين مخلصي الوداد بل كذبة غدارون . وهذا ليس هو ربحاً بل خسران مبين * لان مودتهم لثروتك وغناك لالذات شخصك . وانما يخدعونك بتمليقاتهم . والذى يريك البشاشة بالاكثر فانه يتمني لك الموت بالازيد لكي يرث مالك ولو كان اقرب اقربايك * وان قلت انك بسبب الغني تجود بالعطا للفقرا والبايسين وتواسي المحتاجين والمقلين وتعمل حسنات كثيرة نظير هذه . فاعلم ان تركك كل شي حباً بهِ تعالي هو اعظم خيراً عند الله واجزل ثواباً . وعدم رغبتك في اقتنا شيءٍ كما فعلت الرسل الكرام والتلاميذ العظام امتثالاً لما اوصى بهِ معلمهم الالهي . فانه افضل مما تقتني كثرة المال في هذه الدنيا ولو بذلته جميعه في عمل الخير واصطناع المعروف * افتح ناظريك وانظر الجهل والمحال الذى انت ساير فيهِ ان كنت تظن ان هذه الاموال الزمنية جزيلة المنفعة وذات قيمة * علي نحو ما ان المحبة تبذل المحب

كونها وابدعها * فلو كانت عينك بسيطة لرايت الزنبقة المصنوعة بيد الله ابهى من الثوب الذى نسجته يد الانسان بمقدار ما يسمو الله فضلاً على الانسان . ومن ثمه اذ مدح الختن الالهى عروسه المقدسة النفيسة الكاملة الجمال وحسن المعاني شبهها بالسوسن قايلاً . كسوسن بين الاشواك هكذا قرينتي بين البنات (نشيد ٢) * فليكن اذاً عشقك للجمال الحقيقى والكنوز الغنية السماوية . ولا تجعل قلبك ماسوراً لقمامات الارض . بل سبيلك ان تجعل احتشاماً من الميل الى هذه الاشيا التي لا قيمة لها * ايها الانسان المسيحى مالك والغني الدنيوى وقد اُعد لك الغني السماوى الذى لا يبلى ولا يزول . وقد رفض هذا الغني العالمي كثير من فلاسفة اليونان وتهاونوا به . وانت المسيحى وتلميذ المسيح المدعو الي السما ترغبه وتتلهف الى اقتنايه * لن يوجد اصلاً صنف من الاصناف غريب عنا مثل الثروة والاموال . ولا يكون شي اقل فايدة لنا منها * فلو احتويت على كنوز العالم جميعها العلك تكون احدث سناً . امراوفر علماً . ام اعظم جسماً . ام اشد باساً . ام اجمل منظراً مما انت الان * فان قلت انك بالغني تنال شهواتك وتبلغ مرامك ولذاتك . فهذا العمرى كله قصير المدة فان . واللذات والمسرات الحقيقية انما هى الراحة وسلامة القلب * وان قلت انك تنال بذلك عزاً وكرامة . فاعلم ان

نظر

امور حقيرة باطلة جدًّا * فاحرص بكل جهدك ان تكون لك كبريا مقدسة . وثمن قيمتك علي قدر الواجب . واعرف شرفك ونباهة وجودك الذى استمديته من الله تعالي . ومل عطفًا الي حب الاشيا الجليلة الشريفة التي هى السعادة الروحيّة والقنيات العالية السماوية حسب كمال عظم الرغبة التي وضعها البارى تعالي في فوادك الباسل حين صورك على شبهه ومثاله * اسمع ماقاله السيد مستخفًا بقيمة الذهب واصناف المعادن الاخر والجواهر قايلًا . ان سليمان في كل مجده وهو موشح بالمخامل والحرير والجواهر لم يلبس كواحدة من ازهار الحقل (متي ٦) * مع انه ليس من يقول ان الذهب ليس هو بافضل ولا اجزل قيمةً من العشب الذى لاقيمة له . ولذلك ملكة سبا اندهلت من حكمة سليمان وكثرة غناه ولم تتعجب من زنبق الحقل علي ان جهل الناس وغباوتهم والطمع الموجود فينا صيرنا ان نتوهم الاشيا التي ترى حسنة بهية المنظر افضل واكرم من الاشيا البهية بالذات . اذ كان من يهوى القبيح يتبين لهُ حسنًا بهيًا ولو كان رديًا . فنحن اذًا اهل الطمع والشره يلوح لنا الثوب المذهب افضل واجمل من زنابق الحقل * ولعمرى اننا لو دققنا النظر وامعنا باحداقٍ صافيةٍ لراينا في الملابس القرمزية والمخامل وما شاكل ذلك من حسن الملابس يد الانسان الذى نسجها . وفي الزنابق يد الله الذى

كونها

والاطالس واصناف الثياب الحريرية الالعاب الدود . وما الجوخ الناعم الا صوف الحيوانات . وما الفرو اللين غير جلود الوحوش الميتة . وما هي القصور المزينة والخدور المدهنة والبروج المشيدة والعماير الفاخرة والملاين المعظمة الواسعة الا تراب مدلس . وما هي الكرامات الا هبوب رياح . وبالجملة كل الاشيا التي في الوجود هي تراب حقير * فاذا كنت تهوى هذه الاشيا الترابية التي سماها العالم بالباطل غنيً وسعادة فليس محبتك الا لقبضةٍ من التراب * فاحرص ما استطعت ان تعرف ما يخولك العالم من المحال والبهتان . واياك ان تستعبد قلبك لاشيا دنية خسيسة بهذا المقدار * وقد بين اشعيا النبي مقدار دناة الاشيا كلها وقلة قيمتها التي يليق بها التهاون بقوله عن الانسان كل ذى جسد حشيش وكل مجده مثل زهر الحقل (اشعيا ٤٠) * فاذا كان الانسان الذى هو اشرف ما في العالم قد اوضح لك النبي انه هو وكل مجده حشيش دنى . فبقيّة ما يوجد في العالم جميعه باى شي يمكن ان يقاس . لكون ساير الموجودات اقل قدرًا من الانسان بما يفوق الحد والقياس * فسبيلك اذًا ان تجعل حياءً من ذاتك لكونك خليقة شريفة هكذا . وقد برزت الي الوجود لتحب الرب خالقك وتحظى به . وانت اضحيت مباينًا لذلك جبانًا صغير النفس . حتي انك اهملت الخالق الذى كونك ودربت محبتك وميلك الي

الفصل الرابع والاربعون

* في بيان عدم قيمة الغني الزمني *

قال بولص الرسول عن الاشيا العالميّة كل الاشيا عددتها كالزبل (فيلبيه ٣). فالرسول ما وجد شيًا احقر واخس قيمة ليشبه العالم به الّا الزبل * وهذا افضل كمالًا للخليقة الناطقة ان تقيم كل شي حسب قدره وقيمته. لانه اى شي اشد ضرورةً للانسان من انه يعرف قيمة الاشيا ومراتبها. فالرسول لكونه معلم المسكونة ومملوًا من روح الله ثمن هذه الاشيا الخسيسة الترابية حسب استحقاقها وقيمتها * ولعمري انه لو كانت اشيا العالم ذات قيمةٍ لكان ينبغي لك ان تحتقرها لتتعوض عنها بالسعادة السّماوية ذات الشرف والمجد السامي. فكم بالحري يجب ان تحسبها كلاشي لاجل انها خسيسة بذاتها وعديمة القيمة في الغاية * اتظن انك تفعل امرًا عظيمًا اذا احتقرت الاموال وازدريت بثروات العالم. فانظر الى قلة قيمتها واعرف المادة الدنيّة التي منها تكونت هذه الاموال وصنعت هذه الجواهر. وتفرس في دناتها ولتكن عندك كلاشي * فما هو الذهب وما هي الفضة الّا زبد الارض قد جمد وتحجر وتصور في باطنها. وكذلك الجواهر وبقية المعادن الجزيلة القيمة * ما هي المخامل والكمخ

والاطالس

كما ان هذه لاتفيد الرجل الشرير ولا تطفره بشيءٍ * فما الفايدة اذاً من استكثار القنية للجسد الذى لابد لهُ ان يموت . وهذا الغني غير ممكن بالجملة ان يصونه وينقذه من البلا والفساد الذى لابد ان يحيط بهِ . فمغبوطة هى النفس الناجية من خداع الغني وطغيانهِ * وقد اضاف النبي الرجال الاغنيا الى الغني فقال نام في رقادهم رجال الغني . ولم يضف الغني اليهم اى لم يقل غني الرجال . لان رجال الغني ليسوا اربابًا لغناهم بل متعبدون لهُ * ان الارباح الحاصلة بغير الطريق الحلال انما هى خسران . ومن خاف الفقر يجب الخوف عليهِ * ان من شان الخدام ان يخففوا اثقال مواليهم اذا تعاطى كل منهم ما رسم لهُ من الخدمة . فتكون الموالي في راحةٍ وسلام . اما كثرة الايسار والاموال الارضية فما هى الا بمنزلة عبيدٍ اشرار وخدام خبثا . اذ انها لاتخفف هموم ساداتها وعناهم بل تزيدها وتضاعفها عليهم * متي جعلت غاية قصدك واجل اربك في هذه الاموال الفاسدة فانك تكون في غرور عظيم وحاصلاً في جملة الاباطيل * ومن غاية الجهل ان تسجن قلبك وتحصره في اباطيل هذا العالم العبد المارد الغاش * فسبيلك اذاً ان تتهاون من كل قلبك بالغني الارضى وتزهد بهِ فتعود

* ممتليًا من الغني السّماوى *

* الحقيقى *

جدًا عما يتوهم المنهمكون في العالميات . اما خدام الدنيا الذين هممهم في خسايس الارض فلا يمدون ابصارهم الي الامور الجليلة الجسيمة . ولكثرة حرصهم على ما يوافق الجسد حرصًا بليغًا . لا يبقى لهم زمن للتفرغ وصرف الهمة في الامور الروحيّة * فالافكار انما هي نبات الغني . والمهمات التي تجلبها هذه الافكار تخنق عبادة الله . فلاجل ذلك يجب ان تتهاون بهذه الاموال الفاسدة وتمقتها لكيما تقدر تثابر مراقبة الله بحرص من غير عايق . لانه عسرٌ عليك جدًا ان تطير الي الله مالم تقطع الرباطات التي ربطك بها العالم . فاياك ان يعيقك ملاذه ونعيمه عن محبة المسيح * ان السموم القتالة تعطى في الاطعمة الطيبة اللذيذة علي ان السم متي خلط في طعام اخر سهل تناوله . ومن تناول ذلك شرب كاس الحمام سريعًا . هكذا الغني فهو لمن احبه عذب لذيذ لكن في وسطهِ السم كامن . وهو من بعد ما يجعل الانسان جبارًا اثيمًا يفضى بهِ الي الموت الابدى * وقد اجاد سليمان الحكيم بقوله من يحب الغني لا يستثمر منه ثمرًا (جامعه ٥) . اما الرسول فيقول ان محبي الغني يقعون في بليّة الشيطان وفخهِ (تيموثاوس ٦) * فهذا هو الثمر الذى يستثمر الانسان من الغني * ولعمرى انه علي نحو ما يكون الانسان لذاتهِ كذلك تكون ساير البرايا لهُ * فالنفس الصالحة المطمانة لا يضرها صنف من الاصناف الخارجة .

ولاجلها تركوا ارض الميعاد (سفر العدد ٣٢) * واقوام كثيرون بهذه الصفة يتركون ارض السما المعدة لهم ملكاً ابدياً ويرفضونها من اجل حب الغني واموال هذه الدنيا الفاسدة * فاذا شيت متابعة طريق الله بتحقيق فاطرح عنك كل اهتمام عالمي وكل اشتياق ارضي. فانت تصرف كل اهتمامك بامور كثيرة والحاجة الي شيٍ واحد الذى اذا ما طلبته فانك للوقت تمقت كل مهمةٍ ارضية وتشناها * ان والدينا الاولين وهما في حال البركان اهتمامهما في التاملات الالهية. غير ملتفتين الي ما للجسد بهذا المقدار حتي انهما ما عرفا ذواتهما عريانين. اما عند ما ارتكبا الجريمة ففي ذلك الوقت عرفا احوال الجسد وابصرا عريهما (تكوين ٣) * وقد قال الرسول عن نفسهِ في حال اختطافهِ الي السما الثالثة انه ما يعلم ان كان ما عرفه من تلك الحال السعيدة كان بالجسد ام بغير الجسد. وذلك لان الذين يرتقون الي العلويات لا يشعرون بما للجسد. لكون اهتمامهم بالروحيات ينسيهم متعلقات الجسم. وهذا النسيان هو حرز وثيق. وعدم هذه المعرفة هو علم جليل * ان تلاميذ المخلص لاعتنايهم الزايد بتعليم معلمهم الالهي لم تكن الامور الخارجة تهمهم. حتي انهم اتكاوا على المايدة بغير غسل ايديهم. فلما شاهد الفريسيون ما كان قالوا للسيد لماذا تلاميذك لا يغسلون ايديهم (متي ١٥) * فافكار عبيد الله وتصورهم بعيد

هذه باطلة تجوز سريعاً بايسر مرام. اذ انها من شانها ان تستميل الشوق اليها. وقلما يوجد من اصحاب الثروات الآ يكون قلبه متشبثاً بالثروة والاموال. وعنه قال ابن سيراخ طوبى للغني الذى لايوجد فيه عيب والذى لم يطلب الذهب ولم يتوكل علي الفضة والكنوز افمن هو هذا لنمدحه (ص٣١) * نعم انه قد يوجد افراد بهذه الصفة ولكن هيهات ان يوجد من يمتلك الاموال الجزيلة ولا يكون قلبه متعبداً لها * ان الطريق المودية الي السماوات ضيقة وعرة ولا يستطيع احد سلوكها خلواً من توفيق الله ومعونته الخصوصية. وقد يلزم ان يرافقك توفيق الله الاوسط الكافي او العظيم الفعال * فالفقرا يسعون في الطريق المسيحى بتوفيق الله الاوسط. اما الاغنيا فلا يكفيهم هذا التوفيق لانقاذهم لكن يحتاجون الي التوفيق الاعظم الفعال. ولذلك يكون خلاص كل منهم في اعظم المخاطر حيث ان كل غني اما شرير او مقتني الشر * ان الباشق الشبعان يعرض عن صاحبه كما فعل الابن الشاطر. فانه اذ راى نفسه في ايسار وسعة من المال ترك بيت ابيه. ولما بلى بحالة العوز والقلة عاد راجعاً الى المنزل الذى هجره (لوقا١٥). فالغنى اعاقه عن حب الله. اما الفقر فاسترجعه اليه * وقد طلب بنوا روبيل وبنوا جاد من موسي النبي ان يعطيهم خارج الاردن الارض التي راوا انها مخصبة جيدة لتربية اغنامهم الكثيرة.

ان تتشرف بالفضايل . كون هذا الشرف هو الذى يصير الانسان ابناً لله ووارثاً ملكه السماوى . فهذا هو الشرف الحقيقى الذى يليق بك ان تتخذ لك قنيةً وتتهاون بكل ما سواه كانه شي دنيوى زايل . وتعده باطلاً وجنوناً لانه يحوز في مدة يسيرة

* ويفني *

الفصل الثالث والاربعون

* في بيان اباطيل الغني العالمي *

قال داود النبي ان زاد غناكم فلا تضعوا فيه قلوبكم (مزمور ٦١) * انه يجب على العبد المسيحى الامين ليسوع المسيح ان يرفض كل ما يعلم انه يصده عن التقرب الي ربه * فباطل هو كل ما يعيقك عن بلوغ القصد المرغوب الذى هو الله . باطل هو الغني الزمني اذ ان غايته باطلة بهذا المقدار حتي قال النبي عن اربابه نامر في رقادهم كل رجال الغني ولم يجدوا في ايديهم شيئاً (مزمور ٧٥) * ان تلك الممالك والملايين التي اراها ابليس للسيد مكيدةً في الجبل لم تكن ممالك حقيقيّة بل تخيلات تصويرية (متي ٤) . وهكذا هي جميع كرامات العالم ومجده وغناه . اى ليس هو شيئاً حقيقياً لكن خياليّ باطل وكما قال يعقوب الرسول ماهى الا بخار يُرى قليلاً ثم يضمحل (يعقوب ٤) * فلا تضع قلبك في امور مثل

كالبشر وابتلع الموت وجودنا جميعه * لانك اذا عشت مثل بشر فقط فانك تموت مثل بشر لاغير . وتنقضي بالموت شجاعتك ويضمحل شرفك ويفني . ولايكون موتك كموت بني العلى المعدّ لهم الحيوة السعيدة المغبوطة . بل تموت كاركون محفوف بجنوده مدجج باسلحةٍ فاخرة غير انه سقط في المعركة ميتاً . فعلى هذا النحو يكون انقضا حيوة بني الله اذا لم يعيشوا مثل بني الله ابيهم * فحقاً انه امر عظيم يعلو سموه كثيراً ويعظم شانه جداً وهو ان يكون احد ابناً لله بالذخيرة . واجل من ذلك بما يتجاوز الحد والقياس ان يكون ابن الله بالطبع . وهذا هو مخلصنا يسوع المسيح لاغير . والحال انه تعالي مع كونه ابناً لله بالطبع لم يرد ان يدعي ابناً مالم يعمل اعمال ابيهِ حسب قوله تعالي . ان لم اعمل اعمال ابي لاتومنوا بي (يوحنا ١٠) * فاذا كان سيد العالم ما اراد ان يعد نفسه ابن الله مالم يفعل افعالاً تناسب هذا الاسم . فاذاً قلما يفيدك هذا الشرف الجليل وهو كونك ابناً لله بالنعمة ان لم تسر حسب واجبات البنوة . واذا كانت هذه المنزلة اعني كونك ابن الله بالنعمة هي اشرف واسني واعظم مما تستطيع ان تملكه وتحتوي عليهِ . وهي مع ذلك لاتفيدك الا قليلاً ان عشت عيشة ردية . فكم بالحري الا تجديك نفعاً نسبتك الي المايتين وانت ابن موت اهل نسبتك وفسادهم * فلاجل ذلك احرص ما استطعت

ابن الله وانت تدعوه في صلاتك ابًا عند تلاوتك ابانا الذى في السماوات (متي٦) * فالله اذًا اب لنا . وبهذا نتفهم متيقنين اننا شرفا نبيلوا الحسب اصحاب نباهة في افعالنا وسجايانا . ونعرف قيمة انفسنا ومقدارها ولانتنزل الى الامور الدنية الخسيسة . وهذا هو الشرف الحقيقي . وهو وحده له قيمة بين يدى الله تعالي * ان الذين افتخروا وادعوا ان ابرهيم ابوهم وكانت افعالهم تناقض سجايا ابرهيم . فالسيد ازال توهمهم بقوله ان كنتم من ابرهيم فاعملوا نظير اعماله (يوحنا٨) * وقد ظهر من قوله هذا واتضح ان الشرف متعلق بالفضيلة واستعمالها * فباطل اذًا ان يفتخر المرء بشرف اسلافه اذا كان مخالفًا لهم بقبح سيرته وسوء طريقته * فاى شي يمكن ان يكون اعظم شرفًا للمسيحي من كونه ابنًا لله تعالي . علي ان بقية الاشيا جميعها بالنسبة الى هذا الشرف الجليل الساي تعود كلاشي * ومع ذلك فان هذا الشرف العظيم نفسه اذا كان خاليًا من العيشة الصالحة المرضية لله فانه لا يفيد شيًا . وهذا قد ابان داود النبي بقوله انا قلت انكم الهة وبنوا العلى كلكم . فانتم مثل الناس تموتون وكاحد الاراكنة تسقطون (مزمور٨١) * فقد بين النبي اولًا عظمة الانسان وشرف مقامه وانه ابن الله بالذخيرة . ثم اوضح ثانيًا ان هذا الشرف نفسه لا يفيد شيًا اذا عشنا عيشة بشرية ومتنا

علي الاخيار والاشرار ويمطر غيثه علي الصديقين والظالمين ويمنح الجميع شركة خيراته وشرفه وافضاله (متي ٥) * ان فضيلة الرافة مختصة بذوى الشرف والنباهة وتليق بالملوك والسلاطين. حتي ان سلطان النحل بين جميعهن ليس له ابرة للدغ * وكما ان التواضع للغالبين هو علامة تدل علي شرفهم. كذلك الكبريا للناس الادانى علامة تدل علي دناتهم * ان الاهتمام ذا الاقتدار بارى الموجودات الذى هو الشرف بعينه. قد كتب عنه تعالى انه يخضع الجبابرة والمقتدرين ويرفع الصغار المتواضعين وينعم عليهم (لوقا ١) * ان الانتقام هو امر مخصوص بسفها الناس واندالهم. اما ذووا النباهة فمن شيمهم ان يصفحوا عن الاسايا ويجودوا علي العاجزين * ومثلما ان قلوب الابطال من الرجال لاتبالي من الحوادث الخفيفة الدنية. هكذا اخلاق من يكون ذا شرف ونباهة على التحقيق هى ان يتهاون بالامور الخسيسة ومصايب هذه الدنيا الشقية * وكما ان رعاية الخنازير هى عار علي ابن الملك او ان يتردد في الشوارع لاعبًا في الطين والزبايل. هكذا تكون حالتك وشناعتك متي جنحت الي محبة خسايس الدنيا وقماماتها واوصاب الجسد ورذايله. وصرت ترعي خنازير الحواس وتربيهم بالنجاسات والقاذورات. مع انك لم تخلق الا لتحظى بالغني السماوى والحيوة السعيدة * اذكر انك محسوب

حكمها * فمن يتجنب الاعمال الحقيرة ولا يتنزل الي خساستها فهذا الذى ليس هو بحقير. فلذلك لا يسوغ لك ان تفتخر بنسبة اصلك وشرف حسبك . بل انما سبيلك ان تخجل حياءً اذا كنت من نسل كريم نبيه الاسلاف ولم تقتفِ اثرهم ولا تحتذى حذوهم ولا انت وارث مناقبهم * فكما ان تراكم الغيوم يظلم الشمس والقمر والنجوم ويكسف ضوها حتي انها ترى ولا تضى . هكذا خطايا الذين يتناسلون من ذرية نبيلة فانهم يقتمون بسوء افعالهم افعال اسلافهم المتقدمة الحميدة ويكسفون نورها ويهينون قيمة حسبهم * ان الشريعة المسيحية لا تنظر الي شرف الجسد بل الي شرف الفضيلة الروحية . ولذلك متي اضحيت عبدًا للخطية فلا تحسب كريمًا بل ردى الاصل لئيمًا بما انك عدت عبدًا للخطية * ان الحرية والشرف الصادق قد امر الله تعالي هو الا تكون عبدًا تحت رق الخطية . والحسن والجمال الحقيقى هو ان تكون مزينًا بالمناقب الحسنة والمحامد المفضلة * فالاليق بك اذًا ان تردد في بالك ذكر شرفك هذا لكى تشرف مع شرف نسبك فضايلك البهية * ان الشرف الدنيوى ليس هو من انصاف الطبيعة وعدالتها بل هو صادر من قبل الرغبة والطمع * والشح وقلة الوفا هما عيبان ينسبان الي رعاع الناس وسفهايهم . لان الانجيل الشريف يقول ان الله تبارك اسمه يشرق شمسه

الاعمال * ان الشرف الجسدى ليس هولك وانما هو لاهلك واسلافك . واما الشرف الحقيقى الذى هولك فهو حميد الافعال وخير الاعمال . ولن يقدر احد ان يعطيك اياه ولا ان يسلبه عنك قسرًا وجبرًا * قل لى ما الذى تستحقه انت علي ما اكتسبه غيرك وايما حق يجب لك في الترفع علي الغير بالشي الذى استفديته عن والديك * ان نباهة النسب انما هى من التناسل والميلاد . اما نباهة الفضيلة فتنشأ عن الفعل خاصة بما تكتسبه من الفضايل وتربحه من الخير * ولعمرى انه اذا كانت الافعال الصالحة بالهام وامداد من لدن الاله القدوس فهى موهبة منه تعالي ومنحة وانعام . الا انه مع ذلك فهذا الشرف هولك * وكما انه يخرج من الاصل المرّ ثمر لذيذ طيب . هكذا يمكنك اذا كنت من نسل حقير ان تصير نبيهًا اصيل النسب باقتنا حسن الفضايل وازدياد حبك لله تعالى * من لم يكن متعبدًا للخطايا ولا لصنف من اصناف الرذايل فذاك هو النبيل الاصيل الحسيب النسيب . لان عظمة قلب الشريف تستخف بالاشيا الجليلة * فالشرف الذى يجعل الناس اولاد الله وورات الملكوت فهذا هو الشرف الحقيقى * من لا يتعبد للخطايا ولا يتنزل الي دناة الاثام فانه يصون شرفه ويحفظ نسبه . لانه ان كان الانسان يكون عبدًا لمن تسلط عليه . فمن استولت عليه الشقاوة افما يكون تحت

الجسمي المظلم من تلقا الاثام * ان من يدعي الحسب وهو ابن اسير حاصل في العبودية فهو عادم العقل والبصيرة . حتي ولو كانت امهُ معتوقة اصيلة الحسب والنسب . هكذا انت اذا كانت نفسك التي هي الجزءُ الافضل والاشرف فيك تحت رق عبودية الخطية فلا سبيل لك الي الافتخار ولو كان جسدك الذى هو الجزء الادني الصعيف من سلالة اشراف * اذا لم تكن النفس مزينة بالمناقب الجميلة والخصال الحميدة فشرف الجسد يكون كلاشي . كون شرف الجسد خلوًا من شرف النفس مضرًا معطبًا اذ انه من شانهِ ان يلد الكبريا والجهل بما ينبغي للانسان من معرفة ذاتهِ . وينشي قبايح اخر مثل هذه * علامات الشرف الحقيقي علي راى اهل السداد والعرفان انما هي السخا والكرم والموافاة بحسن الثنا على حصول النعم . ثم الحلم عند طلب المسامحة وقوة النفس وشجاعتها عند المحن * فمن عادة القلوب الشريفة ان تصبر شهامة علي كل صنف من ضروب المضايق والبلايا . وتشغل افكارها وتعكفها علي الامور العالية الرفيعة . لا في الامور العالمية الخسيسة * والشرف الذى يجمل الانسان انما هو السجايا الحسنة والاخلاق الحميدة . فهذا هو الشرف الصادق لا نباهة الجنس والنسب التي لا تجعل الانسان مقبولاً عند الله ومحبوبًا لديهِ تعالي . بل شرف الفضايل ونباهة حسن

الارباب . وذلك ليخزى الذين يتفخمون بهذه الاباطيل * ولعمرى ان هذا تعنيف عظيم وتوبيخ جسيم للذين يتكنون بافضل القاب والديهم * فاطرح عن فكرك هذا الجنون والهذيان . واذكر انك تراب ورماد مثل والديك . وان الدود الذى اكلهم لايسمح عنك . اذ ان الشرف الذى ورثته منهما هو موت وفساد . فهذى هى الرايات والعلامات التي يليق بك ان تنصبها في اعلامك وترسمها في بنودك . ولاتجعلها علي ابواب منزلك بل مقابل عينيك . وبهذه الاحوال يجب ان تتفطن باتصال الذكر . وان * تحرب بها دولاب افكارك الباطلة الفارغة *

الفصل الثاني والاربعون

* في بيان الشرف الحقيقي *

قال الرب انا اكرم من يكرمني ومن يحتقرني فهو مهان (ملوك ٢) فان انت اهنت الله واحتقرته بارتكابك الخطايا فكيف تكون ذا شرف . والله قد قال ان الذين هذه الصورة صورتهم لايكونون نبلا بل لؤما خسيسي النسب . حسب قوله تعالي اعلاه لعالي الكاهن علي لسان احد الانبيا . لان الشرف الحقيقي انما هو الفضيلة التي لاتهين الله بل توده فوق كل شيٍ . وهذا الشرف الذى هو شرف النفس هو الذى ينبغى لك ان تعتني بهِ لا بالشرف

نسبهم يفخمون بجراة مريدين ان يكونوا مبجلين اكثر من غيرهم . وعنهم يقول هوشع النبي ان مجدهم من الولادة ومن البطن ومن الحبل (ص٩) . اذ انه من شرف النسب تتولد الكبريا لهولاء . لان الاشيا التى يجب عليهم ان يتصرفوا بها في افتعال الخير يجعلونها سببًا للتجبر والافتخار * ان شرف الدم يلزم اصحاب النسب بان يقتدوا بمناقب انسابهم الحسنة . كون الشرف انما هو التزام دايم يلزم الوراث لهُ بفعل الخير والصالحات . فالذين لا يتبعون هذه الشريطة فانهم يسيرون بما يخالف الطبيعة . حيث انهم لا يتشبهون بابايهم ولا يغايرونهم * لا تفتخرن بنسبك وشرف حسبك . لانك بهذا تشهد امام الذين يسمعونك وتقيم الحجة عليك بان فيك جنونًا * اتوثر ان تعلم ما اقل التفات الله تعالي الى شرف النسب . فانظر الى شاول الذى اختاره ملكًا علي اسرايل وقد كان من احقر القبايل من السبط الاصغر في الشعب (ملوك ١ ص١٠) * ويفتاح الذى طردته اخوته من بيت ابيهِ مخزيًا لكونهِ من امراة زانية . انتخبه الله وانتدبه بعد ذلك ليخلص شعبه من العمونيين (قضاة ١١) * والسيد المسيح نفسه لما اتى الى العالم لم ينتخب النبلا ولا ذوى النسب . لكن اختار افرادًا من الادانى حقيرين صيادى سمك مساكين (قرنتية ١) وهو تعالي قال عن نفسهِ انه راعٍ مع كونه ملك الملوك ورب

توارثوها من قبل خطيّة ادم . ولكن هولاء ايضاً اى اصحاب الحسب والاصل الكريم هم خاضعون تحت حدود الامراض والموت وغير ذلك مثل الادانى بالسوية * فاذاً هذا الشرف باطل وجنون لانه لايصون السلاطين والامرا والنبلا ولايقيهم نوايب هذه الحيوة المايتة ومحذوراتها * جميعنا منقادون وخاضعون للموت سواءً كنا من اشراف الناس او من احقرهم . لانك ولو كنت سيداً ومسلطاً فلكونك انساناً لست انت بناجٍ من مثل ذلك . وقد قال الرب في انجيلهِ المقدس يشبه ملكوت السماوات انساناً ملكاً (متي ١٨) . وكان يكفي ان يقول ملكاً فقط لا انساناً ملكاً . لكن قال هكذا لكي يعرف الملك والامير والكبير وكل احدٍ انه انسان ويتجنب الاباطيل . ويذكر انه انسان خاضع تحت الاعراض والضيقات كباقي الناس الادنيا * فلايظن اذاً اصحاب الحسب انهم كما قال اشعيا النبي قد عاهدوا الامراض والموت الا ترد عليهم (اشعيا ٢٨) . العلك نظرت الموت لتقول انك شارطته او جربت العقوبات الجهنمية * فاذاً لكي تصرف عنك هذه الروية والتخيلات الباطلة الفاسدة فينبغي لك ان تذكر انك انسان ولو كنت ملكاً ومتسلطاً . وانك تعود غداً ماكلاً للدود * وقد قال النبي والملك اية منفعةٍ في دمي اذا هبطت الي الفساد (مزمور ٢٩) * وقد نرى اقواماً من اجل شرف

لتوصى قوماً منهم الّا يصغوا للاحاديث الباطلة وقصص القبايل (تيموتاوس) * وقال لتيطس ايضاً اما المسايل الجاهلية وقصص القبايل فتنكبها فانه لاربح فيها وهى باطلة (تيطس ٣) * العلنا لسنا كلنا من اب واحد فاذا كان حقيراً دنياً فنحن نظيره جميعنا . واذا كان حسيباً اصيل النسب فنحن كلنا اشراف * افهل يوجد شرف اعظم من هذا وهو ان نكون بني الله . وهذا الشرف هو شامل لجميع المسيحيين . ولاجل ذلك اراد السيد في الصلوة الربيّة التي هى ابانا الذى في السّماوات الّا يقول مصليها ابى بل ابانا (متي ٦) . وذلك ليلا يتشرف الواحد علي الاخر بشرف النسب اذ كان هذا الشرف السامي عاماً للجميع * فاذا كنت شريراً ومنسولاً من الاشرار فلست تكون شريراً وحدك . لكن اذا كنت مولوداً من اصل صالح وانت لم تمتلك الصلاح في نفسك فان شرك وسوء صنيعك ينسب فقط الي ذاتك * ثم انه لو كنا نحن اخترنا الوالدين لكان شرفهم ودناتهم تنسبان لنا . اما اذ كان ذلك ليس هو في هوانا وايثارنا . فلا نعاب نحن ولا نمجد اشرافاً كانوا او من ادانى الناس . كون المجد والعيب يصدران عن الخير او عن الشر اللذين في احاطة يدنا واختيارنا * ولعمرى انه لقد كان هذا امراً جليلاً معتبراً لو كان اعني شرف النسب يحفظ الناس ويقيهم من الامراض والموت وبقيّة المصايب التي تلم بهم وقد

يخرج من امر واحدة شريف ودني . وانت هكذا ولو ولدت من الاصل الذى يخرج منه الورد اى الرجال النبلا اصحاب الفضيلة فقد يمكن ايضاً ان تكون شوكة خسيسة دنية كمثل قاين وحام وعيسو الذين كان والدوهم اشرافاً من النسب الخطير واخوتهم كذلك . وهم وذراريهم اضحوا ادنيا حقيرين لانهم نسوا شرف جنسهم * ماذا يفيد الماء جريانه من معين صاف وهو متعكر بالوحل والاوساخ . فعلى هذا القياس يكون الرجل الذى يكون من ذاته شريراً فاى مديح يحصل له من افعال اسلافه الحميدة * فقد يتولد في الارض المخصبة حشيشة السوكران المسمومة القتالة . وفي الارض المقفرة السبخة يتولد الذهب . وقد وبخ حزقيال النبي بعض الاشرار من ال اسرايل تحت اسم اورشليم قايلاً ابوك اموري وامك حيثانية (حزقيال ١٦) . فالنبي شبههم بالامم لا لكونهم من نسلهم الجسداني بل لمتابعتهم اوليك بسجاياهم الذميمة وعوايدهم الشريرة * ان شرف النسب يُفني ويخرب في الشخص المفتخر بحسبه . وهذا الجنون يشبه جنون من لا يوجد في لونه بياض ويريد يظهر انه ابيض اللون جميل الصورة مع انه ليس له جمال اصلاً . فهكذا من يدعي بشرف النسب ويعد نفسه حسيباً وليس له حسب حقيقي * بولص العظيم يقول لتيموثاوس اني سالتك ان تقيم بافسس اذ انا متوجه الي مكدونيا

اعلم اذاً ايها الانسان ان اعمالك هى التي تشرفك وتشهر حسبك الخطير. ان الامانة شي كريم غالي الثمن. غير انها اذا كانت بلا عمل فهي ميتة كما قال مار يعقوب الرسول (اصحاح ٢). وكذلك شرف الحسب فانه شي صالح هو ولكن اذا لم يقترن بالفضايل وعمل الخير فانه يعود حقيراً جداً * ان الرجل الصالح ولو كان من اصل دني لانسب له ولا حسب فانه يزيد تشرفاً وتكرماً كما كان داود النبي في غاية الشرف لانه هو الذى قد كان المشرف جنسه بحسن مناقبه وغزارة فضايله. وبه اصبحت كل ذريته حسباً ذوى شرف ولو لم يكن يسي ابوه حسيباً. حيث ان شاول كان يستهزى بنسب داود ويقول لم لم يات ابن يسى (ملوك ١ ص ٢٠) * وايضاً لما استخف شعب اسرايل براجيعام ابن ابن داود قالوا اية قسمة لنا مع داود واى ميراث مع ابن يسي (ملوك ٣ ص ١٢) * فهولاء ولو انهم قد ابانوا ان داود هو ابن يسي لكنهم لم يقدروا ان يدنسوا شرف جنسه. لانه هو قد شرف نسبه بحسن فضايله * حتي سيدنا يسوع المسيح ووالدته الطاهرة الفايقة القداسة ما تدنس شرف جنسهما ولو كانا من اصل راعوث الموابية ومن راحاب الكنعانية التي من نسل حام الابن الملعون من ابيه نوح * ان الخلال الحميدة من شانها ان تشرف مقتنيها. وكما ان الاصل الواحد يخرج منه الشوك والورد. هكذا يمكن ان

شريرة وسيرتك ردية ففيك يفني شرف جنسك * فالجدير اذاً بك ان تكون انت بداية الشرف لانهايته. لان الذى ينشي الشرف افضل ممن يفنيه. كون بدءه فضيلة وخرابه رذيلة * فاذا كنت ردى السيرة فانك تدنس اصلك بسجاياك الذميمة. ولعمرى انك اذا كنت فاقداً ضيا حدقتيك ونورهما فلا تفتش علي عيون غيرك لتنظر بها. فكذلك لا تفيدك شهرة شرف نسبك مالم تكن ممتلكها في نفسك * فالافضل والاليق بك هو ان تكون مشرفاً من ذاتك مما تكون من سلالة اشراف. وخير لك ان تكون خيراً من ان تكون من اصل خيرين. وهذه علامة واضحة البيان انه ليس بصالح من كان ملتمساً صلاح غيره. لانه من حيث ان ليس لك الشرف الحقيقي في ذاتك فانك تستقصى عن نسب غيرك لتتشرف به وتتكرم بمناقبهم الحميدة. ولعمرى ان هذا يدل علي فقرك اذ تروم ان تستغني بحسن اعمال اسلافك * ان افعال السالفين من جنسك لا تستطيع ان تشرفك بقدر ما تشرفك افعالك. كون الافعال هى التي تجعل صاحبها صالحاً امر شريراً وبها يعرف اصله * فالذى يضطر مد شرفاً بالحسب والنسب واعماله بالخلاف فهو كمن يستر عيوب الغير ويفضح عيوب ذاته * لقد قال المخلص مجيباً اليهود الذين ادّعوا بانهم من ذرية ابراهيم وكانوا يفتخرون بذلك. ان كنتم بني ابراهيم فاعملوا اعمال ابراهيم (يوحنا ٨) *

في الاهتمام بالملابس لتفتخر بها . واجعل يسوع المسيح نصب عينيك في كل ماتفعل فانك تنجو من همومٍ كثيرة شتى التي تشغل * بالك الان وتشتت افكارك على ممر الزمان *

الفصل الحادي والاربعون

* في بيان اباطيل شرف الجنس *

قال ايوب الصديق قلت للفساد انت ابي وللدود انت امي واختي ١٧ ايها الانسان المتجبر اذا شيت ان تشاهد اصلك وشرف جنسك فافتح القبور لتعلم منها انه باطل الاباطيل هو ان يفتخر ابن ادم البشري الدودة الحقيرة بشرف نسبهِ وجنسهِ * وقد قال بعض العلما ماذا تعمل اسامي الدرجات السامية وماذا تفيد الرسوم الملوكية الشريفة . انه ولوكانت حيطان منزلك مملوءة من العلامات الدالة على شرف اسلافك فليكن المحقق عندك ان الفضيلة وحدها هي الشرف الصادق * فالافضل لك ان تكون فاضلاً متقياً ولوكانت اسلافك من ادانى الناس . من ان يكونوا كرام الاصل وانت شقياً مقفراً من الصلاح * ان الذى اسس جنسك ورفع نسبك فانما كانت رفعته وشرفه لصلاحهِ وحسن طريقتهِ. فكن انت اذاً ذا فضيلةٍ فتنشي الشرف ولولم تكن كريم الاصل نبيل الجدود * فاذا كنت نبيلاً من جنس اشرافٍ وخصالك

النقيصة * ان الاشيا الخارجة الزايدة عما تدعو اليه الضرورة تومي الي التفخم والصلف . ونعومة الثياب تشير الي ضعف النفس ورخاوتها . ولايمكنك التشاغل بزينة الجسد بهذا المقدار خلوًا من نسيان النفس عريانة من الفضايل * وقد ذكر ان اهل نينوى لبسوا مسوحًا من كبيرهم الى صغيرهم (يونان ٣) . وبهذا النوع هدأوا غضب الله بعد ما اسخطوه بالعصيان . وذلك لتعلم ما اكثر ما يرضى الله ثوب الندامة والملابس الوضيعة * ان من يحب انسانًا من اجل زينة ثيابه فهو كمن يشترى فرسًا طمعًا في زينة ملبوسه خلوًا من نظر الي ماهو جنسه . وهذا لعمري من غاية الجنون * ان الذين يتوشحون بالملابس الفانية قد يجوز ان يطلق عليهم ماقالهُ الرب للفريسيين الويل لكم ايها الفريسيون لانكم تشبهون القبور المكلسة التي ترى للناس من خارج مزينة ومن داخلها مملوءة عظام اموات (متي ٢٣) * فانت تتزين من خارج زينة كلية ومن داخل مستوعب طرمدة وعظمة . وكل ماتلبسه خارجًا عن الحد الواجب فانك تختطفه من متاع البايسين والعراة والمعوزين * فلا ترغبن في الثياب المثمنة ولا بما يفضل عن ضرورة الجسد وسترتهِ . والبس ثوب العفاف بطريق الاعتدال حيث لاتظهر فيهِ العجب والتفخم . وارفع الحاظك الى يسوع العريان لاجلك على الصليب فحينيذٍ تسترد الزمان الذى اضعته

غطاوك يكون الدود (اصحاح ١٤) * فاعلم ايها الانسان انك بهذا الغرور الذى انت فيه تسخط الله تعالي وتحركه للغيظ عليك . حسبما قال النبي عن اوليك الممقوتين من الله والمرذولين منه . شنيت الذين يحفظون الباطل مجانًا (مزمور ٣) * فلا تبتدع لك اشكالاً واصنافًا من الملبوسات ههنا . بل خف من عقوبة الله الشديدة التي اخبرنا عنها علي فم صوفونيا النبي قايلاً . انا افتقد علي الروسا وعلي بني الملوك وعلي جميع الذين يلبسون ثوبًا غريبًا (صوفونيا ١) * ان حسن الثياب الثمينة لاتستعمل الا لاجل اللهو والشرف الباطل . وقد تخبر الناظرين اليك عن قبح افعالك وتشهر لهم نقايصك . حتي ان الذين كانوا يحتسبونك ذا راى سديد وعقل رزين يستخفون بك حينيذٍ من اجلها وتظهر لديهم بها ارعن فاقد البصيرة * وقد قال ابن سيراخ لباس الجسد وسيرة الانسان تشير وتخبر بما هو (اصحاح ١٩) * ان اخزيا الملك سال مرسليه وقال لهم كيف منظر الرجل الذى لقيكم ولباسه . ومن جوابهم له عن خشونة ثيابه عرف حالاً انه ايليا النبي . فانت اذًا متي تزينت باللباس صلفًا وعجبًا فقد اعلنت عن نفسك انك صفر فارغ كما قال حبقوق النبي . ولاتعد ايليا بل ذا جنونٍ ممحونًا * اترضى لنفسك ان تكون ناقص الراى عديم التمييز . فان كنت لاترضى بهذه الحالة . فما بالك تحب ان تدعي وتكني بهذه

فارغب في زينة الباطن بافتعال الفضايل . ولاتعتنين بزينة الملبوس . فقد اخبر بولص الرسول عن اباء العهد العتيق ان ملبوسهم كان منسوجاً من شعر الجمال والمعزى (عبرانيه ١١) . وقد كانوا بشراً مثلنا . لكن لمعرفتهم بانهم خرجوا عراة من بطون امهاتهم وسيعودون هكذا الي التراب ترددوا في عالمنا هذا سايرين كانهم غربا ومعوزون * ان الانسان قبل سقوطهِ في المعصية لم يكن مفتقراً الي مثل هذه التكلفات والملبوسات . لان ذاك الانسان الاول كان متسربلاً بالنعمة الالهية نظير الشمس المتوشحة بالنور . وكالزنبق الابيض متردياً ببياض البر . لكنه بعد ما اضاع هذا البر الفايق الجلال استحى خجلاً عند ما راى ذاته عرياناً . ولذلك صنع الله لهُ ولقرينتهِ ثياباً من جلودٍ وحشيّة (تكوين ٣) * فالانسان من حيث انه قد اثخنته جروح الخطية وضع الله عليهِ ملابس للغطا وضماداً للجروح * فمن يفتخر بحسن ملابسهِ فهو كمن يفتخر برباطات قروحهِ . ولعمري ان هذا الافتخار عيب وعار على صاحبهِ اذ كان من يفتخر بقروحهِ وعجزه وكللهِ انما هو ناقص العقل وقليل السداد * وقد اوضح ايوب عن نفسهِ في حال ابتلايهِ ان ملبوسه كان زرياً اذ قال المسح خيطته علي جسدى (ص ١٦) . وداود الملك الصالح شهد على نفسه قايلاً جعلت لباسي مسحاً . وقد قال الله علي لسان اشعيا النبي عن المفتخرين بثيابهم الناعمة

الذى تحمل بهِ جثث الموتى لتدفن لاتراه مزيناً الاحينما تكون فيهِ جثة ميت . وكذلك الناس المخدوعون بالاباطيل لايوشحون اجسادهم بحسن الملبوس الا لما تكون نفسهم الروحية ميتة من قبل ارتكاب المحارم والاثام * وقد قال حبقوق النبي في شان هذا المعني . هاهو مغطى بالذهب والفضة وكل روحٍ ليس هو في احشايهِ (حبقوق ٢) * فمثل ماتبكى علي موت من تحبه كذلك يليق بك ان تبكى علي من رايته مزيناً بلباس الافتخار وتندبه كانه ميت * فزينة ثيابك انما تدل علي انك تتوخى مرضاة الناس الذين لايبصرون الا الظاهر وليس نظير الله تعالي الذى يبصر القلوب . فيا لغباوةٍ جزيلة التقدير . حيث ان الرسول يقول لو كنت ارضى الناس لما كنت عبداً للمسيح (غلاطية ١) * فلو كنت ميت الحواس حقاً وزاهداً في الشهوات لقد كنت لعمرى تطرح عنك هذا الاهتمام الزايد * ان الاهتمام في الامور الخارجة يدل علي نسيان الامور الباطنة والتغافل عنها . اذ لاتستطيع التفرغ لتكميل شيين يلزم ضرورةً ان يكون النقص في احدهما * فانك لاجل تزيين العبدة التي هى الجسد تدع السيدة اعني النفس عريانة * قال الكتاب المقدس ان تابوت العهد كان محلى بالذهب ومجللاً بغطا من صوف (خروج ٢٦) . فكذلك نفسك ينبغى ان تكون مملوة من المحبة والوداد . اما الخارج فيكفيهِ مهما كان *

ولو تزينت بافخر الثياب واجملها لما ظهرت بهيًا وجميلًا كزهور الحقل التي سليمان في كل مجده لم يلبس كواحدةٍ منها (متي ٦) * وقد قال بولص الرسول اذ يكون لنا كسوة لنكتسي فلنقتنع بها . ولم يقل لنتنعم ونفتخر بها بل لنكتسي بها (تيموثاوس ١ ص ٦) * وبحسب هذا المعني قال ايضًا يعقوب ابو الابا ان كان الله يرزقني خبزًا لاكل وكسوة لالبس (تكوين ٢٨) . ومن الجنون ان تكسي التراب والرماد بحرص هذا عظم مقداره * وقد قال بطرس زعيم الرسل ان زينة المراة المسيحيّة لايجب ان تكون في لباس الثياب وحلي الذهب . لكن بملبوس العفاف والتواضع (بطرس ٣) . على ان خادم الله يقنعه ثوب متوسط وعلي قدر مرتبتهِ * فاحترس من كل زينة فان اهتمامك بذلك هو دليل واضح علي قلة التفاتك الي الامور الباطنة وكثرة انهماكك في الامور الخارجة . والحال انه قد كتب ان جميع مجد ابنة الملك من داخل (مزمور ٤٥) * فسليمان لشدة اكتراثهِ بزينة ثيابهِ وتزيين اهل بيتهِ نسي الله ونفسه حتي ال بهِ الامر الي عبادة الاوثان (ملوك ٣ ص ١١) * ان ثمرة الجوز متي نزعت قشرها قبل اوان بلوغها دلت علي فسادٍ في داخلها . وحال المسيحي على هذا النمط . فمتي لم تكن ملابسه الظاهرة كسنة المسيحي . فهذه اشارة على ما في داخلهِ من الفساد ومن دودة الخطيّة التي تجعله مفتخرًا هكذا علانية * فالنعش

الفصل الاربعون

* في بيان اباطيل زينة الثياب الفاخرة *

يقول ابن سيراخ لاتفتخر باللباس البتة (اصحاح ١١) * فلولا ان زيادة الملابس ردية لما مدح السيد يوحنا المعمدان بقوله عنه لم يلبس ثيابًا ناعمة (متي ١١) . ولما ذكر لوقا الانجيلي بين زلات ذلك الغني الشره ثيابه الفاخرة (لوقا ١٦) * وقال سيدنا يسوع المسيح ان الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في قصور ملوك العالم . ولم يقل في قصر الملك الابدي * فالروح القدس المخترع الكتاب المقدس شجب ملابس ذلك الغني الهالك ومدح خشونة ثياب يوحنا . وهذه اكبر حجة واوضح برهانًا لبيان عظم الخطر الذي يتمادى فيه المفتخرون بالثياب الثمينة . وما اكثر خديعة الذين يصرفون اوقاتهم في مثل هذه الاباطيل * فلئن كنت يا هذا لاتستعمل زينة الثياب بقصد ردي . فانك تبدرق الزمان الذي هو افضل من كل شي تملكه * فلبس الثياب الفاخرة ولو كان بعض الاحيان ليس هو بخطية . لكن التفخم لايكون بعيدًا من اوليك اللابسين مثل هذه . لانهم يرتضون ان تراهم الناس وان يمدحوا من الناظرين ويسرون بذلك . ولهذا لاينجحون في الفضيلة الا قليلاً والروح تفتر في العبادة * ولعمري انك

بماء الطوفان (تكوين ٦) . وحسن بتشبع قد اضرّ بداود النبي والملك ضرراً بالغاً (ملوك ٢ ص ١١) . وكذلك ابنه حمنون قتله حسن تامراخته . وقد تولد من موته شرور كثيرة وحروب جزيلة (ملوك ٢ ص ١٣) . وما سبب ذبح اليفانا الامير المظفر وانكسار جيوش الاثوريين القوية وفنايهم الّا حسن يهوديت التي قال عنها الكتاب ان اليفانا انصاد بعينيه من حسنها (ص ١٣ و ١٦) . هكذا الشيخان هلكا بجمال سوسنة العفيفة (دانيال ١٣) . وحسن دينا صار سبب خراب شخيم وعلة ميتات وشرور كثيرة (تكوين ٣٤) . وفي شان ذلك قال الكتاب المقدس انه من اجل الجمال الجسدي هلك كثيرون (ابن سيراخ ٩) * وقد يوجد كثيرون يتفاخرون بهذا البطلان القصير الوقتي السريع الزوال الظاهر المحال بهذا المقدار . حتى انهم يلقون انفسهم بحماة المعاصي واعظم المهالك لاجل حسن منظر الجسد *

فليكن عشقك لجمال النفس الحقيقي لتتمتع بجمال الجسد

* والنفس الدايم في السما الى ابد *

* الابدين *

*

هذا الجمال القصير المدة الشنيع الرويا بازا ذاك الجمال المنتظر كونه . وتبدل بهذا اليسير الوقتي ذاك الذى يفوق سموًا وبهاءً علي كل ما يتبين جميلاً في هذا العالم . علي ان مدة هذا قصيرة وسريع الزوال . واما ذاك فانه باقٍ لاينقضى ولايزول . وقبح الشكل ههنا وقتي زمني . واما الشناعة العتيدة فدايمة دهرية * فلا تهمل ما كان ابديًا دايمًا وتتشبث بالوقتيات الزايلات . ولا تعرض عما ليس له نهاية لاجل الاباطيل التي في بداية حضورها تفني وتضمحل * ترى ماذا يكون اقصر زمانًا واكثر غرورًا من الجمال الجسدى * بالامس كنت شابًا جميل المحيا بهى الصورة . واليوم قد وخطك الشيب وعدت مرهل الوجه وخالي الفم من الاسنان * كيف صار في زهاوة تلك الشبيبة ونضارتها . لقد جاز ذلك كالزهرة التي تجففها الريح . وها هوذا الموت يقترب منك ويكتنفك بامراض ومضايق وما شاكل ذلك * فباطل هو الجمال الجسدى وهو مستحيل مجهول عند سخيفي العقول . ومرفوض من ذوى الراى والفطنة * فان كنت قد اتخذت لك جمال النفس قنية الذى هو الجمال الحقيقى . فقد احتويت على جمال النفس والجسد معًا * ان جمال النفس هو مفيد للجميع . اما حسن الجسد فهو لعمرى قد اسا الي كثيرين وارزاهم * فحسن بها الشجرة اسقط امنا حوا (تكوين ٣) . وحسن بنات قاين غرق المسكونة

بما

بالفضايل . فانك تقوم في ذلك اليوم شابًا قويًا جميلًا بهيًا ذا منظر باهٍ ومحيا زاهٍ يفوق بياضًا وحمرةً وكاحد الملايكة المقربين * وبالعكس اعني ولوكنت الان زايد الحسن والجمال والظرافة في الغاية القصوى . ودنست نفسك بالقبايح وارتكاب الاثام والمساوى . فانك تظهر في ذلك اليوم المرهوب بصورةٍ بشعة في غاية الشناعة التي لايمكن مصور علي الارض ان يصور نظيرها اعني نظير جسد الخاطى الهالك * فاحرص اذًا ما استطعت ان تزين نفسك بالعوايد الصالحة والسجايا الحميدة الفالحة . فحينيذٍ تمتلك الجمال الذى ترغب فيهِ . بل تمتلك مايفضل باضعاف كثيرة علي كل ماتستطيع ان تشتهيه * علي ان الجسد السعيد المجد يكون موشحًا بالجمال واليها الى هذا الحد . حتي لو سمح الله تعالي ان يرى الناس ههنا جسد احد السعدا المنورين بضيا اللاهوت . لكانوا يبهتون تحيرًا ويشخصون شوقًا للتطلع اليهِ مندهلين . حتي انهم كانوا ينسون الاكل والشرب والنوم ولا يحسون باحوال هذه الحيوة وعوارضها . لكن تكون عقولهم مرتفعة وحواسهم مستغرقة بلذة تفوق الوصف والنطق من لمع ذلك اليها الذى تقصر عن وصفه السن البشر * فان كنت تميل شوقًا الي الحسن الجسدى . فلم لا ترغب الفضيلة التي من شانها ان تجمل النفس والجسد * لعمرى انك ضال وتضل جدًا اذ تهوى

النفس ذات الجمال الفايق * علي ان النفس متى كانت ذات حسن فحينيذٍ يكون الجسد ايضاً جميلاً ومجيداً معها في السماوات ابدياً * اترومُ الآ يزول هذا الحسن البشرى فاحرص بكل جهدك ان تجمل النفس لكى تقوم يوم الدين بهياً متلالياً باشراق الحسن كاحد الملايكة في السما مجداً بالنفس والجسد * فلو اتفق ان يوجد نوع من الماء متي اغتسل بهِ الانسان صيره بشع المنظر كريه الصورة في مدة ثلاثة ايامٍ . ثم بعد الايام الثلاثة يعود الي غاية الجمال وكمال الحسن شاباً طرياً . فاية امراةٍ لم تكن تغسل وجهها بهذا الما المذكور. لعمرى انها كانت ترتضى بهذه الشناعة مدة ثلاثة ايام لتفرح بعد ذلك طول عمرها بالحسن الفايق والجمال الرايق * فانت ياهذا ان كنت توثر ان تكون جميلاً بهياً علي مدى الايام. فانضح نفسك بما الدموع والتوبة . واتعب جسمك وعذبه واقمعه بالسهر والصوم والصلوات . لانك لوكنت في هذه الايام الثلثة اى في زمن حياتك القصيرة في هذه الدنيا مريضاً مضنكاً متعباً . لكنت بعد هذا الضر والشناعة تتمتع في السما على الدوام بجمالٍ بديع وحسن عجيب في الغاية منزه عن ان يشوبه فساد او غيار * ان من زين نفسه في هذه الحيوة بالنعمة الالهية فانه يظهر يوم الدين بجسدٍ فايق البها * حتي لوكنت الان شيخاً هرماً قليل القوى بشع الهيئة جداً . وجملت نفسك وزينتها

بالفضايل

حتي انه هو احد الاسباب التي لاجلها لم يرد الله تعالي ان نعاين انفسنا مزينة بنعمته . وذلك لاجل خطر الافتخار وليلا نتشامخ متي راينا انفسنا هكذا بهية موشحة بالحسن والجمال الروحي . الجمال الجزيل تقديس والفايق بهذا المقدار حتي انه لايحد ولا يوصف . وهذه الخطية هي التي اسقطت الملايكة من اعلي السما فليلا يحل بك ما حل بهم وتضيع نفسك وتحسرها بالكبريا . لم يرد الله ان نبصر انفسنا مزينة بنعمته ولا نشاهد بهاها واشراقها الذى يكل عن وصفه اللسان . فنخسر خسرانا عظيما كما جرى للملايكة . بل كنت تشغف ايضا بذاتك حبا لها . وتصبو نحوها ولهان بسمو معانيها الفايقة الوصف . حتي انك كنت تلتهي بذلك عن ان تعطي الجسد القوت الضرورى لحياته * وبعكس ذلك لو رايت سماجة نفسك وقبح صورتها في حال الخطية المميتة . لكنت تقطع رجاك علي ما تشاهد فيها من القباحة والشناعة * وقد قال في ذلك احد الانبيا مخاطبا النفس الخاطية لقد اسوديت اكثر من الفحم (مراثى ٤) * لايوجد شي من الاشيا يقبح نفسك ويسبحها مثل اوزارك التي ترتكبها وقبايحك المتنوعة * كل من كان بريا من ضروب الخطايا والمااثم فهذا هو صاحب الظرافة والحسن واللطافة * اذا جذبت شوقا نحو الحسن الجسدى فينبغي لك اكثر من ذلك ان تميل الي عشق

وهذا هو الحسن الذى يدوم والجمال الذى يبقى . اما ما عداه من محاسن الجسد فانه فاسد كله وفارغ ووقتي ومستوعب من الجنون الذى يغيره الزمان . وهو علي تمادى الزمان ومرور الايام * ينتهى الي اعظم شناعة واقبح بضاعة *

الفصل التاسع والثلثون

* في بيان شرف الجمال الحقيقى *

قال الرب في نشيد الانشاد للنفس المشتراة بدمه كلكِ جميلة (٤) * ان الجمال الروحى هو الذى لا يفني ابدًا . لكن الي الدهر يدوم في السماوات * الجمال الحقيقى هو الذى لا يغيره سقم ولا يعتريه موت ولا ذبول * حسن الجسد ورونق بهجته هو وقتي ومدته قصيرة وهو قابل البوار والفساد . اما جمال النفس ومحاسنها فابدى لا يزول علي الدوام يفضل علي كل ما يكون في العالم من المحاسن * علي قدر ما يتفاوت جمال السما علي الارض كذلك يفوق جمال النفس ويتفاوت علي جميع محاسن العالم ولو كانت في اقصى درجات البها والجمال * فلو كنا نرى بالالحاظ الجسمية حسن شمايل النفس وجمالها الفايق الكمال لكنا نضحك هازيين علي كل محاسن هذه الدنيا وما نشاهد هنا من الكمالات * ان جمال النفس الراسخة في محبة الله تعالي ونعمته . يزيد سموًا ويسمو علوًا بهذا المقدار

الانسان انها في الغداة مثل العشب تعبر وتزهر وتجوز . وبالعشي تسقط وتعسو وتيبس (مزمور ٩٠) * وقد اورد يعقوب الرسول ايضاً هذا المثال قايلاً ان الانسان نظير زهر العشب الذى اذا ما اشرقت الشمس يبس وانتثر وفسد جمال منظره (يعقوب ١) * لانه كما ان الزهرة تجوز طراوتها وخضرتها سريعاً . هكذا تزول شبيبة الانسان وكل جماله حسب قول الكتاب * فان انت تركت الحق لاجل الكذب فقد خاتلت نفسك . فلا تلتفت اذاً الي هذا المحال والبهتان الظاهر عياناً . بل امدد نظرك الى ما قدام . ومتي رايت بعض اشخاص ذوى حسن وجمال وقدٍ واعتدال . فتفرس بافراز وتدقيق في كمية الشناعة والسماجة المخبوة تحت ذلك المنظر المصور . وامعن النظر في عظم قباحة منظره وسماجة هيئته وكمودة لونه بعد الموت * فلا تتامل اذاً في الحاضر . بل فليكن تفحصك فيما يتلوه . وسبيلك ان تنظر بافراز وفطنة في الحق المستور باوفر اطلاع واعلي همة * لاتنازل عزمك في مبادى النظر . لكن متي شاهدت وجهاً صبيحاً فانعطف حالاً واذكر ما هو الانسان . فاذا داومت هذا التامل مراراً فانك تقتني عادةً حسنة جداً . وتصرف همتك في خدمة الاله من غير كلفة ولا تعب بقلب طاهر زكى . وتقطع عنك الرغبة في مثل هذا المحال المستحيل * ثم احرص ما استطعت ان تجمل نفسك بكل زينة .

غيرك فاذكر ان الموت يغير هذا كله في اسرع وقت . ويحيل تلك العيون الصافية فتغور جامدة . ويكمد بياض الجسم ويزول بهاء رونقه . وكل شي يظهر لك الان جميلاً بهي المنظر يكون اذ ذاك اعظم بشاعة وشناعة . وهذا الذى ذكرناه من الحق هو مغطى بكذب واحد والغش يحجب هذه الحقيقة * لعمري ان جمال الجسد ليس هو الا خداع . اخرس لا صوت له . وهو اصعب مراساً من النار التي تحرق كل من يلمسها . اذ كان حسن الصورة هو لظى يحرق عن بعد اشد احراقاً * فالكبر يا تتبع الجمال . ودولة الحسن ظالمة مدة يسيرة . لانه حجاب للعيون وقيد للرجلين ورباط للاجنحة . حتي ان الانسان المسبي به لا يعرف حقيقة ولا يتبع محجة الفضيلة ولا يرفع قلبه للعلويات * ان عشق الاجسام هو نسيان الحق . وفي اكثر الحالات لا يوجد صلح بين العفة والحسن * قد شبه اشعيا النبي حسن الجسد للعشب اذ قال كل ذى جسد فهو حشيش وكل مجده مثل زهر الحقل فالحشيش ييبس والزهر يسقط (اشعيا ٤٠) * فالعشب اليوم يكون اخضر وفي الغد ييبس فيحمون به اتون النار . والزهر يكون صباحاً غضاً طرياً ومساءً يذبل ويجف ويكمد لونه . هكذا طراوة الشبيبة وحسن رونقها وبهائها فانه بمنزلة العشب وكزهر الحقل . فييبس في ورود الشيخوخة من غير ان يشعر * قال داود النبي عن حيوة

ولم تنسب ذلك الي الله تعالي فتكون جاهلاً وغبياً . وان كنت تحب نفسك وتعجب بذاتك لكونك حسن الصورة فلا يكون جهل اشد من جهلك هذا * فقل لي ايها الجاهل اما ان هذا الحسن الذى تتباهى بهِ انما هو ناشٍ عن الروح . فانزع الروح عن الجسد فتراه قد انتقل سريعاً وتحول الي شناعةٍ وبشاعة عظمى . كون النفس هى التي تقيم جمال الجسد وبهاءه * فاذا تبين لك ان الجسد جميل حسن فالاولي بك ان تصرف عنايتك الي محبة النفس التي هى علة هذا الجمال . فاذا كان وجود النفس يصير سبباً للجمال هكذا . فكم بالحرى ان تكون النفس اوفر بهاءً وافضل حسناً وكمالاً * ان الجمال الحقيقى وكمال المعاني كاين في ذات النفس . وحسن كل ما سواها انما هو كالخيال سريع الزوال * فلا تلتهِ بالقشور الخارجة ولا تلتفت الى الظاهر . بل امعن النظر في الباطن وضع حدقتيك في الاصل . واعطف قلبك الي عشق من هو بداية كل ما يتبين بهياً للمنظر وجميل الهيئة . فانه اس كل ما هو عندك ماثور ومرغوب * لا تثق بالجمال الذى يغيره مرض يسير ويتلفه * ان الايام تركض عاجلاً بسرعةٍ . وسن الصبا يعبر جايزاً . وانت مبادر الي الموت والى الشيخوخة والهرم . فماذا يكون من جلد وجهك البهي الصقيل وظرافة بدنك وحسن قوامك * اذا رايت صورةً حسنة فيك او في شخص

حسن وجمال * ان الاطفال الصغار متي شاهدوا في الكتب حرفاً بهياً منقوشاً يقفون هناك متاملين ومبهوتين ولا يبالون بقراءة التعليم الصالح والاداب المسطرة فيه * فلا تكن طفلاً وانت في قامة الرجال . ولاتشغل فكرك متصوراً جمال الخليقة . بل اقرا ما سطر فيها فتراه يقول لك بالايماء ان تحب خالق هذا الجمال الفايق * فاذا شيت الوقوف علي قراطيس البرايا كلها. فانك تجد فيها كنه الله وماهيته مسطوراً . كون البرايا للانسان بمنزلة النظارات لا لينظر بها ذاته . لكن ليبصر بها ما لغيره . هكذا انت متي عاينت الخليقة فلا يكن ذلك للنظر اليها او الي ذاتك . لكن لتلاحظ الله فيها . وقد قال اشعيا النبي الويل لكم انتم الذين لاتنظرون اعمال الرب ولاتتاملون اعمال يديه (اشعياه) . ولاجل ذلك قال سليمان الحكيم ان العالم يحارب الجهال (حكمة ٥) * ان الحس هو باب التصور . وبالحس نعاين الخلايق . وبمعرفتها وجمالها نستدل علي معرفة الخالق وجماله . كون حسن الكاينات وبهايها جميعه بمنزلة النقطة الناجمة من بحر بها الخالق الذى لا يدرك * كل ماتراه في الخليقة جيلاً انيقاً فجماله انما هو مستعار وليس هو له . وعلي نحو ما يكون حسن الكاينات متزايداً وبهاوها متساميا راشقاً الناظر اليها بنبال عشقها . فباضعاف ذلك كثيراً تلزمك اضطراراً بمحبة خالقها * فان كنت تستلذ بالحسن والجمال

ولم

الفصل الثلثون والثلثون

* في اباطيل حسن الجسد وجماله *

قال سليمان الحكيم ان الحسن باطل هو (امثال ٣١) * فاذا كان الواجب عليك ان تعد كل ماهو باطل كلا شي فكم بالحرى يحق عليك الا تعد جمال الجسد شيًا اذ هو باطل وغاش جدًا * ان من جملة الاباطيل التي يهواها اهل العالم هو الافتخار بجمال الجسد . وهذا لعمري اقبح مما عداه من الامور التي يجب عليك احتقارها والاستخفاف بها ورفضها كعبدٍ امين ليسوع المسيح . كون الذين يفتخرون بمثل ذلك لعمري انهم في عمق الجهل حاصلون * ان حسن شعر ابيشالوم ما صار له الا آلة للموت (ملوك ٢ ص ١٨) * فالجمال الذى قد صوره الله في خليقته لم يكن الا ليرفعوا نفوسهم الي العلو ويعرفوا باريهم تبارك وتعالي . حيث ان الامور المنسوبة لله التي لاترى تعرف كقول الرسول بهذه الاشيا المرئية (رومية ١) لان معرفة الخليقة تجذب الانسان الي معرفة خالقه * وقد يصدف الانسان في طريقه بعض الاحيان عرقًا صغيرًا من الماء فاذا تبع اثره بلغ الي الينبوع الذى يجرى منه . وانت علي هذا المثال متي لاحظت جمالًا جسميًا فينبغي لك اتباع اثره لتصل الي ذلك المبدا الذى هو الله الخالق عين كل شيٍ والذى منه ينبع كل

مستوطن الارض وقاطنها (متي ١٧) * ان المسافرين الي اوطانهم الجايزين على البلاد الغريبة لايسعهم ان يحملوا معهم مثل هذه الاشيا كالاملاك والارزاق وامثال ذلك . بل يوسقون اصناف الجواهر الكريمة والبضايع الثمينة الى بلادهم . فقس انت علي هذا القياس . لانك غريب وراحل ولاتقدر ان تتخذ معك من الامور العالميّة شيًا . لكن ثروتك وكرامتك تبقى ههنا جميعها سوى الذى تصنعه من الاعمال الصالحة المرضية . فهذا وحده تستطيع اتخاذه مرافقًا اياك في الطريق * فاذا كان الامر هكذا فما بالك تكابد كثرة الاتعاب لتقتني لك املاكًا وقنيات وما شاكل ذلك مما يبقى هنا في الطريق . ولماذا توثر الابسار والغني وتحمل اوساقًا ثقالًا من كل مايمكن حمله لتكون مكتفيًا من كل شي . مع انك تجرى باسرع جرى في الطريق وبعد ذلك ستكون في موطنك الذى تستقر فيه الى الابد بغير محال حيث تعيش بالفقر والاحتياج الي كل شي وتموت جوعًا * فاقتني لك جواهر الجزا الجزيلة في هذه الغربة بالاعمال الصالحة . فتبلغ الي وطنك موسرًا بكل غني . وتحظى بعد هذا بحيوة ناجحة وحالة سعيدة صالحة بمجد وشرف واكرام في ملك السّماوات

* علي الدوام *

*

الاتعاب والمشقات المتنوعة الغريبة حسبما يتضح من قولهِ لاهل قرنتيه . نحن نتعب ولا نشجب . نطرد ولا نخذل . نطرح وليس نهلك . ولان شدايدنا انما هي وقتيّة وقليلة في هذا الاوان الحاضر وتعمل فينا ثقل مجد ابدى . فمن اجل هذا لا نمل لاننا لا نحيي بالتامل الي المنظورات لكن الي التي لا ترى . لان البرايا الملحوظة زايلة وقتيّة . اما الغير الملحوظة فعديمة الفنا (قرنتيه ٢ ص ٤) * ان العظيم بولص بتاملهِ وهذيذهِ في المحن الحاضرة وسرعة نفاذها . وتذكره انه غريب متجه الي السّما . كان يتقوى ويشتد بهذا التذكر * متي احتسبت ذاتك غريبًا فلا يهمك عدم معرفة الغير بك . واذا اعياك تعب الطريق فلا تغتم لان مسافتك تكمل سريعًا وتتم * وقد اوضح الرسول عن الصديقين في العهد القديم انهم اقروا عن ذواتهم واحتسبوا انفوسهم غربا علي الارض اذ كانوا ساكني الخيام والمغاير . ولم يكن لهم راحة ولا هدوء علي الارض ههنا بالجملة . لانهم كانوا غربا علي الدوام . فلهذا السبب لا تعش ههنا كانك مستوطن ومقيم * فقد ابتدا قايين قديمًا ببنيان مدينة علي الارض فخسر مدينة السّما (تكوين ٤) . واول من احب الحيوة في هذه الدنيا كانه مستوطن فيها وهلك فهو قايين . ومن ثمه بكت بطرس الرسول ووبخ بالعدل . اذ انه مع كونهِ غريبًا اشتهى ان يبتني لهُ منزلًا في جبل تابور كمن هو

فما بالك تصرف همتك في اشيا باطلة هكذا * كل غريب في المحط يحتمل ليلة صعبة رجاءً بانه سوف يستريح في الليلة المقبلة التي تتلوها . فيكفيك ايها العزيز هذا التفكر وحده لاحتمال الشقا في العيشة ههنا وبوسها واضرارها . لمعرفتك بسرعة زوالها وانحلالها . وانك في اليوم المقبل تبلغ الى الوطن الذى تتوقع سكناه في التماحيث الراحة الدايمة * طوبى للغريب الذى في كل زمن نفيه في هذا الجسد وفي كل موضع يتذكر الموطن السماوى حيث نعيم القديسين مع المسيح في المجد السرمدى والراحة الابدية * فهنيًا للغريب الذى لايهوى منزلاً في هذه الدنيا . لكن بغيته كقول الرسول ان ينحل ويصير مع المسيح (فيليبيه ١) * طوباهم الذين دعوا الى وليمة عشا الخروف (رويا ١٩) * ومن احب ان يكون متكيًا في هذه الوليمة فليبكِ وينح في هذه الدنيا * فليكن نصب عينيك دايمًا ما قالهُ النبي انا غريب عندك ومجتاز مثل جميع اباى (مزمور ٣٨) * اذا تاملت في دوام الحيوة المرجوة التي لاتحول وقستها بهذه الحيوة الحاضرة ولو عشت الف سنة علي الارض . لما وجدتها تساوى ربع ساعة من الحيوة هنالك التي لاتشيخ ولا تذبل * واذا نظرت بعين الحقيقة والاستقصا فانك تجد حياتنا هذه بمنزلة نقطة واحدة بالنسبة الى الحيوة المستقبلة . وهذا الهذيذ والتامل كان يحض الرسول ليصبر علي

ولا يزين مكان سفر لاقامة فيه نحو ربع ساعة . ولا يتعوق لكى يعمر ويعمل فيه اشيا اخر. لكونه عارفاً بانه لايقيم هناك الا قليلاً من الزمان . وان اتفق واعتني باصلاح شي من ذلك فلا يخلو من جنون واختلال في التصور. وكذلك انت من حيث انك غريب علي الارض وقد وصلت بالامس وفي الغد ترحل عنها . فلا تطلبن شرفاً ولا غني ولا شيأ من هذه الاباطيل . لكون الزمان قصيراً جداً وتقدر تعيش باى شي كان * فانت كالمسافر الذى انما يفكر في الطريق باحوال البلد التى هو عازم علي الوصول اليها . هكذا فلتكن افكارك كلها واهتمامك في ارض الاحيا موطن القديسين حيث التمتع مع المسيح . ولكونك سايراً الي منزل ابيك فالاولي بك والاليق ان تفتكر في اى نوع من الانواع تقبل هناك . واعرض عن مهمات هذا المنفى الحاضر واجتنبها * لاتتخذ لك مسكناً تستوطن فيه حيناً يسيراً . فلو عرفت انك تقيم فيه مدة طويلة فلا عجب اذا ابتنيت لك دوراً وقصوراً واذخرت لك الاشيا الوافرة الجزيلة . ولكن هذه الحيوة قصيرة وساعة الموت مجهولة بالكلية . حتي انك لاتدرى ان كنت تعيش الي اليوم المقبل * فان كنت تحرص بكل جهدك في تحصيل العالميات الحاضرة وتوهمت انها باقية ثابتة . فلعمرى انك تكون مستخفاً بالتاديب والتبكيت * كثير من الناس نراهم يحرصون علي تعمير المنازل ولا يسكنونها

العودة اليهِ . كذلك نحن المنفيين في هذه الدنيا سبيلنا ان نرغب ونشتاق الي السّما التي هي وطننا الحقيقي * وكما ان الغربا في حين وصولهم الي المنزل يقبلون فيهِ بفرح . اما عند انصرافهم منه فيحاسبون حساباً ثقيلاً . هكذا نحن علي هذه الصفة . فانه وان كان العالم الان يرينا البشاشة والطلاقة . الّا اننا وقت رحيلنا عنه عند ما يدركنا الموت نحاسب حساباً شديداً جداً * ولكونك ياهذا غريباً ههنا . فلا ترغبن في تعمير دورٍ ولا تجعل لك مسكناً في هذه الارض المدبرة المحلة . اذ لك اب غني وانت منطلق الي دار مخصبة ذات اقبال وانيقة الرياض * وقد قال بطرس الرسول انا اسالكم كغربا وضيوف ان تبتعدوا من الشهوات الجسدانيّة التي تقاتل نفوسكم (بطرس ١ ص ٢) * فعش كغريب لان الغريب يعيش عيشاً متعباً ثقيلاً ولا يزال ضيفاً لاصديق لهُ على الارض ولا محب . فلهذا السبب لا تلتفت جانحاً الى الصحبة التي تعرف انها توذيك وتضرك نفسانياً * واذا لم تجد كل شي حسب هواك وايثارك فلا يثقل عليك ذلك لانك غريب وعابر طريق * ومتي ذكرت انك غريب ههنا فانك حينئذٍ تجتنب الشرور وكثرة الفواحش وتعرض عنها . ومن حيث انك مبادر الي المنزل جرياً باسراع فلا تقم لك اساساً في هذا العالم الشقي المستحيل . لان من قد بلغ المسافة في سفره لا يغير هندامه

استخطت الله تعالي لتقيم لك ثناءً وذكرًا في هذه الدنيا. فذكر الصالحين يثبت علي الدوام مع ربهم الذى لايزول . اما ذكر اهل العالم فانه يفني ويبيد مع العالم بما انه فانٍ . فاجعل ذكرك ورجاك في الله وحده كانه في صديق امين الودّ. الله الذى يشرف اتباعه واتقياه في السّما . وفي هذه الدنيا يقيم لهم ذكرًا ابديًا * لايزول ولاينقضى *

الفصل السابع والثلثون

* في غربة هذه الدنيا *

قال بولص الرسول اننا حينما نحن في الجسد فنحن غربا من الرب (قرنتيه ٢ ص ٥) * فاعلم اذًا ايها الانسان انك غريب في الدنيا وانت منطلق الى السّما . فلذلك قال الرسول ايضًا ليس لنا ههنا مدينة تبقى بل انما نطلب العتيدة (عبرانية ١٣) * ولعمرى ان السعى والمشي متعب وعناءٌ فكيف تهوى الفرح والراحة في هذه الدنيا وانت فيها راحل ومجد على الرحيل * ان المسافر لابد من ان يكابد جوعًا وعطشًا وبردًا وحرًا وغير ذلك من المشقات والامراض والبلايا وما اشبه ذلك . وهكذا نحن جميعنا بما اننا منفيون ههنا ومسافرون ومتذللون لهذا العالم وخاضعون * وكما ان الغريب البعيد عن الوطن يشتهى

وقد عظم الله اسمه في كل الاجيال وبين القبايل وساير امم العالم * ارايت كيف يدوم ذكر اصفيا الله واتقيايه في السما . وكيف هم وحدهم الذين يمتلكون اسمًا وذكرًا في الدنيا ولا يفني ذكرهم الزمان ولا يغيره الاوان * الانسان الذى يطلب المديح الانساني علي الارض فهو بالحقيقة مستغرق في عمق الشقاوة والغباوة * كثير من الرجال الفضلا ساروا بحال وضيع فعاشوا في حال الله . وحيث لم يكونوا معروفين من العالم عادوا معروفين من الله . وكان البارى تعالى في غالب الاحيان يفتقدهم اذ ليس لهم عشيرة ولا صداقة مختصة باحدٍ * لن يخلو من الذكر في الدنيا من يعرض عن ذكر الدنيا لاجل الله . ولا يخلو من نعيم وسرور من يحتقر نعيم الدنيا ومسراتها اختيارًا * ان الزمان قصير والموت حق واوان مفاجاته غير معلوم وهذه الاشيا كلها باطلة مضمحلة * ففي المقابر كثير من الاجسام منحلة متلاشية وكانوا يظنون ان اعمارهم تمتد زمانًا طويلًا . والذين كان ذكرهم في افواه الناس متداولًا انفصلوا عن خواطرهم وبعدوا بالكلية * اقصد بنية خالصة الا تكون معروفًا عند الناس وان تعود منسيًا منهم ولا يعدوك شيًا . وهذا يوول نفعه الي خلاصك افضل من كونك ممدوحًا من الناس وعزيزًا عندهم وكريمًا . لان مديحهم باطل وتذكرهم زايل * اليس هذا غاية الجنون واشد الحماقة اذا

ذكر الصالحين فقط هو الذى لايفني بل يدوم على الدوام. اما ذكر الاشرار المنافقين فلوقته يجوز ويفني بايسر مرام. ولذلك قال سليمان الحكيم ذكر الصديق يُمدَح واسم المنافقين يخمد (امثال ١٠) ان الله يبيد ذكر الخطاة ويشرف اسامي الصديقين في السما وعلي الارض كقوله تعالي . من اخطايّ امحوه من مصحف الحيوة (خروج ٣٢) * وعن بني عمون قال الله بفم حزقيال النبى انه يعذبهم عذابًا شديدًا حتي لايبقى لهم ذكر ولا اسم في الدنيا (حزقيال ٢٥) * وعن محبي العالم قال داود النبي رايت المنافق يرتفع ويتعالي مثل ارز لبنان وجزت فاذا ليس هو. والتمسته فلم يوجد مكانه (مزمور ٣٦) * ان المنافقين ولو انهم امتلكوا اسمًا وسمعة في مدة قليلة يسيرة فان هذا كله يزول باسهل محاولة * فهنيًا لاوليك الافاضل الاخيار الذين قد وازروا بولص المعظم في حال شقايه واتعابه. وهو نفسه قال عنهم شاهدًا ان اسماهم مكتوبة في سفر الحيوة * فذكر مثل هولاء يدوم كما كتب في الزبور ذكر الصديق يكون دايمًا الي الابد (مزمور ١١١) وابن سيراخ اخبر عن يوسيا الملك انه في كل فم يتحلى كالعسل ذكره وكالنشيد في مشرب الخمر (ص ٤٩) * ان ابرهيم ابا الابا الذى كان اهتمامه في الله وحده ولم يكن يطلب ارتفاع الذكر في هذه الدنيا. قال الله له انى اعظم اسمك في الارض (تكوين ١٢)

راغباً في هذا الذكر فلك الخيرة ان انت اعرضت عنه واحتقرته . لان ذلك افضل مما تحصله بواسطة ما لايليق ولا يجوز . فقد عرفنا اسم لعازر المسكين الذى كان غير طالب الذكر على الارض . واما الغني فصمت عن اسمه لابتغايه الرفعة لاسمه . وقد قال الله عن جماعة الاشقيا لا اذكر اسماهم بشفتي (مزمور ١٥) * فكما ان الانسان يحتشم ويكره ان يضع في فمه ما كان في فم الكلب اوفم غير حيوان نجس . هكذا قال الله تعالي انه لايجعل في فمه الاقدس اسما الخطاة الذين كانوا ههنا في افواه الاشرار الشهوانيين المادحين قبح صنيعهم * اهل العالم يتوخون التذكار علي الارض ويطلبون رفعة اسمايهم كما تفوه عنهم داود النبي قايلاً . ودُعيت اسماوهم علي الارض (مزمور ٤٨) . ولكن الله يبيد ذكرهم كما قال النبي ايضاً يمحون من سفر الحيوة ومع الصديقين لا يكتبون (مزمور ٦٨) فاسما الخطاة في سفر الحيوة علي بياض غير مرقومة * ومثل ما انك لاتعرف اسم من لم تخالطه وتعاشره . هكذا الله لايعرف اسما الخطاة معرفة القبول . لانهم غير متحدين به . واما اهل الفضيلة المتقون انصار الله فلهم عنده اسم وذكر وغاية القبول لانهم يمتثلون اوامره وفرايضه . وهكذا قال الله لخصيصه العزيز موسي انا عرفتك بالاسم (خروج ٣٣) * وقد قال سيدنا يسوع المسيح لتلاميذه افرحوا الان اسماكم مكتتبة في السموات * ان

وما اشبه ذلك لهذا الغرض . اى لاجل اقامة ذكرهم في الاحقاب الاتية رغبة بان تذكرهم الناس بافواههم وتتداول اعمالهم ويكون صيتهم شايعاً في العالم * وقد جاء في الاخبار ان رجلاً من اداني الناس اوقد ناراً في هيكل ديانا العظيم المتسع في افسس ليعظم اسمه علي الارض . فحتم مدبروا المدينة الا يذكر احد اسمه البتة . والان فقد يوجد كثيرون نظير هذا . الذين يوقدون نيراناً في ضمايرهم باختلاسهم اموال الناس مجاناً ويعملون لهم تذكاراً ليكون اسمهم مشهوراً في الدنيا . فيقضى البارى تعالي ان ينسي ذكرهم من بين الناس بعد مماتهم * وقد ذكر في الانجيل الشريف خبر ذلك الغني الشرير ولعازر المسكين . ولم يذكر بهذا الخبر اسم الغني ولم يُعلم . وذلك لان الذى يخطى بهِ الانسان الشرير بهِ يعاقب فاذ كان غرض هذا الغني المحب الشر ارتفاع اسمهِ في الارض فشاء الرب الاله لاجل هذه العلة ان يكون اسمه منسياً علي الدوام ولا يعرفه احد * وقال ابن سيراخ ان ذكر المتكبرين اباده الله (اصحاح ١٠) . وكذلك اباد الله ذكر عماليق عن وجهِ الارض لانه اشتهى ان يدوم اسمه علي الارض (خروج ١٧) * فاذاً باطل هو طلب دوام الذكر في هذه الدنيا . فما الفايدة اذا كان ذكرك عظيماً ههنا وانت تتقلى علي لظى جهنم وسعيرها . فهل ان امتداح الناس اياك يخفف عذابك ومقاساتك هناك * فاذا كنت

السماوى لانهم لم يجتهدوا ان يعمروا لهم مساكن فيه . فيكونون خايبين من كليهما وتلجيهم الضرورة الى السكني فى حبس جهنم الي ابد الدهر * فلاجل ذلك لايجب ان تطلق لمثل هذه الاباطيل الدخول الي قلبك . بل عش كانك عن قليل تفارق الحيوة . وابن لك موضعاً في السما . واصرف علي الحجارة الحيّة ذات الحس والعقل الذين هم فقرا المسيح ما تصرفه من النفقات علي الحجارة الجمادية التي لاحس لها ولا تمييز . لتصادف هناك قصوراً باقية بين سكان السما . حيث تحيي حيوة ابدية لاتحول ولا تزول الي ابد الابدين *

الفصل السادس والثلثون

* في اباطيل الذين يطلبون دوام الذكر في الدنيا *

قد قال افراد من اهل العالم قديماً بعضهم لبعض هلموا بنا نبتني لنا مدينة وبرجاً يبلغ راسه الي السما . ونعظم اسمنا وذكرنا على الارض (تكوين ١١) . فبلبل الله السنتهم وابطل بنيانهم الفارغ المستوعب جنوناً وافنى ذكرهم * وقد يوجد كثيرون منغمسون في حماة هذه الاباطيل . يبتنون المنازل الفاخرة ويجعلون عليها علاماتهم وذكرهم لتتداول الناس بذلك بعد مماتهم * وغيرهم يخلفون الاوقاف ويعمرون الكنايس ويولفون المصنفات

النفس على المناقب الحميدة * ان سبب خراب عظمة هيكل سليمان وهدم بنا اورشليم المعظمة انما هو خطايا سكانها. وانت كذا ان لم تسر حسناً بالمناقب المفضلة فسوف تسمع حكومة الله الجازمة المقولة علي لسان ابن سيراخ. ان لم تتمسك بخشية الله باجتهادٍ فبيتك يهدم سريعاً (اصحاح ٢٧) * فعلى حذو ما تشتهي السكني لجسدك في مساكن بهية جميلة. هكذا اجتهد ان تسكن الله في ضمير نقي صالح * فمن عادة الناس ان يعتنوا بحسن المسكن لابدانهم البالية الفاسدة. اما بيت ضميرهم الذى ينبغي ان يسكن الله فيهِ فلا يعتنون بهِ ولا يهمهم ذلك البتة. ومن اجل هذا لايطلق الله سبيلاً الي التمتع بما يبتنون هنا * ان بين اللعنات التي لعن الله بها الخطاة في الناموس القديم هو قولهُ تعالي انك تبني بيتاً ولا تسكن فيهِ (تثنية ٢٨). وهذا نشاهده كل يوم اذ نرى دوراً وقصوراً عظيمة البنا غير كاملة. وتبقى على حالها لموت اربابها قبل اتمام ذلك. وقد تمتع الوراث بها ولا يخطر في بالهم الذين شرعوا في ابتنايها. وقد نرى قوماً متوجهين الي عالمٍ اخر وهم يرومون الثبات والاقامة هنا ايضاً. ويعمرون مواطن لسنين عديدة ولا يهتمون بتعمير الخدور السماوية لنفوسهم. ولكن حكم عادل في الغاية ان الله لايمكنهم من التمتع بها. بل يجلب الموت عليهم قبل ان يسكنوها. ويعدمهم الملك

هذه الاباطيل المستحيلة . واما اصحاب العقول الثاقبة والاراء الصايبة . فانهم لايعدون هذا كله الاّ بمنزلة حفنة من التراب تنحل وتتلاشي وتعود الي التراب ايضاً * فالتلاميذ قبل كمال الروح فيهم مدحوا بنا الهيكل للرب . واعجبهم ذلك البناء العظيم جدًا لقولهم انه مزين بحجارة حسان كبار . اما السيد فاجابهم قايلاً سوف تاتي ايام لايُترك ههنا حجر على حجر الاّ يهدم وينقض كل هذا البنا (متي ٢٤) . امدحوا كهنة الهيكل وخدامه ولا تمدحوا حجارته . لان خطايا سكانه تكون علة لخراب بنايه * فالناس تنظر الخارج والله يبصر الباطن (ملوك ١ ص ١٦) . فالبشر بالحدس والتخمين يظنون حسبما يرون ظاهرًا مكشوفًا كتوهم التلاميذ . واما يسوع فكان فاحص قلوب اوليك الكهنة اهل الطمع والشراهة * فاذا اقتنيت لك املاكًا ودورًا فاحرص ان تكون سكانها اخيارًا . اذ اكثر الناس يشتهون ان تكون امورهم ميسرة علي احسن حال وهم رديوا الطريقة يبتغون المنازل الحسنة والملابس البهية والماكل اللذيذة والمشارب الشهية والاحذية اللايقة وما اشبه ذلك . وينفرون من الوقوف علي قدم الفضيلة والعفاف والسيرة الصالحة . ويطلبون ان يكون لديهم كل شي متيسرًا حسنًا وهم رديوا السلوك . ويفضلون الحذا علي النفس يحبون ان تكون احذية ارجلهم حسنة ولا يرغبون ان يحملوا

سكنها مدة طويلة كانت ترى كانها قبر ميت لا مسكن انسان حي * كثير من السواح رجال الله القديسين كانوا يعيشون في نقر الصخور وبطون الاشجار المنخورة . متردين بورق النخل علي ابدانهم ومسوح خشنة شعرية . عراة مصطبرين سنين كثيرة علي برد الشتا وحر الصيف . محروقين بحرارة الشمس في الوحدة والانفراد في البراري والقفار . مرافقين الوحوش والسباع والهوام يغتذون بشلوش الاشجار واوراقها ويشربون الماء بالقانون . يصرفون ليلهم ونهارهم بالسهر والدموع المتواترة والصلوات المتصلة . يتاملون في غربتهم علي الارض وبالتنهد كانوا يبتنون قصورًا في السما وهم قايلون ما قالهُ بولص الرسول . ليس لنا ههنا مدينة تبقى بل انما نطلب العتيدة (عبرانية ١٣) * من هو مزمع ان يموت سريعًا فاى بيت كان يكون كافيًا لهُ . والنقلة من المنزل الادني الي السما اسهل من أن تكون من القصر المعظم . فالاولي بك والاجمل ان تهيي لك قبرًا ولا تصرف عنايتك بعقد قصور بهية مشيدة البنا لاجل مدة يسيرة تقيم فيها هنا . اذ انه يكفيك لحدٌ ضيق لعدة سنين سوف تسكنها ماكثًا تحت الارض * وقد امر الله بني اسرايل ان يُبني هيكلهم بحجارة غير منحوتة ولا منقوشة وبهذا رذل الحجارة المجلية المصقولة ورفض بناها ذا الفخر الفارغ * ان الجهلة هم الذين يمدحون مثل هذه الابنية ويتعجبون من

ومنهم من يكون في العذاب المخلد * فاذا اصبحت حاصلاً في جهنم وخرب ما قد بنيته ودثر. فما الذى يكون من العقود التي عقدتها واصلحت تمكينها. فلاجل ذلك باطل بالحقيقة ان تطلب تذكارًا وتتوخى اشاعةً في هذا العالم * ومن غاية الجهل ان تجعل عزك وفخرك في بعض احجار عارية عن الحس * فليت الزمان الذى اصرفته ههنا بحرص واهتمام كلىّ لتبتني لك منازل جليلة فاخرة. قد كنت اصرفته في بنيان مساكن اشرف واجل في السّما العالية. لان هذه الغربة تنتقل وتتغير سريعًا. واما تلك السكني فتدوم وتبقى الي ابد الابدين * ان حيوة الانسان قصيرة. ولكون سكناك في الارض قليلاً فلا تجهد نفسك الي هذا الحد. ولا تصنع كما تصنع الصبيان مرارًا حيث يبنون لهم بيوتًا صغارًا من طين ولبن وغير ذلك * وقد يجب ان تعلم ان البارى تعالي ما خلقك واوجدك انسانًا الاّ ليسكنك ملكوته السماوى. وتعيش هناك علي الدوام وتسكنه سرمدًا مخلدًا. فلاجل ذلك اعرض عن عش النمل وارفضه الذى هو هذا العالم لاجل الخدور السّماوية والمساكن المليكيّة الشريفة الرحبة * ان الابا القديسين سكان البرارى وهم مثلنا بشريون كانت مخادعهم في الصخور علي قدر ابدانهم. وقد اقاموا بها سنين كثيرة * وقد اخبر القديس ابرونيموس عن القديس ابلاريون ان قلاّيته التي

بولص الرسول عن اباء العهد العتيق قايلاً ان ابرهيم بالايمان كان ساكناً في الارض التي وعد بها كما بسكن الغربة . ونزل في الخيم مع اسحق و يعقوب شريكي ميراث هذا الموعد بعينه . لانه كان يرجو مدينة ذات اساس الله بانيها وصانعها (عبرانية ١١) فاساساتهم كلها كانت موضوعة في تلك المدينة العظيمة اعني ملكوت السموات . وكانوا يسيرون اليها حيث كانوا عتيدين ان يسكنوا سرمداً * انه من عادة المسافر ان يصبر علي المنزل الردى الدنى في الطريق . لانه لايقيم الا زمين يسير . وانت الذى تجرى الي الموت جرياً اكثر من ذلك فكيف تتمكن وتعمر عماير فاخرة متسعة شامخة * ان العماير العظيمة لاجل عظمتها حسبت من جملة عجايب الدنيا السبع . والان فما بقى لها اثر ولا علامة . فكيف تحتال في عقلك ان تقيم لك في الدنيا ذكراً دايماً من بناء المنازل التي تبتنيها * ان الزمان الذى سوف تخرب فيه القصور الملوكية يوافي ولايبطو . والبروج العالية والقلاع الحصينة وكل ما علي الارض يسقط ولا يبقى منه حجر علي حجر . والبحر سيغطى الارض كما كان في اليومين الاولين من خلقة الدنيا . ففى ذلك الوقت ماذا يجرى فيما قد ابتنته الناس علي الارض . فتهدم وتتلاشي جميع العماير وتنقض اساسات القبور المفخمة . و يسقط ويتغير كل ما هو مبني ومعمور . والناس منهم من يكون في الراحة الدايمة

والمحالات الدنيوية ويدحضها * ابن الله الوحيد الجنس لم يكن لهُ موضع يولد فيهِ غير اسطبل حقير . ولا كان لهُ منزل يمتلكه ليعيش فيهِ . حتى يوم دفن جسده الطاهر دُفن في قبرٍ ليس له . فكيف وانت دودة الارض وغدًا تموت وتبلى تصرف عنايتك بهذا المقدار في ابتناء قصور متسعة مشيدة * خالق السموات الضابط بكفهِ المسكونة باسرها موضوع في ناحيةٍ علي الارض في مذود باكيًا . وانت تريد السكني في قصور عالية مشرفة بالمرمر وامثال ذلك * انت من سكان السما وغريب علي الارض فما هذه العماير الفاخرة المتسعة التي تفتخر بها وانت في هذا المنفى . والله يقول علي فم عاموص النبي اني اكره تكبر يعقوب وابغضت بيوته (اصحاح ٦) . وهذه لعمري شقاوة عظيمة ونفاق لايحد ان يحب الانسان ما يكرهه الله ويرذله * ان الصديقين في بدء العالم كانت حياتهم سبعماية سنة او ثمانماية واكثر . وما كان مسكنهم الا المغاير وبيوتًا شعرية . وانت في هذا العصر الذى حيوة الانسان فيهِ قصيرة جدًا بالامس جيت وغدًا تسافر . ففي شان يومين علي الارض في الغربة تخترع لك منازل وتفصل عماير عظيمة . وتوضح جهلك وطغيانك للجايزين بك . حتي الذين كانوا يخالونك عاقلًا رزينًا يشعرون الان انك خايب الراى والتمييز وليس لك تصبر لتستر اهواك الباطلة * وقد اخبرنا

قبل الزمان * اذا شيت ان تكون قاضياً حسبما يتفق فاحكم اولاً بالعقوبة علي نفسك . ولاتدعها بغير عقوبة لكونك الشقي الاول الذى تضر نفسك اوفر ضرراً * ان المضرات التي يمكن جميع الناس ان يضروك بها ويوذوك فهي قليلة جداً ويسيرة . ولا تحسب شيئاً بالقياس الي الضرر الذى توصله انت الي ذاتك . حيث تسبب لنفسك هلاكاً بالحقد والعداوات وتقتل نفسك

* بيدك *

الفصل الخامس والثلثون

* في البنايات الشامخة والقصور المشيدة *

قال الله علي لسان ارميا النبي الويل للذى يقول ابني لنفسي بيتاً واسعاً وغرفة متسعة (ارميا ٢٢) * انه اذا كانت اللعنة بارزة من فم احد الصالحين فينبغي ان يخاف منها . فكم بالحرى يلزمك الفرار من عمل الشي الذى لعنه الله * لعمرى ان هولاء لحاصلون في الباطل . اى الذين يتفخمون بالقصور العظيمة المتسعة وينفقون في هذه الاباطيل اموالاً جزيلة التقدير . ويبدرقون اوان هذه الحيوة القصيرة في المحال * انه لما بشر الملاك الرعاة بمولد ابن الله قال لهم تجدون الطفل موضوعاً في مذود (لوقا ٢) فهذا المذود الذى وضع فيه الرب يسوع يبطل هذا الغرور

بملك السما الذى لايعتريه زوال ولا فنا . فلو كنت ذا مرجلة وشهامة لما كنت تقول انك قبلت مثالب ومسبات واثر بك ذلك وغيّرك . بل كنت تقول ان عدوك قصد اذيتك واضرارك * لانه لايقدر احد ان يضرك بمكروه ان لم تقبله انت بمكروه . واذا كان الذى هجاك تحت سلطانك فيكفى ان تكون لك الاستطاعة علي الانتقام منه . فبهذا تكون كانك قد انتقمت منه . لان اجود اقسام الانتقام واجملها هو ان تقدر وتعف * ليس العفو عن الهجو والقذف والطعن وامثال ذلك من شيم القلب الجبان . بل ان ذلك حقاً من صفات القلب الشهم المترجل * وقد قال سليمان الحكيم شرف الرجل ان يرتجع عن الخصومة . والجهلة يتشبكون دايماً في الشكوى والشتيمة (امثال ٢٠) . وهذا هو الجهل الذى لاحد له . حيث انك ترى الشيطان منتصباً امامك ليقتلك وانت تحزن وتغتم من كلمة يقولها عنك اخوك * اليس هذا جنوناً وعدم تمييز ان تقيم نفسك قاضياً وتحكم بينك وبين من اسا اليك . فكيف يمكنك ان تصير قاضياً وانت الفريق المخاصم . وكيف تريد ان تدين قبل الوقت . والرسول يقول لاتدينوا قبل الوقت حتى ياتي الرب الذى يوضح خفيات الظلام ويظهر ضماير القلوب (قرنتيه ١ ص ٤) . فوقت حلول الموت تكون دينونة الله . فلا تتخذ اذاً الصناعة التي هى منتسبة لله عز وجل . ولاتدن

طالباً من الله الآ يغفرلهُ ابدا اذ انه هولم يغفرلقريبهِ . فالطريق القويم اذاً انما هو ان تغفر الاسا الذى اجترمه اليك قريبك كمثل تلك المراة الارملة التي صنعت الرحمة مع ايليا النبي . فان الله تعالي صنع معها رحمة ايضاً متزايدة حتي ان الزيت والدقيق ما انقطعا عن منزلها الي ان نزل المطر علي وجه الارض . وقد صادفت رحمة الرب لانها عملتها مع قريبها * فاذاً علي هذا المثال ينبغى لك ان ترحم من يسي اليك وتغفرله ولواسا * لانه اذا كان مرضى الجسد لايستحقون البغضة بل الرحمة والشفقة . فاحرى الآ يستحق البغضة من كان مجروح النفس . وكذلك انت لست بملزوم ان تغفر لمن يستغفر منك فقط . بل ان تحب ايضاً من يصنع معك شراً ويقصد اضطهادك واذيتك وتصفح له من كل قلبك * ان الاطفال من عادتهم متي غضبوا ان يرموا ما كان في ايديهم علي الارض ولو انه الذ قوتهم . وهكذا يوجد كثيرون متي شتموا طرحوا عنهم الصبر كالاطفال بل العقل والمحبة والتمييز وثوب البر الجزيل الثمن الذى لابد لهم للخلاص ان يحضروا في يوم الملاينة متسربلينه ومتزينين بهِ * لعمرى ان جنون مثل هولاء متزايد جداً ومتجاوز الحدود . لان البغضة التي ليست هى الآ مرارة يفضلونها علي ملكوت السموات . فيفرّطون بهذا الملك ويتخذون هذه اى البغضة ذخيرةً لهم . ولا يوثرون ان يقايضوها

الصادرة في حقهِ تعالي * فبعد ما عذب ذلك العبد الذى ابى الصفح والسماح عذابًا دهريًا قال بعد ذلك . هكذا يفعل بكم ابى الذى في السموات ان لم تغفروا ولم يقل ابوكم بل ابى . لان الذين لايغفرون ليسوا هم اولاد الله لكن اولاد ابليس المحال * فهذا العبد المذكور ولو انه بكت ووتب لكونهِ ما غفر لقريبهِ . فما طلب المسامحة كما سال من ذى قبل . وذلك لانه لجفايهِ وقساوتهِ خاب من استحقاق الرحمة والغفران . اذ المسلك الذى لابد لنا ان نجوز فيه للوصول الي الله تعالي ليغفرلنا هو الرحمة التي نفعلها مع قريبنا . ومن لايغفر لقريبهِ فقد قطع واخرب ذلك المعبر الذى سبيله ان يمر بهِ لينال الصفح والغفران . فذلك العبد المذكور لانه اخرب هذا الجسر لعدم شفقتهِ علي قريبه . فلم يكن له مسلك ليجوز فيه . ولهذا السبب وقع تحت القضيّة والحكم الالهى . لانه امسي خايبًا من استحقاق الرحمة اذ لم يغفر لاخيهِ . وايد ذلك يعقوب الرسول بقولهِ ان ديونة من لايستعمل الرحمة تكون بغير رحمة (يعقوب ٢) * فمن يستعمل الرحمة يمكنه الوصول الي الله ليسال الرحمة . ومن لاتوجد عنده رحمة فانه يلبث في الجهة الاخرى من غير نفوذ . من لايصفح عمن اسا اليهِ ففي تلاوتهِ ابانا الذى في السّماوات اذ يسال ان يغفرلهُ كما يغفر هو لمن اسا اليه . فلايكون مصليًا بل داعيًا علي نفسه مسببًا حلول اللعنة عليها

طالبًا

من كل قلبك فخلاصك ممتنع بالكليّة * لان الذى قد اسا اليك وسالك فيما بعد المسامحة فقد يمكنه الخلاص من غير ان تغفر لهُ . اما انت فلا تستطيع الخلاص بالجملة اذا لم تغفـــر له وتصفح عن ذنبهِ . ومن حيث ان التماس الغفران منك هو دواءٌ شافٍ يصلح لمنفعتك فلا تكن كثير الجفا على نفسك بعدم قبولك اياه * ان من جملة جنون العالم هو ان كثيرًا منهم يتوهم بانه اذا لم يغفر لمن اسا اليهِ فقد انتقم منه . ولكن بالحقيقة انه اذا اصر علي سوء الصنيع وابى المسامحة فهو من اهل جهنم لامحـــالة وذاك المسي عاد من المخلصين . لكونهِ قد فعل ما يجب عليهِ بالتندم علي ما صدر منه واستغفر ممن اسا اليهِ عن الظلامة التي اصطنعها . فيالهذه الاباطيل ويالهذا الخداع والغرور الذى لايقدر * اعلم ايها الانسان المغرور الممتلى غشوشًا انك متي غفرت لمن اخطا اليك فانما تغفر لنفسك وترحم ذاتك . فكن حريصًا لترحم ذاتك مشفقًا . لان ذلك العبد الذى ترك لهُ سيده الدين الكثير الذى عليهِ عاد فاشتد عليه بالمضايقة جدًا لكونهِ ابى ان يترك لقريبه الدين القليل (متي ١٨) * ارايت ايها الحبيب كيف ان الله تعالي بعد ما رحم ذاك وشفق عليه بهذا المقدار حتي انه ترك لهُ الدين الكثير . عاد فيما بعد فخنقه وضيق عليه . وذلك لتعلم ان الرب المتراف يعاقب عن الاسايا التي تصدر في حق القريب اكثر من

لايرحم الانسان شبيهه فكيف يستغفر عن خطاياه (اصحاح ٢٨)
انظر كيف وضع الله رحمته في يدك . فاذا احببت ان الله يصنع
رحمة معك فلا بد ان ترحم انت ايضاً قريبك . واذا تراءت علي
من اسا اليك فان الله لاينزع رحمته عنك * فالكتاب المقدس اذاً
يشير الينا بان نصفح عن قريبنا الذى اسا الينا لنجد المسامحة
من الله تعالي عن سياتنا * فاذا طلب منك الذى اذنب اليك
الصفح والرحمة فانما يكون قد سالك ان ترحم نفسك . ومتي
سالك الغفران فقد غفر الله لهُ في ذلك الوقت لتاسفهِ وندامتهِ علي
ما فرط منه واصحى حبيباً لله . وبعد مسالمتهِ مع الله عز وجل
تمم ما يعود لخلاصهِ وتبقى عليك ما هو ضروري لخلاصك وعدت
انت الظالم لنفسك * واعلم ان كل من تقدم اليك باتضاع وتخشع
لتغفر لهُ فانه لايطلب منك سوى ان تغفر لنفسك . فاذا غفرت لهُ
وصفحت عن اثمهِ فنفع عملك هذا انما هو عايد عليك . واذا
ابيت عن ذلك معتفياً فما تضر ذاك بشي البتة . لان الناموس
لايطلب من المذنب ان تغفر لهُ انت بل ان يستغفر منك . فمتي
سالك الغفران فقد اوفي ما عليهِ ولا يعود ملزوماً بشيء اخر .
واما ان انت غفرت لهُ ام لم تغفر فليس ذلك مطلوباً منه ولا عليهِ
شي من هذا وانما نفعه عايد عليك . فاذا غفرت لهُ فقد ربحت
الحيوة الروحية واكتسبت خلاص نفسك . وان لم تترك لهُ

من

الملك ورضاه فانما هو خاين وغدار. فالبارى عز وجل شاء ان يكون لهُ الانتقام لا لغيره. فمن اجل ذلك لا تتخذ انت لنفسك

* وتحالف المشيّة الالهيّة *

الفَصْل الرابعُ والثلثون

* في انه ينبغي لنا ان نصفح عن الاسايا والمثالب *

قال الرب في انجيلهِ المقدس اغفروا يغفر لكم (لوقا ٦) * ثم قال ان غفرتم للناس سياتهم يغفر لكم ايضاً ابوكم السّماوى خطاياكم وعلمنا ايضاً ان نقول وقت الصلوة اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن اسا الينا (متي ٦) * وايضاً قد اوضح ذلك في بشارة مرقص ابلغ ايضاحاً بقوله اذا قمتم تصلون فاغفروا لكل من لكم عليهِ لكيما يترك لكم ابوكم الذى في السموات خطاياكم. وان لم تتركوا انتم ولا ابوكم الذى في السموات يترك لكم خطاياكم (مرقص ١١) * اما في عصرنا هذا فقد يوجد قوم يرومون ان يختلقوا لنفوسهم سنناً ونواميساً تخصهم. وللغير بخلاف ذلك. فبناموس الغير يشتهون تعذيب من اسا اليهم اشد تعذيباً. واما من جهة ذواتهم فانهم يريدون ان الله يصفح عن ما اثمهم ويتجاوز عن جرايمهم التي يفعلونها كل يوم * وعن مثل هولاء يقول ابن سيراخ الانسان يحفظ الغيظ علي الانسان فكيف يطلب من الله المغفرة.

الله سبحانه ان يكون قوتها التراب الذى لعنه الله لاجل معصية الانسان * والمراة من اجل انها اكلت من الثمرة المحرمة عُذبت في ثمر بطنها اذ قال لها بالاوجاع تلدين الاولاد . ومن حيث ان الانسان بالاكل حصل تحت الخطية عاقبه الله بالاكل قايلاً له بعرق جبينك تاكل الخبز (تكوين ٣) * وقد ذكر الكتاب ان ادوني بازاق قال ان سبعين ملكاً مقطعي اطراف ايديهم وارجلهم كانوا يلتقطون الكسر من تحت مايدتي وكما فعلت كذلك الله كافاني (قضاة ١) * فانظر ياهذا كيف يوفي الله بعدله وانصافه بمكيالٍ واحد . فاذا كنت لاترحم قريبك فانك لاتجد رحمةً من الله . واذا انتقمت من قريبك فسوف ينتقم الله منك . وبازاء ما تعمل مع من اسا اليك نظير ذلك يعمل الله معك * اذا كنت حليماً راوفاً باخيك وصفحت عن ذنبهِ وسيئهِ اليك فان البارى تعالي يكون راوفاً بك ايضاً ومتحنناً عليك ويتجاوز عما اجترمت اليهِ * فليس من الامكان ان يكذب الذى قال طوبى للرحومين فانهم يرحمون (متي ٥) . وعلي مثال ما نصنع مع قريبنا يصنع الله معنا خيراً كان امر شراً * فاذا كنت قاسياً جاسياً علي اخيك فكيف توثر ان يرحمك الله ويتراف عليك . لان من كان قلبه جافياً متجبراً علي اخيهِ لايوهل للتعطف من الله عليهِ . فلذلك دع الانتقام لله وهو المجازى * من يستولي على مدينةٍ ما بغير اذن

قال فبالكيل الذى تكيلون للناس يكال لكم (لوقا ٦) * فعلى نحو ما تفعل مع الناس يفعل الله معك . ولذلك على حذو ما ترومر ان يعمل الله معك سبيلك ان تعمل انت مع اخيك * فمتي انتقمت عما اصابك من الضر والبلوى فربنا ايضاً ينتقم منك من اجل خطاياك اليهِ ولاجل عصيانك عليهِ كما يقول مار يعقوب الرسول . ان من لم يستعمل الرحمة تكن دينونته بلا رحمة (يعقوب ٢) * فاذا طلبت الانتقـام من قريبك فاعلم انك تذخر لنفسك ذخيرة غضب الله ويحل بك الانتقام الشديد . اذ انه بالكيل الذى تكيل يكال لك كما فعل الله باخاب الملك . لانه في الموضع الذى لحست الكلاب فيهِ دم نابوت الذى قتله اخاب بخلاف العدل ففي ذلك الموضع نفسهِ لحست الكلاب دم اخاب ايضاً حسبما قال لهُ ايليا النبي عن وجهِ الله (ملوك ٣ ص ٢١ و ٢٣) * واولاد يعقوب ايضاً بسبب تجنيهم علي يوسف اخيهم حلت بهم المولمات بمصر . كما اقروا معترفين بقولهم اننا بحقٍ نستاهل ان تصيبنا هذه الاشيا لاننا اسانا الى اخينا ونحن لم نستمعه اذ كان يتخشع الينا (تكوين ٤٢) * وفرعون من اجل انه غرق اولاد بني اسرايل جازاه الله علي نحو فعلهِ لما غرقه في البحر الاحمر . وبما ان الحيّة افضت بالانسان الي رق عبودية صعبة جدًّا حكم عليها ان تزحف بصدرها علي الارض . ولكونها اوردت الكذب من فمها امر

الرب فيخلصك (امثال ٢٠) * فربنا تعالى هو الذى ينقذك من الاتعاب وينجيك من الشدايد واخطار النفس والجسد ومن جهنم ايضاً وغير هذه التي توجبها انت على نفسك وتلتزم بها متي عزمت علي الانتقام عن اسايا قريبك اليك * وقد قال بولص العظيم لاتحاموا عن نفوسكم بل اعطوا مكاناً للغضب (رومية ١٢). فالرسول لم يحرّم المحاماة التي يجوز عملها لكن يحرم الانتقام. وقولهُ لاتحاموا اى لاتنتقموا. والدليل علي ذلك ما ذكر في سفر يهوديت عن بختنصر انه حلف ان يحامي عن كل القبايل اى ينتقم. فالكتاب الالهى ذكر الحماية موضع الانتقام. وقال ابن سيراخ من اراد الانتقام يجد الانتقام من الرب والله يحفظ خطاياه حفظاً (ص ٢٨) * فاذا كنت قد اسات الي الله في امور كثيرة فلم تتعجب من اساء الناس اليك . ولم يصعب عليك ذلك . لان من قد تجني على الله لايليق بهِ الغيظ والحرد علي ما تجني بهِ الغير عليهِ ولا علي اسايهم اليهِ . لاننا نحن الخطاة لما ناسي الي الله عز وجل نستحق ان يقوم العالم كله علينا غيرةً علي كرامة الله وعلو شانه * فما العلة لشكواك وانت عاصٍ علي الله . وما بالك تحب الانتقام فلاجل ذلك كف عن الشكوى عما اسا اليك الناس . اذ انت قد اسات الي الله كثيراً * فلو انه تعالى انتقم عما اسات اليه دفوعاً كثيرة لكنت الان حاصلاً في حوزة جهنم منذ زمان كثير . لانه

لاتقايس * فاذًا من حيث انه تعالي ياخذ ثارك ويعذب من اضر بك واسا اليك عذابًا شديدًا فدع لهُ الانتقام والقصاص * قال الله لي الانتقام (تثنية ٣٢) . فاذ كان الانتقام منسوبًا لله فلا تختلس لنفسك ما اخصه تعالي لذاتهِ * اعلم ان ربنا قد اخص لذاتهِ العلية ثلاثة اشيا ولم يرد ان يتخذها احد من بنيه * فالاول دينونة القريب ونيته حسب قوله تعالي لاتدينوا فما تدانوا (لوقا٦) والاب قد اعطى الدينونة كلها للابن (يوحنا٥) . والثاني المجد والاكرام كقوله تعالي لااعطي مجدى لاحد (اشعيا٤٢) . والثالث هو الانتقام . فلاجل ذلك احذر وتحرز ان تسرق مما لله شيًا من هذه الثلثة الاشيا * فان انت توخيت الانتقام من القريب والاضرار بهِ فلعمرى ما ذاك الاّ جنون وجهل . وانه لباطل من الانسان ان يبرى جرحه بجرح غيره * من يحب الانتقام واخذ الثار انما يتوخى خيره في شر غيره . ويلتمس العافية فى مرض الاخر وليس هذا الاّ كمن يطلب ماءً في النار اوعنبًا في العليق او تينًا في العوسج . واذا شيت ان الم غيرك يشفى المك فانت في غاية الجهالة * انه لجنون ان يطلب الانسان الانتقام ويضر ذاته ضررًا مقداره هكذا عظيمًا . اذ كان لايمكنه ان يضر قريبه ضررًا يسيرًا من غير ان يضر نفسه ويخرب ضميره باضعاف ذلك . وسليمان الحكيم يقول لاتقل اكافي الشر بالشر لكن انتظر

انا قوى (قرنتيه٢ص١٢) . وعلي قدر ما كان هذا الرسول المعظم ضعيف الجسد بقدر ذلك كان شهم النفس . وبعكس ذلك يكون الذين هم اقويا بالجسد فانهم اشد ضعفاً فيما يتعلق بالنفس . فلا تفتخر اذاً بهذه الاباطيل . لكن سبيلك ان تعرف ضعفك وانك خاطى ومنسوب الي كل فاقة ومغلوب من ادنى قوة من

* مصادمات الاعدا *

الفصل الثالث والثلثون

في اباطيل الذين يطلبون الانتقام واخذ الثار

* عن الاسايا *

قال الله لي الانتقام (روميه ١٢) * فاذا كان البارى تعالي قد اخص الانتقام لذاته فباطل منك ان تاخذ ثارك بيدك * لانك ان تركت الانتقام لله فانه ياخذ ثارك علي اتم الوجوه ويعاقب من اسا اليك في لظى الجحيم . حيث يكابد الهالكون عذابات مريعة الي هذا الحد حتي انه لايوجد قلب قاس يستطيع ان يتاملها ولايحزن عليهم . فانت اذاً لايمكنك من ساير الوجوه ان تنتقم ممن يسي اليك كما ينتقم الله منه في سعير جهنم * فربنا تبارك وتعالي لولا سابق علمه بشدة عقوبات جهنم المبرحة الموجعة لما كابد الاماً شديدة هكذا في هذه الغاية لينقذنا ويخلصنا من تلك المولمات التي

من الشر (ملوك ٢ ص ١٤). اى من اللعنة والبركة * فمن استطاع مقاومة الاثام فذاك عظيم القوة جدًا . والذى يقمع الجسد بسلاح القناعة فهذا فارس شديد البطش مدجج بانواع السلاح * من يمتدح بقوة بشرية ويظلم الضعفاء والمساكين فهذا سجيته ليست من شيم الشجعان بل من شيم الظلمة والغاصبين . اذ انه من عادة مثل هولاء ان يستعملوا قوتهم في الشرور وبعد هلاكهم يقول كل منهم كما قال اشعيا النبي مجانًا افنيت قوتى (ص ٤٩) * ولعمرى انك باطلًا تمتدح انت بهذه القوة . لانه مذكور في الكتاب المقدس اما الاقوياء فيعذبون عذابًا شديدًا وذووا العز ستاتي عليهم بلية قوية (حكمة ٦) * وقد ذكر هن نمرود الجبار الشديد الباس انه كان ظالمًا يغتصب الناس لانه من حيث ان بين الجسد والنفس اختلافًا متصلًا فالجسد كما قال الرسول يشتهى ما يضاد الروح والروح يشتهى ما يضاد الجسد (غلاطيه ٥) فبمقدار ما تكون قويًا بالجسد بقدر ذلك ينبغى لك التحرز لئلا تكون الروح مغلوبة من الجسد منقادة له . لان هذين الضدين بما ان كل واحد منهما مقاوم الاخر فغلبة احدهما تكون سببًا لانكسار الاخر وعلة لسقوطه * ان المعاشرة والمخالطة تعلمنا ان الذين هم اقوى بالجسد فهم اضعف بالنفس واوهن بالقوى الروحية . بل الرسول الالهى نفسه يقول متى كنت مريضًا فحينئذ

بعد موته يعود ميراثاً للحيات والدواب والديدان (ابن سيراخ ١٠) فاذاً ماذا تكون شجاعتك وسطوتك * فلا ترغبن الشجاعة والقوة الانسانيّة . ولكن سبيلك ان ترغب الصبر والفضيلة . اذ القلب الشجاع الباسل هو الذى لا يتقلقل ولا يضطرب * فكما ان الصاعقة عند نزولها تفني كل شي علي الارض وتحرقه الاّ الغار فانه لا ينضرّ من صدمة الصواعق . هكذا الرجل الصالح لا يتاذى من سعير نار المحن والبلايا * فالفضيلة الحقيقيّة هى بهية بمنزلة شجرة الغار التي لا تزال خضراءً ولا يفنيها صنف من اصناف الحوادث . وقد اشار الرسول علينا بان نتمكن من هذه المحمدة بقوله . كونوا ثابتين ولا تكونوا متزعزعين . بل كونوا متفاضلين في كل عمل صالح (قرنتيه ١ ص ١٥) * ولعمرى ان يوحنا المعمدان وحده يليق به ان يدعي بالشجاعة والقوة . لان سراءَ الدنيا وضراها ما استحوذتا عليه اصلاً ولا زعزعته اغلالها . فعند ما وجهوا اليه ليسالوه ان كان هو المسيح لم يتقلقل من تلك الكرامة التي شرفوه بها . واذ امر هيرودس بقتله لم يضطرب . ولاجل ذلك اذ مدح الرب شجاعة نفسه قال انه ليس هو كالقصبة المرضوضة الفارغة التي تحركها الريح * وهكذا كان داود الملك الصالح كما مُدح في الكتاب المقدس حيث يقال عنه . كمثل ملاك الله كذلك الملك سيدى لا يتزعزع من الخير ولا

فضيلة النفس الشهمة من شانها الصبر على الشدايد بتجلد وقوة * فكيف تدّعي بالقوة والشهامة وانت تحس بلفظة صغيرة تقال عنك . كيف تنسب ذاتك لمثل هذه المحامد ومع ذلك تتهدد من يشتمك ويسبك . اما تكون بهذا مباينًا ومنافيًا لما تدعيه . فمن احدى الجهات تنتسب للشجاعة . ومن الجهة الاخرى تراك الناس مقهورًا من مثالب خفيفة ولاقوة لك علي احتمال الامور القليلة * فالنفس القوية الشهمة تصفح عن الاسايا ولاتنزعج لحدوث احدى المصايب . بل تكون صابرة علي ضروب المحن والنوايب * فكيف وانت في هذه القوة وشدة البطش تضطرب من لاشي وتصرف نومك بادني سبب * لعمرك انك جبان ضعيف العزم اذ تحب الانتقام من غيرك . ومن اجل ذلك تستحوذ عليك الامك وتقهرك شهواتك * ان الموت سيوافيك عدًا فالي اين يبلغ جبروتك وتنتهي صولتك . قل لي كيف تكون شجيعًا وانت لاتستطيع حفظ ذاتك من دودة دنيّة دنسة * فيالهذا الغرور والطغيان المبين . حيث ان الخاطي الشقي دودة الارض هو ضعيف الى هذه الغاية وعاجز بهذا المقدار حتي انه لايقدر على التخلص من خليقة حقيرة اى من دود القبر . لانه ما عدا انه يوجد هنا حيوانات صغار جدًا تقهره وتضنيه فانه بعد انصرافه من الدنيا يكون طعامًا للدود . لانه مكتوب ان الانسان

عزه واقتداره فسلط عليه راعياً صغيراً لم ينقل سلاحاً قط فقطع راسه بسيفه نفسه (ملوك ١ ص ١٧) * ومثل ذلك اليفانا مقدم جيش اثور اذ حاصر بيت فالو بتجبر وقوة ايضاً . فذبحته امراة واخزت اهل بيت الملك بختنصر كما قالت في تسبحتها مادحة تلك النصرة الخصوصية هكذا . ما قتلته الجبابرة العالية بل يهوديت ابنة مراري اهلكته (ص ١٤ و ١٦) * وكذلك سيسارا وسنحاريب وجبابرة ارض كنعان وكل من افتخر بقوته . وقال داود النبي في ذلك لا يخلص الملك بكثرة الجنود ولا يخلص الجبار بكثرة قوته (مزمور ٣٢) ان قوة الجسد تبيد وتنحط سريعاً اذا لم تحفظها وتصونها جودة الراى السديد * فشمشون الذى كان جباراً شجاعاً فلسبب اهماله وعدم قبوله مشورة الحق حصل تحت رق اعدايه في عبودية تعيسة جداً (قضاة ١٦) * فاذاً لا يليق باحد ولا يسوغ له ان يفتخر ويمتدح بقوة الجسد . وانما الجدير به ان يرغب قوة النفس * واعلم ان الشجاعة الحقيقية هى الاتحاف الا من الاشيا الرجسة الردية . وان تصبر بسلامة القلب علي السراء والضرا . فهذا هو القوى الباسل الذى لا يفخمه الخير ولا يذله الشر * وقد قالت الحكمة الالهية ان الحكمة افضل من القوة . والرجل الحكيم افضل من القوى (حكمة ١٢) * ان قوة الجسد قد خولها الله للبهايم . واما باس النفس وشجاعتها فهو للانسان . وهذه الشجاعة التي هى

الانسان الجسمى الضعيف المفتخر بقوته قد خاتل نفسه وسقط في الغرور * ومن عادة الله تعالي ان يذل هذه الخيالات ويوهن قوة الاقويا بادني ما يكون . وهكذا جرى الامر ببطرس عظيم الرسل عند ما افتخر بقوته وشجاعته . وادّعي بانه ولوان بقيّة التلاميذ تركوا معلمهم لما تركه هو . وانه يموت معه ان دعت الضرورة (متي ٢٦) . فبين له الرب ان هذا كله باطل ومحال . وسمح بان جويرية بوابة من ادانى الناس تغلب صخرة البيعة الذى افتخر بشهامته (لوقا ٢٢) * انه تعالي ما اراد ان السباع والنمورة تغلب تمر فرعون الجبار . لكن البرغش والذباب اصغر الحشرات واحقرها . وذلك ليوضح ان قوته باطلة ذات جنون * وكذلك ابن هدد ملك ارام فيما هو مفكر في بطشه وشدة باسه جيش علي السامرة باثنين وثلاثين ملكاً بجيوش متتابعة قوية . وارسل يقول لملك اسرايل بتجبر وتعظم . هكذا فلتصنع بى الالهة وكذا تزيدني ان كان يكفي تراب سامرة قبضة قبضة لجميع الشعب الذى معى . فعاقب الله جبروت هذا الملحد واذل كثرة جيشه . وقتل منهم كثيرين يتجاوز عددهم وذلك بمايتين وثلاثين مقاتل لاغير . ثم بعد ما جمع عساكره من ثانية قتل منهم ماية الف في يوم واحد (ملوك ٣ ص ٢٠) * وجليات الجبار تقدم ايضاً بكل تجبر وتشامخ مفتخراً بشجاعته وشدة باسه . فاراد الرب الاله ان يكسر

نقايصهم ان تنظر الي ذاتك ايضاً وتصلح عيوبك * وقد كتب الرسول الي تيموتاوس قايلاً اجتهد لنفسك ولتعليمك (تيموتاوس ٤) فكما ان الاعرج متي جلس لايظهر فيهِ عيب ومتي نهض واخذ بالمشي فحينيذٍ يتبين عيبه ونقصه . فعلى هذا القياس يكون البعض من الذين يعلمون غيرهم. فانهم يظهرون انهم صلحا اخيار في حال جلوسهم لتعليم الناس . اما اذ ينهضون من هذا العمل ويعرجون في طريق الخير فتتبين اذ ذاك عيوبهم وزلاتهم * لاتطعم الناس وتموت انت جوعاً . ولكن اصنع كما صنع ايليا النبي فانه تناول الخبز لذاتهِ اولاً ثم ناول الارملة (ملوك ٣ ص ١٧) ان من شان النصيحة الاخوية ان تبتدى بنفس صاحبها واصلاح ذاتهِ بدءاً وتقويمها قبل الغير * فاذا سرت بحسب التعليم الحسن الذى تعلمه فانك تكون عظيماً في ملك السما . كقوله تعالي في انجيلهِ الشريف (متى ٥) *

الفصل الثاني والثلثون

* في اباطيل الذين يتباهون بقوتهم وشدة باسهم *

قال الله على فم اشعيا النبي انا اهلك واذل تعظم الاشدا وتجبرهم (اشعيا ١٣) * ولهذا قيل في سفر يهوديت انت يارب تذل المتوكلين علي نفوسهم والمفتخرين بقوتهم (ص ٦). * ان

وتهاونت بامتثاله وقلت شيئاً وفعلت غيره . فتعليمك يصير تعباناً متعوجاً يلدغ ويسمم ضماير السامعين * وقد ذكر الانجيل المقدس ان الرب يسوع اشبع الوفاً من الناس بخبزات يسيرة دفعتين . وفي كل مرة كان يتناول الخبز بيديه اولاً قبل تفريقه . فكذلك انت تناول اولاً بيديك تعليمك الذى هو خبز النفس وقوتها ليكون نافعاً مفيداً . واعمل بما تعلمه الاخرين . هكذا فعل الحكيم اذ توسل الى الله قايلاً ارسل حكمتك من السموات المقدسة لتكون معي وتتعب معي (حكمة ٩) . فلم يكتف بكون الحكمة معه فقط لكن بان يعمل معها * وداود النبي قبل ان يعد بان يعلم الاثمة والاشرار طرق الرب في زبوره طلب من الله قايلاً قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله . وبروح رياسي اعضدني (مزمور ٥٠) . فطلب روح الله قبل ان يعلم الناس البرّ * ان الشمس ولو اضاءت في شهر كانون الاول علي بلاد نرفيكا من الجهة الشماليّة . فانها لاتدفيهم . ومثل ذلك يوجد اقوام بهذه الصفة يعلمون ما ينبغي لهم ان يفعلوه فلا يحميهم ذلك ولا يضر مرغيرتهم فيما يليق بهم عمله . وانما يكون علمهم بما يعلمونه للغير لهذه الغاية فقط اى ليعرفوا تلك الامور لا ليعملوا بها * فلا تكن يا انسان مثل المراة التي ترى الناس قباحة وجوههم وهي لاتنظر ذاتها . لكن يجب عليك من حيث انك تظهر للناس

بل الامر الممدوح والافضل ان يدبر الانسان نفسه ويثقفها ويعلّم بحالة صالحة . وهذا هو الشرف والفضل عند الله والناس * ان البارى تعالي لما نزل علي طور سينا ليعطى الناموس لموسي التهب الجبل بدءًا بالنار . وفي اثنا ذلك ابتدا صوت البوق يقوى ويشتد جدًا (خروج ١٩) . فهكذا ينبغى لمن يعلم الناموس ان يستحر اولاً بنار الحب الالهى . ثم يعلم بشدة صوت بوق الكرز وينصح ويوبخ . فحينيذٍ يسمع صوته ويكون تعليمه بقوة وتاثير بليغ * فالمرضعة قبل أن ترضع طفلها تتناول الاغذية اولاً وتحيلها الي جوهرها ثم ترضعه . والنار من شانها احراق ما كان قريبًا اليها قبل البعيد . هكذا من يعلم الاخرين لابد لهُ قبل ذلك ان ياخذ التعليم لنفسهِ نظير المرضعة . وان توثر نار غيرة بيت الله فيهِ قبل الشعب * وقد قال سليمان الحكيم اشرب ماءً من بيرك واقسم مياهك علي الشعوب (امثال ٥) . فعلى هذا النحو اشرب انت التعليم اولاً ثم وزعه على الغير * ان موسي النبي لما كان يحمل عصاه بيديهِ فكانت تبقى علي حالها . وحين كان يطرحها على الارض فكانت تصير تعبانًا . وانت علي هذه الصورة متي وضعت يديك فيما تعلمه وتنصح بهِ غيرك فتعليمك يكون عصا قوة وعدل . ويكون لها قدرة ان تخرج الما من الصخور الصلدة وترجع الخطاة القساة الجساة . ومتي اهملت ما تعلمه من يديك

وتعمل باليد الاخرى * ان السيف لايخيف الاعدا الا مادام في يد حامله . فمن ثمه قال داود النبي عن الكارزين الفضلا ترفيع الله في حلوقهم وسيوف ذات فمين في ايادهم (مزمور ١٤٩) * وكما ان ضو القنديل لايقتات الا بالزيت . كذلك نور التعليم بالرحمة . وقد شبه الانجيل المقدس المعلم بالزارع الذى يزرع بيده . لكى يتحقق الكارز انه يجب عليه ان يعلم الشعب ويويد تعليمه بالافعال الحميدة * اما الان وفي هذا الزمان فيوجد اقوام يشبهون معلمى البنيان والنظار على العمل . الذين يامرون غيرهم به وهم لايعملون شيا وفى اخر النهار ياخذون الاجرة ازيد من غيرهم . فان كنت اذا انت معلما للاخرين فيلزمك ان تضع يدك في العمل . على انه امر قبيح وباطل ان تنطق بالفاظ حسنة شهية ولا تعمل بها . توبخ الناس علي قبايحهم وتعيبهم وانت مرتخ متكاسل في اشيا كثيرة * قد قال يعقوب الرسول من عرف خيرا ليعمله ولا يعمله فهو يخطى (يعقوب ٤) * لان من عرف اشياء كثيرة ولا يعملها فهو كمن يقوم علي المايدة ويستمرجايعا * من يبين سماجة الخطايا ولايمتنع عنها فانه يزرع زرعا جيدا بين الاشواك . حيث ان الناس يميلون بالمثالات والنموذجات الحسنة اكثر وافضل من كثرة الكلام * لعمرى انه ليس هو بعمل جليل بهذا المقدار ان يريد احدنا ان يعلم الناس فقط ويصلحهم .

فليرجمها باول حجر. فعند ذلك خزوا وخجلوا جميعهم (يوحنا ٨).
وانت متي وبخت غيرك على نقيصة وهي موجودة فيك فتعود
نظير هولاء * وقد قال بولص الرسول انا اجاهد لاكمن يجاهد
الجو ولكن اقمع جسدى واستعبده حذرًا ليلا اُرذل انا الذى بشرت
اخرين (قرنتيه ١ ص ٩) * انه من شان الجمر المطفى اذا ادنيت
منه جمرة نار ان يشتعل سريعًا . او انه بشدة الحركة يلتهب
من ذاته . لان الهوا يتلطف بالتحريك وبشدة الحركة يستحر
فيشعل الفحم المطفى . ولكن الاشعال الاول اسهل من الثاني .
لهذا قال الرسول انه ما كان يقد نارًا في قلوب الخطاة نظير
من يجاهد الجو ويقدح منه نارًا . علي انه وان كان ممكنًا ان
تبرز نار بهذا النوع . الا ان ذلك غير متيسر بالكلام فقط . فلذلك
كان ينعش الانفس الميتة بنموذجات العيشة الصالحة والسيرة
الروحية . لانه كان موعبًا من نار الشوق والمحبة . وكان يقمع
جسده ويستعبده لخدمة الروح * ان الرب يسوع قد عمل في
مدة ثلاث وثلاثين سنة * ومنها ثلاث سنوات فقط اخذ بالكرز
والانذار . وذلك ليعلمنا ان نعلم قليلاً ونعمل كثيرًا * ان الذين كانوا
يبنون اورشليم كانوا يعملون باليد الواحدة وبالاخرى كانوا
ماسكين السيف (ثاني عزرا ٤) . وقد شبه الرسول كلمة الله بسيف
ذى حدين (عبرانية ٤) . فلذلك ينبغى لك ان تعلم باليد الواحدة

وتعمل

كمثل الضفاضع التي تصرخ وهي في الطين * انظر نظرًا قويمًا انه لايليق بك ان تكون صناعتك معلم الفضايل والمناقب الحسنة ومع ذلك تكون انت (لاسمح الله بذلك) محتاجًا للتعليم مثل تلميذ * ان الالفاظ التي تبرز من الفم فقط لاتصل الى اكثر من مسامع السامعين . فاذا رمت ان يبلغ الخطاب الي القلوب فلا بد ان يكون خروجه من القلب . لانه مثل ما ان القلب لايخاطبه الاّ قلب اخر مثله . ولا يمكن ان تحرق شيًا ان لم تدن منه عودًا ملتهبًا . هكذا لاتتوقد قلوب السامعين لخطابك اذا لم يكن قلبك مشتعلاً بنار المحبة . كمثل الرسـل الذين حل عليهم الروح الكلي القداسة شبه السن نارية حين كانوا مزمعين ان يكرزوا في العالم كله (ابركسيس ٢) . كون سبيل الذين يعلمون غيرهم ان يكون نطقهم مستحرًا بمحبة الله * انه لما بعث الله اشعيا النبي لينذر شعب اسرايل لمس شفتيه بجمرة نار (اشعيا ٦) . فهكذا ينبغي ان تكون اقوال الكاروز وتعاليمه كالنار المتوقدة محرقة لعشب الخطايا وتبنها * وكما ان الكلبات التي كانت في هيكل سليمان لتنظيف المصابيح كانت من ذهب (ملوك ٣ ص ٧) . هكذا من كانت وظيفته تاديب الاخرين وازالة الاوساخ والادران بنصحه وهدايته ينبغي له ان يكون نقيًا كالذهب الابريز * وقال الرب لقوم خطاة قد عزموا علي رجم امراة خاطية . من منكم بلاخطية

باقوال العلم والفصاحة * فالسيد لهُ المجد لعن التينة لعدم ثمرتها. وقد يلعنك انت ايضاً اذا لم يوجد فيك الاّ ورق الكلام فقط وكنت من ثمرة الفعل الجيد خالياً * ان التلميذين وهما ماضيان الى عمواص ما عرفا السيد في الطريق اذ كانا يتفاوضان علي ناموس الله وهو معهما. لكن عند ما فعلا ما اوصى بهِ الناموس عرفاه في ذلك الوقت (لوقا ٢٤). اى حينما فعلا رحمةً واحساناً واضافا الغريب الذى ما كانا عرفاه منذ قبل. وهذا تعليم لنا بان الله تعالي يعضد افعال الواعظين الصالحة اكثر من اقوالهم * فتلاميذ الرب يسوع لكونهم مع العلم كانوا مستحرين بالاعمال الحميدة استرجعوا العالم كله * ان الكتابة التي امر الله ان تكتب علي مازر هرون الحبر على صدره فقد كانت التعليم والحق (خروج ٢٨). لان مشيّة الله هى ان تكون حقيقة السيرة الصالحة موافقة للتعليم المقدس * وقد ذكر الانجيل عن سابق الرب يوحنا المغبوط انه كان صوتاً (يوحنا ١). لان سيرته وطعامه وثوبه كان صوتاً كارزاً بالتوبة بجملتهِ * فليس بكافٍ لك ان تصرخ اصواتاً فقط. بل يجب ان تكون انت نفسك صوتاً عاملاً بما تقول وتلفظ كما عمل يوحنا السعيد * لاتكن بمنزلة البير التي ماوها يغسل الاواني وهى موحلة بالطين. فقد يوجد اقوام حاصلين بجملتهم في اوحال غدير نجاساتهم وهم يمدحون الفضايل بافواههم فقط

بهِ ويعبدوه حق العبادة . يغيره اقوامٌ ويحيلونه الي بطلانٍ وجنون . فتعمى بصايرهم بالعلم عوضاً عما كان سبيلهم ان يستنيروا بهِ . هكذا كانت الجبابرة قديماً عوضاً عما كان ينبغي لهم ان يعينوا الناس ويسعفوهم في حال مشقاتهم بما قد منحهم البارى تعالى من القوة وشدة الباس . فهم استعملوا ذلك لظلم الناس والجور عليهم * وهذا هو الشر العظيم الذى لا يقاس وهو ان تعصى الرب الاهك بالاشيا التي اعطاكها لتخدمه بها بالنصح والاخلاص * فاذاً ينبغي لك ان تفرّ من النفخ والتفخم ولا تزدرى بقريبك متي لا يعادلك بالعلم . فلعله يكون افضل منك . واعلم ان ملكوت الله لا يقتني بالعلوم والمعارف لكن بالاعمال الصالحة * والمناقب الحميدة *

الفصل الحادي والثلثون

في انه ينبغي للذين يعلمون غيرهم ان يقرنوا العلم * بالسيرة الصالحة *

قال الرب من يعمل ويعلم فهذا يدعي عظيماً في ملكوت السموات (متي ٥) * فقد ذكر السيد العمل اولاً بقولهِ من يعمل ثم ذكر العلم وقال ويعلم . لان الذى يعلم الفضيلة لغيره ينبغي لهُ ان يتخصص هو بعملها واستعمالها افضل مما يخطب علي الناس

الاميون الذين لاعلم لهم . فانقادوا اليهِ سريعًا طايعين وساجدين . وقد كان راس مجربي المسيح ومضطهديه العلما ومعلمي الناموس * عالم واحد ذو ضمير ردى يضر اكثر من ماية جاهل لاعلم لهم . لكون ذى العلم يصدقه الناس ويثقون بقولهِ وكلامه مسموع عند الشعب * ولمثل هولاء اعطى المسيح الويل اذ قال . الويل لكم ايها الكتبة الذين لكم مفاتيح العلم وتقفلون علي الناس ملكوت السماوات ولا انتم ايضًا تدخلون (لوقا ١١) * وقد اشار الروح القدس قديمًا الي الكنيسة المقدسة لتستعمل لها اقرطة من ذهب مرصعة بالفضة (نشيد ١) . فهذا النص ولوانه تبين بخلاف العادة حيث ان الاليق ان يكون الذهب علي الفضة لا الفضة علي الذهب . الا ان مراده تعالي بهذا ان يكون الاساس والشي المفضل هو السيرة الصالحة الذهبية . ثم يوضع العلم الفضى علي ذهب المحبة الابريز * على انه من العادة ان الشي الافضل والاشرف يوضع بدءًا . فالذهب اكرم من الفضة . والرجل الصالح اكرم من الرجل العالم . ولا يصلح العلم اذا لم يكن موسسًا علي الفضايل . ومتي لم يكن كذلك فالمتصف بهِ يشبه مجنونًا بيده سيف مجرد يقتل بهِ بغير تمييز ولنفسهِ ايضًا . اى نعم هذى هى صورة العالم المقفر من الفضايل . لانه بسلاح راى علمهِ يفسد اخرين ولذاتهِ ايضًا * ان العلم الذى رتبه الله للناس لكى يعرفوه

بضعفهِ يوهل لنيل المديح اوفر ممن يعرف حركة دوران الافلاك ودرجات الشمس ومركز الارض وهو مع ذلك جاهل المعرفة بضعف ذاتهِ * كثير من الناس يجادلون في جهة صورة سما الملكوت وصفاتها . وقليلون هم المهتمون بامتلاكها * اذكر ما قالهُ السيد لهُ المجد ان انتم عرفتم هذا فطوباكم اذا عملتموه (يوحنا ١٣) . ولعمري انه يليق بك جدًا ان تكون دارسًا هذا في ذاتك علي الدوام . اى انك عديم المعرفة بكل شي . ولا تشتهي المعرفة الا بيسوع المسيح المصلوب (قرنتية ١ ص ٢) . فاذا عرفته كفاك ولو لم تعرف شيًا غيره * من يقصد العلم ليكون عالمًا فقط فقد اضحى جاهلاً غبيًا . ومن يبتغي العلم ليكون مشهورًا عند الاخرين فانه مغرور بالمحال . ومن يتوخى ذلك ليربح المال والاكرام فانما هذه ارباح ردية فاسدة . اما من قصد العلم عمدًا لعبادة الله تعالي واصلاح القريب ونفعهِ . فهذى هي الفضيلة الكبرى * فاذا كنت اديبًا عالمًا بحق الله عليك اكثر من الجاهل وفعلت مالا يليق بك فعله . فما يكون لك عذر ولا حجة امام الله ولا يفيدك علمك شيًا . لكون العلم من دون الله لا يجدى نفعًا * فالكهنة الذين اخبروا هيرودس بمكان ميلاد المسيح كانوا اهل علم . لكنهم ما مضوا ليسجدوا لهُ ولا عرفوه (متي ٢) . لانهم لكبريائهم وجبرهم اقاموا في اورشليم خائبين من مشاهدة ابن الله . اما الرعاة السذج

النبي اغزر علماً من اهل مملكته اجمعين وذلك لان علمه كان من الله (دانيال ٢). فاطلب العلم اذاً من الله ليلا تبيد مثل اوليك الجبابرة لقلة علمهم (باروخ ٣) * فانك ولو عرفت علو السما واعماق البحر وساير العلوم الاخر ولم تعرف ذاتك فانت بمنزلة من يبني بيتاً بلا اساس . فعلى نحو ما يعد الانسان نفسه بالظاهر عالماً ويشتهي ان يدعي هكذا . على هذا النحو يكون في سريرته جاهلاً بل اكثر من ذلك ايضاً * ان من ينخدع بافتخار علومه فما قد بلغ بعد الى العلم الحقيقي . لان القلب الذى شعر بنفسه انه عالم يعسر عليه جداً ان يكون متضعاً * ان جملة العلوم الدنيوية باسرها غير مامونة لكونها لا تبقى مع صاحبها بعد مماته فاذا شيت ان تكون عالماً فتعلم علي الارض العلم الذى يدوم معك في السما * ان الانسان الذى يحتسب نفسه عالماً خلواً من العلم الحقيقي فانما هو جاهل وليس بعالم * فينبغي لك ان تعلم كيف انك لم تقدر الي الان على الوصول الي الله الذى متي وصلت اليه تعرف ساير الامور سريعاً بايسر محاولة . لانه تعالي هو الحق الذى لا يزال حقاً وبغيره كل علم يعد جهلاً لا محالة . ومن عرفه فقد بلغ الى كمال العلم وغاية المعرفة * انه لتعيس شقي من عرف ساير الامور من غير هذا الحق ومن عرف الله وحده فهو السعيد المغبوط ولو لم يعرف شيئاً سواه * الانسان العارف

والمعلم الذى يعلم الناس قد يكون على هذا النحو . اى يظن كثيرًا ويكون معروفًا اكثر من الرجل الساذج الصالح . ولكن الساذج والمسيحى الفاضل هو افضل من العالم المتجبر * فكما ان الذين يعلمون الرقص لغيرهم لايكفيهم التعليم بالقول فقط لكن بان يرقصوا معهم ايضًا . هكذا الذى يكون معلمًا الافعال الصالحة للغير سبيله ان يعمل بما يقوله * وقد استهجن الرسول قومًا كانت سيرتهم ردية وبيس السيرة مع انعكافهم على دراسة الكتب الكثيرة والبحث فيها فقال . انهم يتعلمون في كل حين ولا يدركون علم الحق اصلاً (تيموثاوس ٢ ص ٣) * ويشوع بن سيراخ يقول اذا اشتهيت الحكمة فاحفظ العدل فيعطيكها الله (ص ١) . فاذًا لكى تستمد الحكمة من لدن الله يجب ان تحفظ العدل لانه مكتوب ان الطير يسكن مع شبيهه والحق يقصد عمالهُ * فمن حيث ان العلم عطية من الله فلا يسوغ لك ان تفحص عنه بقراءة الكتب فقط من غير ان تسال الله حسبما قال يعقوب الرسول . ان كان احدكم مفتقرًا الي حكمة فليسـل الله الذى يعطى لكل احد من سعة (يعقوب ١) * قال الله لموسي النبي انظر انني قد دعوت بسلايل وقد اعطيته علمًا لعمل قبة الزمان (خروج ٣١) . فاذا كانت هذه الصنعة العملية منحة من البارى تعالي . فكم بالحرى بقية العلوم العالية الروحية * ان بختنصر ملك بابل راى دانيال

ايضاً وتسير بارشادها وهدايتها اذا كنت لا توثر متابعة المحال * وكما ان نبات القرع ولين كان في الما دايماً فلا بد لهُ من غيث السما والا فيكون نموه قليلاً . فهكذا انت ولو كنت ممتلياً من اصناف العلوم وفنون المعارف واضحيت معلماً عظيماً . فهذا كله لا يكفيك لافادتك وافادة الاخرين ان لم تاتك الحكمة من العلا ويسكبها عليك روح الله القدوس من السما فتستحر بمحبة الله وتفيد غيرك . ولهذا لما قال الرسول العلم ينفخ اردف القول بان قال ان المحبة تبني اى تمنح العلم فضلاً ونجاحاً . لانه كما ان الما اذا مزج بالصهبا كسر حدتها فلا تصعد الي الدماغ . كذلك المحبة تسكن فخامة العلم فلا تنفخه العظمة * فاذا شيت ان تقتني ثمن العلم فتلجيك الضرورة ان تذعن وتخضع للمحبة * ان الاغذية العسرة الانهضام تولد بخاراً ردياً اذا لم تكن منضجة من الحرارة الغريزية . ولا تغذى الجسد لكن تذيبه وتضعفه . وعلي هذا المثال يكون العلم الموضوع في عقل الانسان الذى يشاكل معدة النفس . اى يكون مولداً كبراً وتشامخاً ان لم ينضج بنار المحبة . حتي انه ربما يهلك صاحبه * قال الرسول الالهى انني ولو نطقت بالسنة الناس والمليكة ولا يكون لي محبة فانما انا بمنزلة النحاس الذى يطن (قرنتيه ١ ص ١٣) * فالنحاس طنينه اكثر من الذهب ويسمع صوته من بعدٍ . غير ان الذهب اغلى وافضل قيمة .

الفصل الثلثون

* في اباطيل الذين يفتخرون بعلمهم *

قال بولس الرسول العلم ينفخ والود يبني (قرنتيه ١ ص ٨) * كون العلم خلواً من خوف الله ينفخ العالم نفخاً ويصيره عثرة لكثيرين * فالعلم الحقيقي انما هو معرفة الانسان بذاته وان لا يتوهم انه بقوته واستحقاقه قد بلغ معرفة الاشيا * لعمري ان علمك ليس هو بامر عظيم باهظ لكونك غير عارف ان كنت مقبولاً عند الله ولا تعرف طريقك الي اين يوديك وينتهي بك ولا ماذا يجري عليك * من ظن بنفسه انه يعرف شيأً فهو لم يعلم بعد كيف ينبغي له ان يعلم (قرنتيه ١ ص ٨). لا تفتخر بقرائك وعلمك اذ انه ولا واحد منا يبلغ الى معرفة الشياطين وعلمهم. ومع زيادة ما وصلوا اليه واحتووا عليه ما استطاعوا الخلاص من العقوبات الجهنمية * فقل لي يا انسان ما الفايدة الحاصلة اذا كنت راسخاً في عمق معرفة الكتب المقدسة وقد تورد اقوالها في فمك وكان ضميرك رديأً غير نقي من الاكدار. فابليس لما جرب السيد علي جناح الهيكل كانت في فمه اقوال الكتب الالهية واورد منها حينيذٍ شهادات مقدسة. ولكن قلبه كان من الله بعيداً وانما كان يتكلم بها شفاهاً فقط. فانت اذاً سبيلك ان تغرسها في قلبك

علي البارى تعالي ودعايهم اياه * ان المتواضع الشفوق يكون من الكل محبوبًا . والمتشامخ المتكل علي نفسهِ يدحض عنه من يدنو اليهِ * ولكوننا لانتبصر في سقطاتنا التي ينبغي لنا ان ننصبها تجاه اعيننا على الدوام وننوح ونبكى من اجلها . فتدخل علينا العظمة من هذا الوجه ونتهاون بقريبنا . مع ان كل من احتقر قريبه وفضل نفسه عليهِ فقد اغضب الله وقد يسيه * ان العبد المفتخر بشروة سيدهِ والمستخف بالاخرين فهو غدار وفاقد المعقول . فلا تكن متكلاً علي نفسك لانك لاتعلم ما هى دالتك عند الله . اذ كنت لاتعلم ان كنت تثابر علي الخير المبتدى بهِ . ولاتدرى علي اية حالٍ تكون حين يدركك الموت * ان الانسان ولو بلغ الي كمال الفضيلة فقد يحتمل ان يسقط كما سقط ادم وداود وغيرهما كثيرون . ويحتمل ان يتلف ويهلك الي الابد ولو كان صديقًا كسقوط الملايكة العصاة اصحاب الطبيعة الروحية الخالية من الكثايف سكان السما ومثل شاول ويودس وغيرهما ايضًا * وقد قيل في سفر ايوب الصديق انه تعالي في خدامهِ لم يوتمن وفي ملايكتهِ وجد الشر (ايوب ٤) . وبولس الرسول يقول ان ظن احد انه شي اذ ليس هو شيًا فانما يضل نفسه (غلاطيه ٦) * فلاجل ذلك لاتثق بنفسك وانما سبيلك ان تعد ذاتك اوطاء * الجميع واحقرهم . ولاتحسب نفسك شيًا البتة *

ومعايب كثيرة جدًا نظير انسان خاطى وضعيف القوى . وقريبك ولوكان شريرًا فقد تصادف فيهِ اشياءً خيرية ايضًا التي تقدر تراها اذا اردت الانعطاف الي نظرها * وانك لو وضعت تجاه عينيك عيوبك ونقايصك باعيانها وحاذيت فضايل قريبك معها لكنت تعد نفسك شقيًا ومذنبًا وذاك بارًا زكيًا . لكن لكونك ناظرًا الي فضايلك ومراقبًا مناقص اخوتك فانك من هذه الجهة مستوعب جهالًا وجنونًا . واذا وثقت بذاتك وعظمت نفسك واستخفيت بقريبك فقد اضحيت جبارًا متفخمًا * ومثل هذا كان ذاك الفريسي المفتخر حيث مدح نفسه في الهيكل ووصف حسن مناقبه وذم زلات العشار ولهذا السبب خذل ورذل . وكان الاجدر لهُ ان غيره يشهر فضايله لاهو . وقال لوقا الانجيلي ان الرب ضرب هذا المثل لبعض اناسٍ متوكلين علي انفسهم كانهم صديقون ويحتقرون البقية (لوقا ١٨) * فموسي النبي قد تجلل وجهه بالبها حتي ان بني اسرايل لم يقدروا علي معاينتهِ ولم يكن هو عارفًا بحالهِ (خروج ٣٤) . فانت ياهذا غمض عينيك وغيرك يذيع عنك محامدك * وقد قال بولص الرسول ماهو الذى لك ولم تاخذه وان كنت اخذته فلماذا تفتخر كانك ما قد اخذته (قرنتية ١ ص ٤) * كثيرون من الاقويا قد سقطوا لانهم توكلوا علي ذواتهم . واما الضعفا فقد تقوى كثير منهم لاتكالهم

في نشيد الانشاد لعروسها يسوع ملتمسه منه الاغاثة الالهية . اجذبني وراك نسعى الى نسيم طيوبك (نشيد ١) . فكانها تقول لا استطيع المجي اليك الا بالسعي وراك . وليس لي طاقة علي ذلك الا باسعافك اياى . فلاجل ذلك اضرع اليك ان تجتذبني خلفك اذ كنت لا اقدر علي شي من دونك * ان دخول السفينة الى البحر سهل هين وقد تعبر من ذاتها . اما جذبها واخراجها الى الارض فذلك غير ممكن الا بمساعدة الاخرين . هكذا الحيتان تقع في الاشباك من ذاتها . لكنها لا تقدر علي الخروج من الشبكة الا بمن يخرجها * وكما ان الارض من ذاتها تنبت شوكاً وقرطباً ولا تنبت من ذاتها حنطة او شعيراً . هكذا الانسان من تلقا ذاته يعمل الشرور والمعاصى ولا يمكنه اصطناع الخير الا بالمعونة الالهية . فاذا كان الامر هكذا افما بالك تتكل علي نفسك واثقاً بها * ان البارى تعالي من القديم قد جعل الانسان في الفردوس الارضى . واذ كان حاصلاً في هذا المكان السعيد لم يمكنه حفظ نفسه بيده . فكيف لا يكون ممتنعاً عليه نوال المجد من ذاته * وقد قال الحكيم اذا خشي الحكيم جنح عن الشر والجاهل يعدو متوكلاً علي ذاته (امثال ١٤) * فهذه المحبة الذاتية انما تولدها من عدم معرفة الانسان بذاته . لكونك لو احكمت اصناف الفضايل واقتنيت جملة المحامد . فمع ذلك قد يوجد فيك مناقص

سقوطه اعظم من الاخرين (متي ٢٦) . فالبارى تعالى لكى يبيد هذا التوكل الخبيث الانساني سمح بان يسقط داود الصديق في ذنوب دنسة ردية . لانه اذ كان في حال هذا الاستيثاق قال انا قلت عند غنائي اني لا احول الي الدهر . ولذلك رفع الله يده عنه فسقط . فقال في اثنا ذلك معترفاً لله اصرفت وجهك عني فصرت جزعاً (مزمور ٢٩) . ان الله ينزع خوفه ومعونته عن هولاء المتكلين علي انفسهم . وان منع البارى تعالي اغاثته عن الانسان فانه لا ينجح في الخير ولكن يسقط في الشر متهوراً . وفي هذا المعني قيل في سفر يهوديت انك يارب تذل المتوكلين علي انفسهم والمفتخرين بقوتهم (يهوديت ٦) * انه لمن غاية الجهل والحمق ان يتكل الانسان علي ذاته . لكون ضعفنا وعجزنا عظيماً الي هذا الحد حتي ان بولص الرسول الالهي قال في ذلك اننا لسنا نقدر ان نفكر فكراً من قبل انفسنا كانه من قبل انفسنا لكن كفايتنا من الله (قرنتيه ٢ ص ٣) * فاذا كان الانسان لا يقدر ان يفكر فكراً صالحاً من تلقا ذاته مع ان ذلك من اصغر الافعال الحميدة بجملتها . فكيف يمكنه افتعال الامور العظيمة الجسيمة * لماذا نتكل علي انفسنا في الامور الكبيرة الباهظة ونحن لسنا بكفو الامور الحقيرة . وقد قال ربنا ما من احد يقدر علي الاتيان اليّ الا من اجتذبه الاب (يوحنا ٦) . فالنفس الصالحة اذ عرفت عجزها قالت

ان موجبات الروسا ولوازمهم كثيرة جدًا . ولكن عوايد الدنيا بما يخالف ما يلزمهم فعله قد علت وزادت جدًا * فاذا رمت ان تحقق خلاصك وتوكد تثبيته . فاعرض عن هذه المنامات من كل قلبك . واهجر اباطيل الكرامات التى هى كالدخان تبيد وتفني * وسوف تتركك وحدك مجردًا وتدفعك الي الدود مرافقًا *

الفصل التاسع والعشرون

* في اباطيل الذين يتوكلون علي انفسهم *

قال سليمان الحكيم من يتوكل علي قلبه فذاك جاهل (امثال ٢٨) انهم لجهلة حقًا الذين يتكلون علي ذواتهم . كون الانسان ليس بقادر ان يحيي او يصان بقوته * كل الاشيا خلقت من لاشي وقد كانت تعود الي لاشي لولا حفظ يد باريها ومبدعها . فاذًا ما بالك تثق بنفسك مع انه لولا حماية الله اياك لما كنت تنجو من مضرات الشياطين . لانه مكتوب رحمات الرب لاننا ما فنينا (مراثى ٣) * وهوشع النبي يقول ان هلاكك يا اسرايل هو منك وبى فقط معونتك (هوشع ١٣) * فانت قادر ان تقتل نفسك بارتكاب الخطايا . لكنك لاتستطيع ان تنجو منها خلوًا من معونة الله الخصوصية . فلاجل ذلك سبيلك ان لاتتكل علي ذاتك * ان بطرس هامة الرسل لكونه وثق بنفسه اكثر من الكل فصار

غيره . وفي غالب الاوقات يشتهي ما ليس لهُ وجود . وهذا جميعه يحدث من قبل اصناف الاشيا التي صار بها سقيماً * فمن احب الايقاسي الاتعاب في الامور المذكورة ولا يتشاغل بمثل هذه الهموم والبلايا . فليقصد نيّة الشفا بتطهير خطاياه جميعها . وليبذل المجهود في الاقتدا باثار يسوع المسيح في مقاساة الاهانة والالام * من يشتهي التقدم علي الارض يصادف خزياً في السما . فلذلك احرص ما استطعت ان تكون اخر الكل . كون الاعظم في الكرامة ليس هو الاعظم في البرارة والقداسة . بل انما الاعظم من فاق بدن وفضله * فاذا تمنيت التقدم والتسلط علي الغير فقد تمنيت التهور والسقوط كما اشار الي ذلك النبي بقوله نحو الله طرحتهم حين ارتفعوا (مزمور ٧٢) * من يضع محامله ويعدمها عند ارتفاعهِ الي درجات الكرامة فانه يبقى طريحاً مهاناً . فمن هذه الجهة ينبغي لك ان لا تقبل شيأً من ذلك الّا من يد الله تعالي الذى يهب لمن اصطفاه القوة والكفاية * ان الدرجات والكرامات ولين كانت تعطى من الناس . فمتي لم تكن راغباً في نيلها يَسُغ لك ان تتيقن انها واردة من لدن الله . غير انه علي اى الوجهين كانت فعدم قبولها اولي واصلح . لانك اذا قبلتها ولم تعمل كما ينبغي لك فلا تنتظر سوى عذاب جهنم . واذا فعلت بما يجب عليك من عمل الخير فانك تكابد الاتعاب الجزيلة التقدير *

بعيد جدًا عن الافكار التي يهذ بها القديسون * فابليس المحال لمعرفته ان حب الكرامة سقوط ثابت محكم للملكة والناس تحرّى به ثلاث دفوع علي زمن التلاميذ . وذلك اولاً لما خاطبوا بعضهم بعضاً من يكون الاكبر فيهم . فدعا الرب في ذلك الوقت طفلاً وبه اخمد ترفعهم (متي ١٨) . ثانياً حين اشتهى يوحنا ويعقوب الجلوس من عن يمينه تعالي وشماله فتسخطت بقية التلاميذ (متي ٢٠) . ثالثاً في العشا الاخير عند ما وقع بينهم مشاجرة من هو الاعظم (لوقا ٢٢) * فسبيلك اذاً ان تحترز من هذه الرغبة رغبة الكرامة الباطلة التي جسرت علي الرسل الذين كانوا قديسين وفقرا معوزين ذوى ملابس حقيرة يقتاتون بما تيسر من الاطعمة الدنية . ومع هذه القداسة كلها وهذه المسكنة والقناعة العظمى اشتعلت فيهم نار الشوق الي الرفعة والكرامة * فهذا الوحش الضارى يتربى في قصور الملوك ويفتقد منازل الفقرا وقد ازعج تلاميذ الرب وارعدهم . فاهرب اذاً ايها الاخ المومن من هذه الافعى النفاثة السم * وقد يتولد من اصناف الشهوات انواع الاشيا الممتلكة . واختلاف الشهوات انما يصدر من ضعف الطبيعة * ان المريض قد يشتهى اشيا كثيرة مختلفة . فتارةً يشتهى ينابيع المياه الكثيرة . وتارةً التنزه في الروضات . وتارة اصناف الماكل . ثم بعد ذلك يكره هذا كله ويشناه ويطلب

غيره

الصورة صورته فهو لم يزل في الغم والقلق وتشتمله الهموم الكثيرة. حتي ولو انه تكلم مع الكل بالرضى . واظهر البشاشة والكرامة لكل احد . وكان مرضيًا للجميع وهم مساعدونه علي ما هو عازم عليه من نيل الرفعة والتسلط. فانه مع هذا كله يكون قلبه معذبًا بغموم ومحن مولمة. وكلما راى غيره في درجة كريمة يكون كمن قد رشق بنبل في فواده * فكما ان الكلب لشدة مضغ العظام يمتص دمه الخارج من لحم اسنانه . هكذا محب الرفعة يذوب كمدًا في ذاته ويمتص دمه رغبةً لها * لعمري ان محب الكرامة يصبر علي اهوال كثيرة . لكون هذه الخلة المذمومة تشاكل المحبة وتقلدها في كل شي . ولها احوال تحاكى المحبة ولو كانت متجهة الى وجوه اخر. فالمحبة كما وصفها الرسول لاهل قرنتيه (ص ١٣) هي ذات صبرٍ نظرًا الي الامور الابدية الثابتة . هكذا حب الرفعة فانه ذو صبر ولكن نظرًا الي الامور المستحيلة الفانية. المحبة هي ذات رفق بالفقرا. هكذا محبة الرفعة هي ذات رفق وتساهل ولكن نظرًا الي المراتب والاغنيا . المحبة تحتمل كل شيٍ لاجل الحق . اما محبة الكرامة فتحتمل كثيرًا لاجل الباطل . وكلاهما يصدق الكل ويترجى كل شي * محب الرياسة شهيد المحال لكون العظمة والترفع لمن يمتلكهما هما منحز الالام والاوجاع * من يرغب في ارتفاع شانه فقد حمل علي ظهره نيرًا ثقيلاً وفكره

مسببا عما حاولوه من الرغبة الي الكرامة والتعظم * حتي ان الارض لم تطق احتمال راغب الرفعة والعظمة . ولذلك فتحت فاها وابتلعت داتان وابيروم احيا بسبب انهما قاما علي موسي طالبين التراس والتقدم . لانهم لهذا هبطوا الي جهنم بالنفس والجسد احيا (العدد ١٦) * ولعمري انه منظر محزن ان نرى الانسان مرتفعا الي درجة عالية ممتدة نحوه ابصار الناس . ثم بعد قليل تراه مطروحا الي حد ان لايطيق احد النظر اليه . فهذى هي شهوة المراتب والكرامات . وهذا هو الجزا الذى تمنحه الدنيا للذين ترقيهم الي الدرجات . فانهم يتكبدون في هذه الدنيا الاما ومشقات غير محتملة . وفي الاخرة يتقلون في السعير بلا انتها * ان البغضة والحسد وحب الرفعة وماماثلها فمن شانها ان تستجلب معها الصليب . ولكن لا صليب المسيح بل عذاب صليب العالم الشديد المراس . علي ان هذه الرذايل الثلاث تالم القلب ايلاما شديدا . وتمنع النوم والراحة . وتجعل الانسان بجملته شديد القلق والاضطراب * محب الرفعة تكون خيرات القريب اوجاعا له . والمبغض والحسود كلما ايسر القريب فهو يغتم ويحزن . ومحب الكرامة والتفخم فانه متي راى حظوظ الغير يطعن بحربة الالام ويمشي كايبا مفتكرا كيف يحصل لنفسه الكرامات والدرجات وباى وسيط يملك اربه . ومن كانت هذه

الصورة

في اثنا ذلك جرت مشاجرة بين التلاميذ من منهم الاكبر (لوقا ٢٢). علي ان التلاميذ لم يكونوا يصدقوا ان واحدًا منهم يفعل هذه الجريمة العظيمة الا الذى يطلب ان يكون الاعظم. ولعمرى ان هذا ليس ببعيد عن المعقول. اى ان الذى يطلب التراس والتسلط علي الكل يكون هو الدافع للسيد. وذلك ليعود بعد عزلهِ اى عزل السيد عن درجتهِ متسلطًا هو وحده * لانه من اجل هذا السبب عينه قتل ابيمالخ اخوته الناموسيين وقد كانوا سبعين رجلًا وكان هو ابن زناء. وذلك ليكون هو وارثًا للمنصب ويصير حاكمًا علي اسرايل (قضاه ٩) * وقد ذكر ايضًا مثل هذا في سفر الملوك الرابع ان عتليا قتلت كل سلالة الملوك لتستولي علي ملك اسرايل * ويورو بعام ايضًا قتل كل اخوتهِ والبعض من روساء اسرايل حتي يكون متسلطًا بزيادة ظلمهِ واغتصابهِ * ان كل الذين رغبوا قديمًا في العظمة والسيادة لم تكن عاقبتهم الا البوار والدثار. فابيمالخ وعتليا ماتا بالسيف. ويورو بعام بعد ما قاسى الامًا واوجاعًا شتي عظيمة نحو عامين الت بهِ الاحوال الي شقاوة هذا عظم مقدارها فمات موتًا شنيعًا * وكذلك ابيشالوم وادونيا ولدا داود الملك وسيبا خادمهما اراد كل منهم في زمانهِ ان يختطف ملك اسرايل من يد داود. الا انهم ما طالت عليهم مدة هذه الكرامة لكنهم ماتوا عاجلًا وهم غير ناجحين. وقد كان موتهم

واعمى لا يسمع ولا يفهم. فمع ذلك قد شرفه بهذا التعليم الجليل. اذ ان كل امرءٍ من بني ادم يوثر التقدم علي اخوته والتسلط علي بقية الناس. وهذا من ابطل الاباطيل ومن اعظم الشقاوات لهولاء الجهلة الراغبين ذلك * ان من اراد التحكم والسيادة في هذه الدنيا فقد ابتعد عن الحق. لان صاحب الرغبة في العظمة والكرامة ينحرف الي رضى خواطر العظما الغير اللايقة ويحترس من ان يغيظهم ويسخطهم. وذلك ليكون عندهم مقبولاً ومحبوباً ويبلغ الارب والامال. حتي ولو كان عارفاً ان الذى يريد الحاكم او الرئيس منحرف عن الصواب ومخالف العدل والانصاف فمع ذلك يوافقه حسب ايثاره * كل من كان للعظمة راغباً وللرفعة راجياً ومنتظراً فهو صغير النفس جبان. ومن حيث انه يتوخى مرضاة الاكابر فلا يجسر علي مقاومة الكذب ولا يجاوب عن الحق. كما فعل الاربعماية نبي الذين جمعهم اخاب الملك واستشارهم. فلم يشيروا عليه بالحق والعدل لكن حسبما كان يقتضيه غرضه ومراده ليكون لهم دالة عنده وليناالوا ما يعود لمنفعتهم * ولعمري ان قصور الملوك مملوة من هولاء الراغبين المراتب والدرجات. الذين لازدياد ميلهم الي العظمة يستبيحون ويبيحون اصناف الفواحش * فقد قال الرب في العشا الاخير لتلاميذه ان واحداً منهم يسلمه. واخبرنا البشير انه

بالخداع العظيم متي جعلت خلاصك في خطر جزيل التقدير هكذا . فباطل الاباطيل التماسك ان تكون شيًا في هذا المنفى . فان انت احكمت المناقب الحميدة فتكون محبوبًا من الله اكثر حبًا ومكرمًا عند الناس اوفر كرامة وقد عملت ما يجب عليك . ولين كنت تحت الطاعة فانت افضل مما تكون رييسًا متجبرًا * فان كنت لست برييس فما تكون مهابًا بل تكون محبوبًا ومكرمًا . ولعمري ان هذا خير لك وافضل * فاطرح اذًا عنك شهواتك ولا تحاول ان تجعل على ظهرك الحمل الثقيل واللوازم الرياسية * احبب التواضع مثل عبد امين ليسوع والق عن قلبك همومَ المناصب وكرامات العالم . اذ كان في ساعة الموت لا تصادف منفعةً من ذلك البتة . بل انما هذه تجعل خلاصك في اعظم المخاطر واكبر المصاعب والمعاطب *

الفصل الثامن والعشرون

في اباطيل الذين يرتاحون شوقًا الي عظمة الدنيا وسلطنتها *

قال الرب في انجيله المقدس من اراد ان يكون فيكم اكبر فليكن لكم خادمًا ومن اراد ان يكون فيكم اولًا فليكن لكم عبدًا (متي ٢٠) * فهذا التعليم قد اتى به المعلم السماوي الي الارض ولو كان العالم اصمَ

درجات اعلي واسني فتتزايد ثروانهم * ثم ان سليمان لم يعمل من الكاروبيم ازيد مما عمل موسي . اما في عصرنا هذا فان الملوك يعملون اكثر مما يعمل الله . لكون الذين يرفعهم السعد الدنيوى والتوفيق العالمي الي علو الدرجات واسني المراتب هم اكثر من الذين يرفعهم السيد المسيح * فاذا شيت ان تصيب ولا تخطى ففرّ هاربًا من الكرامات والرياسات واتخذ الطريق الثابت المويد . لانك اذا رمت ان تترأس علي قوم وتستولي عليهم فقد القيت نفسك في اعظم المخاطر واكبر المعاطب * مامن احدٍ يكون شقيًا الي هذه الغاية مثل من يطلب الرياسة مع علمهِ باللوازم المنوطة بها . فلذلك يكون الجنون العظيم هو التماس الرياسة والتسلط . لان الرييس مضطر اضطرارًا صارمًا بان يرد جوابًا عن نفوس الناس * ولعمري انه لامر مستصعب جدًا ان تجاوب عن خطايا لم تفعلها انت * ومن اراد ان يفي عمّا اكله غيره من الديون فهذا عادم المعقول لامحالة . ففي ساعة الموت كل امرءٍ يكون في شدةٍ عظمى من جهة ما يلزمه ان يجيب بهِ عن نفسهِ من غير ان يرد جوابًا عن نفوس الغير . لكون تلك الدينونة شديدةً جدًا ومرهوبة في الغاية * ففي ذلك الوقت وفي حال شدة ذلك الاضطراب ان انت خلصت نفسك خلوًا من ان تجاوب عن ضماير الاغيار فذلك ليس بامر يسير . فلاجل ذلك تكون محاطًا

بالخداع

يكونوا ذوى حشم ومهمات . ليستطيع الذين تحت ايديهم ان يحملوا اثقالهم . وليكن لهم عقول ثاقبة واراء صايبة ليحسنوا تدبير الشعب * ان كثيرين من الروسا قد بينوا باعمالهم وطرايقهم ان العالم هو الذى استدعاهم الى هذه الحظوظ الدنيوية واوصلهم اليها لا المسيح * وقد ذكر الكتاب المقدس ان موسي بامر الله صنع كاروبين في قبة الرب . وسليمان عمل اثنين ايضاً في الهيكل فكما ان الله يعمل روسا في كنيسته هكذا الملوك يعملون ايضاً . ولكن كما انه وجد فرق بين كاروبى موسي وكاروبى سليمان . هكذا يوجد فرق بين الروسا الذين يقيمهم الله والروسا الذين يقيمهم العالم . فالكاروبان اللذان صنعهما موسى كانا شاخصين الي التطهير وهو موضع الغفران الذى كان الله فيه ومنه كان سبحانه يخاطب موسي والشعب . واما كاروبا سليمان فكانا باهتين في الباب البراني من خارج . فعلى هذا المثال الروسا المختارون من الله تكون اعينهم علي الدوام محدقة اليه تعالي ويسالونه في شان انفس الذين يروسونهم * واما الذين تحيروا التوفيق الانساني ونصبوا في الدرجات والكرامات من غير استيهال . فانهم لا يراقبون التطهير ولا يشخصون نحوه اصلاً . بل انما ابصارهم متطلعة الي الباب الخارج لعدم اهتمامهم في استنقاذ النفوس بل في المدخول وتضعيف جراياتهم وعلايفهم لكى يرتقوا الى

ابولابا يعقوب الذى كان يسهر الليل وهو صابر علي حر الصيف وبرد الشتا ومكابد المشقات الكثيرة في البرية لاجل راحة اغنامه وصون حياتهم (تكوين ٣١) * وقد اخبر لوقا الانجيلى عن الرعاة الذين ظهر لهم الملاك ليلة ميلاد المخلص انهم كانوا يسهرون حراسة لمراعيهم (لوقا ٢) * فهكذا انت ايضاً ملزوم ان تتعب وتزور رعيتك وتسهر لاجل حراستها . ولا تكن شديد الصرامة عليهم ولا ذا نزاقة ولا جباراً عتياً . بل كن راوفاً حليماً مترفقاً بالطايعين شديد الصرامة على العاصين . فكما ان السحاب متي ارتقى الي الجو وكان عقيماً خالياً من الرطوبة المايية فانه يحدث منه في الجو ارياح وزوابع وفي البحر اضطراب . هكذا الروسا علي هذا القياس . فانهم متي كانوا مستوعبين من روح الاباطيل والكبريا خالين من رطوبة العبادة والديانة . فيكونون صفرين مقفرين وينشيون في الرعايا شغباً وشقاقاً ومشاجرات وامثال ذلك . ومن ثمه يدعو يهوذا الرسول مثل هولاء غماماً بلا ماء مطرودًا من الرياح * ان راس الانسان هو العضو الاعلي في الجسد . ولا يوجد فيه من اللحم الا القليل . لانه لو كان وافر اللحم لاضحى ثقيلاً كثيفاً والحواس عديمة البصيرة . فهكذا الروسا واصحاب المناصب . فلكونهم روسا الشعب ومتسلطين على البقية سبيلهم الا يثقلوا ذواتهم باوساق الاموال الدنيوية . والا

متروساً علي قومٍ ومتسلطاً . فسبيله ان يحضر بين الرعية وبحضوره يدبر الرعية حسناً . ليستطع ان يحثهم علي افتعال الخير بحصوله فيما بينهم * ان الله تعالي في البدء احضر بين يدى ادم جميع الحيوانات لكى يسميها (تكوين ٢) . فهكذا الرئيس الصالح ينبغى ان تكون له معرفة خصوصية بمن هم تحت طاعته بهذا المقدار حتي يعرف اسم كل واحدٍ منهم . فانت اذاً مضطر تحت القضا بالعذاب الابدى الي زيارة رعيتك وعيادتها وجبر ضرها وسد اودها * وقد يوجد روسا كثيرون يشبهون السجانين الذين ياكلون ويشربون من نفقة المحبوسين . ولا يفتقدونهم الا لينظروا قيودهم واغلالهم ويزيدوا شد الرباطات عليهم . ثم يذهبون الي الاسواق يتخطرون من غير شاغلٍ ولا عايق . فكثيرون من الروسا يحاكون هولاء بقبح طرايقهم . ويتنعمون ويلذون بارغد عيش حسب اهوايهم وشهواتهم من ارزاق اوليك المتروسين عليهم . واذا اتفق وحضروا عندهم وزاروهم . فما ذاك الا ليثقلوا عليهم الحرومات والتوصيات . ويجعلوا في اعناقهم اغلالاً زايدةً . ويربطوهم بقوانين واوقارٍ صعبة وهم لا يريدون ان يحركوها باصبعهم (متي ٢٣) * ولعمري انه لم يكن مثل هولاء ذلك الراعي الصالح داود النبي الذى كان يقتل الدباب والسباع لينقذ اغنامه (ملوك ١ ص ١٧) * وكذلك

الالهية فحينئذٍ كفت الضربة عنهم (ملوك ٣ ص ١٧) * فالضرورة اذاً ماسة الى حضور الروسا عند رعاياهم جداً . لان الشعب يجهل اموراً كثيرة التي يعلمها الروسا ولذلك يفتقر الي حضورهم ليلا يسقط في الضلال بدليل ماقالهُ الحكيم حيث لايكون مدبر يسقط الشعب (امثال ١١) * فموسي النبي اذ كان حاضراً مع شعبهِ الاسرايلي وقايماً بتدبيرهم وحاكماً عليهم لم ينحرفوا في ذلك الوقت الى عبادة الاوثان لوجود رييسهم عندهم . اما اذ تخلف عنهم وصعد الي الجبل فحينئذٍ سجدوا للعجل مع انه خلف عندهم هرون نايباً عنه * وقد ارسل اليشع النبي جيازى خادمه بعصاه ليضعها على ميتٍ ويقيمه فلم يقم الميت حتي جاء النبي نفسه ووضع نفسه عليهِ (ملوك ٤ ص ٤) * فلا يكفيك اذاً ان ترسل غيرك لتفتقد بهِ رعيتك بالنيابة عنك . بل ينبغي ان تجدّ انت بالسعي اليهم وتزورهم وتتعب وتشقى وترشد الى طريق الحيوة الروحية * فالقمر ولو انه اصغر من بقية النجوم فانه مع ذلك يوثر تاثيراً جزيلاً ويعمل في الاشيا السفلية اكثر مما يعمله غيره من الكواكب العظام . وذلك لالانه اشد تاثيراً منها ولا اوفر قوةً . لكن لكونهِ اقرب الينا بسيرهِ من جميعها . لكون حضوره في الفلك الاسفل والاول بالنظر الينا . ومن هذا المثال تعلم شدة فعل تاثير القريب الحاضر وقوتهِ . فلذلك كل من كان

ملزومون ان يرعوا رعاياهم بالتعليم الصادق ونموذجات العيشة الصالحة والسجايا الحميدة القدسية . فاذا سلكوا هذا السبيل الحسن فانهم يوهلون للاجر المضاعف وينالون الكرامة الوافرة كما قال الرسول . ويملكون اعظم الاكاليل في السما الي دهر الداهرين *

الفصل السابع والعشرون

* في اللوازم المنسوبة للروسا *

قال الرسول الالهي الي اهل افسس اسالكم ان تسيروا كما يحق للدعوة التي دعيتم اليها (افسس ٤) * اذا تامل احد الروسا انه متقدم وامعن النظر فيما دُعي اليه ليقوم بموجبات تعليم الفضايل بحرص واجتهاد . فسبيله علي هذا النحو ان يكون متقدماً واماماً في تحصيلها . ليحث بعيشته الصالحة ومناقبه الجيدة الذين يروسهم ويجتذبهم الي فعل ذلك وامثاله * فاذا كنت رئيساً ومتقدماً فلا يجزيك ان تكون افضل ممن هم تحت يدك وان تبدى امامهم مناقبك المفضلة وتثقفهم بسيرتك المتقومة فقط . بل ان تزورهم وتختبر حال الرعية وتكون حريصاً علي حراستها باوفر نشاط ايضاً * ان السمة في القديم اذ كانوا بلا كاهن ولا راعٍ افترستهم الاسد . فلما اتاهم كاهن الله وعلمهم الناموس والسنة

اهلكهم الله جميعهم (العدد ٣١) * هكذا غفر الله سريعاً لداود الخطية التي كان فعلها بالضعف البشرى الطبيعي كشخص مفرد . لكنه عاقبه عقاباً مبرحاً علي ما ابداه لشعبه من قبيح المثال . وهذا يتضح من قول ناثان النبي له ان الرب نقل عنك خطيتك ولكن لكونك صرت سبباً بنموذجك للتجديف علي اسم الله فالله يعاقبك شديداً على سوصنيعك ونموذجك وردى مثالك * اذ ان كثيرين جدفوا علي الله ونسبوا ذنب داود لله بقولهم انه بيس العمل عمله الله اذ عزل شاول واقام داود . فلاجل هذا النموذج الذى صار به سبباً لتجديف الشعب الضعيف . عذبه الله اشد عذاباً اكثر من خطيته اليه تعالي * وكذلك يرو بعام عوقب لاجل العجلين الذهب اللذين صنع . لانه صار سبباً للمتخلفين بعده لان يعبدوا الاصنام . ولذلك اذ يذكر الكتاب المقدس اوزار الملوك الذين تخلفوه لايزال شاكياً من يرو بعام لاختراعه هذا النموذج الردى (ملوك ٣ ص ١٦) * ان لعازر الرجل الصالح الكامل السن ولوانه قد كان قادراً علي اكل اللحم الذى قدموه له من غير ان يخالف السنة . لكنه اعتفى من ذلك واختار الموت افضل مما يعمل حسب مرسوم الملك المغتصب . وذلك هرباً من ان يقدم مثل هذه العثرة والمثال للشبان (مكابيين ٢ ص ٦) * فقد ينبغي للروسا ان يتاملوا في هذا تاملاً شافياً . حيث انهم

ان تكتتب رعية كلها بتحرير. ثم احتذى سبيله في اثنا ذلك كيرينوس ومدبروا الملك وبقية الروسا والامرا وانحرفوا الي صنيع مولاهم * فكما ان البحر الكبير منقاد للرياح فيسكن بسكونها ويضطرب باضطرابها. فعلى مثال ذلك يكون الذين تحت الطاعة فانهم يقتدون بروسايهم وملوكهم. علي ان الشعب يشبه ظل المولي فيميل مع حركته. ومثلما ان جريان الماء يكون بحسب طبيعة الينبوع الخارج منه. هكذا الشعب فانه يتبع عقل المدبر وسجاياه. فمتي تعكر المعين تعكر الماء الخارج منه ايضاً. هكذا متي كان الراس المنظور اليه مضطرباً كان الناظرون مضطربين ايضاً. ولذلك لما اضطرب هيرودس اضطربت اورشليم جميعاً معه (متي ٢) * ان المساوى التي يفعلها الشعب انما هي بمنزلة العيب في اليد او في الرجل الذى يمكن ستره واخفاوه. اما قبايح الشرفا والروسا فكمثل الوسم في الوجه. لانها تشتهر سرعةً للناظرين وبرسومها الشنعة تصدر مضرات جسيمة من تكاثر خطايا الناس الادنيا. ان الله غالباً ما يهمل زماناً طويلاً عقوبة ذنب من هو نموذج لغيره. لكنه يعاقب عنه في هذه الحيوة وذلك لاجل رد الروسا الاشرار وليكونوا عبرةً ونصيحةً لغيرهم * فبنوا اسرايل ارتكبوا المااثم والماذيانيون ايضاً. ولكن من حيث ان اهل ماذيان صاروا سبباً لخطا الاسرايليين

في الاردن وقف الما وعبروا جميعهم (يشوع ٣) . فهكذا سبيل الكهنة والروسا ان يمشوا امام كل الشعب * انه اذ قال اشعيا النبي كل راسٍ لوجع وكل قلبٍ لحزن . استثنى ذلك بان قال من اسفل القدم الى الدماغ لن يوجد لهُ صحة (اشعيا ١) . وبهذا اراد ان يوضح لنا هذا الغرض وهو متى كانت الاعضا الرييسية مريضة فلا صحة لبقية الاعضا . والروسا على هذا المثال اذا كانوا مجرمين اثمة اشقيا عاصين فالمرؤوسون يعملون ايضاً ما لا يحل لهم . اذ انه من شان الرعية ان تقتدى براعيها * ان البابليين لما راوا الامراء وارباب الدول ومقدمي الشعب ساجدين للتمثال الذهبي اقتفوا اثارهم وسجدوا لهُ واتبعوا مقدميهم في تلك المعصية مضطرين من تلقا عثراتهم (دانيال ٣) . ولعلهم ما كانوا سجدوا للصنم لولا اقتضا متابعتهم الروسا . وايضاً يروبوعام ملك اسرايل اقتاد وراه كل الشعب لعبادة الاصنام عند ما صنع عجلين من ذهب (ملوك ٣ ص ١٢) * فكما ان الصياد اذا اراد بالحيلة ان يقتنص طيوراً ويصيدها فيجعل في ذلك الموضع طيراً اعمى واطرش لتنخدر الطيور وتقع في الشرك . هكذا المحال اللعين فانه يقيم في الكنيسة ريساً شقياً اطرش واعمى عما هو متعلق في البيعة ويقتنص بهِ كثيرين قسراً ساقطين من قبل عثراتهِ * وقد امر اوغسطس قيصر ايضاً بجبروت وتشامخ

ان

كان معوجاً فيكون ظله ايضاً معوجاً . فعلى هذا النحو يكون المروسون متشبهين بروسايهم ويحتذون بنموذجاتهم * وقد ذكر عن فلتاصر الملك انه هو اول من دنس اواني الهيكل وتبعته البقية (دانيال ٥) . ومن هذا نتحقق ان الكبار يقتادون الصغار ويستميلونهم الي الفضيلة او الى الرذيلة . ولاجل هذا قيل ان خطايا الشعب هي خطايا الروسا . لانهم هم السبب لخطايا الجمهور . ولذلك اذ عصا الشعب الاسرايلي ونافق بعبادة العجل قام موسي فونب ريسهم وكاهنهم هرون قايلاً لهُ . ماذا فعل بك هذا الشعب اذ جلبت عليهم هذا الاثم والخطية العظيمة (خروج ٣٢) . فالشعب اذنب وريسهم وبخ وبكت واليهِ نسب الذنب * فكما ان الساعة ذات الدواليب اذا كانت غير مدارة فلا ينسب التقصير لها ولا لما فيها من الالات . بل لمن هو ملزوم بتركيبها وادارتها . فكذلك زلات الشعب ونقايصهم هي ذنوب الروسا وقبايحهم . الذين متي عملوا ما ينبغي ويليق بهم فيتبعهم الذين تحت طاعتهم ايضاً ويعودون صلحا اخيارا * وقد ذكر ان ايمالخ قال لقومهِ مهما فعلت انا افعلوا انتم سريعاً . فقطع اغصان الشجر وجعلها علي كتفهِ فعمل كذلك عساكره واتبعوه (قضاة ٩) * ويشوع لما جا ليعبر الاردن مع تابوت العهد اوصى الكهنة ان يجوزوا امامَ الشعب ويصنعوا معبرًا في الطريق وصار كذلك . فلما دخلوا

فانه يخرب الجميع اذ يسقط معه اجارة كثيرة . فان كنت رئيساً او مسلطاً فانظر نظراً قويماً فيما يجب عليك من العيشة الصالحة والطريقة الحميدة وفي الضرر الناتج مما تصنعه بعشراتك * ان يشوع بن نون وكالب ماجسوا فقط ارض الميعاد لكن حملوا معهم ايضاً عنقوداً كبيراً من العنب ليبينوا بالفعل والمثال ان الذى اخبروا عنه حق هو * فلا يجزى المتقدم ان يعلّم من هم تحت طاعته بالقول فقط لكن بالسيرة الحسنة ايضاً . ويلزمه ان يبين بالنموذجات حقيقة ما يقوله * اذا عزم الكبار ان يعلموا الصغار فليكن تعليمهم اياهم بالتعليم الروحى والسيرة الفاضلة . وقد كتب في نبوة حزقيال النبي ان البكرات ما كانت ترتفع اكثر من ارتفاع الحيوانات المقدسة بل تسلك بحسبها علي السوا والاستقامة . وحين كانت ترتفع الحيوانات فكانت ترتفع البكرات ايضاً وحيث ينطلق الروح فالبكرات كانت تنطلق . وكانت ارجل الحيوانات مستقيمة (حزقيال ١) . فاذاً من لازم الضرورة ان تكون الافعال مطابقة للاقوال * والروسا الذين هم روس اذا كانوا مسقومين فالجسد كله يكون سقيماً . وكذلك مذكور في حكمة ابن سيراخ على شبه الوالي تكون خدامه . ومثل مدبر المدينة هكذا تكون سكانها (ابن سيراخ ١٠) . هكذا ظل العمود يكون علي مثاله . فاذا كان العمود مستقيماً فيكون ظله ايضاً متقوماً . واذا

والطواحين وغير ذلك ويعمل مضرات شتي . فهكذا الرجل المروس تحت يد غيره فانه قليل المضرة للناس اذا زل واخطا . اما الرييس فمتي تجاوز حده وعمل ما لايجوز له فانه ينشي بسبب العثرة شرورًا وقبايح متزايدة ومضرات متفاقمة * علي ان المروسين يحتذون بنموذجات الروسا ويقتفون اثارهم الي هذا الحد . حتي ان اهل شخيم جنحوا عن مذهبهم واتبعوا اثر حمور اميرهم واختتنوا لانهم راوا رييسهم قد اختتن (تكوين ٣٤) * فانظر ما اسهل متابعة الشعب لمقدمهم حتي في حال صعب هكذا وهو تغيير المذهب والعبادة * وشاول الملك حين قتل نفسه فغلامه حامل سلاحه للوقت قتل نفسه ايضًا (ملوك ٣١) . وهذا لنعلم وتتيقن ان عثرات الرجل الكبير تقتاد وراه بقيّة الناس * وايضًا قيافا رييس الكهنة لما قضى بالموت على مبدع الحيوة جذب خلفه بقية الجموع وعلي نصه قالوا ما قالوه (يوحنا ١١) * وكذلك اذا وقع من الجبل حجرٌ صغير فانه يبقى هناك حيث وقع . لكن اذا سقطت صخرة عظيمة فانها تجر معها احجارًا كثيرة واشجارًا وغير ذلك . فعلى هذا المثال اذا سقط احد من الناس الادانى في هفوة فانه لايضر الاخرين بهذا المقدار . اما سقطة الكبير الشريف فانها تتصل بكثيرين . ونظير ذلك اذا سقط من البنيان حجر واحد فلا يضر كثيرًا . واما سقوط الحجر الماسك للبناء

الفصل السادس والعشرون

* في نموذجات الروسا ومثالاتهم *

قال الرب مخاطباً روسا البيعة هكذا فليضئ نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات (متي ٥). ان الروسا سبيلهم ان يقدموا امثلة حسنة لمن يروسونهم. كون الشعب يقتدي بالروسا والاكابر كما نشاهد ذلك عياناً. انه متي تحرك دولاب الطاحون الكبير فانه يتحرك قلب الطاحون ايضاً ثم الجر وبقية الدواليب الصغار. فعلى نحو ذلك متي تحرك الريس مايلاً الي الخير او الي الشر فعلى مثاله يتحرك المروسون. ومثلما ان الدولاب الكبير بعض الاحيان يبطل عن الحركة وتدور الصغار. هكذا يجري امر الريس في غالب الامر بينما هو في حال الونية عن واجبات دعوته وتثقيف سيرته. فالذين يروسهم لايكفون عن التذمذم عليه والارتياب به * فكثيرون من الروسا والولاة لايرتضون بذهابهم الي الجحيم وحدهم لكن بان يرافقهم كثيرون من الناس ويذهبون معهم الي جهنم مترافقين. لاجتذابهم اياهم وراءهم بسبب العثور بردى افعالهم * فكما ان مياه السواقي اذا فاضت وزادت عن حدها لاتضر الا قليلاً. واما فيضان النهر الكبير فانه يخرب الجسور والبساتين والدور

والطواحين

سبب للهرب من المناصب غير هذا المقول من الله تعالي اى ان المستولين يحاكمون اشد حكومة . فهذا فقط كان حجة برهانيّة كافية لذلك * فاعلم انه في غدٍ يوافيك الموت . والكتاب الالهى الذى لا يشوبه كذب يقول لك انك تدان دينونة صعبة جدًا . فقل لي اى شي اكثر مخافة من هذا واى مذهل اعظم تحييرًا من ذلك . اتصدق هذا انت اى ما قالهُ الروح القدس امر تتوهمه لعبًا * فاذا كنت مسيحيًا وتومن بالله تعالي فكيف ترضى بشقاوتك ان تدان بهذه الدينونة الجازمة . فيالها من شقاوة عظيمة وغباوة لا يطاق احتمالهـا . حيث ان الانسان الضعيف الخاطى يرتضى الوقوف بين يدى الله في شدة حساب عدلهِ المفزع المرهوب * فاذا كنت راغبًا في طلب الرتب وراضيًا بالتقدم علي الناس فلا بدع انك تحب هذه الامور المذكورة الناتجة عنها وتوثرها * فاطرح عن قلبك رغبات العظمة بجملتهـا وشهوات التحكم الباطـل . واتبع اثارَ يسوع المسيح الهنا ومخلصنا الذى ما جاءَ ليخدَم بل ليخدم ويعلمك التواضـع والخضوع الواجب عليك قبولهما بمحبة واشتياق . لكيما تتمتع بعد ذلك بالكرامة الحقيقيّة والراحة الدايمة في ملكوت

* السما *

*

عبادة الرب . فحينيذٍ تصيب منهجاً لتفيد الذين تحت يدك فايدة جسيمة افضل من تزخرف الالفاظ وترتيب الاقوال . فانظر اذاً ما اشد المحال واعظم البطلان ان تشتهي الرياسة والتقدم علي غيرك . اذ انه لابد ان ترد جواباً عن انفسهم . وانت ملزوم ان تكون افضل منهم . فلاجل هذا تكون ايها الانسان سخيف العقل متي حملت علي ظهرك حملاً ثقيلاً لاتطيق حمله . فلا يسوغ اذاً لك ان تطلب الرياسات والمناصب التي تخدع الناس وتغشهم . كون ارباب المناصب لا يطرق سماعهم سوى التمليقات والاكاذيب . وفي غالب الاوقات يسمعون مثل هذه الامور من الذين يذمذمون عليهم ويتذمرون منهم ويطعنون عروضهم بايراد قبح صنيعهم وسماجة سيرتهم * فاية بلية اعظم واكبر من حال انسانٍ لا يسمع الا كذباً وتمليقاً واباطيلاً . كوننا نرى ارباب الدولٍ والرياسات والامرا وغيرهم لا يزال الملاقون محيطين بهم والكذابون محتفين بهم . ويصادقونهم بما يقولونه خلاف الحق ويمدحون كل ما يفعلونه * فاذاً ينبغي لك ايها الحبيب ان تمعن النظر في هذه الامور . لكونك حاصلاً في وسط هذه المخاطر الدنيوية الشاقة . ويلزمك ان تتفرس في نوع الحساب الذي يحاسب الله به اصحاب المراتب والرياسات كقول الحكيم . ان الحكومة الجازمة تحل بالمستولين (حكمة ٦) * حتي لو لم يكن

اذا شرب دواءً مرًا قلامر المريض فانه يلجيه الي الشرب . ولعمري ان ذلك اوفي مما يامن بالكلام فقط . فهكذا الاصلح هو ان تقتاد من نروسهم بسعيك امامهم . وهو اسهل جدًا مما تامرهم بامتثال الامر وانت تلبث واقفًا * وقد قال لوقا البشير ان السيد بدا يعمل ويعلم (ابركسيس ١) * فلا تشغل فكرك بالاقوال العالية والالفاظ الشريفة وانت مرتخٍ في سيرتك . ولعمري انه شي مخالف الطبيعة ان يكون لسان الرجل اكبر من يده . وهو اصغر جسمًا من اليد وقد يسعه الفم بجملته . وهذا من تدبير الاله الصالح . لتكون اقوالك صغيرة قصيرة واعمالك جسيمة كبيرة * وقد نرى اقوامًا كثيرين من الروسا والمعلمين يصرفون عنايتهم بابلغ الاهتمام في ترتيب الالفاظ وتزخرف الكلام وتزيينه . واما حرصهم علي ان يعيشوا عيشة صالحة فذلك قليل جدًا * انه من عادة الذين يبيعون الترياق ان يجربوه في نفوسهم قبل بيعه . ولو انهم لم يفعلوا هكذا لما اشترى احد منهم شيًا . فكذلك من يعلم الفضيلة للناس سبيله ان يمتحن نفسه اولًا ويسير بالصلاح ان اراد ان يستمع الغير كلامه ويعمل به * وهكذا فعل مخلصنا . لانه قبل ما ظهر ليكرز بالتوبة للشعب صام في البرية اربعين يومًا بلياليها * فمن حيث ان عيشتك رخية بهذا المقدار فتعليمك غير مسموع ولا مقبول عند الاخرين . فينبغي ان تكون انت الاول والمتقدم في

يضع يعقوب الراعي العصا قدام الغنم فمثلها كانت الاغنام تتوحم فيتشكل لون نتاجها . وعلي هذا المنوال يجرى امر الرعايا مع رعاتها . فكيفما يرونهم سايرين يتبعونهم على مثال طريقهم خيرًا كان امر شرًا * فكل ما يفعله المرؤسون من النقايص لايتبرر الريس المتقدم عليهم من طايلته وذنبه لسبب مايُشاهد عيانًا من زلاته وقباحة سيرته * ان اعمالك ايها الانسان صالحة كانت امر ردية فهى القضبان التي تقيمها تجاه اعين المرؤسين منك الناظرين اليك . فمن ثم يسيرون بالضرورة كسيرتك ويقتدون بطريقتك * ان عمود الغمام الذى كان بنوا اسرايل يستدلون به كانوا عند مسيره يسيرون وعند وقوفه يقفون (خروج ١٣) * فنظير ذلك المتقدم اذا كان سالكًا في محجة الفضيلة والطريقة المثلى . فالمرؤسون ايضًا يسلكون فيها ويستمدون منفعةً ليست بيسيرة . ومتي وقف الريس في البطالة والجهل . فالذين تحت يده يقفون ايضًا ولا يفوتون الي قدام . فانت اذًا لكونك متقدمًا علي غيرك ونموذجًا للاخرين فينبغى لك ان تسعى سعيًا جيدًا مستويًا لكيما يقتفى اثرك الذين انت متقدم عليهم ويحتذون بسجاياك الصالحة * فكيف تامر غيرك بالمشي وانت مقصر عن ذلك . فالافعال انما تتشبه بالافعال حقًا افضل من الاقوال . لكون الانسان يتحرك الي التشبه بالاعمال اكثر من الالفاظ * فالطبيب

جبينهِ (ثاني الايام ٢٦) . اما برص موسي فكان في يديهِ وكان يقدر ان يسترهما عند وضعهما في عبهِ (خروج ٤) . فكذلك برص الملوك والروسا اعني خطاياهم فهو في الوجه ويشاهده الجميع . اما برص الرعايا والمرؤسين فانه في الايدى وقد يستطيعون ان يخفوه * فيجب اذاً على اصحاب المناصب والرياسات ان يكونوا ابرياء من البرص انقياء سايرين سيرة حميدة صالحة غير دنسة . لكون الجميع ينظرون وجوههم محدقين اليهم والسنتهم تذيع ما تبصر عيونهم * فلو اتفق ان يوجد في بيت احد الناس موازين ناقصة فلا يراها سوى اهل البيت وعلي الكثير جيرانهم . اما الموازين المنصوبة في السوق فكل الناس يرونها . وعلي هذا القياس الروسا فان قبايحهم تشاهد من الكل وتنظرها اعين الجميع . كونهم ارباب رتب ومناصب عالية موضوعين امام اعين الجميع . وليس كذلك المرؤسون * فجميع الناس ينظرون اليك باهتين . فان كنت لا تعمل ما يجب عليك فانك تصير معثرة لكثيرين * ان صاحب الرياسة السيي السيرة الشقي الطريقة فهو موهل لاصناف الميتات بقدر الاسباب التي ابداها للضعفا بعثراته وشكوكه * ان بني ايوب قد ادركهم الموت في منزل اخيهم الاكبر . هكذا المرؤسون بسبب سقطات الرييس الذى هو الاخ الكبير يهلكون هلاكاً لانهم احتذوا حذوه * فحسبما كان

اولاً لكونها منظورة من الكل . ثانياً لانه لا بد ان تكون مكفية من الميرة والعلف وبقية مايحتاج وتدعو الضرورة اليه * فكما انه ليس هو بمستغرب اذا لم يوجد في الضياع مثل مايوجد في المدن . كذلك لا عجب اذا لم يوجد في المرؤسين علم وفضل . اما الريس الذى هو كالمدينة فينبغى ان يوجد فيه حزم الراى والمحامد والقداسة والعلم بحسب الكفاية * ان بولص الرسول اذ كان يرسل يسلم على احد في رسايله فكان يقول هكذا النعمة والسلام معكم . اما في الرسالتين اللتين بعث بهما الى تيموثاوس فقال نعمة وسلام ورحمة . فزاد هنا الرحمة بارساله الي تيموثاوس لان تيموثاوس كان في درجة المطرنية التي يخصها ان تتصف بهذه الفضيلة . على ان الرحمة والشفقة التي يفعلها الرؤسا مع المساكين والمحتاجين هى فضيلة مطلوبة منهم كثيراً . فانت اذا كنت رئيساً فمن الواجب ان تكون رحوماً كاملاً افضل من جميع رعيتك . وفي ساير الاحوال سبيلك ان تمشي قدام وتكون اماماً ومقدماً بالفضايل وحسن المناقب * فاول التايبين في مدينة نينوى كان الملك الذى نهض عن كرسيه قبل الكل ولبس مسحاً . ثم تبع اثره اهل المدينة اجمعون (يونان ٣) . فمن اجل ان اعين الكل محدقة اليك فيجب عليك ان تسير بكل قداسة افضل من الكل * قال الكتاب الالهى ان برص عوزيا الملك كان في

تعالي ان تكون الروسا مستعدين بكل جهدٍ ليجيبوه في بداية صوتهِ * فعلى قدر ما تكون درجتك عالية عظيمة بمقدار ذلك يجب عليك ان تكون ذا خيرٍ وصلاح . فاذا اخذت كثيرًا فيكون عليك كثير . وان ارتكبت اثمًا فيكون ذنبك اثقل واصعب والسقوط هكذا يكون عظيمًا بمناسبة علو الدرجة وجسامتها * ان التلاميذ الاطهار جميعهم كانوا نيامًا في البستان . ولم يوبخ الرب الاّ بطرس وحدهُ . لان الخطا متي وقع من الكل بالسوية فالعاية علي كبيرهم باعظم تبكيت . لانه لايجوز النوم لمن هو ملزوم ان ينبه غيرهُ * فاذا تفطنت ذاكرًا بانك ملزوم ان تكون صاحب فضيلة اكثر من الاخرين . وانك اذا اخطات تعاقب اشد عقابًا . فما كنت ترغب في طلب التعظم والافتخار * ان كرة الهواء لن يوجد فيها غيوم وبروق ولا يبلغ اليها بخار الارض . ولهذه العلة تكون صافية ساكنة صاحية بهية . اما فيما دونها فيتولد السحاب والبروق وما شاكل ذلك . هكذا اصحاب الرياسات فبما انهم ذووا المحل الاعلي وسمو درجات الكمال . فيخصهم ان يكونوا هادين ساكنين خالين من الاغراض والاضطرابات . حتي ولو اتفق ان توجد تلك الاوصاف الذميمة المذكورة اعلاه في المرؤسين فلا سبيل لوجودها في الروسا . وبالحق الواجب قد مثلوا في الانجيل المقدس بمدينةٍ موضوعة علي راس جبل .

التكريم انما هو مكافاة الفضيلة . فاذا حسست بنفسك انك اهل لهُ وتوهمت انك صاحب فضيلة . فانت لهذه العلة غير مستحق الكرامة . واذا خطر ببالك انك في هذه المنزلة فيكفيك بهذا معرفةً انك لست كذلك . واذا ظننت انك اهل للكرامة فاعلم انك لست اهلاً لها * ان التماس التعظيم هو ام الانشقاق . وانه يعسر علي الانسان جدًا ان يكون في درجة رفيعة ولا توجد فيهِ افكار التجبر * ان الذين يبتغون ان يكونوا روسا ومتقدمين لم يعرفوا ما هي الرياسة . لان الريس يجب ان يفضل علي من تحت يدهِ من رعيتهِ كالراعي علي الاغنام * فدرجة العلم لا تعطى للمبتدئين بالدرس والتعلم ولو قيل انهم سيرتقون الي رتبة المعلمين . ولكن تعطى لمن قد احكم العلوم واتقنها . وكذلك المبتدى بالفضيلة لا يليق ان يكون صاحب رياسة . بل من قد احكم المحامد المفضلة واتقنها وقمع شهواتهِ وبجمها . لان الرياسة هي درجة اهل الكمال * وقد امر الله موسي النبي قديمًا انهُ في حال سماع صوت القرن تحضر اليهِ العظماءُ والروسا . وان طال صوت القرون متواترًا تحضر بقية الشعب (العدد ١٠) * فصاحب الرياسة ينبغي لهُ ان يحضر في ابتدا الهام الله ويكون هو الاول في عبادتهِ . علي ان البارى تعالي لا يلزم المرؤسين كما يلزم الروسا . لان درجة المرؤسين ليست هي درجة الكمال مثل اوليك الروسا . ولهذه العلة شا الله

فيهِ تعب ولا نصب . ويرتاحون شوقاً الي الامور العالية الباطلة لكي يعيشوا متعوبين كليلين * انه لكي تصعد الي فوق فيلزمك ان تكابد العناء والمشقات . وبعد الارتقا تستثمر ضرراً لذاتك بدليل ما قال سليمان الحكيم . قد يتسلط انسان احياناً علي انسان لضرره (جامعة ٨) * هكذا جاء عن ابيمالخ ان رفعته للرياسة كانت لمضرتهِ اذ انه انما قام في الحكومة قليلاً ومات موتاً شنعاً رديًا (قضاة ٩) . وهكذا جرى لابيشالوم وادونيا واتاليا وغيرهم من المردة المغتصبين * فاحذر ليلا يجري لك ما جرى لهامان كبير خواص احشورش الملك . لانه قد تعلق علي خشبة كان قد هياها لمردخاى من اجل كبريايهِ وتجبره (استير ٧) . فهذى هي اواخر الاختصاص ومناصب العالم . وهذا هو الجزا الذى تجازى بهِ الدنيا محبيها * فاحبب الحال المنخفض علي الارض حتي يعليك * الله مع مختاريهِ في السما الي دهر الداهرين *

الفصل الخمس والعشرون

* في اباطيل الذين يطلبون المناصب والرياسات *

قال الرب لاثنين من تلاميذه كانا قد طلبا التقدم علي الاخرين لستما تدريان ما تطلبان (مرقص ١٠) * فهكذا انت يا انسان لكونك لم ترد ان تعرف ذاتك فتتولد فيك محبة الرياسة وتنشو * ان

صحبة جماعة القديسين (لوقا ١٦) * ويهوذا المكابي لما قاتل غرجيا نصح عساكره وحذرهم قايلاً لاتشتهوا الغنايم بل حاربوا اعداكم وبعد هذا تاخذوا الانفال مطمانين . وان وقفتم لتاخذوها فانكم تُغلبون . ولكن ابقوها الي بعد الغلبة (مكابي ١ ص ٤) * فحيوة الانسان كما قال ايوب وقد اجاد بقولهِ هي محاربة متصلة علي الارض (ايوب ٧) . فلاجل ذلك لاتشتهِ الغنايم ولا المراتب ولا سيادة الدنيا التي انت تحاربها . لانك بعد ما اكملت الزمان بالحرب والقتال . فاذا بلغت الي ذلك فحينيذٍ تظفر باكليل الغلبة وتستغني وتصير عظيماً في السما * فاتعب الان وانصب ولاتلتمس مناصب الدنيا ورياساتها . لان من كان كبير القوم مقدماً في هذه الدنيا فانه يحتمل اثقالاً بقدر ما عنده من الخدم والحشم . فلذلك تكون خطايا هولاء الموثرين لهذه الامور والمبتغين اشباهها لاتعد ولاتحصى . ولعمري ان من يقمع شهواتهِ الردية فهو عظيم السيادة * والامر العجيب في الغاية هو انه مع ان الطلوع متعب والنزول سهل جداً . فمع ذلك الناس كلهم يهوون الترقي الي الرياسات والتحكم في المناصب الرفيعة وامثال ذلك . واما الذين يختارون النزول الي عمق التواضع والذل فهم قليلون في الغاية جداً * ومن عادة الناس انهم يحبون الراحة ويكرهون الكد والتعب . ومع ذلك فانهم يتركون الحال الدليل الوضيع الذى ليس

هو خير لك واصلح ان تعمله الان باختيارك وتفوز بملكوت السما. وتعيش خالى البال من تراكم الهموم والافكار وتواترها في هذا العالم واضطراباته * فيالاهانة عظيمة وذل جسيم لا يوصف قد احاط بهولاء الولاة وعظما هذا العالم * فكما ان الاضراس اذا كانت سالمة من الضرر فانك تغسلها من الاوساخ وتعتني بها ومتي فسدت وتسوست فانك تقلعها من فمك وترميها في المزابل. وبخلاف ذلك الرجلان فانك تكدهما بالمشي وتتعبهما اذ تكونان سالمتين صحيحتين. اما متي ضعفتا وكلتا فانك تدللهما وتجعلهما علي الفرش اللينة. فعلى هذا القياس تكون سادات هذا العالم واكابره فانهم ما داموا عايشين ههنا توقرهم الناس ويشرفونهم. حيث انهم في حال حصولهم في الدول وعلو المراتب هم بمنزلة الاسنان في الفم. ولكن اذا المّ بهم مرض او سقم ووافاهم الموت المحتوم فحينئذٍ يرميهم العالم في زبالة جهنم. اما الفقرا والمساكين فانهم مطروحون علي الارض نظير الرجلين. ملوثون بتربة المصايب. حاملون جميع المظالم والمغارم. غير انهم عند موتهم يرتفعون ويتنعمون ويكرمون. ولنا دليل علي ذلك في الانجيل المقدس حيث ذكر حال الغني ولعازر المسكين. فالاول منهما الذى كان يلبس البرفير والارجوان ويأكل كل يوم بسعة وعيش رغيد. اذ مات طرح في مزبلة جهنم. واما لعازر فاخذته الملايكة الي

فيما بعد. او تكون قد احتويت علي الذهب والفضة وجواهر الدنيا واحاطت بهم يدك وحكمت على كل مايوجد علي الارض فاخرة هذا ماذا تكون. العل هذه الاشيا المذكورة تخلصك من الموت ورعبته. او تستطيع ان تصونك من نهش الدود. وان كانت يدك قد احاطت هذه جميعها واستوليت عليها باسرها افهل تظن انك لاتدخل في محاكمة الاله الصارمة عن عيشتك. فالجميع يبقى ههنا وتدخل عريانًا في لحدٍ ضيق حقير مجردًا من كل ماقد احتويت عليهِ وملكته ومن كل ماتقدر ان تشتهيه * فيالاهتمام الناس الباطل والجنون المبين. ويالقساوة الطبيعة الادمية الردية. لان كل ماتراه بالعيون الحسية فانه عارية لابد لنا ان نتركه عند مايدركنا الموت. ومع هذا فتعمى عيوننا ونحن ساعون في طريق الجهالة بغير تفرس ولا افراز. راكضين وراء المناصب بل المنامات العالميّة * فانت ياهذا لاتعلم ان كنت اليوم تموت او يتاخر موتك الي الغد. ولو بذلت مجهودك في ان تاخر الموت لما تعوق كثيرًا. وحينيذٍ تكون عريانًا مجردًا من ساير الكرامات والاموال والمراتب والحكم والسيادة. وكل واحد ياخذ مايريد ويتوزعون هذا شيًا وذاك اخر. واما انت فلاتزال مقفرًا من كل ماتكون قد ملكته واستوليت عليهِ * لعمري ان ترك العالم الذى لابد لك عنه في ذلك الوقت وستفعله كرهًا واضطرارًا.

اخوه يواثام لكي يبكت اهل اشخيم على فعلهم هذا اورد لهم مثل الاشجار لما عولت ان تمسح ملكاً عليهن . وكيف انه اذ لم ترد شجرة الزيتون والتين والكرم ترك اثمارهن الحسنة . فاقامت الاشجار عليهن العوسج ملكاً الذى هو شجرة دنية ذات اشواك وهو ارتضى بذلك (قضاة ٩) * فالصديقون هم مثل الزيتون مثمرون في بيت الله (مزمور ٥١) . ولذلك لا يرتضون باهمال لذة الصلوة وراحة النفس ليستولوا على غيرهم ويسودوهم . واما الجاهل فانه يتطلب هذه السيادة ويفتش عليها ابلغ تفتيشاً * فالزيتون اذ لم يقبل هذه الولاية قال كيف اترك لذة دهني لاتسلط علي بقية الاشجار * فكيف اذاً يهمل محب الله مخاطبة الرب اللذيذة وراحة النفس السعيدة وينهمك محتفلاً بالمناصب الخارجة * ان الذى يهرب منه العباد الورعون ويفرون عنه مبتعدين . يقبله اهل العالم الشهوانيون العايشون في الرخاوة من تلقا اختيارهم ويرتاحون اليه راغبين . ولعدم ذوقهم بلذة الباطن يسرون بما هو خارج من المهمات * فباطل الاباطيل وبيس الفعل هو ان دودة الارض الدنية تشتهي مراتباً وسلطاناً وحكماً في هذه الحيوة الشقية القصيرة * فان كنت رئيساً كبيراً او ملكاً او ذا سلطان فماذا يكون بعد ذلك . حتي لو كنت بابا الذى هو اسني الدرجات واعلاها في الدنيا فما الذى يجرى عليك

البحر وعلي طير السما وعلي وحوش الارض (تكوين ١) . لكن من تلقا الخطية صدر التسلط والحكم والظلم في العالم . وبعد فساد الطبيعة وجدت السلطنة في الناس بعضهم علي بعض وتدبر العالم هكذا . ولكوننا قد انتهى حالنا بسبب جرايمنا الي الحال المذكورة شاء الله سبحانه ان يستولي قوم علي قوم. اذ انه به تتسلطن الملوك والاقويا ينصفون العدالة (امثال ٨) * فلا تطلبن سلطانًا ولا تقتبلنه مالم يرد من يد الله . فكما ان الانسان اذا اختطف درجة ملوكية من غير اذن الملك فانه يكون عنده خاينًا . هكذا يجري امرك انت ياهذا متي التمست مرتبةً او سيادة من غير يد الله تعالي . فانك تعود غدارًا مغتالًا . ولعمري ان المراتب والمناصب من شانها ان تجلب معها المخاطر والاهوال . وبمقدار علو المرتبة واتساعها تكون اخطارها عظيمة متفاقمة * ومن عادة الجبال الشامخة ان تنصدم بالصواعق مرارًا كثيرة اكثر من الاودية الواطية والاراضي السهلة . فعلى قدر ما تكون اكثر ارتفاعًا واسني علوًا بمقدار ذلك تحصل تحت اعظم المخاوف والمخاطر واشنع العثرات والسقطات * ان الدنيا من عادتها ان ترفع الغير المستحقين الرفعة الي المنازل والرياسات العالميّة * وهكذا فعل اهل اشخيم مع ابيمالخ بن يربوعال حين اقاموه مدبرًا وسلطانًا على ارضهم وهو كان محرمًا شقيًا . ولذلك

الفصل الرابع والعشرون

* في اباطيل سلطنة العالم *

يقول يشوع بن سيراخ لا تطلبن من الرب السلطان ولا منبرا لكرامة من الملك (اصحاح ٧) * انه ينبغي لك ان تتهاون بكافة سلطنات العالم وعظمته كعبد امين مصاف ليسوع المسيح . اذ لا تفتخر ولا تكرم الا باسم مسيحي * ان السيد الذى سبيلك ان تحتذى باثاره قد اعطاك مثالاً حسناً بيناً حين ابى ان يقبل الدرجة الملوكية لما حاول الشعب ان يقيمه ملكاً عليهم . حيث انه رذل هذا الملك والسلطان وفرّ عنه معرضاً (يوحنا ٦) . والذى باختياره احتقر الملك والسيادة هو باختياره ايضاً بذل نفسه للموت طوعاً * ان الرسول لما اشار علي العبرانيين ليتبعوا هذا المثال قال لنسعَ بالصبر في الجهاد الموضوع لنا وننظر الي يسوع المجازى عن ايماننا الذى احتمل الصليب اذ كان موضوعاً امامه السرور (عبرانية ١٢) * فهذا النموذج ينبغي لك ان تنصبه امام عينيك اذا كنت مسيحياً . فالسلطان انما هو شي منتسب لله تبارك وتعالي . فلا يسوغ اذاً للانسان ولا يجوز له ان يطلبه ويشتهيه لنفسه * ان الله لما خلق الانسان الاول ما اعطاه سلطان السيادة والحكم على الانسان . وانما سلطه علي سمك

انظر متفرساً في اخرة الاكابر والعظما * فكما ان الحقل يوجد فيه بعض السنبلات اعظم من البعض. والحاصد يوم الحصاد يجعل الجميع مطروحاً علي الارض بالسوية من غير تمييز الا علي من الادني. فعلى هذا القياس يكون حقل هذا العالم. لانه ولوكان بعض الناس اشرف من البعض بعلم او ايسار امركرامة ام منزلة او غير ذلك. فعند ما يحصدنا الموت ويقرض اعمارنا فاننا نصير كلنا على نمط واحد * اذا فتحت القبور وتاملت هناك فلعمري انك لاتقدر ان تميز الغني من الفقير ولا من كان كبيراً من الصغير. ولا تجد فرقاً بين المالك والمملوك ولا تعرف من كان منهم ملكاً او سلطاناً او نبيلاً او ذا كرامة. ولا من كان مطروداً ومهاناً * وقد قال يوحنا في الابوكاليبسي. ان ملكاً قد خرج من الهيكل صارخاً بصوت عظيم للجالس علي السحابة ارسل منجلك واحصد لانه قد اتت ساعة الحصاد لان حصاد الارض قد يبس (رو يا ١٤) * فمن المحقق انه غداً يوافينا منجل الموت ونصير علي الارض جميعنا بالسوية * فاذا افضت بك العظمة العالمية والفخر والتجبر الى شقاوة متساوية. والت بك الى حالة هذا عظم شناعتها. فباطل هو مقصودك ان تكون كبيراً في هذه الدنيا * عد نفسك انك لست شيئاً بتواضع. وارض بالحال التي اقامك الله فيها. لكي تستحق بعد هذه الحيوة المنخفضة الرفعة الي المنبر العالي الى الابد *

ان اكثر العلما مرتابون في خلاصه (ملوك ٣ ص ١١) . فهذه الاوصاف الذميمة تتولد في قلب الانسان من الرفعة وحب الاباطيل العالمية والدرجات العالية * فلا تلتفتن الى هذه الخسايس الدنية التي يسميها العالم بالكذب عظمة وارتفاع شان . لانه مكتوب ان الاقوياء يعذبون عذابا شديدا (حكمة ٦) * ان الاشجار المغروسة في الاماكن المرتفعة تنقلع من الرياح سريعا . فمن اجل ذلك لا تطلبن الرياسات والمراتب السامية اذ قد يوجد فيها مخاطر كثيرة تحيط بالانسان . فالحيتان الكبار تبقى ممسوكة في شباك الصيادين . اما الصغار فانها تخرج من عيون الشبكة وتنجو * وبختنصر الملك اذ سبي اورشليم لم ياخذ معه سوى روسايها وعظمايها موثوقين . اما العوام والاصاغر فابقاهم في ارضهم ومدينتهم امنين (ارميا ٥٢) * فلا تلتمس ان تكون عظيما ومتقدما فتمسك في شباك المحال باسهل مرام * لا تشتهي ارتفاع المنزلة لئلا تحمل بخزي الى بابل الجهنمية * انظر مستقيما الى ما صار اليه اهل المناصب واصحاب العظمة والرياسات . وحينئذ ترتضي بان تكون صغيرا * لا تستخص عن المنازل العالية ذات البهتان . لان الاشيا جميعها تجوز وتعبر * لن توجد درجة انسانية الا ويوشك ان تطرح وترذل من الناس ولو كانت جليلة القدر جدا * ان احوال المايتين وافعالهم لابد ان تبيد وتفني .

حملاً صغيراً فكيف يمكنك الكبير الثقيل . واذا كان الشغل القليل يصدك عن الصلوة وغيرها من الواجبات والمناقب الروحيّة * فكيف تقدر علي صرف عنايتك في متابعة البارى تعالي وانت منهمك في مهمات كثيرة * من لم يطق احتمال الامور القليلة فلا شك في انه يعجز عن مصابرة الاشيا الكثيرة * ومن لم يكن عبداً نصوحاً فما يصير مولي صالحاً . فكن لله عبداً طايعاً واحبب نقاوة الضمير وسلم نفسك لهُ تعالي . فاذا حتم الله بان تكون عظيماً في الدرجة فانه يرفعك من غير ان تهتم بشي لانه تعالي غير مفتقر الي اعتنايك واتعابك * لاتكلفن نفسك خيالات المجد الفارغ بل كن متضعاً خاضعاً بين يدى الله كمثل شاول الذى لما تواضع امام الرب كان صالحاً متقياً . اما بعد ما رُفعت منزلته وصار ملك اسرايل فدلاخله الجبروت والتعظم فاضحى في غاية الشقاوة (ملوك ١ و داود النبي ايضاً لما كان فقيراً مطروداً كان حبيباً لله وقد خاطبه تعالي دفعات كثيرة . اما بعد ما ارتفع وصار ملكاً عظيماً ذا قدرةٍ وباسٍ شديد اساء الي الله جداً . مع انه كان قد عبده تعالي منذ قبلٍ عبادةً صادقة حين كان في حال الذل والتواضع (ملوك ٢ ص ١١) . وسليمان ابنه الذى فضله الله وعظمه علي الارض بالعلم والغني فغير هذا الايسار والرفعة عقله الي هذا الحد حتي انه عبد الاصنام وارتكب جرايم جمة الي حد

نوال ارتقايها كان قد احتوى عليها اقوام غيرك لم تعرف اسماهم ولا الدنيا تعرفهم الان . فكانهم لم يكونوا ولم يكن لهم وجود . وقد تحولت اجسادهم الي تراب ورماد * فلا تنظر الى الزمن الحاضر لكن الي ما يتلوه . ولا تعتني بالاكرام الذى تقدمه الدنيا الان وتحضره بين يديك . بل سبيلك ان تتفطن بما سيجرى عليك * امعن النظر فيما يصير بعد هذه الحيوة القصيرة فتعيش راضيًا بالحال التي اخصك الله بها * احترس ليلا يغشك العالم ويخاتلك ويوهمك ابليس الطاغوت بانك بالدرجة العالية تعبد الله احسن مما تعبده وانت في الحال الدنيي التي انت قايم فيها الان * وقد يوجد كثيرون من الجهلة يكرسهم عدو الخير ويقنعهم بان يصدقوا هذه الاباطيل الكاذبة المذكورة . وبعلة الصلاح يشتهون الغني والمناصب . حيث يخيل لهم فعل الصدقات والمراحم وغير ذلك . وهذا كله خداع مستوعب من الشرور * انه من شان المراتب العالية والسبح الباطل ان يعميا اعين اهل الدنيا . لان الروسا وارباب الدول هيهات ان يكونوا متفرغين لذواتهم * حيث ان امورًا كثيرة ومهمات شتي منوطة بهم * فاذا كنت خالي البال مسلطًا علي ذاتك ومع ذلك لا تقدر علي اكمال ما انت ملتزم به فكيف يمكنك اكمال امور كبيرة عظيمة وانت حاصل في مهمات هذا عظم مقدارها . واذا كنت لا تستطيع

يتسلطون علي الوحوش التي علي الارض . الذين يلعبون بطيور السما . الذين يخزنون الفضة والذهب . الذى يتوكل عليه الناس وليس انتها لاكتسابهم . فقد فنوا وانحدروا الي الجحيم وقام اخرون في مكانهم (باروخ ٣) * فكثيرون قد احتووا على درجات عالية ورياسات عظيمة . الا انه بعد الحصول عليها بغاية الاكرام والتبجيل جازت تلك الاباطيل كالدخان والان فليس يخطر ذكرهم في بال احد . قد افناهم الموت وغيرهم يتمتع بمناصبهم ولا احد يعتني بمن قد فات منهم وفني * فما بالك تكابد الانصاب وتمارس المشقات لتكون حاكماً وسيداً ذا قوة وبطش شديد * لماذا ترغب في ان تكون كبيراً في هذه الدنيا . الا تعلم ان المرتبة التي تشتهيها قد كان ارتقى اليها غيرك قبلك . افهل تذكرهم الدنيا الان . اما ترى الي اية صيرورة الت احوالهم . فكمثل ما قد جرى عليهم سيجرى الامر عليك ايضاً بلا شك ولا ترديد . اذ الدنيا لا تغير مالوف عادتها القديمة * فانظر نظراً سوياً كيف ارتفعوا وكيف سقطوا . وعلي قدر ما كان ارتفاعهم مفخماً مكرماً فباضعاف ذلك صار سقوطهم وضيعاً حقيراً . والذين كانوا يستخفون بهم اولاً ويحتقرونهم فهم الان يدفنونهم بالتراب ويحتقرونهم ويمشون على قبورهم * لقد يليق بك ان تذكر ان هذه المرتبة التي ترتاح اليها وترغب

بالنجاة لا لكونهِ لم يعتذر فقط . بل لانه اعترف بذنبهِ مقرًا خاضعًا بقوله انه بعدلٍ وانصاف عُذب (لوقا ٢٣) . والعشار ايضًا لم يتفوه بعذر ولا تباهى بما عمل من الشرور لكنه اقر مشتكيًا علي ذاتهِ . ولحسن صنيعه استحق ان ينال الرحمة والصفح والمسامحة (لوقا ١٨) * انه لاسهل علي الطبيب اذا اقر لهُ المريض بسقمهِ والمحل والسبب ليصف لهُ دواءً مناسبًا . وانت علي هذا المثال فلا تخف خطاياك ولا تسترها بل قر واعترف بها . وكن خاضعًا تحت يد الله القوية العزيزة حتي يرفعك يوم الشدة والافتقاد (بطرس ١ ص ٥) . وبعد تفوز بالنعيم الابدى الذى لا يزول الي دهر الداهرين *

الفصل الثالث والعشرون

في اباطيل الذين يطلبون ان يكونوا عظما واشرافًا في هذه الدنيا *

يقول بولص الرسول لا تستكبرن في نفسك بل خف (رومية ١١) * فلا ترغب الدرجة العالية بل خف الصعود اليها * اذا احببت ان تكون عظيمًا في السما فكن صغيرًا علي الارض . اذ قد عرفنا كثيرين من العظما والاكابر الذين ليس لهم ذكر الان * فباروخ النبي اذ كان مفكرًا بهذا قال اين هم رؤساء الامم . والذين

اخفى خطيته وجحد ذنبه قدام النبي وقال ما برحت من ههنا . فاهل لان يبتلى ببرص نعمان وخرج من عند النبي هكذا مضروبًا بالبرص (ملوك ٤ ص ٥) * فمن يتعلل بعلل باطلة لذنبه السابق فقد زاد اثمًا علي اثمٍ * ومن يبسط الاعتذار عن ذنبه فانه يسد ميازيب رحمة البارى سبحانه ويكون غير مستحق للمسامحة . وفي هذا قال داود النبي لايبتلعني القعر ولا تطبق البير عليّ فاها (مزمور ٦٨) * ان الخاطى وقت ارتكابه القبايح الكثيرة يكون قد سقط في عمق النفاق . ومن هذا العمق كان يصرخ داود النبي قايلاً . من الاعماق صرخت اليك يارب (مزمور ١٢٩) * فالخاطى الغير المقر بذنبه تطبق البير عليه فاها * واما الخاطى الذى يعترف بزلاته ولا ينسج لها اعتذارًا فهذا لاتطبق البير عليه فاها . ومن يتعلل بقلة افراز فلا يمكنه الخروج من هذه البير لان فاها يكون مطبوقًا في ذلك الوقت . ولذلك يستمر فاقد الخلاص دايمًا * فمن يعتذر لجريرته التي فعلها فقد سد باب الخلاص . فان كنت تعتذر عن سياتك فكيف ينجيك الله منها . فان رمت ان يكون الله معضدك وموازرك فاصرخ اليه باتضاع وخشوع . اذ لاسبيل لك للخلاص من دون الله . وهو تعالي لايظافر الا من كان في ذاته متواضعًا * ان السبب لتعللك بخطاياك واعتذارك عنها انما هو جهلك لذاتك خلافًا للص الذى صلب مع المخلص . فانه قد فاز

يعاقبه . ومن ثمه قال النبي اعترفت للرب باثمي ولم اكتم خطيتي (مزمور ٣١) * فان انت حاميت عن جريرتك وسوء فعلك فكيف تريد ان الله يغفر لك ذلك . فينبغي لك ان تكون انت المشتكى حتي يكون تعالي هو الغافر * انه من غاية الجنون ان اعتذر الانسان عن عدوه . ومن هو العدو الاكبر الا الخطية * ما من احد يستطيع ان يضر غيره بدون هذا العدو لا الشيطان ولا سواه * فحيث ليس خطية لن يحدث ضرر من احدى المصايب . فان انت تعللت واعتذرت عن الخطيّة فقد اضحيت محاميًا عن عدوك الاكبر. فلاجل ذلك لايليق بك ان تحامي عمن يجب طرده وابعاده * ان عمق الخطايا يستدعي عمق غور النعمة . ومن يبسط اعتذارًا لذنبه فلايريد ان تستدعي خطيته رحمة الله الغير المتناهية * فمن عادة الفقرا متي ارادوا ان تصدقهم الناس فانهم يبينون فقرهم للذين يسالون منهم احسانًا . ويرونهم القروح التي في ابدانهم. فانت علي هذا المثال اكشف قروحك لله ولاتخفينها * ان الاقرار بخطاياك نفسها بالتواضع انما هو تنقية لكل المااثم الموجودة في القلب المنكسر قدام الرب . وقد قال ايوب الصديق ان كنت سترت مثل الناس خطاياى وان كنت اضمرت في الخفا احوابى (ايوب ٣١) * اما جيازى خادم اليشع فلم يفعل هكذا . لكنه بعد ما اخذ الهبات من نعمان السريانى

الحكيم . الصديق اولاً يشتكى علي ذاته (امثال ١٨) * ان يعقوب بن اسحاق كان اجرد بلا شعر . فغطى المواضع المكشوفة في عنقه ويديه بجلود الجدى وشبه بعيسو (تكوين ٢٧) . وهكذا الرجل الصديق فانه ولين كان بريًا من الذنب فيحسب نفسه مثل الخاطى * وايضًا يهوذا بن يعقوب مع بقية اخوته اقروا بخضوع واعترفوا قدام يوسف بالسرقة التي نسبت لبنيامين مع انهم كانوا ابريا . ولذلك استحقوا ان يعرفوا يوسف وينالوا من يده الخيرات والانعام الوافرة (تكوين ٤٤) * ان الذى هو برى من الخطية وقد اتى من السما ليحمل خطايا العالم شاء ان يتطهر ويظهر كانه خاطٍ وان يحسب بهذه المنزلة . فكيف وانت مملو من الاوزار توثر التبرر وتعتذر لسيانك بالفاظٍ باطلة . وتروم ان تحسب في اعين الناس خيرًا صالحًا * فان انت اعتذرت عن خطاياك فقد شجبت ذاتك لامحالة . كون الشكوى علي الخطايا مع الاتضاع والاقرار بالندامة والحسرات يوهل للصفح والغفران . واما التعلل بالكبريا والاعجاب فانه يوهل للهلاك الابدى * وقد قال داود النبي . قلت اعترف للرب بذنبي وانت صفحت عن خطيتي (مزمور ٣١) . فكل ما يحرص الانسان علي اخفايه وكتمه فان الله يعلنه ويشهره . والذى يكشفه الانسان فان الله يكتمه ويستره . وما قد اعترف به الانسان فان الله يغفره له . واما ما يتعلل به ويعتذر عنه فان الله

نواياهم. لان ادم حين بكته الله اعتذر لخطيئهِ وقال ان المراة التي جعلت معي هي ناولتني من الثمرة فاكلت (تكوين ٣). فبقولهِ المراة التي جعلت معي نسب الذنب الي الله الذى جعلها لهُ. وحوى ايضاً نسبت الذنب للحيّة بقولها ان الحيّة اطغتها * فلو لم يعتذر ادم عن اثمهِ لما طرد من الفردوس. لكنه باحتجاجهِ وتعللهِ ضاعف ذنبه. وعلي هذا قال النبي لاتمل قلبي الي كلام الشر ولا يتعلل بعلل الخطايا (مزمور ١٤٠) * اعلم انك متي نسبت ذنب الخطية لغير هواك ومرادك. فقد هيجت غضب الله للسخط. كون الارادة وحدها تصدر الخطية * دع عنك هذا التعلل. اذ كل من يعمل الخطيّة لاعذر لهُ. لانه غير ممكن ان يرتكب الواحد خطية من دون ارادتهِ وهواه. لكون الخطية اختيارية ومتي صدرت بغير اختيار فليست هي بخطية. ولا الارادة تكون ارادة مالم تكن مطلقة معتوقة. فاذاً علي من يكون ذنب الخطيّة الاّ عليك انت الذى ارتكبتها باختيارك. لانه حيث يكون الذنب فلا يكون عذر. اذ كان من الممتنع ان تكون المشيّة مجبورةً بشيءٍ او مقهورةً اصلاً * فان كنت قد اخطات لانك اتبعت هواك فاى سبب تجد للاعتذار * فلا تحذف الذنب علي الطبيعة ولا علي الشيطان ولا علي غيرهما لكن علي ذاتك. لانك متي فعلت مالا يجوز لك فقد القيت الذنب علي نفسك حسبما قال سليمان

باستحقاق ثوابك . لكن فليكن اتكالك علي الله الذى لا يخفى عنه شي . وقدم ماتفعله بين يديه * كن ذا همة وحرص فيما هو باطن ولا يهمك امتداح الغير * وقد ذكر عن عيسو بن اسحاق انه كان ماواه البرارى والقفار . اما يعقوب اخوه الصالح فكان يسكن الخباء (تكوين ٢٥) . وداود النبي يقول كل مجد ابنة الملك من داخل (مزمور ٤٤) . وقال الرسول بولص في هذا الشان ان مجده ومدحته في شهادة الضمير الصالح (قرنتيه ٢ ص ١) * ان الاخيار يحرصون بكل جهدهم ان يكون داخل ضميرهم نقيًا جيدًا حسب قول النبي ليصر قلبي بلا معاب في مباركك ليلا اخزى (مزمور ١١٨) * ففى ساعة الموت تجد الزمان الذى بدرقته في مرضاة الناس . وان انت استعملته في مرضاة المسيح فتصادف * منفعةً جليلة وذخيرةً كبيرة قد حصلت لك *

الفصل الثاني والعشرون

* في الذين يتعللون لخطاياهم *

قال بولص الرسول لاتتعللوا لنفوسكم (رومية ١٢) * فمن جهة انك تحب ارضا الناس تبرر نفسك امامهم وتعتل بامور كثيرة معتذرًا وانت مذنب بها * ان الاعتذار والتعلل للشر هما وراثة عن والدينا الاولين اللذين اورثا ذلك لكثيرين من نسلهما لخبث

وذلك اشارة الى البر والمحبة . فالاثنان كانا منبسطين متقومين . وبالاثنين الاخرين كان يستتر كل منهم . وذلك ليعلمونا ان نكتم الخير الذى نصنعه . ونفر هربًا من السمع الباطل ولا نقصد ارضاء الناس * ولعمرى انه كما ان الصدف والبادلان البحرى يزيد وينقص بحسب ازدياد القمر ونقصانه * هكذا تكون حالة الذين يطلبون مرضاة الناس . فتارةً يتفخمون بامتداحهم ويترفعون . وتارة يتناقصون وينخفضون وذلك متي استهين بهم * ولم يعتبروا حسبما يرغبون فلست تحصل راحةً اذا عطفت سمعك نحو الفاظ الملاقين الذين يمدحونك مجانًا ويهجنونك بلا سبب * ان الناس الصلحا الاخيار يصرفون اهتمامهم في الله وحده ولا يخضعون لاباطيل هذه الدنيا . ففوض امورك الي الرب وهو يسوس احوالك كقول النبى . كمثل عيني الامة الى يدى سيدتها كذلك اعيننا الي الرب الاهنا (مزمور ١٢٢) * ان الامة تجعل عينيها نحو يدى مولاتها فقط . من حيث انها هى التي تعطيها اجرة اتعابها . وانت ياهذا ينبغى لك ان تصرف عنايتك في الله وحده لانه هو الذى يجزيك نظير اعمالك * لعمرى لوكان عندك درة كريمة جزيلة الثمن لما ارتضيت ان يثمنها راعٍ او من يجهل قيمة الجوهر والاحجار الكريمة . لكن التاجر الماهر الخبير بقيمتها . فهكذا لا تطلب ان تثمن الناس افعالك . لانهم جاهلون

المقدس اذا كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرًا (متي ٦) . وهذه النيّة يجب ان تكون في الله لافي الناس . لان المهتم في ان يرضى الناس فقد اضاع الخير الذى عمله * لايتلف الجوخ العث كما يتلف الخير المجد الباطل * فكما كان ابرهيم يكش الدباب عن الذبيحة التي قدمها لله . علي حدو ذلك ينبغى لك ان تدحض عن الخير الذى تقدمه لله كل رغبة عالمية وكل اشتياق الى ارضاء الناس * ولعمرى انه لمن الموجبات ان يكون المسيح وحده علة الخير الذى تصنعه انت وغايته . كقوله تعالي للنفس المسيحيّة ضعيني على قلبكِ كختم (نشيد ٨) * فليكن لك المسيح دليلاً ومرشدًا لترتشد به في كافة افعالك وافكارك . وكما ان صوت لارغن الموسيقى لايخرج الا بمنافخ الهوا . فعلى نحو ذلك يوجد كثيرون مالم يمدحوا من الناس وتنسم عليهم ريح المجيد الفارغ لايتعاطون شيئًا من افعال الصلاح * ومثل ذلك يجرى للنوتية ان لم يكن الهوا موافقًا لمسيرهم . لانهم لايبرحون ولايخرجون من المينا الا اذا كان النو ملايمًا لمسيرهم ومرادهم . وكذلك كثيرون لايعملون اليسير من الصلاح مالم يتوقعوا نسمات الاباطيل ليمدحوا كما يشاؤن * ان الاربع الحيوانات التي راها حزقيال النبي فكان لكل واحد اربعة اجنحة . فجناحان كانا منتشرين الي فوق . وجناحان كان يستر كل واحد بهما جسده

يغمك . لكن تعجب كيف لم تكن ممقوتاً من الجميع . فان قيل عنك قولاً رديًا فلا يشملنك الغيظ والاكتياب . لانه اذ كان الذى قيل حقاً فليس بعجبٍ ان جسر الناس وقالوا ما قد جسرت انت وفعلته . وان كانوا قد تكلموا بخلاف الواقع فلا يضرك ذلك . فلا يهمك اذا قالوا انك اسود وانت ابيض . لانهم ولو تكلموا فيك مهما تكلموا فلست تكون بخلاف ما انت فيهِ * ان مكافاة الناس ومجازاتهم دنيّة لاقيمة لها . وتفني سريعاً وتزول . واما عند البارى تعالي فلا يضيع شي لا في الزمان ولا في الدوامر * انظر الى قباحة ضميرك ابلغ من مراقبة زعم الناس وظنونهم . كون الاشيا جميعها توجد قدام الله خالصة صحيحة لا كما تبان قدام الناس . لانه مكتوب ان الانسان يبصر الظاهر والله مطلع علي القلوب (ملوك ١ ص١٦) . وهو تعالي يميز الامور التي لا تقدر انت علي ادراكها ولا يحيطها علمك ولا تباشرها . فاخضع قلبك تحت دينونة الله الشديدة واجتهد لكى ترضيه وحده * وقد قال الرسول اطلبوا لما فوق لا لما في الارض (كولوصايص ٣) . وهذا قد علمناه المخلص في مجرى معجزاتهِ التي كان يفعلها اذ كان يرفع ناظره نحو السما . والانجيليون لم يكتبوا هذا ولم يدونوه الاّ بسببٍ مفيد . اشارةً لنا ان تكون نيتنا وحرصنا علي رضوان الله ربنا السماوى * فالعين يشار بها الي النيّة حسب قولهِ تعالي في الانجيل

حيث ان الارضا انما يليق لله وحده ومنه تستمد المعونة والتوفيق .
وان تبين لك ما صنعته حسناً فاعطِ الشكر لله الذى اسعفك
واغاثك . ولا تتفخم بل تيقن ان البارى سبحانه هو الفاعل ذلك
علي يديك لعلة استحقاق غيرك . ولهذه الحال يجب عليك في كل
ما تصنع من الصلاح الآ تعد صنيعك انت نفسك * واذا مدحتك
الناس او ثلبوك فالزم الصمت والسكوت ولا تلتفت الي اقاويلهم *
لعمرى اننا نحن في حالة واحدة نرضى قوماً ونغيظ اخرين .
ولكونك ليس بيدك ان ترضى احداً بغير خاطره واختياره لعدم
مقدرتك ان تنيله الاختيار . فتعبك وعناك في غالب الاوقات
يذهب باطلاً * اذا هممت ان ترضى قوماً وتوهمت بعد كثرة التعب
والمشقة انهم راضون عنك . ففى ذلك الوقت بعينه تراهم غير
راضين . فعند ذلك تستفيق وترى انك قد اضعت اتعابك وانصابك
فلاجل هذا خير لك واثبت ان ترضى الله وحده ولا تكن سبب عثرة
وشك لقريبك * فاذا رايت البعض قد احبك بالرضى والاستيناس
فانسب ذلك الي فضيلتهم لا الي فضيلتك انت . واحتسب انهم لو
عرفوا حالتك لما بذلوا لك الحب والمودة . وان رايت الامر بخلاف
ذلك فعد لذنبك وسوء فعلك * كلما استهان الناس بك انظر الى
ذاتك . فحينئذٍ تتحقق انك مستحق الاهانة باوفر زيادة . واذا
وجدت في بعض الاحيان مهاناً محقوراً فلا يحزنك ذلك ولا

انك صفر من الخير مقفر * ان معرفة الانسان بعجزه وتقصيره هي غاية الكمال . فمن هذه الجهة اعرف ذاتك واتخذ لك التواضع قنية ولا تمدح نفسك . لانه قد اتضح وظهر ان المدحة الذاتية امر شنع مبغوض من الله تعالي ومن كافة الناس *

الفصل الحادي والعشرون

* في اباطيل الذين يتوخون مرضاة الناس *

قال بولص الرسول . لو كنت ارضى الناس لما كنت عبدًا للمسيح (غلاطية ١) * ان عبد يسوع المسيح المحق ينبغي ان يكون حرصه كله واهتمامه في ارضا الله وحده الذى معه فقط يكون الحساب الاخير * فينبغي لك اذًا ان تتعلم الا تتقلقل ولا تتزعزع من جهة ظنون الناس . ولا تفرح بتكريمهم اياك ولا تحزن لتهاونهم بك . كون الظن الانساني اعمى لا يعرف الحق وينغش في اكثر الاوقات * فلا يزيد صلاحك متي مدحت من الناس ولا تكون حقيرًا اذا استهانوا بك * من يجتهد ليرضى مجنونًا فهو لعمري فاقد المعقول . فكما ان الاعمى لا يستطيع تمييز اختلاف الالوان ولا الاصم ان يسمع التراتيل والالحان . هكذا المجنون لا يمكنه تمييز استحقاقات الناس ومكافاتهم . فاذا فعلت امرًا عظيمًا جليل المقدار فاحذر الا يكون ذلك لارضا الاخرين .

واخبركم صنع الله بك (لوقا ٨) . فلم يقل لهُ أن يذيع الخبر بانه هو الذى صنع ذلك بهِ . بل اوصاه ان يقول انه قد نال ذلك الخير من الله . وهذا انما هو ليعلمنا ان نهرب من المدحة * ولعمرى ان الرجل المتواضع يهرب من المدحة وهى تلحقه لانه مستحق لها . وهكذا المخلص ولو انه ضرب صفحًا عن المديح . ولم يرد ان يعلم بهِ احد حين وافي الي تخوم صور وصيدا . الّا ان مجيه لم يختفِ حسب قول الانجيلىّ . لكن لكون المدحة والثنا الجميل يلحقان من يهرب منهما فلذلك خرجت تلك المراة الكنعانيّة تشيع عنه علانيةً (مرقص ٧) * وقد اخبر لوقا البشير عنه تعالي انه وان كان قد اختبي مرارًا فى البرية . فمع ذلك كان قوم كثيرون يتبعونه (لوقا ٤) . حيث ان المدحة تلحق المتواضع المنهزم منها فرارًا . وتهرب من المتفخم المفتش عليها * انه بمقدار ما تكون كفة الميزان خفيفة بقدر ذلك ترتفع . والانسان علي هذا النحو . فانه بمقدار ما يكون خاليًا من النفع مقفرًا من الحسنات بقدر ذلك يرتفع ويمدح نفسه . وبالعكس اى بمقدار ما تكون كفة الميزان ثقيلة رزينة بقدر ذلك تكون هابطة الي اسفل . هكذا الانسان علي قدر ما يكون دينًا تقيًا بمقدار ذلك يكون متواضعًا وبذاته متهاونًا * لعمرى ان كل من يسمع امتداحك لنفسك فانه يستخف بك ويحتقرك * ومتي رفعت ذاتك متجبرًا فانك تشهد علي نفسك

الي مثل اليوم في ذلك الخيرام تسقط * لاتوثر الافتخار بالخير ليلا تسقط في الشر. فقد ذكر عن ارفخشاد ملك الماديين انه كان يفتخر بعظمة جيشه وثروته وعزه. فتخلى الله عنه حتي انه اضاع الجميع في ساعة واحدة تعذيباً وانتقاماً لكبريائه. اذ غلب من بختنصر ملك اثور (يهوديت ١) * ان الله يعاند المتكبرين كقول يعقوب الرسول (اصحاح ٤). ملايكة كانوا ام ادميين. اى يعاند المتعظمين في ذواتهم والممتدحين افتخاراً بالعاميات حسبما فعل بارفخشاد المذكور وغيره * وقال الحكيم من يقدر يفتخر بين الناس ان له قلباً طاهراً ونقياً من الخطايا (امثال ٢٠) * فان كان لا يوجد فيك هذا فما بالك تفتخر. وان وجد فيك مثل ذلك فدع غيرك يذيع عنك ويشهر محاسنك * ان تلاميذ يوحنا لما سالوا السيد من هو اجابهم العميان يبصرون والعرج يمشون والبرص يتطهرون والموتى يقومون. ولم يقل لهم انا اقيم الاموات وانير العميان. بل انما كان جوابه تعالي كانه يتكلم عن غيره. وذلك ليعلمنا الا نمدح ذواتنا ولا نفتخر بحسن مناقبنا واعمالنا. ولكن متي راينا ان الضرورة الجتنا الى اشهار مانفعله من الصلاح لاجل خلاص القريب فنكشفه في ذلك الوقت. ولعمري ان الاعمال الصالحة تشهد لفاعلها من غير ان يمدح ذاته * ان الرب يسوع بعدما اخرج لاجاون من ذلك الرجل. قال له بعد ان شفاه اذهب

واخبر

في ذاته ويثبت في رايه * فلو ذكرت ياهذا حكومة الله المرهبة لما مدحت ذاتك باطلاً . ولعمري ان هذه جهالة عظيمة ودليل الكبريا والسبح الفارغ وامر مضاد نعمة الله جدًّا * من يعمل امرًا ويمتدح به فقد اطفى المصباح بريح الكبريا والافتخار . فلاجل ذلك لا تفتخر قدام الناس ولا تتعظم لحال محامدك وفضايلك . اذ قد يوجد فيك مناقص كثيرة داخل قلبك التي يعرفها الله وانت لا تراها ولا تفطن بها كما يجب عليك * من يطلب المديح الانساني فانه يصادف خزيًا بتخلية من الله . لان المجد الباطل والرغبة في المديح نفسه من شانهما ان يغشوا قومًا كثيرين ويحجبا عنا الخيرات الابدية الراهنة * افما هو من اعظم الجنون ان تكون رغبتك في الاشيا الدنيّة الباطلة وتتهاون بالامور الحقيقيّة العالية . اليس هو اعظم شقاوة ان تعتني وتكترث بالناس فقط وتنسي الله خالقك . افليس هو بيس السهو والغباوة ان تلتفت الي العالم وتنحرف عن السّما * فكل ما منحته من الخيرات فانما هو عطايا من لدنّ الاله الوهاب . فان قصدت به تمجيد الله واكرامه فانك تصعد مرتقيًا الي السّما مع المليكة . وان مدحت به نفسك وابتغيت مجد هذا العالم . فانك تسقط متهورًا في حفرة جهنم وتضيع النعمة وتوجب العقوبة على نفسك * لا تمدح نفسك باطلاً كونك لا تعلم ماذا يكون في الغد المقبل . ولا تدرى هل تثبت

اصمت عنه * وقد يجب ان تعلم ان ابليس الذى هو راس اولاد الكبر يالايخاف ولايجزع بالاكثر الا من المتواضع المتهاون بذاته. وبالعكس فانه لاينتصر علي احدٍ بالاكثر الا علي المتفخم المحب المدحة * فاذا اردت الا تغلب ولا يظفر بك المحال فلا تفتخر ولا تتعظم بنفسك ولاتمدح اعمالك * ان من عادة المتجبرين ان يرتضوا بذواتهم ويصدقوا انفسهم اكثر من غيرهم. ويلوموا قريبهم من غير سبب موجب لذلك. ويستهزيوا باصاغر الناس * فكل ما قد حويته من الفضايل والصالحات انسبه لله تعالي الذى نلته منه ولاتفتخر بعطاياه باطلاً * من يرض نفسه فهو كمن يرضى مجنوناً ويسخط الله . فلهذا السبب سبيلك ان تحرص بكل جهدك لترضى الله تعالي في كلما تصنع من الخير وفي كل ما تقول من الصلاح لتنال منه تعالي السعادة الكبرى * فلماذا ولاية علةٍ تفتخر بالفضايل الطبيعيّة وانت مايت وغداً تكون ماكلاً للدودِ * ان الرجل المتباهى المفتخر لايحسن السكوت بل يحب ان يتظاهر مثل عالمٍ وحكيم . وان يُمدَح بزيادة اكثر من غيره * من يمدح نفسه فانه يورد لذاته تعييرات من الكل . والذى يصمت مستحياً فيكون عند الكل مقبولاً ومحبوباً * الانسان الكثير التواضع في القلب لايعد نفسه شيئاً ويظن بالغير انه جليل كريم . واما الكبريا في الغاية القصوى فهى ان يفتخر الانسان

فيالها من غباوة جزيلة المقدار اذا اشتريت شيئاً دنياً هكذا الذى هو حدس الشعب الجاهل وظنه الكاذب بثمن غالٍ جداً وهو الاستخفاف بك واحتقارك من افاضل الناس واهل السداد * فمدحك لنفسك انما هو ليحصل لك من الناس اكرام وتشريف . والحال انهم من هذه الجهة نفسها يهينونك ولا يعدونك شيئاً * فلا تكن جباراً متعظماً . لكن استر الخير الذى تصنعه واكتمه جهدك كما فعلن النسوة العبرانيات في مصر . لانهن اذ كن يلدن ذكراً وكان المصريون يغرقونه فى النهر فلذلك صرن النسا المذكورات يخفين اولادهن ويربينهم في الخفا ليسلموا من الغرق (خروج ١) . فهكذا انت ان كنت لا تكتم فعلك الصالح الذى هو كمولود نفسك فانه يموت ويفني . كون الشرف الباطل يجزعنك ثوابه * فايوب ما اراد شاهداً علي صلاحه الا الله وحده . حيث انه قال في السما شهودى وعارفي في العلا (ايوب ١٦) * فمن يطلب المديح الانساني من اجل عمله فانه يحتاج على الارض شهوداً . اما المجتهد علي ان يرضى الله فقط . فيكون له الله وحده في السما شاهداً علي كل ما يفعله . ومن كان الله شاهداً علي سيرته فلن يخاف من احاديث الناس * اذا شيت ان تتزايد فضايلك وتتعظم فلا تشهرها لاحد ولا تبح بها . لكن ينبغى ان تحترس ليلا تشتهر انت فيما قد استحققته . والذى يمكنك ان تصنعه علانية

الفخ من قلقا ارادنهِ . لكنه لا يستطيع الخلاص مالم يفلته احد من الشرك . لان الرب يقول بغيرى لاتقدرون ان تعملوا شيًا * ان ورود الخيرات جميعها الروحية والزمنيّة هو من لدنّ الله سبحانه . فاذًا اية علة تجد للتفاخر والامتداح . وباى شي تترفع متشامخًا * من اشهر خيره واخفى شره فانه يشبه من يطلب الى الطبيب ان يخرج دمه الجيد ويهرقه علي الارض ويبقى الدم الفاسد داخله . هكذا جرى لذاك الفريسي حين صعد الي الهيكل ليصلى فطفق يمدح نفسه ويذكر مناقبه ومحامده التي عملها . وبهذا الصنيع اخرج الدم الجيد بمبضع لسانهِ وابقى الدم الردى اذ اخفى قبايحه وكتم مناقصه . ومن هذه الجهة استمر سقيمًا . اما العشار فبخلاف ذلك لانه اذ كان مريضًا شفى لاخراجهِ دم خطاياه المفسود المتعتق فيهِ . فلا شي اذًا اشد جنونًا من ان يمدح الانسان ذاته * ولعمرى انك ان امتدحت نفسك واشهرت فضيلتك فلا تملك اربك . لانك انت تمجد نفسك لكيما تتزايد محبة السامعين لك . والحال انه من هذا القبيل تكون محبتهم لك قليلة جدًا . والذين كانوا يعدونك عاقلًا رزينًا يصيرون مستخفين بك عند سماعهم الفاظك . وتكون لديهم بمنزلة المتكبر المتجبر وبهذا الوجهِ يهينونك ويحتقرونك * وان اكرمك احد من عوام الناس علي ما وصفت بهِ نفسك فلا تكون لك قيمة عند اصحاب العقول *

في هوا المجد الفارغ فتعرض لك بثور الكبريا * فاحرص اذاً ما استطعت باهتمام كلي ان ترضى الله وحده . وليكن تعالي في كل ما تعمله منتصباً امام عينيك علي الدوام *

الفصل العشرون

* في تبكيت الذين يمتدحون انفسهم بذواتهم *

قال القديس يعقوب الرسول كل عطية صالحة وكل موهبة تامة فانما تهبط من العلا من لدن ابى الانوار (ص ١) * فاذا كان كل ما يوجد فيك من الخير هو من الله فما بالك تمتدح وتفتخر به . وبولص الرسول يقول ما هو الذى لك ولم تاخذه وان كنت اخذته فلماذا تفتخر كانك لم تاخذه (قرنتية ١ ص ٤) . ويقول ايضاً في موضع اخر اننا لسنا بقادرين ان نفكر فكراً من قبل انفسنا كانه من قبل انفسنا . لكن كفايتنا من الله (قرنتية ٢ ص ٣) * فاذا كان الانسان ليس هو بقادر ان يفكر فكراً صالحاً من تلقا ذاته . مع ان الفكر الجيد اقل الخيرات الجزوية . فكيف نستطيع من ذواتنا مانحن ملزومون بعمله * قال الرب ما من احد يقدر على الاتيان الي الا من اجتذبه الاب (يوحنا ٦) * ان هلاكك من تلقا نفسك واما الخير فمن الله . فالانسان من ذاته يذهب الي الخطية لكنه لايقدر ان ينجو منها بقوته . وذلك نظير الطير الذى يشتبك في

نعمة كبيرة من لدن الرب * ان سيرة سيدنا يسوع المسيح كانت
لتعليمنا رسما
لاحد ولايذيع
وكذلك كان
اقام ابنة ريس
المنفعة من ج
فاذا رمت ان
عنك الطرمدة
ذكر الكتا
كانت تنزل
الاوساخ (
الحميدة الجلي
بدباب الشر
فاقص عنك
ان الله تعالي

2245

Das gekrönte Haupt hat mir verliehen
Kenntnisse des Auges „über die Gebrüder
der Stadt" von den Französischen Dilettanten
Stella. also Augenarzt hat Franzisk. Gerhardy
geboren im J. 1739 im Alter des Friedr.
Franzosen neuestens drogen Schweren —
Pyramiden - der Hauptstadt Hauptstadt
Mit Freundlichen Grüßen
Arzt

الرماد الي السما . وبعد امتلا الامر صار ذلك الرماد المبذور في الجو
كالضباب . فحدث منه لاهل مصر قروح وبثور (خروج ٩) *
فكل ما تصنعه من الاعمال الخيرية لاجل السبح الباطل فانه يشاكل
الرماد المبذور في جو السما . ولانك تبذره اى تبذر افعالك الصالحة

فى هوا المجد الفارغ فتعرض لك بثور الكبريا * فاحرص اذاً ما
ليكن تعالي في
الدوام *

ذواتهم *
كل موهبة تامة
فاذا كان كل
ح وتفتخر به .
وان كنت اخذته
ايضاً في موضع
انفسنا كانه من
) * فاذا كان
ن تلقا ذاته . مع
تطع من ذواتنا

ماكن مرومون بعمله * قال الرب ما من احد يقدر على الاتيان
اليّ الاّ من اجتذبه الاب (يوحنا ٦) * ان هلاكك من تلقا نفسك
واما الخير فمن الله . فالانسان من ذاته يذهب الي الخطيّة لكنه
لايقدر ان ينجو منها بقوته . وذلك نظير الطير الذى يشتبك في

نعمة كبيرة من لدن الرب * ان سيرة سيدنا يسوع المسيح كانت لتعليمنا رسماً ومثالاً . لانه حين شفى الابرص اوصاه الا يقول لاحد ولا يذيع بهذه الاعجوبة . وذلك ليعلمنا احتقار المجد الباطل . وكذلك كان فعله بالاصم الاخرس وقت بروءه . وايضاً حين اقام ابنة ريس الجماعة * فما الذى تقدر ان تحصل عليه من المنفعة من جهة المديح الانساني الا هواء ودخاناً يفني ويضمحل * فاذا رمت ان تكون ممدوحاً من الناس فتهاون بمديحهم . واطرح عنك الطرمدة والتفكر بامتداح البشريين المستوعب جنوناً * وقد ذكر الكتاب المقدس ان ابرهيم قدم قرباناً ذبيحة والطيور كانت تنزل علي تلك الذبيحة . وكان هو يكش الطيور خوفاً من الاوساخ (تكوين ١٥) . وكذلك اذا عملت انت البعض من المناقب الحميدة الجليلة التي هي بمنزلة قربان مقدم لله . فياتي المحال بذباب الشرف الباطل ليوسوسك به ويعدمك الاجر والثواب فاقص عنك هذه الفكرة واصرفها واهملها ليلا تفسد افعالك * ان الله تعالي اذ اراد تعذيب المصريين اوعز الي موسى ان يبذر الرماد الي السما . وبعد امتثال الامر صار ذلك الرماد المبذور في الجو كالضباب . فحدث منه لاهل مصر قروح وبثور (خروج ٩) * فكل ما تصنعه من الاعمال الخيرية لاجل السمع الباطل فانه يشاكل الرماد المبذور في جو السما . ولانك تبذره اى تبذر افعالك الصالحة

تكون قد عملت كل شيٍ * لا تضع اجرَ اتعابك ولا تسكب اعراقك بالباطل . فهو تعالي عارف بما تصنع على التحقيق وما تستحق من الاجر عن مناقبك الحسنة . ولا يضيع لك شيًا خاليًا من الثواب ولوكان كاس ماءٍ بارد باسمهِ * فلماذا تترفع ايها الانسان متشامخًا . الا تعلم انك بهذا الصنيع تقصى بعيدًا من مجد الله * احسب نفسك عبدًا بطالًا فينقلك الله الى جهة الصالحين النافعين . اذا طلبت الرفعة والافتخار فانك ترذل وتهان . واذا حسبت نفسك عبدًا بطالًا فانك تحسب حينيذٍ من جملة النافعين ولوكنت قبل ذلك مذنبًا عاصيًا * فسبيلك ان تقيد افكارك ولا تذكر ما صنعته من الخير . وعلي نحو ماتتغاضى عن جرايمك مع انه لاسبيل لك ولا وجه الي نسيانها . هكذا ليس بمستغرب اذا تناسيت الخير الذى قد صنعته . كون نسيان الخير ذخيرةً عظيمة لفاعلهِ . والقديسون بذلوا مجهودهم في تذكر نقايصهم ومن هذا القبيل تواضعوا وتذللوا . واما الفريسي فمن جهة افتخاره سقط وهلك ولوانه في الظاهر كان يتبين انه يشكر الله ويمجده * فان انت مدحت نفسك فاعلم انك تكون من الله ممقوتًا وعند الناس محسودًا * وان احببت ان تكون اعمالك جسيمة كبيرة فاحتسبها دنية حقيرة . لانك ان اعتبرتها عظيمة فلا تكون كذلك . وان حقرت نفسك في كل امر فتنال

فان خطر لك انك ذو افعال صالحة كثيرة . فاعلم انك لم تماثل بعد اعمال القديسين . وانما ترى اعمالك شيئاً لانك لم تقرنها مع تلك . فالواجب عليك انك وان صنعت خيرات جمة متزايدة ان تنظر الي مصايب القديسين ونوايبهم . وحينيذٍ تعلم ما اقل نشاطك واجتهادك فيما تصنعه * انك اذا جعلت بجلاء الثلج شيئاً ابيض يتبين اسود . هكذا لو تفطنت بعظم ما قاساه القديسون من الشقا والتعب والعيشة القشفة . لكنت بهذا التامل ترى افعالك التي تعدها الان عظيمة مفيدة خايبة من النفع وحقيرة في الغاية . فاعرف اذاً ضعفك وعجزك ولا تتبجح بشي من الاشيا * احذر من ان يحركك المجد الفارغ الى الفضيلة وان تتوقع الاجر من الناس . ان حجر رحى الهوا لا يدور ولا يعمل طحيناً الا بتحريكهِ من الهوا . وعلي هذا المثال كثيرون من الناس لا يعملون دقيق الافعال الصالحة الا عند هبوب ريح السمع الباطل * فلو عملت كل ما اوصاك الناموس فليس لك سبب لان تفتخر . لان الرب يقول ان عملتم كل ما امرتم بهِ فقولوا اننا عبيد بطالون (لوقا ١٧) * فانت اذاً ولو بذلت نفسك على الدوام في خدمة الله وعبادتهِ فيجب عليك ان تحسب ذاتك عبداً بطالاً . واذا اردت ان تلاحظ ذاتك وتلج داخل ضميرك فترى انك مراتٍ عديدة قد اسات الي الله * ومتي احتسبت نفسك انك خالٍ من الصلاح فحينيذٍ

يحرمك اياه بالعدل علي ما اختطفته منه * علي ان الشريعة توجب ان من اخذ ما للناس يوخذ مالهُ ايضاً نظير ذلك . فمن ثمه تحيب انت من المنفعة التي لك لاختلاسك المجد المختص بالله وحده حسب قول الرسول ان لملك العالمين الذى لايموت ولا يُرى الاله وحده الوقار والمجد الى ابد الابدين (تيموتاوس ١ص ١) * فهيرودس لكونهِ لم يعطِ المجد لله قتله الملاك (ابركسيس ١٢) . فقد يحق اذاً عليك ان تتهاون بهذا العالم الحاضر ومجده الباطل اذا شيت ان تنال من الرب المجد الاعظم * وبمقدار ما تكون ورعاً ديناً بقدر ذلك ينبغي لك ان تحشي السبح الباطل وتعيش بكل تحرز. لان هذا المجد يتولد من افتعال الفضايل . ولذلك لا ينفي بفعل الصلاح بل يزيد بهِ ويتفاقم . وكما ان الله سبحانه لكونهِ عين الصلاح ينتج من الشر خيراً . بعكس ذلك الشيطان عدونا لكونهِ نارياً جداً ومتزايداً في الشر فينتج من الخير شراً ومن العمل الصالح يخرج مجداً باطلاً لكي يخيب بذلك من حسن الثواب * هكذا فعل مع الفريسي المتعظم المفتخر بجهلهِ في الهيكل اذ اخذ يمتدح نفسه بفعلهِ (لوقا ١٨) . ولعمري ان هذا الباطل هو السهم النهارى الصادر عن الافعال الحميدة الذى كان داود النبي يستغيث الي الله لان ينجو منه (مزمور ٩٠) * فاحذر اذاً وكن حريصاً ليلا ترشق بهذا السهم الذى يوجد فيهِ سم قاتل للنفس

المقدار لا يتعاطون سوى تمجيد البارى وتسبيحه . فكم اولي بالانسان الحقير المايت ان يتواضع ويطرح عنه المجد الباطل * فسبيلك اذاً ان تتعلم يا ايها الانسان الشقى ان تكون متواضع القلب لتصادف النعمة التي اضاعها الملايكة الاشرار بعلة * اباطيلهم وتشامخهم *

الفصل التاسع عشر

* في احتقار المجد الباطل *

يقول بولص الرسول المفتخر فليفتخر بالرب (قرنتيه ٢ ص ١٠) * فلا تفتخر بالاعمال التي تعملها لان مجد عبد يسوع المسيح ينبغي ان يكون بالله الذى يحق لهُ المجد وحده . لانه تعالي قال مجدى لا اعطيه لغيرى (اشعيا ٤٢) * فالله تعالي بما انه المبدع الاول لاعمالك الصالحة اخص المجد والكرامة بذاته الكريمة . اما الاثمار والفوايد فاراد ان تكون لك جميعها . وقد اعلنت الملايكة ايضاً هذا التوزيع وقت ميلاد السيد المسيح اى توزيع المنفعة والمجد بقولهم . المجد لله في العلا وعلي الارض السلام وفي الناس المسرة (لوقا ٢) * فانت اذ تختطف المجد المخصوص بالله فهو يعدمك المنفعة التي لك وكذلك يعدمك الافعال الحميدة التي فعلتها . لكونك اختلست الكرامة التي لهُ تعالي واتخذتها لذاتك . فلذلك تضيع اجرك وهو

والخلاص من الله (اصحاح ١٣) . فاذا تاملت فيما قد سلف من الزمان فتجد انك قد فعلت امورًا كثيرة التي ينبغي لك ان تخجل منها استحياءً . وان انعمت النظر في هذا الزمان الحاضر فانك ترى نفسك في هذا المنفى محفوفة باخطارٍ شتي تفوق القياس * واذا تاملت في المستانف يعتريك الخوف والجزع بتذكرك احكامَ الله الرهيبة التي ستوافي عليك . وقد ينبغي ان تسير في هذا الوادى وادى الدموع مرتعبًا وجلًا كايبًا لافرحًا مفاخرًا . لكونك لا تعلم ماتعمله من الصلاح هل هو مقبول عند الله ام لا . ولا تعلم الي كم من الزمان تدوم في هذا . ولاجل ذلك قال الرسول ان الواقف فليتحفظ ليلا يسقط (قرنتيه ١ ص ١٠) * فاذا افتخرت تشامخًا بالنعمة التي منحكها الله تعالي فتعود خايبًا منها * فداود النبي قال انا قلت في غناى انني لااحول الي الدهر . غير ان اتكالهُ هذا الباطل علي ذاتهِ صار لهُ سبب السقوط . فلذلك قال فاذ اصرفت وجهك عني صرت قلقًا (مزمور ٢٩) * فان عملت خيرًا انت ياانسان فيكون من الله حقًا . فاى حقٍ لك فيما ليس هو لك من الخير * ان المتخصين عن اباطيل هذا العالم الظاهرة ومجده الفارغ البطال فهم عذارى جاهلات ومعهن اواني بلا زيت * فان انت مجدت ذاتك فمجدك ليس هو بشي . واذا كانت الملايكة السماويون الذين هم في كرامةٍ جليلة بهذا

لاعدايك (دانيال ٤) * وكذلك شمشون افتخر بالنصرة التي نصره الله بها اذ قال بفك حمار قتلتهم. ولم يقل ان الله قتلهم بل انا قتلتهم. فاذ تجبر بباسه وقوته هكذا. عذبه الله واذله حتي كاد يموت من العطش بسبب افتخاره وتجبره بما عمل الله علي يديه (قضاة ١٥) * وحقًا انه لعيب وعار عظيم ان ترغب مجد هذه الدنيا الباطل. حيث ان المجد الحقيقي انما هو احتقار الافتخار بمجد العالم الكاذب وعدم الاكتراث به. وان يكون كل ما تصنعه لرضوان الله * فاذا رمت ان تغترف المديح فابذل مجهودك لتمدح من الله. لان مديح الناس في بداية امره يفرغ ويبيد سريعًا * ان ايوب الصديق كان يحتسب جريرة ثقيلة معضلة ان يقبل يده فمه (ايوب ٣١). وهذى هي جريرتك انت متي مدحت نفسك بفمك من اجل حسن اعمالك ونفيس مناقبك * فمتي احتسبت اعمالك جيدة مستقيمة فافعل نظير موسي النبي الذى كانت يده تتبين له نقية صحيحة من المرض. اما اذ جعلها في عبه واخرجها فظهرت له مضروبة بالبرص (خروج ٤). فهكذا انت ضع يدك في عبك. اى انظر شروط الفعل الضرورية ليكون جيدًا صالحًا. فحينئذ تراها انها لاتخلو من البرص اى من السبح الباطل * يقول الرسول الالهي ماهو الذى لك ولم تاخذه (قرنتية ١ ص ٤). والنبي هوشع يقول هلاكك منك

الله . والرسول يقول ان الله هو الذى يعطى النمو والانسان له الغرس والسقى (قرنتيه ١ ص ٣) . فالنمو اذاً حسب قول الرسول مختص للنعمة الالهيّة * وايضاً يهوديت لم تقل انا قطعت راس اليفانا بل قالت الرب قتله بيد امراة (ص ١٣) * هكذا اليعازر عبد ابرهيم نسب كل ما صادفه من الخير في طريقهِ الي الله قايلاً كل ما جرى هو من يد الله (تكوين ١٤) * والقديسة اليصابات ام يوحنا المعمدان لما حبلت بسابق الرب نسبت الحبل العجيب الي امر الله لا الي زوجها بقولها هذا ما صنع بى الرب (لوقا ١) * فحقاً حقاً ان اصفيا الله هم امنا بما يودونه له من المجد والكرامة . وهذا بخلاف ما تفعل الخطاة الذين ينسبون ذلك الي انفسهم * ان الاربعة والعشرين شيخاً الذين ذكرهم يوحنا في رؤياه كانوا يرفعون الاكاليل عن روسهم ويضعونها قدامَ رجلى الخروف (رويا ٤) . فهكذا انت سبيلك ان تعمل . اعني تجعل امتلاح افعالك الحميدة امام رجلى يسوع . وتقول مع النبي داود لا لنا يارب لا لنا لكن لاسمك اعطى المجد (مزمور ١١٣) * واشعيا النبي يقول كل اعمالنا انت يارب عملتها بنا (اشعيا ٢٦) * اما بختنصر الملك فانه اذ كان يمتدح ذاته بذاتهِ قال اليست هذى هى بابل العظيمة التي انا ابتنيتها بقوتى وجبروتى . وللوقت نزل اليهِ صوت من السما قايلاً لهُ ان مملكتك تجوز عنك وتُعطى

لنا ان نمدّ ناظرنا الي المبدا الاول الوحيد الذى تصدر عنه كافة الاشيا علي حدو جنسها * فكل حركة صادرة من تحريك المحرك الاول . وكذلك نقول عن ذى الحركة . اذ لا يلزم ان نجعل بين المحرك والمتحركات تمييزًا غير منتهٍ . بل منها نعود الي المحرك الاول . وهكذا الاعمال الصالحة لابد ان يكون صدورها عن فيضان الخير الاول . اذ الخيرات جميعها مستفاضة من الخير الاول بدليل ما قالهُ الرسول لسنا بقادرين ان نفكر فكرًا من قبل انفسنا كانه من قبل انفسنا لكن كفايتنا من الله (قرنتية ٢ ص ٣) . وقال الي اهل فيلبيسيوس ايضًا ان الله هو الذى يعمل فيكم ان تريدوا وان تكملوا (اصحاح ٢) * فكما ان العيون ولو كان نظرها حادًا لا تستطيع ان تبصر شيًا الا بضوءٍ خارج تستعين بهِ . هكذا نحن وان كانت لنا ارادة مطلقة التي هى بمنزلة العين للنفس فمع ذلك لسنا بقادرين ان نعمل اعمالًا تستحق حيوة الابد ما لم نكن معانين من الله بنورٍ ازلي . فان كنت ياهذا لا تستطيع شيًا من دون البارى تعالي الذى هو اصل ابداع الخير المفعول فما بالك تمدح نفسك * وقد جاء في الانجيل الشريف عن ذلك العبد الامين الذى اعطاه الرب الوزنة ليتجر بها انه لما طلب المولي محاسبته قال لهُ ياسيد وزنتك قد ربحت عشر وزنات (لوقا ١٩) . فلم يقل العبد الصالح انا ربحت . بل نسب ذلك الربح كله الي نعمة

الشي . فلذلك احذر وتحرز من ان تختطف المجد والمديح المخصوص للرب الاهك * ان بولص الرسول المعظم اذ ذكر اتعابه في البشارة التي فاق بها علي غيره من الرسل استثنى حالاً بان قال ليس انا الفاعل لهذا لكن نعمة الله الفاعلة بي (قرنتيه ١ص ١٥) . وقال الرب في انجيله الشريف بغيري لستم بقادرين ان تعملوا شيئاً (يوحنا ١٥) . وكذلك داود النبي كرر ذلك مراراً كثيرة قايلاً قوتي وتسبحتي الرب وكان لي مخلصاً (مزمور ١١٧) . وفي مزمور اخر يقول صار الرب قوتي وملجاي ومخلصي (مزمور ١٧) . وفي مكان اخر هتف نحو الله قايلاً بك نناطح اعدانا (مزمور ١٤٣) . ولم يقل بجبروتي ولا بقوتي وحيلتي لكن بك يارب وبقوتك اقهر كل اعدائي . علي ان هذا النبي قد جعل نصر جميعه من الله ونسبه اليه كانه منه اخذه ومنه قبل خلاصه كما حقق لنا ذلك باكثر مزموراته * اما موسي وهرون فمن حيث انهما لم يعطيا الكرامة والشكر لله حينما صنع تعالي تلك العجيبة علي ايديهما اذ انبع من الصخرة ماءً غزيراً . فلم يدخلا ارض الميعاد . مع انهما من ذي قبل كانا قد قاسيا نوايب كثيرة مدة اربعين سنة ليدخلاها (العدد ٢٠) . فان كان الباري تعالي قد عمل هكذا مع هذين القديسين الصفيين . فكم بالحري ان يعمل ذلك معك انت الذي تختلس مجده وكرامته غطرسة فيما تصنع من الخير * ففي كل امر يسوغ

الكلام تاملاً للمديح الفارغ السريع الزوال والاضمحلال *

الفصل الثاني عشر

* في المجد الباطل *

قد كتب اعطِ الحمد لالهك وربك (يشوع ٧) * ان مجد الاعمال الصالحة يجب ان يعطى لله الخالق بما انه العلة الاصلية وينبوع الخيرات التي تصنعها * فاياك ان تختطف المجد الذى ما اراد البارى تعالي ان يعطيه لغيره كما قال هو عز وجل كرامتى لا اعطيها لغيرى (اشعيا ٤٢) * ان المجد الفارغ اثم عظيم وشي ضار جدًا للرجل الروحى . فاهرب منه في كل ما تصنع كهربك من ملك الحيات . لانه اذا سبقك بالنظر وانت غير متهيي فانك تموت في الحال من نظره اليك . اما اذا نظرته انت قبلاً وعرفت شره ومايحق عليك من عدم قبوله فيما تعمل . فانك ستستظهر عليه في ذلك الوقت استظهارًا كليًا . فليمدح الله في صنايعه لا الانسان الذى هو الة دنية من جوده تعالي وفضله العميم * قال الله هل يفتخر الفاس خلاف الذى يقطع به ام يشرف المنشار خلاف الذى يحذبه (شعيا ١٠) فلا تمدح الاداة بل انما يجب ان يمدح الصانع الذى يعمل بها الصنيع الجيد . وانت يا انسان على هذا المثال متي عملت شيًا من الخير . اى ما انت الا الة حقيرة بيد الله الذى صنع بك ذلك

يجدونه في اليوم الثاني مصابًا بالدود (خروج ١٦). واما ان ابقوه الى يوم السبت فلم يكن يفسد. فايام الجمعة هي ايام هذه الحيوة الحاضرة * فجميع الاعمال التي تعملها انت في هذه الدنيا لتحصل لك مديحًا من الناس فانها تضيع بلا فايدة ويدركها الفساد. اما الافعال التي تحفظها لراحة عيد المجد السماوي هناك فانها تكون كريمة جدًا وتنال عنها الجزا. ولذلك ينبغي ان تحفظها للسبت المجيد اعني الراحة الشريفة العلوية * وقد امر الله بني اسرايل ان لاتكون حجارة المذبح الذى يبنونه لهُ مجلية ولا منحوتة بل علي هيتها بلا تصنع. وبهذا اراد تعالى ان الافعال التي نفعلها لانفعلها لنظهر للناس صلاحًا. ولكن تكون في شان الله وحده. لان الحجارة لاتجلى من الخارج الّا لتظهر حسنة لعيون الناس. فاحذر الّا يكون ماتفعله من الخير من اجل رضى الناظرين اليك. بل ارفع قلبك نحو الله وفيهِ فقط اجعل فكرك لا في غيره * فالحيوانات الاربعة التي راها حزقيال النبي كانت اجنحتها منتشرة الي فوق. هكذا افتعال الصالحات التي هي الاجنحة التي نطير بها الي السما وتقتادنا اليها يلزم ان تكون منتشرة الي فوق. اى مرتفعة الي الباري تعالي وحده والي رجا الخيرات الالهيّة وتاميل الذخاير الملكوتيّة * فابذل اذًا مجهودك في ان ترضى الله وحده وتعبده من صميم قلبك. ولاتلتفت الي التملق والرايا الظاهرة وتزخرف

الرجل الفاضل لا يفتخر بزينة الكلام وزخرفته . بل انما اهتمامه كله وحرصه في ان يرضى الله * عد راجعاً الي ضميرك وحينئذٍ تنظر ماهية حالك . تيقن انك ضعيف وخاطٍ وسيدركك الموت سريعاً * ففي ساعة الموت يستعلن لك شرف هذا العالم الباطل ومجد الكذاب ظاهراً جداً . وينكشف لك تفاقم جنون مفرحاته وبطلان مديح الناس الخاوى الفارغ * لا تقصدنّ ان يكون ذكرك في السن الخلق . حيث انهم بامتداحهم الباطل يطغون سخيفي العقول محبي المجد الزمني * الفرح الغير الموسس على الضمير النقي المكين باطل هو . وكما يجرب الذهب في النار كذلك يختبر الانسان في فم مادحه . فالذهب يبقى في الكور صافياً وما ليس بذهب فيتحول دخاناً . فعلى هذا المثال تكون الفضيلة مختبرة في كور المديح . فان كانت غشاً ومحالاً فانها تبيد وتضمحل وان كانت حقيقية فانها تنشو وتنمو * فان كنت تهوى مديح الناس فما تكون لك فضيلة خالصة . واذا نفختك العظمة من قبل مديح الناس فما انت مقتني فضيلةً * ان البابليين عند ما كانوا يسمعون صوت الات الموسيقى فكانوا يسجدون حالاً للتمثال الذهبي (دانيال ٣) . وهكذا يوجد قوم كثيرون الذين فى حين سماعهم صوت المديح الباطل يسجدون حالاً لصنم الخطيّة * ان المن الذى كان بنوا اسرايل يحفظونه لبعض ايام الجمعة فكانوا

الفارغ والحظوة بالمجد الابدى . وقد كان الاحرى بك ان تكون خيرًا في ذاتك من ان تبين صلاحك للناس . فان شيت ترضى الكثيرين ولا ترضى القليلين من اهل الصلاح فتكون لعمرى حايدًا عن طريق الاستقامة * ان المديح عند اصحاب الفضيلة المرلهم . وعند المفاخرين زهو وتكبر . ولكن هذا الالم يعود للصالحين تطهيرًا وتنقية . واما الخطاة فلفرحهم به يظهرهم اشرارًا * تمنّ الّا يعدك الناس شيًا . ولعمرى ان هذا انفع لك وافضل من ان تكون ممدوحًا منهم * من كان غير محبٍ للمدحة من الناس فانه لايبالي من مثالبهم وشتايمهم . واذا شيت ان تكون مستوجبًا للمديح فلا تطلب المدحة من الغير * لاترغب ان تكون ممدوحًا ليلا يمكر بك وتضيع اجر الاعمال الصالحة * احترس من ان يلذ لك مديح الناس . ولا تفرحك الدالة عند ذوى المراتب . كون الاشياء المانعة لنا من الخير السامي باطلة هى ومميتة * الرجل الفطن ذو اللب الثاقب يعتبر الافعال اكثر من الاقوال . فالاعمال الصالحة هى ممدوحة من ذاتها . واما المفتش علي الكلام والاحاديث فقط فانه لايصادف شيًا * ان الخيرَ المصنوع في حال الله ينال فاعله الجزا من لدن الله * متي جعلت سيرتك في افواه الناس فتارةً تكون مبجلًا وتارةً تكون مهانًا وهكذا لاتكون معتوقًا بالكلية ولا يحصل لك راحة البتة * ان

مثل جبارٍ عاصٍ * لاتطلبن اجر اعمالك الصالحة في هذه الدنيا ليلا تعدم المكافاة الابدية التي هى المجد الذى لايزول . واحترس ليلا يقول نحوك الديان العادل لقد اخذت اجرك * لاتطلبن التزكية من الناس لان المديح الانساني مع الضمير الردى باطل هو * الرجل الحاذق النحرير لايطلب هو المديح بل المديح يلتمسه مفتشاً عليهِ. ومن لايغتم من السب والشتيمة فلا يفتخر بامتداحهِ * ان الذى يطلب المديح الانساني اذا تامل نفسه جيداً فانه يجد فيما قد سلف من افعالهِ اشياء كثيرة تغمه وتوله . ويرى فيما سياتى مايخيفه ويرعبه * فاذا رمت ان تكون مستحقاً للمديح فلا تلتمس المدحة من الناس . فقد يكون متيسراً لبعض الناس الا يبالى بالمديح الانسانى . الا انه مع ذلك يصعب عليهِ عدم قبوله بالكلية وان لا يفرح بهِ حينما يبداء امامه * فان داخلك العجب والكبريا لحسن مناقبك عند ما تمدح من الغير . فاعلم انك بذلك تكون مقاوماً لله ومناصبه بتلك الفضايل التى انعم الله عليك بها * وان كنت لاتشكر الله علي ما وهبك فذنبك عظيم جداً . بل تجعل تلك العطايا اسلحة تحارب بها ذلك الوهاب العظيم . والاشيا التي يجب عليك ان تتواضع بها فتجعلها سبباً لكبريايك وافتخارك * الانسان الذى يطلب المديح عوض الفضيلة فقد باع الغالي بالرخيص * انه من الممتنع ان تلتمس بفعل واحد بعينهِ المديح

الفصل السابع عشر

* في اباطيل مدايح الناس *

قال الرب في الانجيل المقدس انظروا الا تصنعوا بركم قدام الناس لكي يروكم (متي ٦) * فلذلك ولين قال في موضع اخر انه ينبغي ان يضي نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة (متي ٥). فلم يرد تعالي بهذا القول ان تطلب امتداحك بل مجد الله وتعظيمه. ولهذا استتلى قايلاً ليمجدوا اباكم الذى في السماوات * فمن صنع خيرًا ليمدح فهذا قاصد تمجيد نفسه لا تمجيد الله. فالله تعالي ما حرم الاعمال الصالحة الظاهرة المكشوفة عيانًا. لكنه يشاء ان تكون سرًا بحسب النية. ولم يوص ان تلتمس امتداحك وتشريفك. لكن ان تكون نيتك فيما تصنعه من الخير ان ترضى الله اكثر لا تحصيل الامتداح * ولعمري انك اذا وضعت في افواه الناس كنز الاعمال الخيرية فلا يعود يتجه لك ان تحفظه. بل يكون في خطر ان تضيعه وتخسره. فلذلك احرص علي حفظ ذخيرتك * احتفظ بغني الفضايل ان رمت الا تسرقك الملاقون بتمليقهم كما جرى لحزقيا الملك. الذى لانه ارى كنوزه لمرسلى ملك بابل فعوقب اشد العقاب (ملوك ٤ ص ٢٠) * فلا تشهرن اعمالك الحسنة ولا تقصد المدحة من الناس اذا شيت الا يعاقبك الله

افهل تروم ان يكون صديقك معك افضل مما انت مع نفسك . او ان يحبك اكثر مما تحب انت ذاتك . فان كنت انت لم تقدر ان تكتم سرك فكيف تريد ان يكتمه ذاك الذى تكشفه لهُ * ان كتمان السر لامرءٍ عجيب ومستصعب . فاذاً لاتكشف من اسرارك الآ ما لا يلحقك من كشفهِ خزى * من كان غير امين علي كتمان سره فلا يطلب ان يكون اميناً عليه كل صديق . لان معرفة اوان السكوت واوقات التكلم عطيّة عظيمة موهوبة من الله * فلتكن صداقتك مع الفضلا ومع ذوى المناقب الحسنة . لان الانسان الصالح اذا نصب مقابل عينيهِ ناموس الله فانه يحفظ في ذلك الوقت السر الملزوم بحفظهِ تحت الوصيّة . والذى لايحفظ السنة فلا يبالي من مخالفتها . لانه مكتوب من يظلم نفسه فالي من يحسن . ومن لايحفظ الناموس لنفسهِ فكيف يحفظه لك . والذى يفضح سره فكيف يحفظ سر غيرهِ * فالرجل الصالح فقط هو الصديق المحق ويصون ما هو لك . لان من يحب الله غير ممكن الآ يحب قريبه . ولذلك يحفظ ما لصديقهِ ايضاً كمسيحى حقيقى . ولعمرى ان هذى هى الصحبة الصادقة المحقة التي ينبغى ان تستند عليها وحدها * فاهرب اذاً من كل صداقة انسانيّة * لانها تسوق الناس الي هاوية جهنم *

*

غافرًا . وان عملت ما وجب عليك اثابك اجرًا * ان الله تعالي محب صادق ويحب في كل حال من الكرامة والهوان والحيوة والموت والسرّاء والضرا . حتي انه لما كان علي الصليب حيث لم يكن لهُ ما يفعله معنا من الخير والامتنان . طلب لنا المغفرة ضارعًا بالدموع كما قال الرسول (عبرانية ٥) * كل معاشرة وكل صحبة اذا لم تكن موسسة علي الله فهي عبث وباطلة . اما الصداقة مع الخلان الصالحين الروحيين فهي جيدة . اذ انهم بمفاوضتهم يحرّون القلب في محبة الرب ويوازرون النفس لترتقي بالسمو الي الله * ان الذى يوثر خلاص نفسك هو القرين الصادق . وليس هو الذى يملقك بحلاوة لسانهِ لكن الذى يحزن لمصايبك ويتوسل الي الله لاجلك ويكون لك ناصحًا بالمحبة فذاك هو الخليل الامين * لا يوجد خليل امين ولا صديق نصوح الاّ بالله . ولا تكون محبة صادقة اذا لم تكن مبنية علي الله الذى يجعل الصاحب امينًا وفيًا . وبدونه لا تدوم المحبة زمانًا طويلاً * وقد ينبغي ان تشاور اصدقاك في كل امر . ولكن يجب ان تمتحنهم قبل ذلك وتختبرهم * وقد قال ابن سيراخ الصديق الامين ليس لهُ شبيه ومن وجده فقد وجد ذخيرةً (اصحاح ٦) * وقال سليمان الحكيم حجتك حاجج بها مع صديقك وسرك لا تكشفه للغريب (امثال ٢٥) . الشي الذى لا تريد ان يعرفه احد لا تكشفه للصديق الغير المجرب .

افهل

وقت الضرورة . وهكذا يكون الصاحب الملاق الكاذب حسب قول ايوب . ففي زمن الخير والرخا حيث لاتحتاج اليهِ يعدك باشيا كثيرة . وعند ورود المصايب والشدايد اذ لا يوجد عندك شي وكل شي لك يكون قد نشف ونفذ وتكون انت مضطرًا اليهِ اشد اضطرارًا ولذلك تقصده في حال ضرك . فحينيذٍ تستفيق وتعرف انك قد خدعت ومُكر بك * فيالسعادة الرسل الذين استحقوا ان يسمعوا من فم المخلص انني سميتكم احباى (يوحنا ١٥) * فهذا الحظ الصالح وصحبة الاله الماثورة قد يمكنك امتلاكها ان قمت بالعمل كما يجب لله عليك . فهذه المحبة دايمة ثابتة وتبقى سرمدًا . واما صداقة الانذال فما عساها تستمر الا زمينًا يسيرًا * وقد يوجد حشيشة تسمى باليونانيّة افيماريا . فهذه الحشيشة تزهر في كل يومٍ وتجف ومن حرارة الشمس تفني بالكليّة . فعلى هذا المثال تكون محبة هذا العالم دنية حقيرة . وتجف باى صنفٍ كان من ضروب المصايب الحادثة وتفني بجملتها . ولذلك قال داود النبي ابعدت صديقي وقريبي ومعارفي من الشقا (مزمور ٨٧) . اما ابرهيم ابو الاباء فلانه كان خليلاً لله ومحبًا محققًا فعل خلاف ذلك مع محبهِ لوط حين اُخبر بمسكهِ . لانه جاء حالاً لمساعدتهِ في حال محنتهِ (تكوين ١٤) * فاحرص اذًا ما استطعت ان تكون صداقتك بجملتها مع الله . الذى اذا اخطات اليهِ صفح عن ذنبك

صون عرض محبيه الي الغاية * فيوحنا المعمداني انفذ الي السيد يسالهُ من انت . وكان ذلك منه قصدًا لاجل خلاص تلاميذه . ولانه من هذا الامر ربما كان الشعب يستخف بيوحنا اذ ارسل يسال من انت لمن كان قد شهد لهُ من ذى قبل . فالسيد المسيح بما انه صديق صالح شهد حالاً ليوحنا ومدح رزانته امامَ الشعب واظهر بقية مناقبهِ الحسنة الكثيرة (متي ١١) * وهكذا صنع قديمًا مع كليمهِ موسي واظهر بن حين تذمر عليهِ اخواه هرون ومريم (العدد ١٢) * ومثل ذلك حامي عن تلميذتهِ مريم المجدلية لما اهانها الفريسي . وحين تقمقم عليها التلاميذ . ثم وقتما اشكتها اختها مرتا لقلة المساعدة لها في خدمة البيت * ومن عوايد عدله تبارك وتقدس اسمه ان يطلب دم محبيهِ المسفوك بغير حقٍ كما طلب دم هابيل ونابوت وزخريا بن برخيا الكاهن ودم ساير الانبيا (متي ٢٣) * ارايت ما اعظم حماية الاله لاتقيايهِ وصيانته اياهم وتعذيبه لمضطهديهم * ان صداقة الله ومحبته ليست كصداقة العالم التي قال عنها ايوب اخوتي جازوا عني كمثل السيل الجارى سريعًا الي الاودية (ايوب ٦) * ففي اوان الشتا توجد اودية كثيرة ممتلية من المياه ولا احتياج اليها . وفي فصل الصيف حيث الحاجة ماسة الى الماء تنشف تلك السيول فينغش بها المسافرون والعطاش حيث انهم لا يصادفون فيها ماءً

ايام اقبال الخير . فتبدل الزمان يكشف الحق ويظهر العدو من الصديق * ان البارى تعالي هو الصديق المحق وهو المحب في كل حين . فلم يتغافل عن يوسف في السجن ولا عن سوسنه في محنتها ولا عن داود في اضطهاده . ولم يهمل احدًا قط من خواصهِ ومحبيه في حال شدتهِ وعوزه بل حفظ مودتهم الي الغاية . حتي انه بعد الموت حينما تفقد الاصدقا والخلان فانه في ذلك الوقت يوجد سبحانه صديقًا ودودًا * فاذ اراد تعالي تعذيب سليمان والانتقام منه لاجل تفاقم ذنوبهِ وان يخلعه عن الملك . هذا قضيته عنه لكونه ابن داود خصيصه . وترك لهُ سبطين لحفظ ذكر داود ودوام نسلهِ واسمهِ * ولعمري ان الله عز وجل يصرف عنايته باصفيايهِ ويحفظ ذكرهم بهذا المقدار حتي انه تعالي يسمح بان يقذف بهِ ولا في عرضهم . لانه ارتضى ان تكون والدته العذرا مخطوبة لرجلٍ . وان يحسب هو من اجل ذلك ابنًا ليوسف مع انه مخلص العالم وابن الله حقًا . وذلك لكي لا يقال فيها اى في والدتهِ الطاهرة قول منكر . علي انها لو كانت ولدته وهي غير مخطوبة لما حسبت امراة صالحة . فسمح ان يقع الارتياب في ولوده الازلي ولا يشتبه في نقاوة العذرا وطهارتها . وارتضى ان يحتمل هذا جميعه ليحفظ شان عفة والدتهِ ونقاوتها ومن هذا نعلم انه نعم الصديق الصادق . وهو المهتم جدًا في

صدق القليل واهرب من الكثير . واصطحب مع يسوع وحده وعبيده * فان رايت انه يوجد صداقة عالميّة تصدك عن منفعتك الروحية ففر منها هربًا كما تهرب من الطاعون المبين . وكل صداقة تحت السّما سبيلك ان تستعملها بمنزلة الاستعارة . * اذ بعد هنيهة تكون معتزلاً عنها ومبتعدًا *

الفصل السادس عشر

* في الصداقة الحقيقيّة *

قال داود النبي مخاطبًا الله . لقد كرمَ عليّ اصفياوك يا الله (مزمور ١٣٨) * فمن حيث ان صحبة الناس والعالم باطلة هي . وان احاديث الخطاة غشوش واكاذيب . فلذلك ينبغي لك ان تتحد بالله وحده وباتقيايه ومحبيه * علي ان الصداقة مع الله تعالي امينة محقة . لانها تجعل محبيه علي الارض ذوى عزٍ وجاه واخيرًا في السّما بمجدٍ لا ينتهى * العالم من شانه ان يسير مع من حسنت احواله . والذين احبهم في زمن الخير سيهملهم في اوان الضيق والويل * من كان محبوبًا في زمن اليسر والرخا فلا يُعرَف المحبوب فيه من هو الشخص امر السعادة . ولكن حينما تعدم هذه السعادة يتبين ايهما كان المحبوب * من تهاون بقريبه في اوان حلول المصايب والمضايق فهذه حجة واضحة انه ما كان يوده في

صديقك . بل انما سبيلك ان تصطبر علي ضروب الشدايد وانواع البلايا في حال الله وتحتمل صعوبة العذاب ولاشر الخطيّة . فاكثر الناس يعملون ما ينافي هذا باتفاقهم مع الاصدقا والارفاق علي فعل الخطيّة . ويشاركونهم بما يغضب الله سبحانه . ثم يكرهون مذاقة الالام والعذاب . بل يوثرون ايضاً الانفلات منه مهملين محبيهم وحدهم في حيطة النوايب والمولمات * فادم ما اراد ان يكون مرافقاً حوى في العذاب . مع انه قد شاركها في المعصية واغضب الله من اجل محبتها . حيث انه باعتذاره نسب الذنب اليها بقوله المراة التي جعلت معى هى ناولتني من الشجرة فاكلت (تكوين ٣) . خلافاً لداود النبي الذى اذ كان حقاً صديقاً صادقاً لقومه . فقال نحو الله انا الذى اخطات وانا الذى اسات هولاء الذين هم خراف ماذا فعلوا فمد يدك بي (ملوك ٢ ص ٢٤) * كثير من الناس الذين قد ارتكبوا خطايا مميتة معضلة من اجل اصدقايهم واحبايهم الذين اذا راوهم في حال الفقر والقلة لم يمدوهم بشي من الاشيا . وهذه الصداقة غير ممكن ان تدعي صداقة حقيقية ولا تدوم مدة طويلة . ولا يوجد صداقة ومحبة الّا فيما بين الفضلا اهل الورع والصلاح . حيث ان الزمان يفني صحبة الخطاة * اسمع ما يقوله يوحنا الانجيلي في رسالته ان العالم كله منصوب في الشرير (يوحنا اولى ٥) *

الانجيليّة الامرة بمحبة الاعدا وهم غير عارفين . فانت ياهذا اذا كنت تحب اصدقاك الاكلين من مايدتك فانك تحب اعداك . حتي انه لايوجد انسان الاّ ويكون محباً عدوه . اذ كان كل الناس يحبون في هذا الزمان الخالي من المحبين * ان صداقة العالم غرارة كاذبة . فان كان الامر هكذا فباطل الاباطيل هو ميلك الي صداقة الناس كونها خرافات وملعبة الصبيان واهتماماً باطلاً لاطايل فيه البتة * اعلم ان الموت سيدركك غداً . فماذا تفيدك في تلك الساعة مدة هذه السنين التي اصرفتها في مرضاة الناس . وهل يستطيع ان ينجيك من الموت اوليك الذين من اجل موداتهم قتلت نفسك دفعات كثيرة بالخطايا . فساعة الموت الشديدة الصعوبة تبين ما اكثر اباطيل الذين قد اعطاهم الاله الخالق حيوة واحدة قصيرة ليربحوا بها حيوة اخرى دايمة حقيقية . وهم يغضبون الله لكيما يرضوا الناس . ففي تلك الساعة نرى ما قد اصرفناه من حياتنا لنرضى الخليقة باهمالنا خالقنا وجابلنا * لانه كما اصطحب بيلاطس وهيرودس وتصادقا بعضهما مع بعض واتفقا علي اضطهاد سيدنا يسوع المسيح (لوقا ٢٣) . هكذا كثيرون يتفقون بمحبة كليّة علي هذا المثال لكي يصلبوا السيد في ذواتهم حسب قول الرسول (عبرانيه ٦) . وذلك بكثرة اثامهم وتفاقم نجاساتهم * فاياك ان تسخط الله وتغضبه من اجل مودة

صديقك

الروسا ولا علي بني البشر الذين ليس عندهم خلاص (مزمور ١٤٥
وقال اشعيا النبي الويل لكم انكم اعتمدتم على عصا من قصب
مرضوضة (اصحاح ٣٦) * فانت تعتمد علي القوى وتتكل على
احبايك واصدقايك الذين هم كالقصبة التي اذا استندت عليها
تنكسر للوقت وبعد كسرها تسقط انت ايضاً وينشبح راسك *
وقد نرى ان العالم ممتلى من الناس المشتكين من اصحابهم ومن
عدم موافاة مواليهم . فان كنت لم ترتدع من شكوى اوليك
فتكون بلا امترا ساعياً وراء الاباطيل . فما قولك فيما اوصانا به
السيد المسيح من المحبة للاعدا . اما ان ذلك ليس الا لكى نحب *
لانه كما ان النار دايمة الحركة وتفعل باى موضوع كان بخاصيتها
هكذا مشيتنا هى بهذه الصورة لايمكنها التفرغ من العمل ولا
تستطيع ان تعيش بغير حب . فلعدم وجود الاصدقا امرك الله
ان تحب الاعدا ليلا تموت الارادة من عدم المودة . على انك ان
فتشت هنا علي ما ينبغى ان تحبه وترتاح اليه لاخلاص حبه فيلزم
ان تكون فاقد المحبة * حيث ان كل امرء انما يحب اغراضه وما
يهواه . وساير الانام يحرصون بما يعود لمنفعتهم ويسعون في طلب
ذلك بشدة الرغبة والطمع . حتي ان الابن لايحب اباه الا لاجل
حصول الفايدة * ولعمرى ان الذين يحبون اعداهم ويحسنون
الي من يبغضهم كثيرون . حتي كانهم بهذا يكملون الوصية

ويشتمونه . فمن اجل هذا قال نحو الله مخاطبًا كثيروا الكلام احباى * وقد قال ابن سيراخ انه يوجد اصدقا بالاسم فقط (ص ٣٧) ان بين الذهب والزيبق يوجد اتحاد عظيم بهذا المقدار حتي انك ترى الزيبق في كل مكان باحثًا عن الذهب طايرًا الي الاتحاد به . ومع هذه الصحبة كلها فانه متي دخل الذهب الي النار تحول الزيبق الي دخان وفرّ عنه هاربًا . فعلى هذا المثال تكون محبة الكثيرين المظهرين لك اخلاص المودة . فانك متي دخلت الي نار التجربة فترى صداقتهم انقلبت دخانًا وانت تبقى وحدك في كور شدايدك * فلا تتكل علي العالم ولا تلتفت الي مفاوضات الناس وكلامهم وصداقتهم الباطلة . ولا يخال لك ان الدنيا الغرارة تفعل معك احسن مما فعلته مع خالقها وباريها * لان ذاك اليوم الذى دخل فيه الرب الي اورشليم خرج كل الشعب الى استقباله مبادرين والاغصان بايديهم . وسبحوه واكرموه بهذا المقدار حتي كان تلاميذه يعجبون بنفوسهم علي ما كان به معلمهم من الكرامة والمجد . ولم يتخلف احد منهم عن الحضور في المايدة لياكلوا العشا الاخير (متي ٢١) . ولما انقلب العالم عليه وحين طرح في السجن هرب جميع تلاميذه الذين كانوا صحبته وقت استظهار حاله . حتى ان واحدًا منهم احتشم ان يكون معلمه وحلف انه مايعرفه (متي ٢٦) ولذلك قال داود النبي لاتتكلوا علي

اليها سعياً محاضرين ليجتنوا من اثمارها . اما بعد انقطاع الثمر فتترك وتهمل ولا يعتني احد بها . وانت الان لكونك ذا عناية وموازرة انسانية وصاحب ثروة وجاه فتزورك الخلان والاصدقا لينالوا منك ما يمكن تحصيله لمنفعتهم . ولكن الفقر والفاقة يظهران هذا المحال * هكذا اذ كانت اورشليم في عهد داود النبي وسليمان موسرة غنية وفي احوالها ناجحة . وكذلك في عهد غيرهما ايضاً من الملوك الذين تملكوا عليها . فكان الناس كلهم في ذلك الوقت يريدون التقرب اليها والصحبة معها . حتى الملوك الذين حولها تسالموا معها وانقادوا متعبدين لها (ملوك ٢ ص ١٠) . ولكن لما خربها الكلدانيون فصار ارميا النبي يبكي وينوح وقطرات الدموع تهطل من عينيه . لانه كما قال فيها وهو في غاية الكآبة والحزن انه لم يوجد من يعزيها من جميع احبابها وكل اصدقايها اهانوها وصاروا لها اعدا (مراثي ١) . وقد استوضح ان تلك الصداقة لاورشليم لم تكن حقيقية اذ قد اضحت مهملة وحدها ومتروكة من محبيها . وعادت اصدقاوها موازرين لاعدايها ومظافريها . وقال سليمان الحكيم في كل زمان فليكن الصديق وفي الشدايد يعرف الاخ (امثال ١٧) * انه من جملة بلايا ايوب وامتحاناته كان امر زوجته التي كانت تناقره دايماً وتماريه . وهذا كان يصعب على الصديق جداً وقد كان اصدقاوه يعيرونه ايضاً

جاه او غني وما يشبه ذلك . وان اتفق لك في وقت من الاوقات الاّ تكون في هذه الحالة الناجحة او كنت مهاناً مطروحاً من الكل. فاول من يهرب عنك هم الذين كنت تثق بهم وتعدهم اصدقاك الخواص بعدم الافراز * ان المحبة قد تشتمل على مقاصد واراب متنوعة. فالمحبون لك لا يحبون ذاتك وانما محبتهم لاموالك وثرواتك. والذين يخدمونك ليس من اجلك انت . لكن من اجل ما تملكه او لاجل ما تستطيع فعله بهم مما يعود لمنفعتهم * ان الغراب الذى سرحه نوح رجع الى السفينة التي خرج منها اذ لم تكن انقطعت مياه الطوفان بعد . ولكن عند ما وجد اشياء يا كل منها لم يفتكر في من انقذه من الموت واطعمه ماية وخمسين يوماً حال سيول الطوفان . ولم يعد ايضاً الى نوح لعدم احتياجه اليه كما كان سابقاً (تكوين ٨) * وكذلك يوجد لك كثيرون من المحبين يزورونك ويمدحونك ويعظمون شانك لافتقارهم اليك لتقضى اغراضهم . وبعد ما بلغوا منك المرام لا يلتفتون اليك لكون صحبة العالم هى كصحبة الغراب * ان الذين يخيلون لك انهم خلانك واصدقاوك ليس هم بالحقيقة كما تتوهمهم . لكنهم محبون ذواتهم . وانما غرضهم ما يعود منك وبك لمنفعتهم * ان الشدة تبين الصاحب علي ما قاله ابن سيراخ . في زمن الخير لا يعرف الصديق وفي اوان البليّة يبان العدو (اصحاح ١٢) * ان الشجرة وهى مثمرة تتردد الناس

والنية المكنونة في صدره فهي سر خفي اكثر من الواح العهد وجرة المن والقضيب الهاروني الموضوعين في التابوت . فان كنت شديد البحث عن افكار قريبك فانك لاتجد مهربًا لتنجو من العذاب الذى عذب الله به اهل بيت شمس وليس لك منه محيص * ان صرف العناية في هذه الامور لاطايل تحته . فيجب اذًا عليك ان تكف عن هذه الظنون الردية فتكون عند الله * محبوبًا وعند الناس مهابًا مقبولًا وتعيش بفرحٍ وسلامة *

الفصل الحادي عشر

* في اباطيل الصحبة الانسانية *

قال يشوع بن سيراخ الصاحب علي المايدة لا يثبت في يوم الحاجة (ص٦) * ان المتجاسرين علي اسخاط الاله لعمرى هم حاصلون في ظلمة الاباطيل . لانهم يبتغون رضى الناس ويقبلون من العالم جزاهم وثوابهم * ان الاهنا الصالح لافراط حبه لك يسمح الا يوجد بين احبايك واصدقايك امانة وثقة ولامعرفة الخير وحسن الثنا . وذلك لتتعلم التورع والعبادة ليسوع المسيح وحده * ان الصداقة في هذه الدنيا قليلة الوجود كون الناس اجمعين يحبون ذواتهم . وان اظهروا لك البشاشة والتبجيل فانما يفعلون ذلك لمنفعةٍ يوملونها منك على مايرونه انك صاحب

حدود ما يتفق هفوات الغير القليلة بعتوٍ وجبروت . فان كان ينبغي لك ان تحاكم الاعمال التي تستبين انها ردية مستقبحة بلطفٍ ودعة . فكم بالحري يليق ذلك بالخبر عن الافعال التي لا يتضح فيها شي ردى . حتي ولو كان من الممكن ان تكون قد صدرت بنيةٍ خبيثة . اذ كان يعسر عليك كشفها والاطلاع عليها * ولعمري انه لافضل لك واصلح ان تغلط اذا ظننت خيرًا فيما يفعله الناس بنيةٍ ردية . مما تظن سوءًا فيما يصنعونه بنيةٍ جيدة . فالاول مستحسن والثاني لايخلو من الذنب * فقد اوصى الله تعالي قديمًا ان الكاهن لايميز الابرص الا بعد سبعة ايام (احبار ١٣) . فان كان البارى تبارك اسمه ما اراد ان الكاهن يسرع بالحكم عاجلًا على البرص الذى يشاهده عيانًا . فكيف تستبيح انت دينونة قريبك بنفاق قلبهِ المخفى الذى لايرى عيانًا * ان المفتشين علي خفايا القلوب من الناس الباحثين على خواطرهم وسرايرهم . فالاولي بهم والاليق ان يخطر ببالهم ذلك العقاب الذى عذب الله بهِ اهل بيت شمس من اجل تفحصهم البليغ عن داخل ثابوت العهد اذ كان يجوز علي ارضهم . حيث انه لذلك ضرب الرب من اكابرهم سبعين رجلًا وخمسين الف رجلٍ من عوام الشعب (ملوك ١ ص ٦) * فاعلم ايها الاخ ان الثابوت الحقيقى هو قلب اخيك الذى هو افضل من ذلك الثابوت الاسرايلى .

ولكن لما ارته الخاتم والعصا اللذين فطناه بذنبهِ . فحينيذٍ نقض الحكم وقال لقد تبررت هي اكثر مني (تكوين ٣٨) * فلو عرفت انت متيقنًا انك اوفر خطاءً من غيرك لما كنت شديد الصرامة في دينونة قريبك . كما انه اذ تيقن يهوذا المذكور ان خطاه يزيد كثيرًا ابطل الحكومة التي اوجبها علي كنهِ بالباطل من غير تفحص عن الذنب * فلو تاملت ناظرًا الي ذاتك وعرفت افكارك وشهواتك الخارجة عن الترتيب لما كنت تدين ما يفعل غيرك على الاطلاق بقلة الاحتشام . بل كنت تقول كما قال يهوذا هم افضل مني * ان يواب زعيم جيوش داود لما ارسل يخبر داود عن الكسرة التي وقعت عليهِ . قال للمرسال . اذا رايت الملك اخذ يلومنا ويقول لمَ دنوتم من السور . فقل لهُ ان اوريا مات . وقد احتال يواب المذكور بهذه النكتة حين بعث بالخبر الي داود . لكي يفطنه بالذنب الذى فعله حين اوصاه بقتل اوريا الذى كان من خيار اكابر قومهِ فلا يطلق لسانه بالثلب علي مقدمي الجيوش وعلي تبكيتهم لدنوهم من السور . وهكذا صار . لانه اذ كان ذنب يواب وعساكره صغيرًا جدًا بالقياس الي ذنب داود اذ امر بقتل اوريا . فما اطلق دواد لسانه بالتوبيخ والملامة عليهم . لكن شددهم وقوى قلوبهم وعزايمهم علي الحرب والقتال * فلو كان لك عينان تبصر بهما قبايحك الكثيرة المتفاقمة لما كنت تدين علي

علي الفعلة لكي يروا اوزارهم الثقيلة الشنعة ويعرفوها حق المعرفة * فادخل اذاً الي داخل نفسك وانظر لو عمل غيرك ما عملته انت ما الذى كنت تقول في حقه. فلاجل ذلك ينبغي ان تقيس علي ذاتك هذا القياس * وكما انك متي اردت ان تنظر ثوباً مفصلاً ان كان جيداً امرلا فتلبسه لغيرك وتنظر نقصه وماذا يحتاج. فهكذا انت لبس سيرتك لغيرك وتفرس جيداً في حالتك ماهي * اترك هذا الاهتمام بالاباطيل المضحكة ولا تعمد الي دينونة غيرك. بل كن ديانًا لنفسك وحاكمًا شديد السطوة عليها بما انك خابر ذاتك وعارف سجيتك وتصرّف عيشتك الماضية والحاضرة. لكي تكون في ساعة الموت مدانًا بالشفقة والرافة من الرب الاهك * ان المفتش بالباطل والشديد الدينونة علي سقطات الناس لا يوهل للمسامحة عن ذنوبه اصلاً * احرس ما استطعت بان تعدر ما يصدر من افعال اخوتك بقدر الامكان. ولعمري انك لفي جهلٍ عظيمٍ حيث يلزمك تهذيب ذاتك واجتناب معاصيك المتفاقمة واثامك الباهظة الموجودة فيك. وانت تتوخى اصلاح هفوات غيرك الخفيفة * فانظر الي نفسك وكثرة ما فيك مما يلزمك تقويمه. ولا تدن فعل قريبك الذى لعله صدر بنيّةٍ مستقيمة * ان يهوذا بن يعقوب قد اوجب قضيّة الموت علي كنته تامر لاجل جريرته التي فعلها.

ولكن

النفس اكثر مما تكون العين بعين المناسبة لقبول السارية العظيمة * وقد يوجد في هذا اعجب مايعجب منه . وهو ان الذين ليس في اعينهم خشبة لا يبصرون . والذين الخشبة الكبيرة في عيونهم يبصرون اكثر منهم . فمن كان له محبة وليس في عينه خشبة لا يبصر زلات غيره وسقطاته . اما من كانت الخشبة الكبيرة في عينه اى الخطية الثقيلة فانه يرى هفوات اخيه الصغار وهذا هو الامر الغريب * فيالشقاوة عظيمة القدر جدًا اذا كنت لا تفطن في غدٍ حينما تحاسب على عيشتك هذه حسابًا شديدًا . لكنك مع تغافلك بهذا المقدار عن نفسك . تجتهد مفتشًا علي ما يعمله الناس تفتيشًا حثيثًا . حتي انك تحب البحث عن الافكار ايضًا * فالعين لا تبصر ذاتها بل تنظر غيرها . وهكذا الانسان يرى غيره ولا يتبصر في نفسه . فاذا شيت ان تعرف كيفية حالك فاجعل كل ما تصنعه كانه في غيرك فتصيب الغرض * فناتان النبي لمعرفته بان الناس نظرهم الي ذواتهم قصير والي غيرهم ممتد طويل . صير خطية داود في غيره لما ضرب له مثل الغنم . حتي اذا عرف عظم الذنب فيحكم علي نفسه بالحق من غير ان يعرف انه هو صاحبه (ملوك ٢ ص ١٢) . ومثل ذلك فعل السيد مع كهنة الهيكل لما اسمعهم مثل الكرم الذى غرسه رب البيت ودفعه الى فعلة عصاة عادمي الموافاة (متي ٢١) . لانه جعل ذنوب الكهنة

ان تدمر تصديقهم لسرعته . بل ينبغي ان تمدح صلاحهم وخيرهم كما يجب . وهذى هي وداعة الحمام التي اوعز بها السيد الي تلاميذه . وهذى هي الدعة والسكينة وهي ان تكون حريصاً فطناً للخير على الكل . ومهما رايت يفعله اخوتك تنقله انت الي الخير * ان سكان جبعون قد جاءوا الي يشوع بالمكر . وبمخاتلتهم ومكرهم خاتلوا شعب الله ومكروا بهم . ولموضع صلاح يشوع وجماعته لم يحتسبوا سكان جبعون انهم يمكرون بهم (يشوع ٩) . علي ان المحبة لا تفكر بالشر ولا تظن سوءاً في قريبها * ان ادم الاب الاول وهو في حال البر لم تكن عيناه تبصر عريه . ولكن بعد ما اضاع المودة حينيذٍ راى ذاته عرياناً * فالرجل الصالح ليس له عينان يبصر بهما مناقص الناس وعيوبهم . واما الشرير فبعد ما يكون فقد الحب يدين بالباطل ويعد نفسه باراً زكياً وغيره مذنباً شريراً . ولمثل هولاء قد ونب الرب مبكتاً حيث قال . يامرايي كيف لا تنظر الخشبة التي في عينك وتبصر القشة في عين اخيك (لوقا ٦) . فالخطايا العظيمة الكبيرة التي تتمادى بفعلها لا تبصرها . واما الهفوة الصغيرة التي في قريبك فتفطن بها * وهذا لعمري خارج عن المناسبة نظراً الي العيون . لانه كيف تكون السارية العظيمة في العين وهي عضو صغير غير قابل خشبة مثل هذه . غير ان قبح الجريمة بعيد المناسبة بالكلية عن ان يكون في

فيظنون خيرًا ويقبلون الاعتذار من الغير علي ما يصدر من قبح الفعال حسب الامكان * هكذا ذكر في الكتاب المقدس ان يوسف كان يعذر اخوته في مصر بحسب طاقته . مع انهم كانوا قد باعوه للمصريين حسدًا . وذلك اذ قال لهم ان الله سمح بذلك لمنفعتكم ومنفعة شعوبٍ كثيرة (تكوين ٤٥) * ومثل ذلك القديس استفانوس عذر مضطهديه قدام الله وهم الذين رجموه حيث قال انهم لا يعرفون ماذا يصنعون . وكان يستخف ذنب اعدائه (ابركسيس ٧) * فمهما يوجد في قلب كل احدٍ من شرٍ ام من خير فذلك علة الظنون الصالحة او الردية * ان الحرارة الغريزية في الانسان المعتدل المزاج من شانها ان تطبخ كل ما ياكل وتحيله الي دمٍ جيد . وهكذا من كان محبًا لله مستحرًا في محبته فانه يغير كل ما يراه من الشر وينقله الي الخير وتحصل له منه فايدة جزيلة . اما الاشرار الاردياء فانهم يحيلون كل شيٍ الي الشر * ان الكذبة لا يصدقون احدًا في الجملة . وذلك لانهم يتخيلون ان كل الناس كذابون مثلهم . كما انه بعكس ذلك اهل الصلاح الذين لكونهم محبي الحق ويستعملونه فلا يحتسبون احدًا كذوبًا ويصدقون الناس للوقت من غير امترا . وذلك لانهم لا يعرفون حيلة ولا تدربوا بالغش . لكنهم كقول الحكيم الساذج يصدق كل كلامٍ (امثال ١٤) . ولعمري انه لا يسوغ لك

غيره . فالرجل الشرير يجعل اعمال الناس الخيرية شرًا . وليس لذلك سبب اخر سوى انه شرير او لخبث نيته ومشيته * ان الظن الجايز في قلب الانسان الشرير يشبه الشمس اذ تحرق الزجاج وتتشكل بلونه . لان فواد الانسان الشرير مصبوغ بلون الشر * فسو الظن لا يصدر عن افعال القريب . بل انما صدوره من تلقا ضميرك الردى . لان القضيب المستقيم يستبين في الماء ملتويًا منكسرًا وذلك لصد الخيال . فمثل ذلك القلب الخبيث المتعوج يدين افعال قريبه المتقومة بالاعوجاج * وهو ايضًا نظير المريض الذى لا يقبل الطعامَ الحلو لكنه يحتسبه مرًا لعروض كيفية ما محيلة لمذاقته . وقد يوجد امثلة كثيرة علي هذا القياس في الكتب المقدسة * وقد ذكر في كتاب ايوب ان الشيطان حيث لم يتفق له ان يذم اعمال ايوب ويشنع عليه ظن به سوًا . اى بانه يفعل ذلك بقصد ردى . وذلك لانه خزاه الله ردى شرير . ولذلك قال ان الخير الذى صنعه ايوب كان مسببًا عن النجاح لا عن المحبة (ايوب ١) * وذكر عن داود النبي ايضًا انه انفذ عبيدًا الي حنون الملك بنية لاغش فيها ليعزيه بموت ابيه . فقال له اكابر بلدته ان داود ارسل عبيده لكى يكشف عن حال البلد وياخذ ملكه (ملوك ٢ ص ١٠) فالناس الخبثا علي هذا المثال يترجمون نوايا غيرهم الصالحة ويظنونها شرًا . اما اهل الصلاح والتقوى فلكونهم اخيارًا فضلا

الفصل الرابع عشر

* في اباطيل دينونة الناس *

قال الرب في انجيله المقدس لاتدينوا فما تدانوا (لوقا ٦) * ولعمري ان هذا لجهل عظيم . اذ الخليقة تبتغي اختطاف وظيفة الخالق * وقد كتب ان الانسان ينظر الظاهر والرب يبصر القلوب (ملوك ١ ص ١٦). لكون فحص النوايا والافكار البشرية امراً مخصوصاً لله تعالي وحده * فلا تعرض نفسك لمداينة قلوب الناس . العلك نبي انت ام الهمك الله معرفة الغيب وكشف افكار الناس . فهذا لعمري جهل عظيم وباطل الاباطيل ولا يوجد شي اشد جهلاً منه * وقد قال الرسول انت من انت يامن تدين عبداً اجنبياً (رومية ١٤) . فربه عتيد ان يدينه * ومع ذلك فقليلون هم الذين يوجدون خالين من هذه الاباطيل . وكثيرون من الناس الذين يحبون ان يصفوا ادوية لاسقام غيرهم . فاثامك ياهذا هي علة شكوكك الباطلة . اذ ليس احد يظن في غيره احسن مما يظن بنفسه . كون الطبيعة الانسانية من شانها ان تحتسب كل ما يوجد فيها من الزلل والنقصان انه يوجد في جميع الناس . ومن كان متدرباً علي الكذب والغش لغيره في البيع والشري فانه يتوهم ان جميع الناس علي هذا الحال . وعلي قياس ذاته يدين

ابتناها (دانيال ٤) . ومثلهم اوليك الذين اشار اليهم السيد المسيح بقوله لرسله ستاتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم انه يقرب لله قربانًا (يوحنا ١٦) * لعمري ان هذا الجهل لا يسبب اعتذارًا عن الخطية . وانه انما يصدر بتخلية من الله تعالي عن الاشرار تعذيبًا لهم وتاليمًا عن شرور اخر كثيرة قد سبق افتعالها * ولا ريب ان هذا الامر منكر جدًا . وهو ان تكون شريرًا خبيثًا ولا يكفيك عدم معرفتك بذاتك حتى تتباهى مفتخرًا بالشر ايضًا . ومع كونك فاقد الضيا وسالكًا في طريق الظلام ولست تدري اين تضع رجليك ولا تعلم الطريق التي انت سالك فيها ولا الي اين يكون وصولك . فمع ذلك تتباهى بما تعمل من المنكر عوض ما كان سبيلك ان تندب وتنوح علي هلاكك * فلو تفرست في الطريق التي انت ساير فيها والعقوبات التي تنتظرك هناك . لكنت تبكي بكاءً مرًا متواترًا علي قبيح صنعك الفاحش ولا تفتخر وتتباهى باطلًا * وقد قال الحكيم انه يوجد منافقون مطمانون كانهم عملوا اعمال الصديقين (جامعة ٨) . فهولاء يشبهون اصحاب الهذيان الذين في حال مرضهم يتوهمون تخيلًا انهم اصحا . وما هذا الا باطل وجنون عظيم . وهم في يوم القضاء العتيد لا يحتاجون الي مشتكين اذ قد اشهروا قبايحهم وفضحوها . ولذلك يكون عذابهم * عظيمًا متزايدًا *

يمضغه اولاً ويقلبه في فمه قبلما يبتلعه. خلافاً لمن يشرب اذ لا يكون علي هذه الصفة. هكذا يكون حال الخطاة. فان البعض منهم يلوكون الخطية وتتقلب فيهم برضاهم واختيارهم. والبعض منهم في حال مرورها في فكرهم يشربونها بايثارهم سريعاً. ولموضع فرحهم بالمعاصي يتباهون في ذلك الوقت بذميم افعالهم ولا يشعرون بها * فيالشقاوة عظيمة لمن كانت هذه الحال حالة. ومع ذلك يتباهى بما كان سبيله ان يستحي منه ويخجل * وقد ذكر في اسفار الملوك عن رجلين ريسي غزاة انهما قتلا اسباسوط بن شاول غدراً وكان ملكاً علي اسرايل. وبعد ان فعلا ذلك انطلقا الي حبرون الي داود الملك وكانا يتباهيان بالشر الذي فعلاه. فامر الملك العادل بقتلهما كما استوجبا عن الذنب الذي صنعا (ملوك ٢ ص ٤). وكذلك فعل هذا الملك اعني به داود بالرجل العماليقي ايضاً لتجبره وافتخاره بقتل شاول الملك. وقد صار هذا الافتخار سبباً لموته (ملوك ٢ ص ١) * وهكذا افتخر شاول الملك امام صمويل النبي بقوله انه عمل كل ما اوصاه الله. حيث انه لم يقل الحق بهذا اذ كان قد شفق علي اغاغ الملك وعلي الغنم والبقر الحسنة خلافاً لما اوصاه الله (ملوك ١ ص ١٥) * ان الاشرار يفتخرون باعمالهم السيئة كانهم مرضون الله بهذا الصنيع. هكذا كان بختنصر يفتخر بالباس والجبروت وبالمدينة التي

وسق الذنوب يثقل علي قلب المنافق فتهرب عنه رطوبة خوف الله بالكلية . ويفقد الرجا الصالح ويعود قلبه ناشفاً متحجراً * ان المنافق بعد ما اضاع المعرفة بوقر السيات يفتخر اذ ذاك بالذى كان سبيله ان يبكى من اجله نايحاً ويستحى منه خجلاً . وعن مثل هولاء يقول الحكيم . انهم يسرون بافتعال السوء ويبتهجون بما يستقبح من فعلهم (امثال ٢) . ان بني اسرايل اذ كانوا تحت رق فرعون في مصر ما كانوا يخافون منه الا قليلاً . ولكن عند خروجهم من مصر اذ راوا فرعون قد وثب عليهم ارتاعوا جداً . فعلى هذه الصفة هم الاثمة . لانهم متي انتهوا الى غاية الشرور فيطرحون عنهم الخوف من الله ويرتكبون المعاصى بغير خجل ولا حيا ولا يبالون بقبيح اعمالهم . خلافاً للذين يبكتهم ضميرهم فلا يفعلون كذلك . بل يهتمون باعلي همة لينصرفوا عن ما اثمهم * ان الثور حين يضرب بالنشاب يحس بدءاً بما يرشق به . ومتي تواتر عليه رمي السهام فما يعود يحس بشيء . وعلي هذه الصفة تكون سجية الخطاة وحالتهم . لانهم في ابتدا الخطية يشعرون بها . وبعد ما تمكنت الخطية فيهم فلا يحسون بثقلها . وعن مثلهم قيل في سفر ايوب الصديق يشربون الخطية مثل الماء (ص ١٥) * ان اقواماً من اهل المعاصى ياكلون الخطية اكلاً . والبعض منهم يشربونها شرباً . وكما ان الذى ياكل شيأ

مفتخرين بالشر اكثر مما يخطيون بالفعل عاصين علي الله . لكونهم بفعل الشرور والقبايح يضرون ذواتهم . وحين يتباهون بفعلها يحثون الناس علي ارتكابها * فان كنت لا تتوب عن الافعال الذميمة ولا تجتنبها فارهب خجلاً من ان تشهرها بين الناس . وان كنت لا تخجل من كونك شريرًا فاخجل واستحي من هذه الحالة وهي ان تكون شريرًا بهذه الغاية امامَ الناس . واقنع بهلاك نفسك وحدها * انه بمقدار ما يكون احدنا قليل الخوف من الله تعالي بقدر ذلك يخطي بكليّة عزمهِ واختياره . وكلما استخف بثقل الخطيّة وتهاون بها يسهل عليهِ بالاكثر جوازها واستحلالها . ومن التوهم بانها حلال لهُ ياخذ في اشهارها ويفتخر بها * فلو ان اهل صادوم اخطاوا بخشيّةٍ واستحياءٍ لما تظاهروا بالقبايح ولا افتخروا متباهين بها . لكن لعدم الخشيّة ولجام الحيا لم يكن خطاوهم مستورًا بل جهارًا . حتي انهم التاموا جميعًا الي بيت لوط علانيةً وعمدوا علي الدخول قهرًا وجبرًا (تكوين ١٩) * ان علة افتخارك باعمالك الذميمة الشنعة وتباهيك بها انما هو استخفافك اياها . ولهذا لا تتلافاها حتي ولو كان ثقلها متزايدًا متجاوز الحد فلا يهمك ذلك حسبما قال الحكيم المنافق اذا انتهى الي قعر الخطايا لا يبالي (امثال ١٨) * فكمثلما يُعصر العنب بثقل الحجر عليهِ في المعصرة ويبقى التفل ناشفًا من الرطوبة . هكذا

شهادة الضمير تكفيك قد امر الله العتيد ان يحاكمك ويدينك * ففي حين مدح الناس اياك او ذمك سبيلك ان تكون حاضرًا في قلبك متيقظًا . فان صودف فيك الشر الذى قيل عنك . فيحق لك ان تحزن وتغتم . وان لم يوجد فيك ذلك فارفع الشكر لله في ذلك الوقت . كونه انقذك من تلك المصاعب والشرور * ومتي ذمك الناس وشتموك واخذوك في لسانهم وكنت عاملاً بما يجب عليك . فاورد اذ ذاك التعزية لنفسك بيسوع المسيح الذى لافراط محبته اياك عُير وقذف به وشتم وحكم عليه بقضية الموت الفظيع . ولكى تتشجع متجلدًا ردد في فكرك ما قاله الرسول اننا نظهر انفسنا كانا خدام الله بصبر طويل بالهجو والمدح (قرنتية ٢ ص ٦) . والله ناظر قلبك وعارف ضميرك وهو المجازى كل امرئ حسب عمله

الفصل الثالث عشر

في اباطيل الذين يتباهون بالشرور والاسوا

* التي يفعلونها *

قال اشعيا النبي مثل اهل صادوم اشهروا خطاياهم (اشعيا ٣) * فكثير من اهل العالم يتهاونون بصيتهم بهذا المقدار حتي انهم ليسوا بمتهاونين باشهار الناس عيوبهم فقط بل انهم يتباهون بالشر ايضًا كاهل صادوم . فهولاء يخطيون في غالب الاوقات بالفم

زمني بالنسبة الي خيرات النفس . فان خاصته حفظ الانسان في الخير . ومتي فني هذا القشر الذى هو الذكر الصالح . فيفني خير الانسان ويضمحل . وفي شان هذا قال الله لشعب خاطٍ كان يرتكب المعاصى حسب هواه واضاع صيته وفقد الحيا . انت كالمراة الزانية وتحطى بغير حيا (ارميا ٣) * ولعمرى ان فواحش كثيرة تترك خوفاً من فقد حسن الثنا . لان الانسان لاجل حفظ الصيت وصيانته يكف عن قبايح عديدة التي لايقدر في وقت من الاوقات ان يمتنع عنها وهو فاقد لجام الصيت * ان الذكر الطيب ترس حريز للعفة وللعادات الصالحة . ومتي فقد صيت الرجل فانه يندفع الي المعاصى طوعاً باختياره * بل ان هذا الصيت ليس هو بحاجز عن كثرة الاثام فقط . بل منبه للانسان ومحرض له علي اصطناع الخير ايضاً . وقد يجعله قابلاً لاستعمال المناقب المفضلة * وقد قال ابن سيراخ احتفظ بالاسم الصالح لان هذا يبقى لك افضل من الف ذخيرة ثمينة جزيلة (ابن سيراخ ٤١) * فينبغى اذاً ان تحفظ الذكر الجميل لاجل الخيرات الناتجة منه . لانه يصدك عن الفواحش والقبايح وينبهك لافتعال الصلاح * فالاليق بك والاجدر ان يكون لك ذكر صالح . لالاجل فخر عالمي وسمعٍ فارغ . لكن لتكون رسماً ونموذجاً لنفع القريب . وان كنت خايباً من ذلك من اجل شر الناس وخبثهم فلا تحزن ولا تكتيب . لان

الي مقاولاتهم. وانما يجب عليك ان تتلافي الشك الردى الذى تتوهمه فضلاء الناس . لانه ليس بصالح من كانت طريقته لا ترضى ذوى الصلاح * وربنا تبارك وتعالي ما احب ان يُمدَح من الاشرار بل من الصلحا الاخيار . ولوقا الانجيلى قبل ما كتب الشهادة والمدايح التي مدح بها السيد سمعان الشيخ وحنه النبيّة ابنة فانويل . وصف فضايلهما الكثيرة بدءًا ومدحهما . ثم بعد ذلك كتب الشهادة الممدوحة التي مدحا المسيح بها (لوقا ٢) . وذلك لكى نفهم انه تعالي ما اراد ان يُمدح الّا من اهل الصلاح . وقد اثر كثيرًا تسابيحهم وتقريقضاتهم . واما الشياطين فكان ينتهرهم ويوعز اليهم بالسكوت عند قولهم انه ابن الله (لوقا ٤) . لانه جل ذكره لايقبل شهادة الاشرار ولايشا تسابيح الخطاة . وقد قال الله علي لسان النبي للخاطى لماذا انت تحدث بعدلى وتاخذ عهدى بفمك (مزمور ١٤) * فالتفت الي مديح الاخيار ولا تتهاون مع ذلك بحسن ثناك والاشاعة عنك . لان من يتهاون بعرضه فانه خبيث وقاسٍ * فلذلك ينبغى لك ان ترغب في السيرة الصالحة والّا تتهاون بعرضك ولا تتغافل عن حسن صيتك . كون العرض والصيت في الانسان مثل القشر في التفاحة . الذى مع رقته وخفته يحفظ الثمرة ما دام مرَعليها . ومتي نزعته عنها فسدت في مدة ثلاث ساعات . فهكذا الذكر الصالح ولين كان خيرًا جزيًا

ان العيشة الصالحة هي اوفر احتياجاً واشد ضرورةً لنا . اما حسن صيتنا فهو ضروري لغيرنا . ومع ذلك فكل ما نفعله لاجل خلاص القريب وتهذيبه فنفعه عايد علينا * اضرب صفحاً وحد عن الناس الذين بمعاشرتهم يقع فيك الشك بالسو . حيث ان الواجب عليك ليس هو ان يكون لك ضمير صالح فقط . بل ان تقطع عنك ايضاً كل ما تستطيع الناس التلفظ به حسب قول الرسول . احرصوا ان تعملوا الخيرات ليس قدام الله فقط بل امام جميع الناس ايضاً (رومية ١٢) . وقال لاهل قرنتية اننا نحن رايحة المسيح الطيبة لله في كل موضع (قرنتية ٢ ص ٢) * فلا تتوخى مرضاة الكثيرين بل الاخيار الصالحين . لان الكمال لا يرضى الكثيرين . واصفح عما يقال وعمن يقول . وقد قال الرب لتلاميذه عن بعض الفريسيين الخبثا دعوهم فانهم عميان قادة عميان (متي ١٥) . وذلك لانهم كانوا قد شكوا بتعليمه الصالح * فالافضل هو ان تكون ممدوحاً من الصالحين وممن قد استحق المدحة من الاخيار الافضلين . وان تهتم بكل حرص في ان تقتفي اثارهم . وكن ذا همة علي اقتباس المناقب المفضلة وامتلاكها * فمغبوط وسعيد هو يوحنا المعمداني اذ قد استحق ان يكون ممدوحاً من السيد الصالح في هذه الغاية (متي ١١) * فان كانت مذمة الناس يحق ان يزدرى بها هكذا علي ما وصفنا . فما سبيلك اذاً ان تلتفت

خيرًا ولك حلاوة العسل مالم تقرن مع ذلك حسن الثنا عليك . فالعسل لذيذ هو . لكنه من اجل رايحته المكروهة غير مقبول في القرابين * سل عمّا يقال عنك علي مثال السيد . وتامل حينيذٍ المقول هل هو صدق امر كذب . اذ لا يعرف ذلك احد كما تعرفه انت نفسك . لانك مسلط علي ذاتك وخابر فعلك . فان كان ما قيل في حقك من السو صدقًا . فثقف ذاتك وقوم طريقك ولا تتهاون بتلفظ الناس في هذا المحل . ومتي توانيت في هذا ولم يهمك ما قيل . فتكون كانسان خايب من النفس . ولكن اذا قيل فيك الشر كذبًا بخلاف الحق . فيجوز لك في ذلك الوقت ان تقول انا اعمل مايجب عليّ ودع الناس يقولون مهما قالوا . وان تعزى نفسك مع الرسول القايل لو كنت ارضى الناس لما كنت عبدًا للمسيح (غلاطيه ١) . فلذلك الخليق بك ان تعتني بما يقال عنك . فان طعنك الناس واوسعوك سبًا بالحق فاعتد ذلك لاصلاح نفسك . وان كان بالباطل فيكون ثوابًا ونصيحةً لتعيش بكل حرصٍ متيقظًا مستعدًا * فينبغي لك ياهذا ان تثقف سيرتك وتعطى نموذجًا حسنًا في الظاهر جيدًا . حتي انك بذلك تحث الاشرار ليثنوا عنك خيرًا رغمًا عنهم لما يرون من حسن طريقك . ولكن عيشتك هذه الحال حالها حتي اذا مدحت لايخزى المادح لك ولا يستحى من الذين يهجنونك ويثلبونك *

الانجيلي يقول عن والدي يوحنا المعمدان انه لم يكن احد يثلبهما بهفوة (لوقا١) * وسيدنا يسوع المسيح الذي كانت لنا افعاله رسوماً وامثالاً . سال تلاميذه عما تقول الناس عنه (متي ١٦) . مع انه بحسبما هو اله حقاً كان يدرك كل شي بعلمه ولا يخفى عليه شي مما يقال عنه . وانما سال عما يقال لكيلا نتهاون بصيتنا . وان نتحفظ مما يقال من جرائنا . وهذا التعليم ليس هو بمخالف لقولنا بما تقدم انه يجب الاستخفاف باقاويل الناس وتشنيعاتهم . علي ان ذلك يفهم باننا متي عملنا ما يجب علينا ومع ذلك ثلبنا الاشرار علي عيشتنا الصالحة . فمن هذا القبيل ينبغي لنا الا نبالي بكلامهم . والا ننقطع عن الاعمال الحميدة خوفاً او خجلاً من السنة المفترين علينا . اما اذا ارتابوا فينا بطريق الحق . فسبيلنا عند ذلك ان لا نضجع عن اصلاح ما قيل في حقنا . والا نتهاون بذكرنا الصالح * وقد يوجد كثيرون يقول كل واحد منهم انا اعمل ما يجب عليّ ودع الناس تقول ما تريد . فحسن هو ان تعمل ما ينبغي لك ولكن تسقط في غلط جسيم ان انت اهملت ثناك الجميل وارتضيت بسلب عرضك * وقد ذكر في سفر اللاويين ان الله ما اراد ان يقدموا له قرباناً بخمير وعسل (احبار٢) . لانهما اذا احترقا تخرج رايحتهما كريهة جداً . وهكذا لا يرضى الله ان يكون عرضك مكروه الرايحة رديئاً * لا يكفيك ان تكون صالحاً

ياهذا شهادتك في السما وداخل سريرتك فدع اصحاب الاباطيل يتكلمون في الظاهر ما احبوا . ولاتلتفت الى الورا ولا تعد راجعاً عن الطريق السالك فيها * ان الورد ولين كان بين الشوك فلا يبطل نموه . وهكذا انت لايسوغ لك ولا يجوز ان تترك السلوك الي ما قدام ومتابعة طريق الفضيلة التي ابتدات بها من اجل الفاظ الخطاة والمنافقين *

الفصل الثاني عشر

* في اباطيل الذين يتهاونون بصيتهم واعراضهم *

يقول الحكيم خيرٌ هو الصيت الصالح من الغني الكثير (امثال ٢٢). والرسول بولص يقول عمن ينتخب لمرتبة ينبغي ان يكون لهُ شهادة حسنة ظاهرة بين الناس (تيموتاوس ١ ص ٣) * علي انه مما يجب عليك لله تعالي ان تحوى ضميرًا صالحًا . ومما يجب عليك للقريب نموذجات حسنة . كما فعل موسي النبي لما قام بامر الله ليمسح هرون كاهنًا فانه اختاره قدام كل الشعب (احبار ٨). وذلك لكيما يعرف الجميع ان من كان اوفر فضلاً من غيره هو المستحق لدرجة الكهنوت * فياليت ذوى المراتب يكونون هكذا وجميعنا ايضًا. ولعمري انه ينبغي لنا ما كتب عن يهوديت الشجيعة انه ما كان احد يتكلم عليها شرًا (يهوديت ٨) * ولوقا

بك . فمن ذلك يظهر انك ما اتقنت الفضيلة بعد . كون السيد يقول في انجيله المقدس الطوبى لكم اذا عيروكم وطردوكم من اجلي (متي ٥) * واذا مامدحت او ثلبت فانظر اولاً من هم اوليك الذين مدحوك والذين عيروك . وحينيذٍ ترى من هو الاصلح الالتفات اليهِ * لا يكن اجتهادك في ان ترضى كثيرين بل في رضى الذين ينبغي ان ترضيهم فقط * ايتها النفس المسيحيّة تاملي في ختنكِ انه ليس بحقير ولا مهان الى هذا الحد حتي تتعيري بخدمتهِ وطاعتهِ . انظري الي مقدار ما كان معيرًا ومهانًا من الناس في هذه الدنيا . ولا تانفي من الاقتداء بافعالهِ الالهيّة الجليلة . لكن افعلي نظير موسى الذى اخبرعنه الرسول انه احب عار المسيح افضل من شرف قصر فرعون ومجده (عبرانيه ١١) وقد ذكر عن الرسل القديسين انهم كانوا يخرجون من المحفل وهم فرحون لانهم قد اهلوا ان يهانوا ويذلوا من اجل يسوع المسيح (ابركسيس ٥) * فان كانوا قد دعوا المخلص بعلزبول فكم بالحرى عبيده (متي ١٠) . فلو كنت من هذا العالم لاحبك العالم . ومن اجل انك لست من هذا العالم فلهذا ابغضك العالم (يوحنا ١٥) فلا يمضنك وجع ما تقوله فيك الناس من الشر اذ يكون ضميرك صالحًا لانه قد قال الرسول فخرنا هذا شهادة ضميرنا (قرنتيه ٢ ص ١) وايوب الصديق يقول في السّما شهادتي (ايوب ١٦) فان كانت

يرذلون الذين هم في طريق مستقيم (امثال ٢٩) * اهرب من الناس واستهزى بالعالم وبكل ما في العالم . وقد ينبغي لك في غالب الاحوال ان تجعل نفسك مجنونًا . ومتي ما ظننت ان استهزاء الناس بك يثقل عليك لكثرتهم فلا تخف ولا ترتع . لان الله يستهزى بهم حسب قول النبي والملك . الساكن في السما يضحك بهم (مزمور ٢) . فلا تكون نقيصة للشمس اذا لم يعاينها البوم . ولا هو استخفاف بالذهب والفضة اذا لم تقبلها البهايم التي لا تحب الا التبن والشعير . وكذلك ليس هو بعيب ولا معيار اذا استهين بالاخيار من المنافقين واهل الضلال . لان كل امرئ يمدح ما يعجبه وينسب اليه * قال اشعيا النبي الويل لكم الذين تقولون الشر خير والجيد شر (اشعياه) . فلا تعتني بقول مثل هولاء * انه اذ قيل لارسطوبس الفيلسوف ان الناس يضحكون عليك ويستهزيون بك . فاجاب قايلًا والبهايم تتهاون بهولا وهم لا يعتنون بالبهايم وهكذا انا لا اعتني بهم * ان هذا الاستهزا لا يصلح الخوف منه بل يصلح ويليق التهاون به . فلذلك سبيلك الا ترجع الى ورايك من اجل اقوال المنافقين . ولكن الاجدر بك ان تسرّ وتكون مبتهجًا مفاخرًا . اذ كان الافضل هو ان تكون بين الاشرار صالحًا من ان تسير بالفضيلة بين الصالحين * وان كان العالم الي الان لم يستهن بك ولا استهزى

سكت المثلوبون والذين يسمعون سماعاً مكروهاً كاذباً . وافتكروا بالعطية التي يرجونها بالصبر . لكان المتقول عليهم بالباطل يخزى خجلاً * ان قلة المجاوبة لاصحاب الشتيمة والوقيعة هي ثلب وقهر لهم . لانك اذا شيت تقاوم النار فبالماء تغلبها حيث انه ضد طبيعتها . هكذا متي اردت ان تقاوم المتكلمين عليك شراً فعليك بالسكوت . وافتكر انك تستطيع ان تسمع باذنين اكثر مما يقدر ذاك يتكلم بفم واحد كون السكوت اقل تعباً * ولعمري انك اذا كنت خايفاً من ان يهزأ بك من الذين يحق عليهم الضحك والهزء فانت فاقد المعقول . لان الاشرار حين يهزاون بالاخيار ويطنزون بهم لاجل حسن صنيعهم . فانهم يشاكلون العميان الضاحكين علي ذوى الابصار لانهم يبصرون . ومثل العرج الذين يعيرون المتقومين لانهم ما يعرجون نظيرهم . وهذا هو الذى يستحق الضحك * فاى انسان ذى عقل لا يضحك علي الاعرج الذى يعير من يمشي مستوياً . ومن ذا الذى لا يستجن الذى من خوفه ليلا يضحك عليه الاعرج يمشي متعارجاً مع كونه مستقيماً . فلاجل ذلك سبيلك يا هذا ان تسخر بمثل هولاء الذين يطنزون بك ويعيرونك لكونك تمشي مستوياً ولا تغايرهم * وقد قال سليمان الحكيم السالك مستقيماً والمتقى الله يهينه السالك في الطريق المذموم (امثال ١٤) . وقال في موضع اخر المنافقون

يرذلون

ايثارهم. فيهربون اذاً من غيران يطردهم احد * علي ان الذين يذمونك ياهذا ويسبونك لايلحقك منهم اذية بل ينفعونك نفعاً جزيلاً . حيث انهم يقدمون لك مادة ليصطنعوا لك اكليلاً ابدياً . لان كلامهم كالذهب والفضة والجواهر الثمينة التي يصير منها اكليل سماوى غيرفانٍ * قال الحكيم ان الشرير ينهزم هاربًا من غيران يطرده طارد (امثال ٢٨) . فعلى هذا النحو هولاء غيرانهم اذ يفرّون من شر العذاب فيلحقهم عقاب الذنب . وقال الله انهم ترهبهم ورقة تتحرك في الريح . ويهربون من صوت الورقة كما يهرب من السيف . ويسقطون صرعي من غيران يطلبهم احد (احبار٢٦) * ان كلمة المعير تشبه ورقة يحركها الريح . ومع ذلك فترهب منها الضعفا المبتدون ويرتدون الى ورايهم عن الخير الذى ابتداوا به . ويقول كل واحد منهم ماذا يقول الناس عني ان فعلت كذا وكذا وهم غافلون عمّا يجرى عليهم من اهمالهم الفعل الحميد . فيخشون من كلام الناس اوفر مما يخافون من افعال الله . وهكذا يلتفتون الي الناس ويترقبون الفاظهم اكثر مما يعتبرون عمل الله سبحانه . ويتضح جنونهم عندما يغلبون من اهل الثلب والشتيمة . ولعمرى انه كان امرًا سهلاً لهم ان يغلبوا هم الثالبين بالصمت فقط حسبما قال اشعيا النبي . بالسكوت والرجا يكون جبروتكم (اشعيا ٣٠) * فلو

بنسيج الاعذار الباردة جزعاً من كلام الاغيار. وسبب هذا الخوف في اكثر الاحوال انما هو الميل الي ارضا الناس العالميين. فاقطع رجاك من العالم وانفهِ مقصياً * الا ترى ما قالهُ يعقوب الرسول اما تعلمون ان محبة العالم هي عداوة لله. وكل من احب ان يكون خليلاً لهذا العالم فهو عدوٌ لله (يعقوب ٤). وداود النبي يقول ان الله يبدد عظام الذين يختارون رضى الناس علي رضاه خزوا لان الله رذلهم (مزمور ٥٢). وقال الرسول لو كنت ارضى الناس لما كنت عبداً للمسيح (غلاطيه ١) * وسبب هذا الخوف ايضاً في غالب الامر فهو ابتعاد الله عنهم. اذ لا يتفق ان يكون خوف عند من يكون الله معه كقول النبي ان انا مشيت في وسط ظلال الموت فلا اخشي الشر لانك معي (مزمور ٢٢) * وقد قال الله عزَّ وجل ان رذلتم سنني وكرهتم احكامي فتسقطون امام اعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم وتنهزمون من غير ان يطردكم احد (احبار ٢٦). فهكذا خوف هولاء ورعبهم متزايد بهذا المقدار حتى انهم يسقطون امام اعدائهم من النظر اليهم لا غير. اذ لا يطيقون حضور المعيرين والثالبين. بل تذوب قلوبهم امامهم مثل الشمع من قدام وجهِ النار ومثل الثلج من امام وجهِ الشمس. ويكونون تحت سلطة اعدائهم ولا يجسرون علي العمل بما يغيظهم. مع انهم ملزومون علي الحقيقة ان يعملوا ما يخالف

الصلاح من اجل خزى العالم وخوفاً مما يستطيع الناس التلفظ بهِ فانهم في طريق الضلال . ويشبهون الخيول الجفيلة التي تنفر من ظلها . لعمرى ان ضرّ هذه الدنيا ومحذوراتها ليس هو ضرًا حقيقيًا . وانما الضر والشدايد الحقيقية هى في الاخرة لكون الحوادث والمضرات التي هنا ليست هى الآ خيال تلك الاتية . والذين يخافون من الخجل الحاضر ههنا ولا يرهبون من العتيد كونه . فخوفهم انما هو من الخيال لا من الحقيقة حسب قول النبي جزعوا خوفاً حيث ليس خوف (مزمور ١٣) . ويضاهون الصبيان الذين يرعبون من اجرية الكلاب اللاتي تنبح ولا توذى احدًا * ان هيبتنا هيبة الشيوخ وسجيتنا سجية الصبيان الذين يرتاعون من ادنى شي . وعلي هذا القياس هم الذين يخافون من المتلفظين شرًا مكروهاً . لانهم انما يخافون من امور دنية خفيفة * ان العالم يحاكى جرو الكلب الذى يعوى علي من يعمل الخير ولا يفعل الاذية لعدم انيابهِ . واخيرًا يتعب من النبح ويسكت * فلو احب ملك من الملوك ان يكون في خدمتهِ رجل من اكابر دولتهِ . فاعتفى ذلك الرجل مجيبًا الملك بانه لاقوة لهُ علي خدمتهِ خشية من تقول الناس واحاديثهم . اما يكون جوابه هذا ركيكًا مهملاً واعتذاره مستوجبًا للضحك . فعلى هذا المثال الذين يرجعون عن وظيفة التعبد لله ويغادرونها

الخمر خليل العشارين والخطاة (متي ١١) . اهرب من اهل الوقيعة والهزء حسب قول الحكيم ولاتعاشرهم ولا تخالطهم (امثال ١٤) . وقد جا في العتيقة عن الفتيان الذين كانوا يطنزون باليشع النبي ان الدب قتلتهم وافترستهم (ملوك ٤ ص ٢) * فلا تعد راجعاً الي الوراء عما ابتدات به من الخير خوفاً من مذمة هولاء ولا من كل ما يستطيعون التلفظ به . من حيث انهم لاسلطان لهم علي اضرارك ان انت عملت ما يجب عليك . اسمع ما قالهُ بولص المعظم انني انسي ما وراى وانبسط فيما هو امامي (فيليبيه ٣) * ان الحيوانات الاربعة التي راها حزقيال النبي ما كانت ترجع في سيرها . بل كل منها كان يمشي الي ما قدام (حزقيال ١) * فاسلك اذاً انت طريقك . واستقر متركناً فيما عولت عليه من الخير الذى ابتدات به . وسد اذنيك عن بنات البحر الغرارة . اى عن المتجنين عليك ظلماً . الي ان تبلغ مينا خلاصك الحقيقية حيث تنال

* الراحة والنياح سرمداً *

الفصل الحادي عشر

* في اباطيل المنحرفين عن الخير من اجل اقاويل العالم *

قال الرب في الانجيل المقدس من يستحي بي وبكلامي قدام الناس فابن الانسان يستحي به امام الله (لوقا ٩) * ان الحايدين عن

من هذا القطيع ورجع الي قطيع المسيح . فيطردونه ويعوون عليه ويعضونه بالمثالب والتذمذم . ويثيرون العواصف علي اوليك المبتدين بالصلاح والعبادة ليسوع المسيح بعد تجنب ما سلف من قبيح فعلهم وسيرتهم الاولي * وقد شبه الحكيم فعل اصحاب المذمة بلدغ الحيّة سرًا فقال . ان لدغت الحيّة سرًا فمثل ذلك من يثلب قريبه خفيًا (جامعة ١٠) * ان الحية حيوان خاين تلدغ سرًا . وتمشي متعوجًا . وتسف التراب . فعلى هذا النحو حال اصحاب المثالب والتذمذم . لانهم يمدحون الناس ظاهرًا ويهجنونهم خفيًا ويسلكون طرقًا معوجة . لانهم لتحقيق كلامهم يمدحون اولاً من يقصدون مذمته فيما بعد . وهم يستفون ترابًا بتقولهم عن قريبهم امورًا ارضية خسيسة مشاكلة التراب الدنيوى . وعن هولاء قال الحكيم ملعون الجيل الذى اسنانه سيوف (امثال ٣٠) * لعمرى انه لغريب الطبع من كان في فمه مرهفات عوض الاسنان . وقال ايضًا داود النبي بنوا البشر اسنانهم سلاح ونبل والسنتهم سيف مرهف (مزمور ٥٦). اذ لا يفلت احد من لسانهم الا ويمزقونه بانيابهم . حتي ومخلص العالم ويوحنا سابقه ايضًا كما قال الرب لبعض الثالبين . ان يوحنا المعمدانى جاء لا ياكل خبزًا ولا يشرب خمرًا فقلتم هذا به شيطان . فجاء ابن الانسان ياكل ويشرب فقلتم هذا انسان اكول شريب

الوقيعة والتذمذم * ان المحال في الفردوس الارضى قد اباد العبادة المبتدية في ابوينا بواسطة الحية . وبواسطة فرعون عزم على افناء شعب الله حين توخى قتل اطفال العبرانيين فى حين مولدهم * ان شر اصحاب الوقيعة يضاهى شر هيرودس قاتل اوليك الاطفال الابرار . لانهم مثل ذاك ينهضون علي المبتدين بالخدمة لله . مثيرين ضدهم تعييرات ومعايب في وقت مولدهم وفي بداية فعل الخير * ان صاحب المدمة يشبه الريح التي تحرق كرم الرب المزهر . لان كثيرًا من الناس يرجعون الي ورايهم عن المحامد والصالحات التي قد شرعوا باصطناعها . وذلك لعدم اصطبارهم علي اهل التجني الذين يحاكون الشوك المطروح في طريق السما * وهولاء يفعلون كمن ينفخ الغبار . فانه يعود راجعًا اليه وتعمى عيناه . هكذا هولاء فكلما زادوا في نفخ المثالب علي الناس والوقيعة بهم يزدادون عمى حتي لا يعاينوا الحق اليقين . فلو استفحصت ذاتك ورايت مناقصك لما ثلبت قريبك * ان الله قد نهى شعبه في العهد العتيق عن ان ياكلوا دمًا (احبار ١٧) . والحال ان الذى يقع بقريبه فهو ياكل دمًا انسانيًا . فلا تقع اذًا بقريبك لان الله امرك قايلًا اياك ان تاكل دمًا . ولعمرى ان الشتامين والمعيرين هم الكلاب الذين يحرسون قطيع غنم الشيطان المارد ولا يريدون ان يشرد منه احد . وان شرد احد

من

اوليك الذين يسترجعون المبتدين من السعى في خلاص النفس الي رق عبودية الخطية وقد كانوا نجوا من اسرها * ان الثلابين والشتامين ونظايرهم يلتمسون نوال الملكوت . لكنهم يكرهون جسر التوبة الذى لا بد ان يمرّ عليهِ الخطاة المسيحيون لينالوا ملك السما . فهولاء يغرقون اخوتهم الذين كانوا قد تخلصوا من تسافق الامواج في البحر المضطرب . وهكذا كان سمعان الفريسي يتذمر علي مريم المجدلية لانها بعد رجعتها عن ذنوبها اقبلت لتغتسل من ينبوع الرحمة يسوع المسيح (لوقا ٧) * وكذلك نهضت الجموع على ذلك المخلع الذى كان مطروحاً بقرب بركة الضان عند نهوضهِ وشروعهِ بالتعبد لله ربهِ وامتثال ما امرَ بهِ السيد (يوحنا ٥) . لانه للوقت نهضت ضد اهل العالم وابتدأوا يصيحون عليه ويونبونه لكونهِ حمل سريره في يوم السبت . مع انه قد كان سقيماً ملقى منذ ثمان وثلاثين سنة ماكثاً هناك ولم يرفده احد بيد معونة لينزل في البركة . اما حينما استنقذه الرب من سقم النفس والجسد واخذ بالعبادة لله عز وجل . نهضوا عليهِ اذ ذاك واوسعوه سباً . وهكذا ذلك الاعمى الذى اغتسل في عين سلوان كان يضطهد الذين يحاولون تغريق الفضايل وابادتها في اول استعمالها * ولعمرى ان هذه حيلة من حيل المحال لكى يبيد الخير في ابتدايهِ ويفعل ذلك بواسطة اهل

شيطانًا لانه اراد ان يمنعه عن الامهِ وتخليص النفوس . ويصدك عن انقاذهم واستفكاكهم بسفك دمهِ الكريم (متي ١٦) . فاذا كان المخلص لهُ المجد قد لام بطرس وبكته على فعله هذا مع انه كان بنيةٍ حميدة صادرًا عن افراط حبهِ لهُ . فكم تستوجب انت من العقوبة بثلبك سيرة الاخيار وتذمذمك عليهم . الذى بهِ تصير في غالب الامر علةً للضعفا المبتدين لان يعودوا الى الوراعما هم عازمون عليهِ من الصلاح فزعًا من وقيعة لسانك . فحقًا لقد صرت شيطانًا محالًا كما قال المخلص . اذ انك بثلبك ووقيعتك تصد النفوس عن الخلاص . وتبعدهم من المشاركة الالهية بيسوع المسيح الذى فداهم بدمهِ الكريم الثمين * وقد كتب في الانجيل المقدس انه تعالي وساير اجناد المليكة يفرحون سرورًا بعودة الخاطى (لوقا ١٥) . واما انت فانك توافق المحال وتوازره في منع خدمة الله وعبادتهِ الحسنة من اوليك المبتدين بها وتحزن معه * وقد قال يوحنا في رسالته عن الذين يحلون بالناس . ان مسحا كثيرين دجالين قد وجدوا في العالم (يوحنا ١ ص ٢) . وقد دُعوا مسحا كذبة لمقاومتهم الرب يسوع المسيح . ولانهم بتذمذمهم يصدون كثيرين عن اتباعه تعالي * ان الذى يامر المسيحيين الذين قد تخلصوا من الحبس والاسر بالعود ايضًا الي تحت رق عبودية السودان فليس هو بمسيحى . فماذا نقول عن

طريق الفضيلة . وثابر علي عمل الخير الذى ابتدات به . ولاتركن الي كلام البطالين الذين من عادتهم ان يكشفوا النوايا ويفضحوا اعمال قريبهم . فان التفت الي كلام الناس وتصورت احاديثهم والفاظهم فتكون ارعن الناس واجهلهم * اجتهد بمثابرة في ان تكون مصطلحاً مع الله وتعمل مشيته في كل شي وماسوى ذلك فهو غرور وطغيان وتعب الروح لامحالة *

الفصل العاشر

* في اباطيل الذين يجلون بالاخيار ويذمونهم *

قال داود النبي الذين جازوني عوض الخير شراً محلوا بي لاني ابتغيت الصلاح (مزمور ٣٧) * ان البطالين في الدنيا كثيرون . وليس انهم لايسعون في طريق الله فقط . بل انهم يعيقون ايضاً اهل الفضيلة من اجل مذمتهم ومحلهم بهم . فهولا انما هم اعداء المسيح ومحاربوه ببغضهم لاتباعه تعالي . واضطهادهم لهم هو بالسنتهم الحادة المرهفة * فكما انه لايوجد فعل مقبول لدى الله مثل تقدمة الغيرة علي خلاص النفس . هكذا لايسخطه تعالي امر من الامور مثل منع النفس عن الخلاص . ولهذا قال بولس الرسول في شان هولاء الذين يجلون بالناس ويهجنونهم انهم مبغوضون من الله (رومية ١) * فالسيد المسيح قد دعى بطرس

اناساً كانوا يقولون هذا وقوم يقولون ذاك * فان كان مخلص العالم معدن القداسة والسلامة قد كانت الاراء والظنون فيه مختلفة متباينة متناقضة بهذا المقدار . فما بالك انت هكذا عتي جبار . ومع انه يوجد فيك معايب كثيرة توثر ان الناس تستحسن كل ما تفعله وان يثنوا عنك خيرًا . لعمري ان هذا غاية الجهل * فان كان يوجد كثيرون ممن يمدحونك مع كونك وعاءً مملوًا من الشر والادناس . فلا تحزن ولا يستحوذ عليك الحرد والنزاقة اذا قال الناس فيك سوءًا . انه لا يوجد صالح دين بهذا المقدار وتكون سيرته ممدوحة من الكل . ولا يكون فعل جيد ويخلو من مذمة الناس * انه لجهل عظيم ونفاق جسيم ان تنقطع عن فعل الخير من اجل كلام الناس . لان طريقتك التي تتمسك بها انت ولو كانت في غاية الصلاح فلن تفلت ممن يقاومها ويناصبها . وان كنت من رعاع الناس وسفهائهم والتفت الى كل ما يقال فلا يمكنك فعل من افعال الخير * اما تذكر ما قالهُ الانجيل عن ذلك الاعمى الذى كان جالساً عند طريق اريحا . انه كان يصرخ ويستدعي المسيح لاغاثتهِ . ولهذا الامر عينه لم يفلت من السن المبكتين والمذمذمين . غير انه على قدر ما كانوا ينتهرونه بقدر ذلك كان يزداد صياحاً (لوقا ١٨) . لانه ليس بصفة الامكان ان تبطل الالسن المتفوهة بالشر * فبادر الي نحو الاله الجواد واتبع

لدغهم قليل المضرة جدًا * لعمري انه قد يخرج سريعًا عن داين المعقول من يتفطن في كلام الغير وتعبيراتهم ولا يفتكر في الله اكثر واكثر. ومن كانت هذه الحال حالهُ فانه يوخر الفرصة للخطيّة في غالب الامر لا مشيئة فيها * ان من يستخف بكرامات العالم ورفعتهِ فانه يكتسب المديح والاكرام من البارى تعالي * ان الذين يحتسبون اعمالنا الصالحة شرًا فقد اوضحوا عن انفسهم انهم لا يعرفون اصطناع المعروف والافعال الخيرية. فلذلك لا تلتفت الي ظنونهم الكاذبة والفاظهم السيّئة. وكما اننا لا نقبل قول من يدّعي بصناعة لم يعرفها كذلك انت احترس من كلام الذين لا يفقهون صناعة الخير ولا يدرونها * ان المصور الماهر اذا راى احدًا من الجهال يعيب صورةً من صناعتهِ فلا يثقل عليهِ ذلك. وانها لسعيدة هي الصناعة التي لا يفرقها ويميزها الّا اربابها العارفون باصولها * فلا تغتم ولا تكتئب اذا احتسبك بعض الناس شريرًا. العلك انت اجل قدرًا من يسوع المسيح. انظر ما سطر في الانجيل الشريف. فانك تجد طايفة قد قالوا عنه تعالي انه سامري وبهِ شيطان. واخرون قالوا هذا ليس هو من الله لانه لا يحفظ السبت. وقوم اجابوا قايلين كيف رجل خاطي يعمل معجزات وعظايم هذا جزيل تقديرها. وكان في مثل ذلك بينهم شقاق علي حسب قول يوحنا الانجيلي (يوحنا ٨ و٩). لان

من الله لكل احد (قرنتيه ١ ص ٤) * فقول الرسول هذا هو تهاون باقوال الناس وارائهم. ولكون الله هو العارف القلوب وهو العتيد ان يدينا ويحاكمنا . فماسبيلك ان تفتخر متي مدحت ولا تحزن اذا ذموك وهجنوك . لانك اذا شتمت وقذف بك فليس ذلك ظلامة . ولا يقدر مديح الناس ان يخلصك . لانه في ساعة الموت يظهر الصالح من الشرير * لاتراجع في عقلك شكوك الناس وظنونهم الردية . بل احرص ان ترضى الله وحده * وقد ترى الذين يتزاحمون في الميدان لايبالون ان مدحوا من الجهال ام عُيروا. بل انما يترقبون الذين يمنحون العطايا والصلات مكافاةً لذى الغلبة . وانت كذلك فلا يخطر ببالك مديح الناس ومثلباتهم. بل فليكن فكرك ان تقصد رضى الله وحده . لانه هو العتيد ان يدينك ويجازى كل احد كما قال هو كنحو عمله . فان عملت خيرًا فهو بصير الجميع ومن يده تقبل الجائزة * كن محبًا للحق لا لمقاولات الناس الذين في اكثر الحالات يتحركون لعلة بغضة او محبة من حيث لا يعلمون ما في الانسان . فاذًا لاتنقطع عن فعل الخير من اجل كلام الناس * ان الدب من الحيوان اذا ما اختطف كوارة العسل فلا يبالي من لدغ النحل وهو حاملها . وانت علي هذا المثال متي عملت ما يجب عليك وحملت الله معك فلا يخطر في قلبك تدمر الناس وفظيع اقوالهم . كون

كما ينظر الانسان انا احكم (ملوك ١ ص ١٦) * ان اهل العالم ولو كانوا جميعهم اصدقاك وخلانك لما قدروا ان يزيدوا في حياتك نصف ساعة . ولا يستطيعون ان ينقذوك من مداينة الله الشديدة * فيا حبذا لو كان الله محباً لنا في ساعة الموت . فان ذلك انفع لنا من خسران عيشتنا التي اصرفناها لنرضى الامرا والسلاطين . الذين ولو كانت محبتهم لنا تفوق كل محبة لما قدروا في ذلك الوقت ان يفيدونا شيئاً * فاذاً اقبل مشورتي ولا يشتملك الحزن والاكتياب من تعييرات الناس ومذماتهم ما دمت عاملاً بما يجب عليك . ولا تتعبن ولا تهتم لترضى الناس . ولا تتوخى ان يمدحوك في هذه الدنيا . لان هذا باطل جميعه وتبدرق الزمان . وانما سبيلك ان ترفع قلبك الي الله وان تقصد رضاه وحده وتغمض حواسك عن اضطرابات العالم الشقي

* وجعاجعه واباطيله المذمومة *

الفصل التاسع

* في الاستخفاف باقوال الناس وقلة الالتفات اليها *

يقول بولص الرسول قليل لي ان تحكموا انتم عليّ والذى يحكم عليّ فهو الرب . فلا تدينوا قبل الوقت حتي ياتي الرب الذى يوضح خفيات الظلام ويظهر ضماير القلوب . وحينئذٍ تكون المدحة

من

هو ان تكف عن الشر الذى يقال انه يوجد فيك وتصلح ذاتك وتثقف طريقتك . فهذه المناقب الحميدة تسد افواه الذين يتكلمون عليك بالسو . وان هم ذمموا عليك بخلاف الحق وتوهموا فيك ظنونًا باطلة . فاعلم انهم بشريون ولا يستطيعون ان يوصلوا اليك اذية . واذا صبرت علي مثالبهم ومسباتهم فانك تنتفع منهم منفعة وافرة * فلوكان البارى تعالى يستشير الناس فيما يهبك اما مجدًا في السما او عقابًا في الجحيم . لكان يحق لك ان تجتهد لكى يمدحك بنوا ادم ويعتدوك صالحًا . ولكن حيث ان معاملتك مع الله وحده وهو عتيد ان يحاسبك عن نفسك فقط . فباطل هو ان تفحص عمّا لا يعنيك من مديح الناس . والله سبحانه لا يصغى الي اقوالهم ولا يستفحص منهم عنك . ولا يقبل رايهم فيما يرونه ولا يعمل بقولهم بل بما يجده مكنونًا في ضميرك * فاذا ذمك الناس وهجنوك ورذلوك وكنت محبًا لله فاية مضرة تلحقك منهم . اذ ليس كل ما رذله الناس مرذولًا عند الله . ولا كل ما قبله الناس يصير مقبولًا عند الله . لان زعمهم باطل هو ولا يعلمون سراير القلوب ولا ما يستحقه الانسان . ولا يدركون خفيات النفس . وفي اكثر الحالات ينخدعون . وليس لهم ان يمنحوا النعمة ولا ان يعطوا الملكوت السماوى . وليس في احاطة ايديهم هلاكك او خلاصك . قال الله تعالي لصموئيل النبي ليس

ومجانين وهم الان بالمجد السماوى مع المسيح متنعمون . قال داود النبي الخاطى يمتدح بشهوات نفسه والظالم يبارك (مزمور ١٠) . وسليمان الحكيم يقول عن الاشرار انهم في الجحيم يقولون عن رجال الله هولاء الذين كانوا عندنا قديمًا ضحكة ومعيرة فاحتسبناهم نحن الاغبيا ان سيرتهم جنون ووفاتهم مهانة (حكمة ٥) * وقد قال الرسول اننا جهال لاجل المسيح (قرنتية ١ ص ٤) * ان الناس علي مالوف عادتهم يستهزيون بمحبي الله ويمدحون اهل المعاصى فان كان الامر هكذا فلا يسوغ لك ان تفتخر اذا مدحت ولا تايس من اقوال المذمة * فان اثني الناس عنك خيرًا بطريق الحق لموضع فضايلك ومناقبك الحسنة فلا تنفخك العظمة والترفع . اذ قد يوجد فيك معايب كثيرة مكنونة في سريرتك فلو عرفها الناس لما مدحوك . وان نسبوك الى فضيلة ومدحوك بما ليس فيك فابذل المجهود لكى تمتلك ذلك في نفسك ولا تكن غاشًا للاخرين . وان رايتهم يعيرونك بزلة او فاحشة موجودة فيك حقًا فاجهد بكلية طاقتك ان تتجنبها وتصلح ذاتك وتقوم طريقتك * وقد يوجد اقوام يعيشون عيشة ردية وهم يضطهدون من يبكتهم علي قبايحهم . وهذا غاية البطلان والجنون . لان الذين يعيرونك علي قباحة سيرتك اذ لم تعمل معهم شرًا فان انت اضررت بهم فيزيدون عليك الثلب والمسبة باوفر زيادة * انما الدوا الحقيقى

لكن المسيح نفسه . لان المرايين والذين يطلبون مرضاة الناس فانهم علي التحقيق يلبسون ثوب المسيح فقط لا المسيح بعينه . حيث انهم مترعون في سريرتهم ما اثم وقبايح وانما يتظاهرون بالورع والعبادة بالفاظهم ودعة كلامهم * البس الرب يسوع واحمله داخل نفسك وقلبك . وكن صالحًا خيرًا صادقًا . ولا تصرف جهدك في ان تظهر في الخارج قداسة مرايًا الناس الذين لا يبصرون الا ما هو خارج وتسخط الله * فقد يوجد كثير من الناس الذين يحسبون من غيرهم اخيارًا فضلا . واما قدام الله فليسوا كذلك * الصديق نوح من اجل انه كان بارًا قدام الرب حقًا قال له الله اني رايتك بارًا امامي في هذا الجيل (تكوين ٧) وقد ذكر في الانجيل المقدس عن والدى يوحنا انهما كانا بارين قدام الله (لوقا ١) . اما الفريسيون وكهنة الناموس فما كانوا كذلك . بل انما كان قصدهم وغاية اربهم ان يزكوا من الناس ويكونوا ممدوحين من الكل اجمعين (متي ٢٣) * فان اهتممت وحرصت علي مرضاة الله فقط فحينيذٍ تستخف بسهولة بكل ما تبدعه الناس عليك من الاقوال زورًا * لعمرى انه باطل ان تصغى الي مقولاتهم الردية وارتيابهم فيك وانت بين يدى الله مستقيمًا * كثيرون الذين قد كانوا ممدوحين من الناس وهم الان في جهنم حاصلون . واقوام كانوا قد احتسبهم الناس كرعنان

تنخدع جانحًا الى الجهل والاباطيل *

الفصل الثامن

* في اباطيل كلام الناس واحاديثهم *

قال داود النبي القِ علي الرب همك وهو يعولك (مزمور ٥٤) * فليكن كل حرصك واجتهادك ان ترضى الله تعالي . ولا تفتخر اذا مدحك الناس وان تقاولوا فيك فلا تتعرس * ان سبب توجعك مما يقال من الناس في حقك سوءًا انما هو توخيك رضاهم . وهكذا سبب سرورك والتذاذك بالشرف الباطل فهو لكونك تبتغي مرضاتهم * فليتك كنت تنوى نيةً ثابتة مكينة الا تشتهى شيًا اخر من الاشيا . ولا تقصد قصدًا تفعله في هذه الدنيا سوى مرضاة الله وحده . فعساك كنت لا تلتفت الى ما يحزنك ويغمك من مقاولاتهم * فليكن عزمك الا ترضى غير البارى تعالي وحده فتعيش بكل راحة وتعزية . وحينئذٍ لا يوذيك امرٌ من الامور الا ما تجني اليه انت . ولا تتعزى بشي من الاشيا ما خلا الضمير النقى * ان القديسين كان كل اجتهادهم وصرف عنايتهم توخيًا لمرضاة الله عز وجل . ولم يكونوا يبالون بتقولات الناس الكاذبة * وقد قال بولص الرسول البسوا الرب يسوع المسيح (رومية ١٣) . فلم يقل الرسول ان تلبس ثياب المسيح

فعلى هذا المثال ما من احدٍ يشرب من هذا العالم الّا من لم يمعن النظر في لجة اواخر باطلانهِ وملاذ حاضرانهِ الفارغ * فلو كان الناس يتاملون باستقصاءٍ الى ما تصير اليهِ اجسادنا من النتن والدود والكراهة والسماجة . والي عاقبة ما يميل اليهِ هواهم ايضًا وما يحتوى عليهِ العالم. لكانوا يستنكفون تقززًا من ان يشربوا من عين هذه الدنيا الغرارة . لان هذا الينبوع لا يوجد فيهِ ما الزلال الصافي بل سم ذعاف قتال * ان الدنيويين ينكبون علي الماكبًا وصدورهم علي الارض ليشربوا من مياه الدنيا المسمومة شبيهًا باوليك الذين استرجعهم جدعون (قضاة ٧). ويدفعون ذواتهم لملاذ الجسم والنجاسات والشرف الباطل . ويسلمون انفسهم للشهوات الدنسة كانهم عميان فاقدوا العقل والراى عن ان يشاهدوا الحيات والدود الكاين في لجة هذا العالم اى عواقبه * وقد قال ابن سيراخ ان المسافر العطشان يفتح فاه للمعين ومن كل ماءٍ يصادفه يشرب (ص ٢٦) . واهل العالم علي هذه الصفة يبذلون انفسهم للاثام والشهوات الحسيّة . وفيما هم في لذة طيباتهم تنزل بقلوبهم الغموم والنكبات . فاذا كان الامر هكذا اعني اذا كانت الاحزان وضروب المحن والعاهات هكذا ملازمة للعالم وبهذا المقدار متشبثة باحوالهِ . فينبغي لك ان تمعن النظر باطلاعٍ شديد بدءًا فيما يكون اخيرًا . ولا

فان لذذك الان لمعانه وتشعشع اباطيله . فاياك ان تنخدع لهُ . لان لذاته ستؤل الي حزن وندامة في اواخر الامر حسبما ذكر في الزبور . كما يباد الدخان يبادون وكما يذوب الشمع من قدام وجهِ النار كذلك تهلك الخطاة من امام وجهِ الله (مزمور ٦٧) فان كنت ذا عقلٍ صايب وفطنةٍ ذكية فابسط ناظرك متاملاً فيما سياتي والذى مضى وفات يعلمك بما هو عتيد ان يكون * تفطن في الامور التي قد سلفت فحينيذٍ تعاين العتيدات كما قال الرسول . ماكان لكم حينيذٍ من ثمرة تلك الامور التى تستحيون الان منها (رومية ٦) * اذكر الزمان الضايع الذى دفعته للدنيا خاليًا من ثمرةٍ . وكن حذرًا من الرجوع الي ما تقدم وسلف من الشرور * ولين كنت في غاية مجد العالم الفارغ وقد بلغت الي نهاية شرفهِ الباطل . فاذكر انه سيجوز سريعًا بايسر محاولة * ان الخيرات الدنيوية باطلة علي التحقيق اذ كانت عاقبتها باطلة كما هو ظاهر * وقد قال داود النبي . واذ كان الطعام في افواههم طلع عليهم رجز الله (مزمور ٧٧) * ان اهل العالم فيما يكونون مستطعمين بلذة اباطيلهِ المستحيلة . يرد عليهم سرعةً الحكم الالهي فيعدبهم من تلقا معاصيهم * لعمري انه ما من احد يتقدم بجراة الي معين ماءٍ ويشرب منه متي راى في عمقه حيات مسمومة وغير ذلك من الحشرات والهوام الضارة ولو كان في شدة الظماء .

ارجع ان رمت الفرار من الموت * وهكذا عند ورود التجارب والمحن تامل الطريق التي تسير فيها. لانك اذا اشغلت فكرك في هذه المسافة فترجع الى الوراء سريعاً . فالرسول الالهي يقول اخر الخطيّة هو الموت (رومية ٦) * وقد كتب ان يعقوب وعيسو كانا يتزاحمان في بطن امهما ليخرج كل منهما قبل الاخر. فلما خرج عيسو اولاً امسكه يعقوب من عقبه (تكوين ٢٥). فالراس هو اول الانسان . والرجل اخره . والفرق الموجود بين الصالحين والطالحين هو هذا . ان الصالحين يمسكون الاثم من عقبه مثل يعقوب واما الاشرار فانهم يضبطونه من الراس * الخطاة يتمسكون باباطيل العالم ومجده ولذاته الزايلة . لانهم لايعتنون بالعواقب المرة . واما الصديقون فانهم يمسكون العالم من رجله اي من عقبه . لتاملهم اواخره المرة * سليمان الحكيم يقول لاتنظر الي الخمر اذا اصفر واذا تشعشع لونه في الزجاج. فانه يدخل لذيذاً وفي نهاية امره يلدغ كالحيّة ومثل ملك الحيات يسكب سمومه (امثال ٢٣) * فلا تنظر الي العالم في اوايله . لانه ولو دخل لذيذاً ليناً سهلاً ففي عاقبته يلدغ ضميرك * نجاح حال هذه الدنيا ونعيمها يشعشع كالمصباح اللامع الضيا الذى يبقى ما دامت المادة . اما بعد فنايها يعود دخاناً وكريه الرايحة . وعلي هذه الصورة تكون اشيا العالم واحواله .

وانظره (لوقا ١٤) . فبعد ما اشتراه قصد النظر اليه اذ كان من طريق الصواب والمعقول ان ينظره قبل ان يشتريه . ولعمري انه لو نظره من ذي قبل لما كان اشتراه . حيث انه لا يكون احد صاحب بصيرة ويتامل في هذا العالم ومع ذلك يتخذه قنيةً لهُ * والعلة في انك بجراةٍ وعدم افراز تتعرقل وتسلم نفسك للدنيا . فانما هو لكونك لا تريد تنظرها قبل امتلاكها . فتفرس اذاً في كل ما فيها . فترى انه خداع عظيم ان تدفع ثمناً لتقتنيها ولو كان ذلك شيأً قليلاً . فكم بالحري يكون اشد طغياناً ان انت دفعت لها نفسك التي هي اللولوة الكريمة والدرة الثمينة اليتيمة . فسبيلك اذاً ان تتامل بدءاً فيما تحاول فعله . لكيما لا يعتريك الندم فيما بعد علي ما فعلت حيث لا يمكنك رد ما ابتعته * تامل ناظراً في اواخر امور العالم المكروهة فما يعتريك الاسف والندم * ان النبي داود يقول . تفكرت في طرقي ورددت قدمي الى شواهدك (مزمور ١١٨) . اى لما تاملت عاقبة الاثام وغايتها . فحينئذٍ تركت ذلك الطريق وعدت لاحفظ وصاياك * فان كنت يا هذا سايراً في طريقٍ ما . وقيل لك ان فيها لصوصاً وقتلة وغير ذلك اما كنت ترجع من هناك وتسلك سبيلاً اخر غيرها فاعلم الان ان طريق اللذات التي انت سايرها يوجد فيها لصوص يسفكون الدما ويسلبون النعمة والفضايل . فاقبل نصحي لك

البس ادم ثوبًا من جلود الوحوش . وذلك ليوضح انه بالخطية قد اضحى شبيهًا بالبهايم (تكوين ٣) * فالخاطى يخطى الى الله . والوقت يعود الي نفسهِ قايلًا ليتني ماكنت اخطات . فياهذا اذا كنت عارفًا بشر الدنيا وان هذه الغموم مختلطة بلذاتها . فما بالك لاتفطن بذلك قبل تهورك في الخطية * ان الذى يعمله العاقل اولًا فالجاهل يعمله اخيرًا . لان الرجل العاقل المهذب حريص في التامل . واما الجاهل فيقول ما احتسبت ذلك * كل شي يصير خلوًا من تامل فانه يصير جزافًا وعبثًا . فلاجل هذا تفرس انت في كل شي قبل شروعك بهِ * قال سليمان الحكيم عن النفس الصالحة . انها لما رات الحقل فابتاعته (امثال ٣١) . اى انها اولًا رات الحقل انه جيد حسن . فلذلك ابتاعته لما شاهدت من حسنهِ وبهايهِ . ومثل هذا مكتوب في الانجيل المقدس عن ذلك التاجر . انه اولًا وجد الكنز في الحقل وبعد ذلك باع كل شي ليشتريه (متي ١٣) . ولم يفعل هكذا ذلك الغني الشرير الذى ذكره لوقا الانجيلى حيث انه مافتح ناظريه الا وهو في الجحيم (لوقا ١٦) . فوقتيذٍ عرف كل طغيان العالم واباطيلهِ اذ كان سبيله ان يكون عارفًا بخدايعهِ من الابتدا ليهرب منها . وكذلك فعل ذلك الرجل الدنيوى الذى اعتفى من المضى الي وليمة السيد . لانه قال قد اشتريت حقلًا والضرورة تدعونى اليه لامضى

بمصر. ومع داود وغيرهم كثيرين * فالعالم يقتضي الامر بالخلاف. لانه في اول الامر يستر القبايح التي سيشهرها في اواخره * اهل العالم بينما هم في ثقة وطمانينة ويقولون سلامة ياتيهم الموت بغتة. اذ ان كمال الاشيا انما هو في غايتها * فالغاية انما هي بمناسبة لاشيا التي تستلذها. فعاقبة اللذات الامر. وعاقبة الاطعمة اوجاع. ومنتها هذه الحيوة التي تهواها بهذا المقدار ليس هو الا دودًا ورمادًا. وغاية كل خطية مميتة ليست هي الا عذابًا شديدًا

الفصل السابع

* في تامل عاقبة الامور العالمية الباطلة والهذيذ بها *

قال داود النبي. الانسان اذ كان في كرامة ولم يفهم اقيس بالبهايم التي لا عقل لها وشبه بها (مزمور ٤٨). لانه اذ اعطاه الله تمييزًا لكي يمدّ نظره الي ما سيكون والي العواقب المحزنة من اباطيل اشيا العالم. لم يرد ان يتصرف بهذا الاحسان. لانه تامل المجد الباطل الفارغ. ولم يتدرس في عاقبته المرة. وقد اشغل باله باللذة التي كانت حاصلة بين يديه. ولم يفحص عن الغموم الناتجة منها ولا الهموم والاذيات الصادرة عنها حتي انحصر في ذلك * وقد قال سليمان الحكيم قلت انا في القلب لبني البشر ليجربهم الله ويريهم انهم كمثل البهايم (جامعة ٣) * ان الله في القديم قد

فلا يجب ان تلتفت الي خيراتها بل يجب ان تحترس جدًّا لئلا يستولي عليك الطمع اكثر من المعقول * ان الناس غالبًا يحرسون مهتمين بما سيجوز ويفني افضل مما يهتمون في العتيدات . فبعد اقبال الخير يوافي الويل . وبعد المسرات العالمية ترد الهموم والغموم المرة. لان من عادة الدنيا اذا احضرت في الغداة طعامًا طيبًا لذيذًا نفيسًا . ففي العشاة تقدمه فاهيًا مكروهًا * وقد ذكر في الانجيل الشريف هكذا . كل انسان انما ياتي بالخمر الجيد اولًا وفي الاخر يقدم الدون حسب قول رييس التكاة (يوحنا ٢). ولعمري انه قد اجاد بقوله. وهذا هو كالوف عادة الدنيا. لانها تبتدى بالفرح وتكمل بالبكا. لكن في الوليمة التي يكون المسيح فيها حاضرًا. فيجري الامر بخلاف العادة اذ يحفظ الخمر الجيد الي الاخر. اى انه تعالي يبعث اولًا الشدايد والنكبات والضيقات وما شاكل ذلك . ثم فيما بعد يجلب التعزيات الوافرة . وهكذا كان فعله الجميل مع شعبه اسرايل المحبوب . فانه اورد عليه في ابتدا الامر غمومًا ومشقات في البرية . وبعد هذا منحهم الراحة وارض الميعاد كقوله تعالي لهم . بعد ما ابلوتك بالغموم وجربتك ففي الاخر ترافت عليك (تثنية ٨) . هكذا سطر في الكتاب المقدس ان الله فعل هكذا مع يعقوب في بيت لابان. ومع ابنه يوسف

والمضرات التي تعرض . انما هي من عدم افتكارك في عاقبة الخطية حين تكون مبتديًا بها . لانها قبل ان تذوق لذتها تخجلك وتريك قباحتها * ان ارميا النبي كان ينوح ويبكي علي اورشليم بطريق الحق قايلاً نجاساتها في رجليها ولم تذكر انتهاها (مراثي ١) فقولهُ نجاستها في رجليها اى اواخر الاثام وغايتها * علي ان النفس الفاجرة تتناسي العواقب ولا تفطن بالاواخر . وذلك لكون نظرها لم يزل متجهًا الي الراس المزين فمن ثمة تتهاون في التبصر الي الارجل اى الي اواخر الدنيا * ان السبب في بكا السيد علي اورشليم هو لكونها لم تفطن بما هو عتيد ان يجرى عليها من الاسوا (لوقا ١٩) . ولعمرى انه ليحق البكا علي الانسان الذى يتعاطى في الامور العالمية ولا يفطن بالحزن والغم الذى يعرض للفرح الدنيوى . فلاجل هذا السبب بكى السيد على اورشليم المتغافلة . اذ كانت مخدوعة بالسرور الحاضر ولم تكن مفكرةً بالشدايد المزمعة * ولهذا يليق بك البكا والنوح كثيرًا . بما انك مغرور بهذا المقدار حتي انك لا تبالي بالعواقب المحزنة التي تتحول فيها ساير المستلذات المتنعم بها ههنا * لا تتنازل الي كل ما يخطر علي بالك في ابتدا الامر . بل تامل ما سيكون . فما تقوى عليك الشهوة خارجًا عن حد المعقول * كل راى يُقبل بالارادة قبل العقل فهو غش وخداع . ومن حيث انك تعلم مقدار مرارة الدنيا

العالم ويهوونها فلا شك في ان نهايتها هي اضطراب واحزان لانها تبتدى بالخير وتنتهي بالشر. دخولها فرح وخروجها محزن جدًا * انك لو تفحصت عمّا كم هو اعظم الوجع من اللذة. لكنت ترفض هذه الاباطيل باختيارك. وما كنت تسقط في الخطية ولا في الغم الذى ينخس ضميرك * لعمرى ان كل ما يلذذ الحواس هو قصير سريع الزوال. واما الوجع المولم فهو ابدى لا يزول * فلا تطمع فيما يضحكه هذا العالم الغرار من اباطيله. لكن سبيلك ان تمعن النظر في اواخرها وعواقبها. لان الله قد قال بفم عاموص النبي انا ابدل اعيادكم نوحًا وجميع تسابيحكم بكاءً (عاموص ٧) * وسليمان الحكيم يقول الضحك يخالطه الحزن واخر الفرح يفضى الى النوح (امثال ١٤) * ان ذلك التمثال الذى راه بختنصر فكان راسه من ذهب ورجلاه من طين (دانيال ٢). هكذا هذا العالم اوايله غنية ذات منظر بهى. ولذلك يرتاح اليها الدنيويون ولا يرون اواخرها اى ارجلها انها شقية حقيرة من طين * تفكر تفكرًا بلا نهاية فيما هو منتهى. فانك تعيش بغير انتها. ولا تنظر الى الحال الذى انت فيه الان ولكن ترقب ما سيكون اخيرًا * لا تلاحظ الجمال الحاضر بغير تامل الشناعة التي يتحول هذا الحسن اليها. ولا تشغل نفسك في الاشيا الحاضرة بل تبصر العتيدات * ان هذه الحوايج كلها

الفصل السادس

* في عاقبة امور العالم الباطلة *

قال بولس الرسول كثيرون يسعون وهم الذين ذاكرتكم مرارًا كثيرة واقول الان وانا باكٍ انهم اعداء لصليب المسيح الذين عاقبتهم البوار (فيلبي ٣) * بالحقيقة ان عاقبة محبي العالم كقول الرسول ماهي الا موت وبوار * فلا تشغل فكرك بما تقدم الدنيا لديك ولا تعتني بما تحضره امام عينيك . لانها قد تلحق بك خيالاتها وبهتانها سريعًا . مع ان الافراح التي تريكها انما هي بشاير الموت * فاهرب من اكاذيبها ان شيت تنجو من الموت والهلاك . ولا تنظر الي الحاضر بل سبيلك ان تتامل ما سيكون . واحرص باجتهادٍ ان تتفطن في عاقبة الخطيّة . لانك اذا صورت المزمع امام عينيك كانه حاضر . فحينيذٍ تتهاون باللذات والاباطيل التي يحضرها العالم امامك * ان حياتنا تحاكي الانهار الجارية الى بحر الموت . فالانهر مياهها حلوة لمحبيها . ولكن نهايتها الدخول في امواه البحر المرّ . هكذا حياتنا هي حلوة لذيذة لمحبيها . لكنها تعود مرّة عند وصولها الى الموت . فكما ان عاقبة مياه الانهار اللذيذة مرّ . هكذا عاقبة حيوة الانسان ذات مرارة ايضًا * ان الاباطيل التي يرتاح اليها اهل

وعذبوا اجسادهم واهانوها . ولكونهم قد ساروا سيرةً فقيرة وعيشة قشفة ذليلة جدًّا مع هطل الدموع والتنهد ظفروا بملك السما المغبوط * فكيف وانت في اهتمام المناصب وعلو الدرجات مع ترفه جسمك بشهواتٍ ولذاتٍ متلونة اشكالها متماديًا . تروم الدخول وانت متوشح بكثرة هذه الملبوسات في الطريق التي دخل فيها القديسون عراة مجردين من كل شهوة عالميّة ولذةٍ جسمانيّة وابدانهم مشوهة بالجراحات . فاعرض اعرض عن هذه الاباطيل العايش فيها وارفضها . وادفع عنك هذه العماوة الشقية واعبر في ضيقة الحجارة كما تفعل الحية . وانزع عنك جلد افعالك القديمة السمجة مع كرامات العالم وقنيانهِ الفاسدة * لعمري انك ستترك جميعها غدًا ولو انه بغير ايثارك . فاترك اذًا الدنيا قبل ما تتركك هي . اطرح نيرها عنك قبل ان تحول ظهرها اليك . ولا تكن اعمى لحفظك ما سوف تتركه رغمًا وقهرًا . وربما تحيب مما تود وتهوى الان ثم تحيب من الحيوة ايضًا معًا قبل ان تحسب ذلك . وان تهاونت بهِ محتقرًا مرذلًا سيكون لك ههنا فردوسًا واخيرًا تفوز بالراحة الدايمة في السما

*

فهو احب اليه ان يموت ويضيع الجميع من ان يعدم الثياب ويفوز بالخلاص * ولعمري ان العالم مملو من هولاء ذوى الاباطيل الذين لايحبون ترك الجرايات واطراح الرياسات . ومع هذا لا يشاءون ان يادوا ما لله عليهم من الحقوق الواجبة ولايوثرون الاعراض عن الافتخار الفارغ واللذات اللحمية المنغمسين فيها ومع هذا كله يختارون الذهاب الي جهنم وهم مكتسون ولا الي نعيم الجنان وهم عراة * فيوسف لم يكن فعله علي هذه الصفة . لكنه احب ان يخلى رداه بيد تلك المراة الفاجرة افضل مما يخيب من النظر الي وجه البارى تعالي (تكوين ٣٩) * انه خير لنا ان ندع كل شي ونعمله لنستفيد حيوة النفس باحسن استخلاص * ايها الانسان الدنيوى حول ناظرك عن الارض وتفرس شاخصاً نحو يسوع . فتراه منتقلاً من هذا العالم الي الاب وجسمه الكريم مشوه كانه بحر دم . مثخناً بالجراحات من راسه الي قدميه . وقد جاز في هذه الضغطات المبرحة الشاقة من هذه الحيوة المايتة الي الحيوة الفاقدة الموت . وهكذا رسله المطهرون شابهوه . وكذلك غايرته الشهداء القديسون باوصافه الحسني عراة مهشمين مطروحين للسباع والوحوش الضارية وبالنار محترقين . ونظيرهم القديسون المعترفون والعذارى رفضوا العالم وبصقوا على شهواته ودحضوا غناه وايساره ونبذوه وثلبوا كل مافيه

عنه . فانا اظن انه ينزع كل ما عليه ولو سُلخ من لحمه ايضاً لضيق المنفذ ويهرب ناجياً من القتل . فاسمع الان ايها الانسان الدنيوى ما قالهُ سيدنا لهُ المجد ادخلوا من الباب الضيق لانه ضيق وكرب الطريق المودى الى الحيوة (متي ٧) * ان الطريق ضيق حقاً ونحن محكوم علينا بطايلة الموت . ولسنا نعلم متي تكون نهاية القضية علينا اليوم ام غداً . ومع ذلك لا يخطر ببالنا ان نرفض العالم وننجو من الموت الجهنمي الدايم * لعمرى ان الذين يفضلون ثيابهم علي حياتهم ويتمنون ان يكونوا اغنيا ويمضوا الى العذاب المخلد . ولا ان يخلصوا وهم عُراة بترك هذه القنيات الفانية ويحيوا مع المسيح . هم اناس فاقدوا العقل والتمييز * فنجِ نفسك من الموت باى وجه كان . اهرب من جهنم ولا يهمك فقد ثيابك ولا كل ما تملكه لتنجو من الهلاك الابدى وتتمتع بالحيوة الدايمة * ان الذين يختارون الرياسة ويذهبون الي جهنم كثيرون . وهذا احب اليهم من ان يكونوا مرؤسين ويخلصوا انفسهم . وكثيرون يشتهون الاستكثار من القنيات والاموال وتهلك نفوسهم . ولا ان يكونوا فقرا معوزين ويحظوا بالله عز وجل في السما . وهذا انما هو من ابطل الاباطيل في الغاية القصوى * فاذاً هو في الباطل الرجل المتواني الذى لا يريد ان يفقد ثوباً واحداً . حيث انه لا بد لهُ ان يضيع باسرع وقت الحيوة والثياب الماثورة عنه ايضاً

الكرامات جعله الله كاله فرعون وكان مهاباً عنده ومخيفاً * فاذا رمت ان تكون مخوفاً عند الخطاة ومهاباً لدى السلاطين وان يخضع لك الكل فتهاون بالعاليات وازدرى بها * ان الله قد اوعز الي حزقيال النبي بان يسطر في اللبن اسوار اورشليم وبروجها وحصار الكلدانيين (ص٤) . مظهراً بتشكيل ذلك في جزء من الطين ان كل ما يبان للناس جليلاً عظيماً ليس هو الا كجزء من التراب * فاشيا هذا العالم الجليلة جميعها مصورة في لبنة . واللبنة من طين ينحل سريعاً بالماء ويتلاشي . وما يبني به من الاساس انما هو تراب ديني . وقد كان بنوا اسرايل هكذا يبنون بامر فرعون وهم في العبودية (خروج ١) . وكذلك يبني علي هذه الصفة الحاصلون في عبودية هذه الدنيا المنهمكون باباطيلها * فاهجر الارض لاجل السما . انه اذا كان واحد من الناس محبوساً من اجل جرايم معضلة ثقيلة . واتصل به الخبر انه بعد ساعة يشنق او يقطع . فراى في ذلك الحبس منفذاً ضيقاً يمكنه ان يهرب منه وينجو بنفسه . فان كان هو مع هذا الاتفاق ووجود فرصة الهرب لم يرد ان يهرب ليلا ينزع عنه ثيابه ويعدم امتعته . اما يكون فاقد المعقول . لانه اى انسان ذى عقل وتمييز ينظر انه محكوم عليه بقضية القتل ويمكنه الهرب من نافذة ضيقة وتمنعه ثيابه من النفوذ منها ولا ينزعها

وذلك حينما يفصلك الله من الجسد ومن العالم اللذين تهواهما بزيادة مفرطة * ماذا يكون وقتيذٍ عندما تسمع صوت الله معيرًا محبي العالم بما قيل في الكتاب اين الهتهم الذين كانوا يتوكلون عليهم فليقوموا الان ويعينوكم وليكونوا لكم في الضيق ساترين (تثنية ٣٢) * فسبيلنا ان نفتكر في ضيقة الموضع الذى سنتركه . والمكان المتسع الرحب في ملكوت السماوات . لاننا اذا قسنا الارض بالبرايا جميعها فهى بمنزلة نقطة دنيّة . فلو توهمنا الارض قايمة في وسط سماء النجوم . وتصورنا ان الله جعلها مضية كاحد الكواكب الساطعة . فمع ذلك ما كنا نستطيع ان نميزها من ههنا لصغرها . فاذا كانت الارض بازاء فلك النجوم كمثل نقطة صغيرة الحجم . فكم بالاكثر تكون اصغر بالنسبة الي سماء الملكوت . فاى شي اذًا تتركه اذا ازدريت بالعالم بعد امتلاكك اياه الاعش نمل ضيق بالنسبة الي القصور الواسعة الملكوتيّة في السماوات * فلو تاملت بعين الحقيقة ما قد وعدت به في السما لكنت تستنكف من كل ما يوجد علي الارض * ان موسي النبى كان ممكنًا له ان يتخلف فرعون ملكًا علي مصر . من حيث انه محسوب ابن ابنته وتربيتها (خروج ٢) . غير انه استخف بالكرامات وتلك المنزلة كما قال الرسول عنه لاجل عار يسوع المسيح الذى قد فضله علي كنوز مصر (عبرانية ١١) . ومن اجل انه تهاون بتلك

في حال حياتنا . لكي نقترف شيئاً قليلاً من القمامات التي هي خداع مبين وستتركنا غداً * لعمري انه منام ذو خيال وخداع وعقل متخبط ان ينام الرجال الذين في ايديهم الغني (مزمور ٧٥) لانهم حين يستفيقون عند حلول الموت بهم يوجدون فرغاً صفرين اليدين . وحينئذٍ لا فايدة لندامتهم وتحسرهم . لكن يدركهم الموت الروحي الحقيقي عقيب هذه الرقدة كما عرض لسيسرا لما نبهته يايل امراة حابير من النوم الذي حدث له من شرب الحليب اللذيذ حين نفذت الوتد في دماغهِ ومات (القضاة ٤) * فاهل العالم في حال تجرعهم لذاتهِ يتعذبون سريعاً بالموت الزمني والابدي وهم راقدون في اباطيلهِ . حسبما جرى لاليفانا الذي لما انتبه من سكرتهِ وجد راس نفسهِ الروحي في جهنم . حيث كان الضجيج والجلبات الصايرة علي نفسهِ المملوة شقاوة دهرية اكثر مما كانت الجلبات والاضطرابات الصايرة في مدينة بيت فالو حيث كانت يهوديت ترى راس جسدك لكل الشعب (ص ١٣) * فكيف انت ناظر هذا ولا تنظر . وسامع ذاك ولا تسمع . اللهمَ الاّ انك تحاكي اصنامَ الاباطيل التي تعبدها انت . التي قال عنها داود النبي شبيههم يكون صانعوهم وجميع المتكلين عليهم (مزمور ١٣٤) * قل لي كيف يكون حالك اذا سمعت ما قد قيل للغني ياجاهل في هذه الليلة توخذ منك نفسك (لوقا ١٢) .

فهي التي تعيقك عن الخطوة بالله. لان اوليك الذين لحقوا المخلص الي البرية كانوا لعمري يستلذون بتعليمه لذة عظيمة المقدار حتى انهم نسوا القوت الجسدي * ان الفكرة المشتغلة في امر ما لا تستطيع ان تتعاطى شيأ اخر في وقت واحد بالكمال. وكذلك الذين يشغلون فكرهم في اشيا خفيفة ترابية لا يتيسر لهم الاهتمام بالسماويات العالية. وذلك يعود لهم علة للنسيان في العيشة الروحية وخلاص النفس. كمثل ما نشاهد كثيرين يتصرفون علي الارض تصرفاً كانهم قاطنوها. والحيوة الاخرى لا تخطر على بالهم. وهولاء هم الذين يلومهم داود النبي بقوله يابني البشر الي متي انتم ثقيلوا القلوب لماذا تحبون الباطل وتبتغون الكذب (مزمور ٤) * فنحن نجوز ونعبر بلاشك كمثل زهر العشب الحقير. وننطلق الي مكان لا نرجع منه ابداً. وقد اقيم علينا ساع يركض بنا مسرعاً ويقطع بنا المنازل مجداً في كل يوم. ويستكدنا جرياً الي هذا الحد حتي انه في اربع وعشرين ساعة يطير ويمشي اكثر كثيراً من الوف الوف وربوات ربوات اميال تفوق العدد. ويسوقنا عدواً باسراع شديد ورا الشرور وينطلق بنا لبين يدى الله الحاكم المرهوب كما كتب عنه بولس الرسول قايلاً انه لمرهوب الوقوع بين يدى الله الحي (عبرانية ١٠) فنحن ولو عرفنا حقيقة هذا الامر يقيناً. فاننا مع ذلك نتشاغل

كالزبل (فيلبيه ٣) * ان الذين اكلوا خبز السيد المسيح في البرية قد جلسوا علي الارض (يوحنا ٦). وعلي حسب ظني انه لم يكن لهم ثياب ثمينة . حيث انهم لم يبالوا من جلوسهم على الارض لكونهم فقرا من عوام الناس . وان كان قد وجد بينهم بعض من الاغنيا فهم ايضاً اتكاوا علي الارض بكل اتضاع محتقرين سعادة الدنيا وشرفها . فهكذا يجب عليك انت ان تكون فقيراً مسكيناً . وان كنت غنياً فاحترس الا يكون ما تملكه بمنزلة شبع عندك اذا شيت ان تتمتع بطعام يسوع المسيح اللذيذ * لانه اذا اراد اشراف الناس وعظماوهم ان يستمدوا من الله طعاماً . فسبيلهم ان يمتلكوا فضيلة التواضع ويتهاونوا بالاباطيل التي يمارسونها . ويعرضوا عن الشهوات العايشين فيها ويختاروا المحل الاخير * ولكى تمتلا بمخاطبة الرب ومناجاته فلابد ان يكون لك اتضاع الروح . اعني ان تتحقق متيقناً انك لست بمستحق محلاً اعلي من الارض الوطية . واما الطاعة التي تجب عليك لله فهى انه متي امرك بالنزول من المنبر الملوكى الي غبار الارض ان تجيبه سمعاً وطاعة باختيارك * ان المعدة الممتلية من العالميات لا تقبل هذه المطاعم اللذيذة . والذين قد امتلاوا شبعاً من بصل مصر وثومها لا يذوقون لذة المن السماوى * ان المحبة التي تميل بها الي خيالات العالم ومناماته

الراحة المحقة لقلوبنا . ذات عين الصلاح . وما هو العالم الذى ترغبونه حبًا لهُ وتستحسنونه . الا سجن الاحيا . مقبرة الموتى . مدرسة القبايح . حقرية الفضايل . تالم المعرفة التي تقتادنا الى الله وفسادها . عدو الحاضرين . نسيان السالفين . كدر الافعال الصافية * حقًا ان العالم يجوز وشهواته حسب قول التلميذ الحبيب في رسالتهِ (يوحنا ١ ص ٢) * فقل انت ياهذا ماذا تريد . اتحب الاشيا الزمنية المستحيلة التى تعبر مع عبور الزمان . ام توثر محبة المسيح وتعيش دايمًا * لعمرى انه ليس بكثير ان تركت جميع الاشيا لاجل الذى هو عين كل شي * فالاجود هو ان تهجر هذه الدنيا مما ان تهجرك هى . فمن لا يزهد بالعالم حبًا لله واكرامًا لهُ فليس هو باهلٍ لله * تهاون بالغني فانك تستغني . ارفض الكرامات فتكون كريمًا . ازدرى بالمثالب والمضرات فتنتصر على اعدايك . احتقر الراحة فتملك النعيم الدايم * انه لجنون وغاية الجنون ان تنعطف الي العالم الذى لا يبالي باحدٍ . ولا تلتفت الي الله الذى يميل بوجههِ الي الكل اجمعين * فالرب يقول لا يستطيع احد ان يعبد ربين (متي ٦) . فمن حيث انه لابد لنا من ان نعبد فالاليق بنا ان يكون تعبدنا للذى قد صار عبدًا لاجلنا * ولكى تكون عبدًا مخلصًا للمسيح حقيقيًا . فينبغى لك ان يكون كل شي لديك كالزبل حسبما اوصى هو تعالي ان يحسب

كنت تحسبه في اخر عمرك حيث لا تقدر تكتسب السنين التي مضت كنت تحسبه في زمن صبايك . وتشرع في عبادة الهك باخلاص العبادة من قبل زمين وتبذل لهُ في ذلك افضل ايامك واحسنها * علي انه باطل هو جدًا ان تصرف عيشتك في مرضاة الناس . فنحن نتدبر بما هو غريب عنا لكنه يضمحل سريعًا ويفني . واما الدايم الذى لا يشوبه تغيير فاننا نتناساه للوقت بعللٍ جزية . فلاجل ذلك سبيلنا ان نفتح ابصارنا ولا نمكث في الطريق . ولا نتخذ في القفر ارضًا خصوصية . بل نفتح الاحداق التي غمضتها الخطية ونغمض العيون التي فتحتها الاثام * اترك شهواتك واطرح عنك كل اشتياق . وكل شي لهُ عندك قيمة * فليكن كلا شي لديك *

الفصل الخامس

* في احتقار الدنيا والتهاون بها *

يقول بولص الرسول كل شي عددته كالزبل لاربح المسيح * كل اشيا العالم دنيّة ويحق لها ان تُحسب كلا شي كون الرسول قد قاسها بالمزابل الدنيوية (فيلبيه ٣) . فيا لشقاوة بني ادم العظيم مقدارها . ويا لعماو تهم الجسيمة جدًا . من هو هذا الاله الذى تحتقرونه . اما انه ليس هو الا ينبوع الخيرات . مركز نفوسنا .

عليك بها لتعبد حق العبادة * فما هي المنفعة التي حصلت لك في المدة التي خدمت فيها الدنيا . اين تلك السنين التي سلفت وعبرت بلا فايدة * ان الذى قد سلف من الزمان وجاز فغير ممكن رجوعه . وايام حياتنا تنفذ زايلة ولا نبالي . والموت يتبعها ولا يهمنا ذلك . فماذا افادك من كل ما فعلته * اما من الاصدقا فما وجدت فيهم صداقة . والذين قد احسنت الصنيع معهم رايت منهم نكران الجميل وقلة الوفا . او بعض تجملات برانية لاطايل تحتها عند جميع الناس . وبالنتيجة ان كل ما فعلته قد ذهب ضايعاً . ان عدم الموافاة من الناس وكل ما تشكو منه ينذرك ويحذرك ويرشدك بانه ينبغي لك ان تحب الله وحده وتعبده حق العبادة * وقد يسمح الله تعالي بعض الاحيان ان تجد نكران الجميل في هذه الدنيا لمنفعتك لكى ترجع بالمحبة اليه وحده * ان اتعابك ومشقاتك تذهب باطلة ان كنت لا تتصرف بها في عبادة يسوع فقط . لان الزمان الذى تصرفه في عبادة الله فهو الذى قد ربحته لا غير . وكل ما هو دونه انما هو خسران عظيم * ان امعنت النظر في عدم موافاة الناس وانك قد بددت احسن حياتك واجلها لكى ترضيهم . فتبكى حينيذٍ وتنوح علي ما اصرفته وضيعته من الزمان الماضى . وعند ذلك تحرص اشد حرصاً في ان تتعبد لخالقك فيما سباتى * ليت الحساب الذى

ورياضاته الروحية . ويحظى بالنعيم وتحصل له راحة الروح * خير للانسان ان يكون فقيرًا لاغنيًا . واليق له ان يكون صغيرًا لا كبيرًا . والاحسن ان يكون بسيطًا متواضعًا لامفتخرًا متجبرًا * ان الله سبحانه قد جاد عليك بافضاله بالعلم والحذاقة ليحركك الي طاعته وعبادته باوفر نشاط . واما انت فتستعمل هذه المنحة لشقاوتك وكبريايك واباطيلك * لعمري انه خير للانسان واحرى به ان يكون متواضعًا ذليلًا من ان يكون متجبرًا . وهذه الحال تستبين ظاهرة في تلك الديونة الضغطة المهولة . حيث تُفتح مصاحف ضمايرنا وتقرأ بحضرة جميع الناس . وفي ذلك الوقت نتمني ان نكون قد اصرفنا اهتمامنا كله في عبادة خالقنا افضل من محاورتنا في الامور العالية الدقيقة * من كان له ضمير طاهر هو افضل ممن يعلم غوامض الامور ومشكلاتها * لا يُطلب منا ما قد قلناه لكن ما قد فعلناه . وقد يتجه لنا خيرٌ ان نحن رفضنا العالم وزهدنا في اباطيله ولم نتبع ضلالته الغاشة ومواعيده الكاذبة * انه لافضل لك واصلح ان تكون قد اخلصت التوبة عما اجترمته واسات به . مما كنت تحدر شهواتك في هذا الزمان القصير المدة وتلقى فيما بعد في النار الموبدة المخلدة * فتش وافحص جيدًا وادخل داخل نفسك . وانظر ما اكثر القسم الذى بذلته للدنيا وما اقل الذى قدمته لله من حياتك التي جاد

وباطل هو جدًا الالتفات الي شرفهِ المضمحل ومواهبهِ وعطاياه المستحيلة * باطلة هي الرغبة في كراماتهِ . واوفر بطلانًا هو حب ثروتهِ ولذاتهِ . باطلة هي الرغبة في امواله الزايلة . وباطل هو على التحقيق الاعتنا بعطاياه الفاسدة . باطل هو السعي وراء هبوب ريح المديح الانساني . باطل هو الاهتمام الذى يُستعمل في خدمة هذا العالم الشقي . وبالجملة كل الاشيا باطلة الّا محبة الله وحده والمواظبة علي العبادة لهُ * انه لغاش كل مجد العالم وسريع الانحلال . انهم ذووا اباطيل المترفون بغني هذا العالم وشرفهِ ولذاتهِ . لان بعد هذه الاشيا لا يوافيهم الّا بكاءٌ متصل متواتر * هنيًا لاوليك الذين تركوا هذه الاشيا جميعها لاجل المسيح وسعوا في طريق السما الضيقة * باطلة هي هذه الحيوة وباطلة هي طيبات العالم . وباطل هو الجمال والبها وكافة سرور هذا العالم * ان الانا الفارغ متي ضربت عليهِ قارعًا فانه يطنّ ويظهر حالهُ . وانت متي ضربت هذا العالم قارعًا واختبرت طربه وافراحه فللوقت تسمع جلبة اباطيلهِ وطنينه . فتراه غاشًا زايلًا عديم الثبات * ان داود النبي قد دعى نفسه مسكينًا وفقيرًا . لا لانه لم يكن لهُ كرامات واموال وغير ذلك . ولكن لمعرفتهِ ان كل شي باطل اذا لم يكن الله حاضرًا * سعيد هو من قد نُسي من العالم . فانه يعيش عيشًا رغدًا ولا يصده احد عن نسكهِ

بالسعادة الحقيقيّة والمجد الذى لا يزول *

الفصل الرابع

* في بيان الباطل الكائنة فيه امور العالم *

قال سليمان الحكيم باطل الاباطيل وكافة الاشيا باطلة. واني نظرت الي كل ماهو تحت الشمس فاذا هو باطل (جامعة ١) * انه بالحقيقة تدعي هذه الدنيا مراييّة حسب قول الكتاب. لانها تلوح فى الظاهر ذات منظر بهج وداخلها مملو فساداً واباطيلاً. فتوضح عن ذاتها انها جيدة بهذه القنيات المحسوسة. وهى علي التحقيق مستوعبة زوراً وبهتاناً. فلا تثبت اذاً امرسي قلبك علي محبتها واثقاً * فهى تشبه القصب الاخضر الذى يفرّح النظر. والعيون تتمتع بنضارته الظاهرة وحسن رونقه. لكن اذا كسرته وجدته فارغاً صفراً. فاحرص الاّ يخاتلك هذا العالم الغرار والاّ تطمع عيناك بخضرته ونضارته الظاهرة. لانك متي تصفحت عمّا هو مستور فيها ومختفى تحتها فتجد جميعه باطلاً * لوكان العالم ينشق بسكين الحق والانصاف لظهر انه زور وباطل بجملته. لان كل ما يوجد في العالم اما ماض. واما حاضر. واما مستقبل. فالماضى لا وجود له. والعتيد كونه هو مجهول غير معروف. واما الحاضر فهو زمني وغير ثابت. فاذاً باطل هو الاعتماد عليه

وانت مع ذلك تهتم بجمع الاموال والذخاير * فخف واهلع يا انسان ليلا يقول الرب نحوك ما قالهُ لبعض الخطاة انتم من هذا العالم (يوحنا ٨) * ان ابن الله ما جا ليهلك بل ليعلمك ويرشدك الي طريق السما ويثبت خلاصك * فان كان المسيح علي الاستقامة فانت ضال تايه . وان كان هو تعالي قد اختار جيدًا . فانت تختار رديًا . وان كان هو بالعار والالام قد فتح ابواب المجد . فلا ريب انك انت تمشي مستقيمًا الي جهنم من حيث ميلك الى الاباطيل ورغبتك في المجيد الفارغ * فاعلم اذًا انك ان لم تترك السبيل التي انت سالك فيها وتنوى بقصدٍ جيد ان تتبع اثار الذى من شانهِ الا يتوه ولا يضل . فتكون عيشتك في خطر عظيم وتجعل خلاصك في عطبٍ شديد * انه ليس من طريق الصواب ان دودة الارض الحقيرة تروم ان تكون عظيمة كبيرة . حيث ان ذا العظمة والجلال صار صغيرًا ومتواضعًا * فاذا رايتِ ايتها النفس المسيحيّة عروسك اسحاق الذى هو المسيح ماشيًا علي الارض . فينبغى لكِ ان تفعلى كما فعلت رفقا اى ان تتردى بالغطا وتستحى خجلًا من ان تعايني يسوع في الاهانة وانتِ على الجمل العالى اى السبح الباطل وعز هذه الدنيا واقتدارها (تكوين ٢٤) . فانزلي اذًا مثل ما فعلت تلك . وازدرى بالمناصب الرفيعة واباطيل العالم الزمني . واقتفى اثارَ المخلص لكى تحظى معه

مسيحيًا ومصدقًا هذا المقول في الانجيل المقدس فلماذا تهتم باكرام هذه العيشة واموالها . وكيف يكون ربك والاهك تبارك اسمه معلقًا علي الصليب وانت منغمس في لذيذ العيش متماديًا * ان اسرار سيرة السيد المسيح كلها مرّة وغير مستلذة للذين يجنحون الي الامور الخارجة الباطلة * ولكن المحبة تغلب المحبة . ومن ذاق الروحيات هان عليه الاطراح بالارضيات من اجل المسيح * فابن الله الكلي الغني والشرف والجلال قد صار من جرايك فقيرًا ومهانًا . فكيف انت البايس الشقي تحرص علي جمع الاموال مفتشًا على الشرف الباطل في هذا العالم . فان كان الذى خلق كل شي قد ابى عما كلفته اليه اليهود ليصيروه ملكًا عليهم (يوحنا ٦) ولم يرد ان يقتني شيًا في هذه الدنيا اصلاً . فما الذى تبتغيه انت فيها * فالمخلص لم يعلمنا المسكنة واحتقار العالم بمناقبه وافعاله المفضلة فقط . لكن بالاقوال والتعاليم ايضًا كما هو ظاهر في اماكن كثيرة من الانجيل الشريف . ولما كرز علي الجبل وعلم فاول كل شي مدح التهاون بالاموال الارضية ورفضها . وفي بداية ذلك قال طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السما (متى ٥) . وقال ارميا النبي عن وجه المسيح المخلص اذكر مسكنتي (مراثي ٣) * فهو اذًا عار عليك ان تنظر المسيح فقيرًا في هذه الغاية مادحًا الفاقة والمسكنة

تهاونوا بالعالم واتبعوا المخلص * ولعمري انه في تملك يدك ان تجعل قلبك في هذه الشمس . اذ انه من شانها ان تشرق وتنير الجميع ولا تختفي عن احد * فاذا شيت ان تستثمر منفعة لنفسك فاحبب ما احبه المسيح واحتقر ما احتقره * فان انت ابتغيت المنازل الرفيعة والاموال الخارجة عن حد الترتيب في هذه الدنيا . فانت تايه عن السبيل المستقيم * لانه لو كانت الدنيا صالحة ذات خيرٍ وكراماتها وثروانها نافعة . لما اوصى المسيح تلاميذه الاحبا ان يستهينوا بها ويرفضوها (متي ٥) * فربنا لهُ المجد باحتقار ذاتهِ وخشونة عيشته علمك عدم الاكتراث بالارضيات * فذلك المهد الخشن الذى وضع فيهِ سيدنا يومَ ميلاده المقدس يرذل لذات هذا العالم . وذلك الاسطبل يبين مقدار بطلان كرامات هذه الدنيا ونجاحها وحياتها الزايلة . وتلك اللفايف الدنيّة التي لفت بها العظمة الالهية تعرفنا قيمة ايسار هذا الزمن وثروتهِ * فاذا تفرست في سيرة ابن الله المتانس تراه يعلمنا احتقار الدنيا على الدوام في حياتهِ وممانهِ ايضاً * لانه اذ كان سيدنا لهُ المجد علي الصليب كان ذا مسكنة وفاقة كليّة بهذا المقدار . حتي لو انه نزل عن الصليب كقول الفريسيين لهُ لما وجد في ذلك الوقت ما يلبسه من الثياب . لان الجند كانوا قد اقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة * فان كنت انت

التي يطلبها الغير المومنين توجد فيك باعيانها * الكل قاطبة يدّعون انهم مسيحيون . ولكن قليلون هم الذين يتبعون المسيح ويقتدون به . لان الاكثرين يتشبهون بالاسم ويختلفون بالافعال * لو ان سيرة الكثيرين تقاس بسيرة المخلص بالمقياس . لتبين ظاهرًا اعوجاج قلوبهم وزيغانها . لانهم منعوها عن الاستقامة التي طبعت فيهم . وعطفوها الى رغبة الاشيا التي امرهم ان يرفضوها ويستهينوا بها * من تظن ابلغ معرفة واوفر علمًا الله تعالي ام العالم . فاذا تحققت ان البارى هو الغزير المعرفة باضعاف . فاعلم انت وتيقن انه يختار المسكنة والذل . وهذا يكفيك لتفهم ان سيرتك حايدة عن الترتيب * ان اشعة الشمس متي وقعت علي الشمعة التي قد طبع الخاتم فيها بروجًا وقلاعًا ومدنًا وحقولًا وغير ذلك . فانها تذوب سريعًا فتتلاشي تلك الصور المرتسمة فيها . فعلى هذا المثال ولو انه قد طبع في قلبك الغني والكرامات وباطلات هذا العالم . فاذا حلت عليك شعاعات شمس العدل اعني المسيح وكنت ناظرًا الي طريقته فتمحى من نفسك هذا الجنون والهذيان سريعًا . كما جرى مثل هذا لمريم المجدلية لما شملتها هذه الاشعة اى اشعة شمس العدل الالهية . فحينيذٍ انمحت تلك الصور والخيالات التي طبعتها الدنيا في قلبها . ومثل ذلك متي العشار وزكا وغيرهم الذين

الفصل الثالث

في ان حيوة سيدنا يسوع المسيح توضح اباطيل العالم

* بابلغ بيان *

قال بولص الرسول تشبهوا بالله كاولاد احبا (افسس ٥) * فليكن كل اجتهادك وحرصك في ان تماثل سيرتك بسيرة يسوع مخلصنا . ولعمرى انه لولم يوجد سبب لمذمة اباطيل العالم والتهاون بها غير سيرة السيد المسيح التي اودعها لدينا . فهذه وحدها فيها كفاية كل امر لخزى اوليك الذين يدعون مسيحيين * ان الانسان البسيط الساذج يصادف في سيرة المسيح علماً وحكمة ليغلب اباطيل هذا العالم ويعرف غروره . اكثر مما يجد الماهر صاحب الجدال والمحاورة في تاملات البرايا جميعها * فنحن قد التزمنا ان نقتفى اثار المسيح بالامه . كون التامل في مخلوقات العالم خلواً من تسبيح وتمجيد لله تعالي هو باطلاً وجنوناً * ان العيشة بين التنعم واللذات هى عيب وعار . اذ نرى مدبرنا يواب الذى هو المسيح في الاهانة والذل العظيم المقدار * لايوجد جندى يرى قايده مشرفاً على الهلاك ولا يبذل نفسه دونه لخطر الموت ويهمل هذه الحيوة ولذاتها * فاذا ادّعيت انك مسيحى فقد وجب عليك الخزى والخجل . لان الاباطيل

الباطلات البرانية فلا تغطن بملكوت الله الذى هو داخل نفسك .
وبمقدار ما نكون مجتهدين ان نحصل في سلامة في سريرتنا
لا ترزينا هذه الامور ولا تولمنا * ان روح الله القدوس لا
يسكن الا في القلب السليم الوديع كقول النبي صار موضعه
بسلام (مزمور ٧٥) * ان دودة الضمير الردى تنخس الخاطى .
واما صاحب الضمير النقى الصافي فانه يفوز بسلامة القلب
الصادقة . فعد راجعاً الى ما هو باطن وادخل سريرة قلبك .
لانه اذ لم يوجد في الباطن سلام فما يحصل لك سلام ولو فتشت
عليه بين الانام تفتيشاً * اذا كنت في سلامة داخل ذاتك فما
ينالك شر غريب . ولقد صدق المثل القايل ما من احد يصيبه
اذاً الا من تلقا نفسه . واكبر اعدايك هو انت نفسك *
الرجل العاقل المصيب برايه لا يبالي بالظلمة ولو قصد احد
الناس قذفه والاضرار به * ان خيرك جميعه متعلق بفضيلة
العزم . وهذه الفضيلة لا يمتلكها الذين يفقدون الحرية بتعبدهم
لاغراضهم واموالهم * ان الطرد والاضطهاد لا يتولد منهما ضرر
وانما يكون ذلك علة للثواب . فمن حيث ان فخر المسيحي هو
صليب المسيح . فتمسك اذاً انت بصليب الرب فما يقوى احد على
اضرارك . بل تنال منه راحة القلب المخلصة وتعيش في سلامة
* وحبور الى الابد امين *

الاشيا التي هي الان عندك مرارة * ادخل الي داخل نفسك وامت كل شهواتك واشتياقات الدنيا فما تلوم احدًا . وان اصابك امر من الامور فلم نفسك وانتقم من اعدايك الباطنة التي تضر بك . فما تلوم الاشيا الخارجة التي لا تقوى علي اضرارك ان لم تحب ذلك * فكما ان العث المتولد في الجوخ يتلفه والسوس المتربي في الخشب يفسده . هكذا المظالمات والامتحانات التي تنخس قلبك بهذا المقدار . فان تولدها ونموها ليس هو الا من قبل شهواتك وفيك قد تربت وانتشات . وهي تقرض عمرك نظير الحيات الاكلة احشا الام التي خلقت فيها * فياما كنت تعيش في راحة لو كنت ميت الحواس بالحقيقة ومعرضًا عما هو خارج * لانك ما دمت مهتمًا في امور هذا العالم وحريصًا في هذه الغاية فلن تصادف راحة القلب البتة . فان كنت هادي القلب ساكنًا فوقتيذٍ تكون في غاية الراحة والنياح * من كان حاصلاً في مواضع كثيرة لم يستقر في واحد منها اصلاً . لكن نظير المسافرين الذين لهم منازل كثيرة وليس لهم معرفة باحد * ان عدلت عن الامور الخارجة وتجنبتها فانك تقتني السلامة المحققة * ماذا تفيدك الاشيا العالمية عند ما يوافي الرب ليفحص ضميرك * فان شيت ان تكون في داخلك مستريحًا مطمانًا فلا تتشتت من الخارج . لانك متي سُبيت في الطياشة من

تفعل ارادتنا . التي ان شات تقدر ان تجعل الذين كانوا بديًا اعداها اصدقا لها * ان العلة في كون البلايا والمحن والمثالب تولمك وتثقل عليك فهي لكونك تبغضها وتكره ورودها . فانت لعمري تظهر عزمك في هذه الحوادث وتجعلها اعدا لك . وهي من اجل ذلك تضر بك وتولمك . مع ان محبتك لها في قبضة يدك . ولو انك احببتها لكان الذى تتضرر منه الان وتمقته يصير لك فيما بعد سلوة وتعزية * قد جا عن اندراوس الرسول انه كان وهو علي الصليب كانه في راحة ونعيم . والقديس فرنسيسكوس المعظم كان يسمي الامراض اخوة . فهذان وغيرهما من القديسين كانوا يلتذون في حال مصايبهم وبلاياهم التي تولمك انت . لانهم كانوا يشوقون حبًا لهذه التي تمقتها انت وتعرض عنها . فغاير اذًا هولاء القديسين في المحن والاحزان واحبب ما احبوه هم وهذا هو في احاطة يدك . فحينيذ تمتلك هذه التعزية التي كانت توافيهم في وقت شدايدهم . واذا ما تفرست في مقاومة البلايا اياك فلا تلم من يقاومك ويناصبك لكن لم نفسك . لانه حيث كان لك سلطان ان تقبل مثل هذه النكبات بارادتك واختيارك اعتفيت من ذلك كارهًا * تشبه بالمسيح وكن محبًا لصليبه والامه . سلم له ذاتك بجملتها واحبب ما احبه هو فحينيذ تبصر مقدار اللذة والحلاوة التي تصادفها في

premium
obtuto oc
ne vogeay
shadisonave
loseffay
pulchart
flacciet
obtal.
acad
ancient
gelaxud
fiscia tirfiet
rufat
egum
pegit

anaxyl
amor, gaudium

شر. والرجل الصبور الوديع يجعل العدو محبًا . ويشفق الله عليه لشفقته علي كل مذنب وعاص * من يحب ان يقتني سلامة يكن مسكنه في صهيون حيث اورشليم ذات السلامة (مزمور ٧٥) * ان اقتنيت الله في ذاتك فيكون لك السلام الذى ذكره سمعان الشيخ حين حمل يسوع علي يديه (لوقا ٢). اذ كان تعالي وحده هو الذى يمنح السلام حسب قوله في انجيله الشريف ان العالم لا يستطيع ان يعطى هذا السلام (يوحنا ١٤) * احرص باجتهاد ان تقهر نفسك في كل شي والرب يخولك السلامة الباطنة * اقطع عنك شهواتك العادمة الترتيب واستاصل منك الاباطيل التي ترتاح اليها . وارفض هذا العالم فتعيش في السلامة مسرورًا . ولا يقدر احد ان يوصل اليك مضرة ولا تنكيدًا . ولا يولمك شي من الاشيا. بل تحظى بلذة الروح وفي هذه الدنيا يكون لك فردوس ونعيم . وقد قال سليمان الحكيم مهما اصاب العادل لا يحزنه (امثال ١٢) * ان شهواتك بعينها هى التى تحاربك وتناصبك . فتشتكى انت من الاعدا الخارجة عن منزلك وهى داخل بيتك * لعمرى انه جليل الراى من يحكم علي ذاته . وهذا فهو الحكم الاعظم الذى تقتضيه الارادة التي لها قوة وسلطان افضل من ملوك العالم وسلاطينه . اذ هم لا يستطيعون ان يصيروا اعداهم اصدقا لهم علي حد ما

الفصل الثاني

في سلامة القلب وراحته

قال الرب السلام استودعكم سلامي اعطيكم (يوحنا ١٤) * ما دمت خادم العالم تكون مضطربًا علي الدوام. لان الرغبة في الارضيات رباط موصل الي العذابات الروحية * محبوا العالم لايزالون فى همومٍ متصلة ابدًا . اذ كانت الدنيا دولابًا وفي دورانها تقتل محبيها . والوامقون العالم لايحصلون راحة القلب البتة * حب الله فتحيي . اكفر بنفسك فتنال السلام الحقيقي . لان الانسان المتواضع السليم القلب تحصل لهُ السلامة الصادقة * طهر قلبك من الادناس فيكون لك سلامة صالحة . تجنب الامور التي تشغلك وتعيقك . لانك ان لم تعد راجعًا الي قلبك طالبًا الله وسايلاً عنه عز وجل ومحبه فوق كل شي لما وجدت فيها سرورًا اصلاً * لايتهيا لك سلامة صالحة الاّ في الله تعالي وفي الرجل الصالح الوادّ لله ويفعل كل شي لاجلهِ * استعمل الصمت واصبر قليلاً في حال الله وهو يخلصك من كل ثقلٍ ونصب * الضمير الصالح يكون لهُ دالة عند الله وقت نزول الشدايد وعند حلول الموت . واما الضمير الردى يمشي دايمًا بالخوف والجزع ويكون في ذاتهِ قلقًا * الغضوب يسقط سريعًا من شر الي

يتمسكون ايضاً بطرف اخر عالمي . فلا يكن صعباً عليك ان تمتنع عن الاصدقا والاقربا . اذ ليس لهم الآن ان يصدوك عن سلوك الطريق السماوية * ان الله لايلهم اسراره الغامضة للنفس امام شهود . ولا يجب ان يخاطب المنهمك باصناف مختلفة متلونة * ما من احد يكون محبوباً من العالم الا ويكون ممقوتاً من المسيح . ولا يكون مقبولاً من المسيح الا من كان محقوراً من العالم كما ذكر عن داود النبي انه قبل العبد المصري الذي كان طرده مولاه (ملوك اول ٣٠) . فعلى هذا المثال يقتبل الله الذين يحتقرون من العالم * ان الذين لايلتذون في شي من الاشيا في هذه الدنيا فانهم يسمعون صوت الله في اذانهم بايسر مرام * لن تقدر بالجملة ان تحب الله تعالي محبة كلية ان كنت لاترفض نفسك والعالم من اجل الله * استفحص المحبة التي تميل بها الى العالم فتعلم من ذلك ان كنت تحب الله باوفر محبة . لانه بمقدار ما تحب الله فبقدر ذلك ترفض الارضيات * ان الرب الهنا لايريد قلباً مفترقاً ولا منقسماً بل صحيحاً كاملاً . ولكي لاتخيب من الخير الحقيقي الكلي تجنب هذه الخيرات الكاذبة وامقتها . فتستمد تعزية الروح الكاملة الي

* الابد *

عن تلك الارملة المسكينة انها كانت بامر اليشع النبي تسكب الزيت في الاواني الفارغة التي قد كانت اولادها يقدمونها لها. فلما نفدت الاواني انقطع الزيت الذى كان قد كثره الله بعجيبة (ملوك رابع ٤). فان شيت انت ان يسكب الله نعمته الالهية في قلبك فينبغي لك ان تقدمه لهُ خالياً من كل شوق ورغبة عالمية. اذ هو تعالي حاضر ليمنحك بجوده وكرمه عطاياه الوافرة. لانه يهبها لكل من يقدم له قلباً خلياً من كل صنف عالمي. وهذه التعزية السماوية اذا كفت وبطلت فالعلة انما هي تقصيرك عن تقديم الاواني الفارغة التي يسكب فيها هذا الندا الالهي. لانه لذلك تنقطع عنك حينيذٍ التعزية السماوية المتعالية. علي انه اذ انقطع الزيت عن تلك الارملة ما كان ذلك من الواهب الكريم. بل انما كان انقطاعه من عدم الاواني. فاذا لم يجد البارى تعالي عليك بانعامهِ التي قد تفضل بها علي احبايهِ الخصيصين. فذلك لا لانه غير كريم الان ولا جواد كما كان قديماً حاشا. بل انما السبب هو انك لم تهيي نفسك حسبما كان يفعل القديسون ويقدمونها لله قرباناً. فسلم انت ذاتك لهُ وتفرغ عن كل العالم بالكلية فتبصر حينيذٍ مقدار ما تنال من الرب * لعمري قليلون هم الذين يزدرون بنفوسهم وبالعالم علي طريق الكمال. اذ كان الكثيرون يرومون ان يتمسكوا بالطرفين. فاذا سلموا ذواتهم لله

العالم ونعيمه. اذ كان موسي النبي قد وجد في عليقة التوبة والعيشة الخشنة (خروج ٣). واهل العالم لو طلبوه بين اللذات والترفه لما وجدوه اصلاً * ابغض كل شهوة عالمية من صميم قلبك فتكون مستريحاً في الله * استاصل من نفسك العشق الدنيوى ليكون فيها مكان ينطبع فيه العشق الالهى * ان الخالق تبارك وتعالي لم يرد ان يكون معاً قنومه الالهى وصنم الالام الذى تعبده انت (ملوك اول ٥). ولم يحتمل بارى الموجودات ان يكون هو والعالم معبوداً. فان شيت من هذا الطريق ان تكون لله ودوداً فاجهد الا تحب مجد العالم وشرفه * فكما انه تعالي لم يتراى لموسي وهو في مصر متردداً بين الناس. هكذا انت لا تامل ان تحظى به وانت حاصل في خيطة ظلمة العالم * اهجر قصر فرعون باحتقار المناصب والكرامات التي تشوق اليها. فتجد في برية العيشة المنفردة حماية الله وتسليته الالهية كما وجد ذلك موسي النبي (خروج ٢) * ما دام دقيق مصر معك موجوداً لن يحصل لك المن السماوى. فلذلك اقطع منك كل اشتياق عالمي فتحصل حينيذ في داين المحبة الالهية * ومن حيث ان معدتك مملوة اخلاطاً ردية فلا تقبل الغذا السماوى اللذيذ المقوى * فاجتنب كلما هو ملذذ تحت السما فتستطيع بعد ذلك ان ترفع نفسك الي السما وتستطرف بعضاً من السماويات المستلذة * وقد ذكر

الله خوف البنين الحقيقي وتكون متعبدًا للالام التي تهواها وتتوق اليها . ومن اجل ذلك اوصى يعقوب الهٔ ان يرفعوا الاصنام من بينهم ليكونوا منعكفين علي الصلوة لله ويقربوا لهٔ القرابين (تكوين ٣٥) * انه ليوجد بين المسيح والشيطان اختلاف وتنافر ولا يكون بينهما مشاركة في شي البتة وغير ممكن ان يسكنا معًا . فاذا اردت ان يحل الله تعالي في نفسك فاطرح عنها محبة العالم * لا يتهيا لك ان تفوز بالله ان لم ترفض اموال الدنيا ونعيمها وتكون لديك ذات مرارة لالذة فيها * اذا رايت العالميات مرة لديك فحينئذٍ تكون نفسك قابلة تعزيات يسوع الباطنة * فكما انه غير مستطاع لك النظر بعين واحدة الي السما وان تنظر بالعين الاخرى نحو الارض . هكذا لا يمكنك التمتع بالروحيات وانت منهمك بالميل الي الارضيات * ان رمت التمتع بالالهيات فسبيلك ان تتفرغ من السلوة العالمية الشهوانية * وكما انك اذا اردت ان تتنعم بالشمس فتحول ظهرك للفي . هكذا امل ظهرك الي العالم وارفض خيالاته واباطيله لتفوز بشمس البر الذى هو يسوع المسيح * لن يفوز احد علي هذا المثال بالتعزية الروحية ان لم يحول ظهره الي الارضيات * لعمري ان السلوة الانسانية شقية جدًا من حيث انها تمنع تعزية البارى تعالي * لا تطلب الله بين رياض

الفصل الاول

في انه ينبغي لنا احتقار اباطيل العالم لكيما نقتني الله ونفوز به *

قال سيدنا يسوع المسيح في انجيله المقدس . انه ليس يمكن لاحد ان يعبد ربين (متي ٦) * لعمري ان التعزية الالهية هي حلوة ومستلذة جدًا . ولكن ليست لكل احدٍ . وانما هي لاوليك المزدرين باباطيل العالم والمتهاونين باكاذيبه . وهذا لانه من الممتنع ان تقتني الله في نفسك وانت مسرف في محبة الامور العالمية * كل الانام يبتغون ان يفوزوا بمخاطبة الرب اللذيذة . ولكن المريدين ان يخيبوا من مقاصدهم واغراضهم والمحتقرين من كل قلوبهم العالميات فهم لعمري قليلون جدًا . لان الكثيرين يوثرون قبول تعزية النفس الباطنة وارضاء شهواتهم معًا * ان شيت تقتفي اثار المسيح وتحتذي به فسبيلك ان تكفر بنفسك وتترك العالم لكيما تنال الحظوة بالله جل وعز (لوقا ٥) . لا كالممرة المنافقين الذين ذكر عنهم انهم كانوا يرهبون الله ويعبدون الاصنام معًا (ملوك رابع ١٧) * فليس مستطاعًا لك ان تخاف

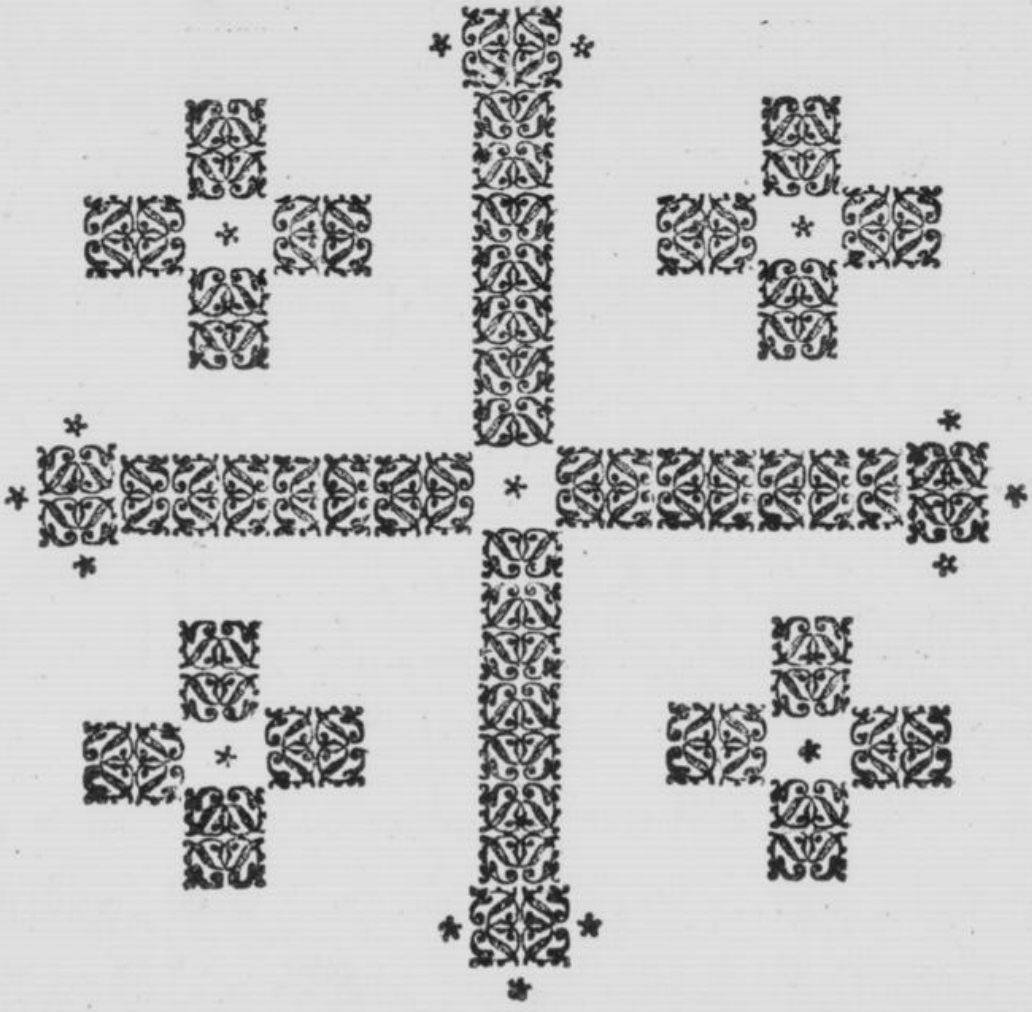

* اما انا فلا كان لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح *
(غلاطية ٦)

*

* ا

فهرس

الفصل ٩٥. في ان التامل والهديد في الامر المسيح يزهدنا في اباطيل العالم.
الفصل ٩٦. في ذم الذين يوخرون توبتهم الى زمانٍ وكثرة جهلهم.
الفصل ٩٧. في انه ينبغي لنا ان نسارع الى التوبة باوفر نشاط.
الفصل ٩٨. في بيان فضيلة التوبة.
الفصل ٩٩. في بيان ان التوبة وقت الموت غالباً لا تفيد شيئاً
الفصل ١٠٠ في بيان رجا اهل العالم الباطل.

فهرس

الفصل ٨٢ في ان الله تعالي يودب من يحبه .
الفصل ٨٣ في ان البارى تعالي يعزى الذين يودبهم .
الفصل ٨٤ في بيان اهتمام اهل العالم وحرصهم الباطل .
الفصل ٨٥ في بيان جهالة الحكمة العالميّة واباطيلها .
الفصل ٨٦ في ايضاح علو حكمة سيدنا يسوع المسيح وشرفها .
الفصل ٨٧ في انه كيف ينبغي لنا ان نطلب الحكمة الحقيقية .
الفصل ٨٨ في اباطيل الذين يحزنون حزنًا زايدًا علي موت اهل الفضيلة .
الفصل ٨٩ في بيان اباطيل فخامة القبور واسنة التجنيز وشرفها في الدنيا .
الفصل ٩٠ في ذكر اباطيل الذين يشتهون الحيوة المديدة والعمر الطويل .
الفصل ٩١ في بيان قصر حيوة الانسان .
الفصل ٩٢ في بيان العلة التي لاجلها اراد الله سبحانه ان تكون حياتنا قصيرة .
الفصل ٩٣ في بيان الاخطار العارضة لحيوة الانسان في هذه الدنيا .
الفصل ٩٤ في ان ذكر الموت يزهد الانسان في اباطيل العالم .

فهرس

الفصل ٦٦ في اجتناب الاغاني والموسيقات الدنيوية .
الفصل ٦٧ في بيان فضل التسابيح والنشايد الروحية .
الفصل ٦٨ في بيان اباطيل الكتب الدنيوية النجسة .
الفصل ٦٩ في بيان منفعة قراة الكتب المقدسة .
الفصل ٧٠ في بيان اباطيل الكرامات العالمية ومعاطبها .
الفصل ٧١ في بيان اخطار الكرامات العالمية ومعاطبها .
الفصل ٧٢ في بيان قصر الكرامات العالمية .
الفصل ٧٣ في انه كيف تقتني الكرامة في هذه الدنيا وفي السما .
الفصل ٧٤ في بيان اباطيل الذين يقصدون الثبات في درجاتهم بحمايتهم الاشرار والتفضل عليهم .
الفصل ٧٥ في بيان اباطيل الذين يبتغون الاستيلا علي غيرهم ويظلمون قريبهم .
الفصل ٧٦ في بيان اباطيل نجاح الدنيا وحسن حالها .
الفصل ٧٧ في بيان المنفعة الحاصلة من الطرد والهوان .
الفصل ٧٨ في بيان اباطيل النعم والهبات الانسانية .
الفصل ٧٩ في بيان المنفعة الناجمة من المصايب والشدايد .
الفصل ٨٠ في المنفعة الصادرة من العلل والامراض الجسدية .
الفصل ٨١ في بيان باى نوع ينبغي لنا ان نشفى الامراض والاوصاب الجسدية .

فهرس

الفصل ١٧ في اباطيل مدايح الناس .
الفصل ١٨ في المجد الباطل .
الفصل ١٩ في احتقار المجد الباطل .
الفصل ٢٠ في تبكيت الذين يمتدحون انفسهم بذواتهم .
الفصل ٢١ في اباطيل الذين يتوخون مرضاة الناس .
الفصل ٢٢ في الذين يتعللون لخطاياهم .
الفصل ٢٣ في اباطيل الذين يطلبون ان يكونوا عظما واشرافاً في هذه الدنيا .
الفصل ٢٤ في اباطيل سلطنة العالم .
الفصل ٢٥ في اباطيل الذين يطلبون المناصب والرياسات .
الفصل ٢٦ في نموذجات الرؤسا ومثالاتهم .
الفصل ٢٧ في اللوازم المنسوبة للرؤسا .
الفصل ٢٨ في اباطيل الذين يرتاحون شوقاً الي عظمة الدنيا وسلطنتها .
الفصل ٢٩ في اباطيل الذين يتوكلون علي انفسهم .
الفصل ٣٠ في اباطيل الذين يفتخرون بعلمهم .
الفصل ٣١ في انه ينبغي للذين يعلمون غيرهم ان يقرنوا العلم بالسيرة الصالحة .
الفصل ٣٢ في اباطيل الذين يتباهون بقوتهم وشدة باسهم .

فهرس

الفصل ١ . في انه ينبغي احتقار اباطيل العالم لنمتلك الله ونفوز به
الفصل ٢ . في سلامة القلب وراحته .
الفصل ٣ . في ان حيوة المسيح توضح لنا اباطيل العالم بابلغ بيان
الفصل ٤ . في بيان الباطل الكاينة فيه امور العالم .
الفصل ٥ . في احتقار الدنيا والتهاون بها .
الفصل ٦ . في عاقبة امور العالم الباطلة .
الفصل ٧ . في تامل عاقبة الامور العالمية الباطلة والهذيذ بها .
الفصل ٨ . في اباطيل كلام الناس واحاديثهم .
الفصل ٩ . في الاستخفاف باقوال الناس وقلة الالتفات اليها .
الفصل ١٠ . في اباطيل الذين يحلون بالاخيار ويذمونهم .
الفصل ١١ في اباطيل المنحرفين عن الخير من اجل اقاويل العالم .
الفصل ١٢ في اباطيل الذين يتهاونون بصيتهم واعراضهم .
الفصل ١٣ في اباطيل الذين يتباهون بالشرور والاسوا التي * يفعلونها *
الفصل ١٤ في اباطيل دينونة الناس .
الفصل ١٥ في اباطيل الصحبة الانسانية .
الفصل ١٦ في الصداقة الحقيقية .

والمقترين * اهتم بطبعها المعلم الماهر والواعظ العام الفاضل *
والمرسل الغيور في هذه البلاد الشرقيّة * البادرى انطونيوس
اطايزا من كورة سيدتنا مريم العـذرا البرية من الدنس من
مملكة ايسبانيا السمية. الوكيل العام في القدس الشريف على
رهبان القديس فرنسيس *

وقد كان ذلك اعني طبع هذه الكتب وتحريرها وضبطها *
وحسن اعرابها وسبكها * في دير القديس ماريوحنا الصابغ
الملقب بالشوير * بعمل الرهبان القانونيين من طايفة الروم
الملكيه * ابتداءً في سنة الف وسبعماية وتسع وثلاثين
مسيحية *

فهاكه ايها المومن النجيب فهو الكنز الذى يجب ان تبذل في
الحصول عليه كل الاجتهاد والاطماع * والدرة التي ينبغي ان يُباع
كل شي لتبتاع * مشتركاً باقتنايه مع الذين عانوا هذه الاتعاب
لفايدتك ونفعك * غير ناسٍ اياهم من طلب الرحمة لهم والصفح
والغفران من الله ابى الرحمات واله كل عزاء واحسان *

له المجد الي الابد وفي كل وقتٍ واوان

* امين *

*

فهرس

Vienna

2245

وقد انقسم هذا الكتاب الي اربعة اجزاء * ثلاثة منها تشتمل علي ما ذكرنا من الزهد في الاباطيل العالميّة والحث علي الاداب والفضايل المسيحيّة * وواحد وهو الاخير ينطوى علي تاملات المحبة الالهية * وهو تاليف الاب العالم العامل واللاهوتى الكامل الفاضل ديدكس ستّاله من رهبان القديس فرنسيس المعظم * اجزل الله ثوابه ورفع في عليين ملكوته مقامه وجنابه *

اما الذى نقل هذا الكتاب من اللغة الاسبانيوليّة الي اللغة العربية * فهو اولاً البادرى روفايل ونتايول الحافظ اللاهوتى من رهبان القديس المذكور الوكيل العام بمدينة القدس الشريف * فهذا الاب المكرم هو الذى نقل اولاً الثلاثة الاجزا المتقدمة * ثمّ بعده البادرى النسو ميخايل كورجاده المكرم نقل الجزء الرابع الاخير كما هو محرر بمقدمة الجزء المذكور * وذلك ليكون هذا الكتاب المفيد كاملاً في اللغة العربية * ومفيداً لكمال الغاية التي اُلف لاجلها من مولفه التي ليست هى الزهد فقط في الامور العالميّة بل هى ايضاً اضطرام قلوب المسيحيين بنار المحبة الالهية *

ثم لكى تصان هذه الكتب من تحريف الناسخين وغلط الناقلين * بل لكى تنتشر فيما بين المسيحيين ويحصل بها الخير العام للمشترين

والمقترين

2245

arab. Bibelkommentar

Anfang u. Schlußteil defekt

Qualitätseinband Fr. Löhbach
Haltbarkeits-Garantie
Wuppertal-E., Ausblick 69

Goussen

2709

قد احضرنا من أوروبا كافة أنواع بطاقات الزيارة (كارت دي فيزيت) وملاحق الافراح وأوراق المناعي والمطبعة مستعدة لطبع كل ما يطلب منها من جرائد يومية واسبوعية ومجلات وكتب مشكلة وغير مشكلة حسابية ورياضية ودفاتر وأرانيك وسراكي لزوم الدوائر والمصالح والتجار والبنوكة ومكاتب المحاماه وغيرها بجميع اشكال الحروف الجميلة من افرنكية وعربية بغاية الاتقان والسرعة . وهي مستعدة للتساهل مع حضرات اصحاب الاشغال تساهلاً لا يمكن للغير مزاحمتها معه لانها تفضل الخدمة العمومية على المنفعة الخصوصية فمن اراد طبع شيء أو رغب في معاطاة اشغال مما يتعلق بما ذكر فليخابر به مديرها

(زكي رزق الله)